

التَّيَّارَةُ وَالْأَحْسَانُ

فِي
عُلُومِ الْقُرْآنِ

لِلْإِبْنِ عَقِيلَةَ الْمَكِّيِّ

الجزء السابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرياسة والاحسان
على القرب

إصدارات سنة ٢٠٠٦م
مركز البحوث والدراسات
هاتف: (٥٠٥٠٥٥٠) فاكس: (٥٠٥٠٥٥٢)
E-mail: research@sharjah.ac.ae



الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

جامعة الشارقة
ص.ب: ٢٧٢٧٢، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
هاتف: (+٩٧١-٦-٥٥٨٥٠٠٠) فاكس: (+٩٧١-٦-٥٥٨٥٠٩٩)
Web site: <http://www.sharjah.ac.ae>

النوع الحادي والثلاثون بعد المائة

علم من ذكر من الأنبياء عليهم السلام
في القرآن العظيم صريحاً وبالإشارة



النوع الحادي والثلاثون بعد المائة

علم من ذكر من الأنبياء ﷺ في القرآن العظيم صريحاً وبالإشارة

ولم يفرد الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - ولم أر أحداً من المتقدمين - رحمهم الله تعالى - من ذكر هذا النوع ولا نبه عليه .

فأول من ذكر منهم ^(١) نبي الله آدم - عليه الصلاة والسلام -، وقد ذكره الله ﷻ في كتابه العزيز في مواضع صريحاً ^(٢) وإشارة ^(٣) (ومن الإشارة) ^(٤) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ الآية [البقرة: ٣٠]، ومن الصريح قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَأِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١]، وقوله عز من قائل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَأِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [البقرة: ٣٤]، ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] وغيرها من الآيات .

(١) لم أترجم لهم هنا، حيث إنهم ذكروا مفصلين في النوع الثاني والثلاثين «علم تاريخ الأنبياء...» والنوع السادس والثلاثين «علم قصص الأنبياء...» إلا بعضاً منهم .

(٢) ذكر صريحاً في خمسة وعشرين موضعاً:

في البقرة: ٣١، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٧ .

وفي آل عمران: ٣٣، ٥٩ .

وفي المائدة: ٢٧ .

وفي الأعراف: ١١، ١٩، ٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٥، ١٧٢ .

وفي الإسراء: ٦١، ٧٠ .

وفي الكهف: ٥٠ .

وفي مريم: ٥٨ .

وفي طه: ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٢٠، ١٢١ .

وفي يس: ٦٠ .

(٣) وذكر إشارة في أكثر من ثلاثة عشر موضعاً .

(٤) ساقط من (ح) .

وأما إدريس - عليه الصلاة والسلام - فقد ذكره الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم: ٥٦، ٥٧] (١).

وأما نوح - عليه الصلاة والسلام - فقد ذكر في مواضع (٢) في كتاب الله ﷻ، فمنها: قوله تعالى جل شأنه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٥٩﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٦٠﴾﴾ [الأعراف: ٥٩].

وأما نبي الله هود - عليه الصلاة والسلام - فقد ذكر أيضاً في مواضع من الكتاب العزيز (٣)، فمنها قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٦٥﴾ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف: ٦٥].

وأما نبي الله صالح - عليه الصلاة والسلام - فقد ذكر أيضاً في مواضع (٤) من كتاب الله ﷻ (٥)، فمنها قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف: ٧٣].

وأما نبي الله إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - فقد ذكر أيضاً في مواضع من كتاب الله ﷻ (٦)، فمنها قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ.....

(١) وذكره أيضاً في سورة الأنبياء: ٨٥.

(٢) ذكر في القرآن الكريم في ثلاثة وأربعين موضعاً: في آل عمران: ٣٣. والنساء: ١٦٣. والأنعام: ٨٤. والأعراف: ٥٩، ٦٩. والتوبة: ٧٠. ويونس: ٧١. وهود: ٢٥، ٣٢، ٣، ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٨٩. وإبراهيم: ٩. والإسراء: ٣، ١٧. ومريم: ٥٨. والأنبياء: ٧٦. والحج: ٤٢. والمؤمنون: ٢٣. والفرقان: ٣٧. والشعراء: ١٠٥، ١٠٦، ١١٦. والعنكبوت: ١٤. والأحزاب: ٧، والصفات: ٧٥، ٧٩، وص: ١٢. وغافر: ٥، ٣١. والشورى: ١٣. وق: ١٢. والذاريات: ٤٦. والنجم: ٥٢. والقمر: ٩. والحديد: ٢٦. والتحريم: ١٠. ونوح: ١، ٢١، ٢٦.

(٣) ذكر في القرآن عشر مرات: في البقرة: ١١١، ١٣٥، ١٤٠. والأعراف: ٦٥. وهود: ٥٠، ٥٣، ٥٨، ٦٠، ٨٩. والشعراء: ١٢٤.

(٤) ذكر في القرآن ثماني مرات: في الأعراف: ٧، ٧٣، ٧٥، وهود: ٦١، ٦٢، ٨٩. والشعراء: ١٤٢. والنمل: ٤٥.

(٥) ذكر في القرآن في تسع وستين موضعاً: في البقرة: ١٢٤، ١٢٥، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٠، ٢٥٨، ٢٥٨، ٢٦٠. وآل عمران: ٣٣، ٦٥، ٦٧، ٦٨، ٨٤، ٩٥، ٩٧. والنساء: ٥٤، ١٢٥، ١٦٣. والأنعام: ٧٤، ٧٥، ٨٣، ١٦١. والتوبة: ٧٠، ١١٤، ١١٤. وهود: ٦٩، ٧٤، ٧٥، ٧٦. ويوسف: ٦، ٣٨.

يَكْتَبُ^(١) فَاتَّهَمُوا قَالِ إِنْ جَاءَكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴿البقرة: ١٢٤﴾ وغيرها من الآيات.

وأما نبي الله لوط - عليه الصلاة والسلام - فقد ذكره الله تعالى في مواضع من القرآن^(٢)، فمنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفِتْحَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [العنكبوت: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْطًا ءَايَنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَجِّنَاهُ مِنْ الْقَرَبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَبْسِثَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنبياء: ٧٤].

وأما نبي الله إسماعيل - عليه الصلاة والسلام - فإنه ذكر في مواضع من القرآن^(٣). فمنها قوله عز من قائل: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥].

وأما نبي الله إسحاق - عليه الصلاة والسلام - فقد ذكر في مواضع أيضاً^(٤)، منها قوله تعالى: ﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ [الصافات: ١١٣].

وأما نبي الله يعقوب - عليه الصلاة والسلام - فمذكور في قوله تعالى: ﴿أَم

= وإبراهيم: ٣٥. والحجر: ٥١. والنحل: ١٢٠، ١٢٣. ومريم: ٤١، ٤٦، ٥٨. والأنبياء: ٥١، ٦٠، ٦٢، ٦٩. والحج: ٢٦، ٤٣، ٧٨. والشعراء: ٦٩. والعنكبوت: ١٦، ٣١. والأحزاب: ٧. والصافات: ٨٣، ١٠٤، ١٠٩. وص: ٤٥. والشورى: ١٣. والزخرف: ٢٦. والذاريات: ٢٤. والنجم: ٣٧. والحديد: ٢٦. والممتحنة: ٤، ٤. والأعلى: ١٩.

(١) يأتي بيان المراد بـ«الكلمات» في النوع: ١٣٦.

(٢) ذكر فيه في سبع وعشرين مرة: في الأنعام: ٨٦. والأعراف: ٨٠. وهود: ٧٠، ٧٤، ٧٧، ٨١، ٨٩. والحجر: ٥٩، ٦١. والأنبياء: ٧١، ٧٤. والحج: ٤٣. والشعراء: ١٦٠، ١٦١، ١٦٧. والنمل: ٥٤، ٥٦. والعنكبوت: ٢٦، ٢٨، ٣٢، ٣٣. والصافات: ١٣٣. وص: ١٣. وق: ١٣. والقمر: ٣٣، ٣٤. التحريم: ١٠.

(٣) ذكر فيه في اثني عشر موضعاً: في البقرة: ١٢٥، ١٢٧، ١٣، ١٣٦، ١٤٠. وآل عمران: ٨٤. والنساء: ١٦٣. والأنعام: ٨٦. وإبراهيم: ٣٩. ومريم: ٥٤. والأنبياء: ٨٥. وص: ٤٨.

(٤) ذكر في القرآن سبع عشرة مرة: في البقرة: ١٣٣، ١٣٦، ١٤٠. وآل عمران: ٨٤. والنساء: ١٦٣. والأنعام: ٨٤. وهود: ٧١، ٧١. ويوسف: ٦، ٣٨. وإبراهيم: ٣٩. ومريم: ٤٩. والأنبياء: ٧٢. والعنكبوت: ٢٧. والصافات: ١١٢، ١١٣. وص: ٤٥.

كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ﴿البقرة: ١٣٣﴾، وفي مواضع آخر^(١).
 وأما نبي الله يوسف - عليه الصلاة والسلام - فمذكور أيضاً في الكتاب العزيز في مواضع^(٢)، منها قوله جل شأنه: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف: ٤].
 وأما إخوة يوسف الذي قيل في بعضهم إنهم أنبياء^(٣) فقد ذكروا في القرآن العزيز بالإشارة، وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ﴿٧﴾﴾ [يوسف: ٧].
 وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَتَهُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يوسف: ٥٨].

وأما نبي الله أيوب - عليه الصلاة والسلام - فإنه ذكر في مواضع من القرآن^(٣)، منها قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وأما نبي الله شعيب - عليه الصلاة والسلام - فقد ذكره الله جل شأنه في مواضع^(٤)، منها قوله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ ﴿٥﴾ أَخَاهُمُ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف: ٨٥، هود: ٨٤].

وأما نبي الله موسى - عليه الصلاة والسلام - فقد ذكره الله تعالى شأنه في

(١) في سبعة وعشرين موضعاً: في الأنعام: ٨٤. ويوسف: ٤، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٧، ٢١، ٢٩، ٤٦، ٥١، ٥٦، ٥٨، ٦٩، ٧٦، ٧٧، ٨٠، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩٠، ٩٤، ٩٤، ٩٩. وغازي: ٣٤.

(٢) قال ابن كثير في قصص الأنبياء: ٣٠٩/١: وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أنه لم يكن فيهم نبي غير يوسف، وباقي إخوته لم يوح إليهم، وما يؤيد أن يوسف هو المختص من بين إخوته بالرسالة والنبوة، أنه ما نص على واحد من إخوته سواه؛ فدل على ما ذكرنا.

(٣) ذكر في القرآن أربع مرات: في النساء: ١٦٣. والأنعام: ٨٤. والأنبياء: ٨٣. وص: ٤١.

(٤) ذكر في القرآن إحدى عشرة مرة: في الأعراف: ٨٥، ٨٨، ٩٠، ٩٢. وهود: ٨٤، ٨٧، ٩١، ٩٤. والشعراء: ١٧٧. والعنكبوت: ٣٦.

(٥) كان أهل مدين قوماً عرباً يسكنون مدينتهم (مدين) التي هي قرية من أرض معان من أطراف الشام، مما يلي ناحية الحجاز، قريباً من بحيرة قوم لوط. ومدين قبيلة عرفت بهم وهم من بني مدين بن مديان بن إبراهيم الخليل ونبيهم شعيب ﷺ. قصص الأنبياء لابن كثير: ٢٧٤/١.

كثير من الآيات^(١)، فمنها قوله جل شأنه: ﴿ثُمَّ بَشَّرْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مَوْسَىٰ بِتَابِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ [الأعراف: ١٠٣].

وأما نبي الله هارون - عليه الصلاة والسلام - فمذكور في مواضع^(٢)، منها قوله تعالى عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨].

وأما نبي الله الخضر^(٣) - عليه الصلاة والسلام - فقد ذكر إشارة في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

(١) ذكر في مائة وستة وثلاثين موضعاً من القرآن: في البقرة ثلاث عشرة مرة، وفي آل عمران مرة واحدة. وفي النساء مرة واحدة، وفي المائدة ثلاث مرات، وفي الأنعام ثلاث مرات، وفي الأعراف إحدى وعشرين مرة، وفي يونس ثماني مرات، وفي هود ثلاث مرات، وفي إبراهيم ثلاث مرات، وفي الإسراء ثلاث مرات، وفي الكهف مرتين، وفي مريم مرة واحدة، وفي طه سبع عشرة مرة، وفي الأنبياء مرة واحدة، وفي الحج مرة واحدة، وفي المؤمنون مرتين، وفي الفرقان مرة واحدة، وفي الشعراء ثماني مرات، وفي النمل ثلاث مرات، وفي القصص ثماني عشر مرة، وفي العنكبوت مرة واحدة، وفي السجدة ثلاث وعشرون، وفي الأحزاب مرتين، وفي الصفات مرتين، وفي غافر خمس مرات، وفي فصلت مرة واحدة، وفي الشورى مرة واحدة، وفي الأحقاف مرتين، وفي الذاريات مرة واحدة، وفي النجم مرة واحدة، وفي الصف مرة واحدة، وفي النازعات مرة واحدة، وفي الأعلى مرة واحدة.

انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي مادة: (م و س).

(٢) ذكر في عشرين موضعاً من القرآن: في البقرة: ٢٤٨. والنساء: ١٦٣. والأنعام: ٨٤. والأعراف: ١٢٢، ١٤٢. ويونس: ٢٨، ٥٣. وطه: ٣٠، ٧٠، ٩٠، ٩٢. والأنبياء: ٤٨. والمؤمنون: ٤٥. والفرقان: ٣٥. والشعراء: ١٣، ٤٨. والقصص: ٣٤. والصفات: ١١٤، ١٢٠.

(٣) هو: بليا بن ملكان ابن سام بن نوح. وقيل غير ذلك. والخضر لقب عليه، إنما سمي الخضر؛ لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه حضراء، كان في زمن أفريدون بن أفيان حتى أدركه موسى ﷺ.

انظر: تاريخ الطبري: ٣٦٥/١، وقصص الأنبياء لابن كثير (٢/٢٠١).

وقد اختلف في نبوة الخضر ﷺ، والمشهور أنه من الأنبياء بأدلة منها:

١ - أنه أقدم على قتل الغلام وما ذاك إلا للوحي إليه من الملك العلام.

٢ - تفسير الأفاعيل لموسى ﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِئِي﴾ [الكهف: ٨٢] يعني ما فعلته من تلقاء

نفسه بل أمرت به وأوحي إلي فيه.

قصص الأنبياء لابن كثير: ٢/٢٠٤. هذا سيأتي بيانه صفحة ٧٠٧.

وأما (نبي الله) ^(١) يوشع ^(٢) - عليه الصلاة والسلام - فقد ذكره الله جلَّ شأنه في كتابه العزيز إشارة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ﴾ [الكهف: ٦٠]، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ﴾ [الكهف: ٦٢].

وأما نبي الله حزقييل ^(٣) - عليه الصلاة والسلام - وقد ذكره الله جلَّ شأنه إشارة في قوله عز من قائل: ﴿وَأَلِّمْنَا تَارَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

ومنهم نبي الله شمويل ^(٤) - عليه الصلاة والسلام - وقد ذكر بالإشارة في قوله ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أبعثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦]، وكذا قوله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

ومنهم نبي الله داود - عليه الصلاة والسلام -، وهو المذكور في مواضع من كتاب الله تعالى ^(٥)، منها قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾

(١) ساقط من «ح».

(٢) هو: يوشع بن نون بن أفرسيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وهو الذي قام بأعباء بني إسرائيل بعد موسى وهارون، فكانت مدة حياته بعد موسى سبعاً وعشرين سنة وهو ﷺ المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ﴾ [الكهف: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ﴾ [الكهف: ٦٢]. انظر: تفسير ابن جرير: ١٥/١٧٧، وتاريخ الطبري: ١/٤٣٥، وتفسير ابن كثير: ٤/٤٠٢، وقصص الأنبياء له: ٢/١٩٩.

(٣) هو: حزقييل بن بوذي وهو الذي بعث إلى بني إسرائيل بعد نبي الله يوشع ﷺ وهو الذي دعا للقوم الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ...﴾ الآية [البقرة: ٢٤٣].

انظر: تفسير ابن جرير: ٢/٣٦٥، وتفسير ابن كثير: ١/٥٢٨، وقصص الأنبياء له: ٢/

٢٣٢.

(٤) هو: شمويل بن بالي بن علقمة بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ﷺ، وقيل غير ذلك، وهو المراد في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أبعثْ لَنَا مَلِكًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾. انظر: تفسير ابن جرير: ٢/٣٧٢، وتفسير ابن كثير: ١/٥٣٣، وقصص الأنبياء له: ٢/٢٣٩.

(٥) ذكر في القرآن ست عشرة مرة: في البقرة: ٢٥١. والنساء: ١٦٣. والمائدة: ٧٨.

[ص: ١٧]. ومنها قوله جل شأنه: ﴿بِنَدَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦].

ومنهم نبي الله لقمان^(١) - عليه الصلاة والسلام - على من يرى نبوته، وقد ذكره الله جل شأنه في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [لقمان: ١٢].

ومنهم نبي الله سليمان - عليه الصلاة والسلام - وقد ذكره الله جل شأنه في مواضع من كتابه العزيز^(٢)، منها قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ...﴾^(٣) الآية [الأنبياء: ٧٨، ٧٩].

ومنهم نبي الله إلياس^(٤) - عليه الصلاة والسلام - وقد ذكره ﷻ في كتابه العزيز بقوله: ﴿وَلِإِسْهَابِ لَيْسَ لَيْسَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقْمَانُ يَا لِقْمَانُ أَتَى الْقَوْمَ إِلَّا نَفَقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الصافات: ١٢٣، ١٢٤].

وأما نبي الله اليسع^(٥) - عليه الصلاة والسلام - فقد ذكره الله تعالى بقوله: ﴿وَأَذَكَّرَ إِسْمَاعِيلَ وَأَلْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [ص: ٤٨].

وأما نبي الله يونس - عليه الصلاة والسلام - فقد ذكر صريحاً^(٦) وإشارة، أما الإشارة فقول الله جل شأنه: ﴿فَأَضْرِبْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾

= والأنعام: ٨٤. والإسراء: ٥٥. والأنبياء: ٧٨، ٧٩. والنمل: ١٥، ١٦. وسبأ: ١٠، ١٣. وص: ١٧، ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٣٠.

(١) اختلف في نبوته، والأكثرون ذهبوا إلى أنه عبد صالح ولم يكن نبياً، فعن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً. انظر: تفسير ابن جرير: ٤٣/٢١، وتفسير ابن كثير: ٣٨٠/٥.

(٢) ذكر فيه سبع عشرة مرة: في البقرة: ١٠٢، ١٠٢. والنساء: ١٦٣. والأنعام: ٦. والأنبياء: ٧٨، ٧٩، ٨١. والنمل: ١٥، ١٦، ١٧، ٣٠، ٣٦، ٤٤. وسبأ: ١٢. وص: ٣٠، ٣٤.

(٣) وتتمتها: ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٨﴾﴾.

(٤) ذكر فيه في موضعين: الأنعام: ٨٥، والصافات: ١٢٣.

(٥) ذكر في القرآن في موضعين الأنعام: ٨٦، وص: ٤٨.

(٦) ذكر صريحاً في القرآن أربع مرات: في النساء: ١٦٣. والأنعام: ٨٦. ويونس: ٩٨. والصافات: ١٣٩.

[القلم: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا التُّونُ إِذْ ذَهَبَ مُغَضَّبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وأما الصريح ففي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٢٥﴾﴾ [الصافات: ١٣٩، ١٤٠].

ومنهم نبي الله شعياً^(١) - عليه الصلاة والسلام - فقد ذكر إشارة في قوله ﷺ ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَجَاتٍ وَنَلْعَنَنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإسراء: ٤] فالفساد الأول هو قتل نبي الله شعياً - عليه الصلاة والسلام -^(٢).

ومنهم نبي الله عزيز^(٣) - عليه الصلاة والسلام - وقد ذكر في الكتاب العزيز صريحاً وإشارة.

أما الإشارة فقوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا . . . ﴿٤﴾﴾ الآية [البقرة: ٢٥٩].

وأما الصريح ففي قوله عز من قائل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

ومنهم نبي الله زكريا - عليه الصلاة والسلام - وقد ذكره الله تعالى شأنه في

(١) هو: شعيا بن أمصبا نبي بَشَّرَ بعيسى ﷺ كان قبل زكريا ويحيى. انظر: قصص الأنبياء لابن كثير: ٣١٥/٢.

(٢) هذا من وجهة نظر المؤلف؛ وذلك لأن الخلاف كثير في الإفساد الأول. انظر: تفسير ابن جرير: ١٨/١٥.

(٣) هو: عزيز بن جروة ويقال: ابن سوريق بن عديان بن هارون بن عمران، واختلف في نبوته، والمشهور أنه نبي من أنبياء بني إسرائيل، وأنه كان فيما بين داود وسليمان وبين زكريا ويحيى، وأنه لم يبق في بني إسرائيل من يحفظ التوراة، ألهمه الله تعالى حفظها، فسردها على بني إسرائيل، وهو الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه حين قال تعجباً: ﴿أَنْ أُنْجِيَ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾. انظر: قصص الأنبياء لابن كثير: ٢٣٩/٢ وما بعدها، وقصص الأنبياء محمد العفي: ٤٢٢، ٢٢٧.

(٤) وتمتها: ﴿قَالَ أَنْ يُجِيَ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى جِوَارِكَ لِيَتَعَمَّكَ آيَةُ الْإِنْسَانِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

مواضع^(١) من كتابه العزيز، منها قوله تعالى: ﴿كَهَيَّصَ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُوْكَ زَكَرِيَّا ۝٢﴾ إِذْ نَادَى رَبُّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۝٣﴾ [مريم: ١ - ٣]. ومنها قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبُّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِيْنَ ۝٨١﴾ [الأنبياء: ٨٩].

ومنهم مريم^(٢) - عليها الصلاة والسلام - على قول من اختار نبوتها^(٣)، وقد ذكر الله شأنها في كتابه العزيز صريحاً^(٤) وإشارة.

فالصريح قوله عز من قائل: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِيْكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِيْنَ ۝٤٢﴾ يَمْرِيْمُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِبِيْنَ ۝٤٣﴾ [آل عمران: ٤٢، ٤٣]، وكذا قوله جل شأنه: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝١١٦﴾ [مريم: ١١٦] إلى آخر الآيات. والإشارة في قوله جل شأنه: ﴿وَالَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْحَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِيْنَ﴾ [الأنبياء: ٩١].

ومنهم نبي الله يحيى - عليه الصلاة والسلام - وقد ذكر في كتاب الله في مواضع^(٥)، منها قوله عز من قائل: ﴿يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ [مريم: ٧]، وقوله تعالى: ﴿يَبْيَحِيْحُ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢﴾ [مريم: ١٢].

(١) ذكر في سبعة مواضع. في آل عمران: ٣٧، ٣٧، ٣٨. والأنعام: ٨٥. ومريم: ٢، ٧. والأنبياء: ٨٩.

(٢) هي: مريم بنت عمران بن ماثان تمن سلالة سليمان بن داود ﷺ، كفلها زكريا ﷺ وهي من سيدات أهل الجنة. انظر: قصص الأنبياء لابن كثير: ٣٧٩/٢.

(٣) كما زعم ذلك ابن حزم محتجاً بكلام الملائكة، ولكن قول الجمهور: إن النبوة مختصة بالرجال، وليس في النساء نبية، كما حكاها أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والجماعة. نقلاً عن قصص الأنبياء لابن كثير: ٣٧٥/٢.

(٤) ذكرت صريحاً في أربعة وثلاثين موضعاً: في البقرة: ٨٧، ٢٥٣. وآل عمران: ٣٦، ٣٧، ٤٢، ٤٣، ٥٤، ٤٥، ٤٥. والنساء: ١٥٦، ١٥٧، ١٧١، ١٧١. والمائدة: ١٧، ١٧، ٤٦، ٧٢، ٧٥، ٧٨، ١١٠، ١١٢، ١١٤، ١١٦. والتوبة: ٣١. ومريم: ١٦، ٢٧، ٣٤. والمؤمنون: ٥٠. والأحزاب: ٧. والزخرف: ٥٧. والحديد: ٢٧. والصف: ٦، ١٤. والتحريم: ١٢.

(٥) ذكر في خمسة مواضع: في آل عمران: ٣٩. والأنعام: ٨٥. ومريم: ٧، ١٢. والأنبياء: ٩. وطه: ٢٠.

ومنهم نبي الله عيسى - عليه الصلاة والسلام - وقد ذكر صريحاً وإشارة في كتاب الله تعالى .

أما الصريح ففي مواضع من الكتاب^(١)؛ منها قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وقوله تعالى جل شأنه: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥] .
وأما الإشارة ففي قوله تعالى شأنه: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩] .

وأما نبينا وحبينا الإنسان الكامل والخليفة العادل إمام الأنبياء ورسول الأصفياء ورئيس الأتقياء محمد ﷺ فمذكور في مواضع من الكتاب العزيز صريحاً^(٢) وإشارة .

وأما الصريح فقوله تعالى شأنه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نَزَّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢] .
[محمد: ٢]، وقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] .

وأما الإشارة ففي قوله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [١٢٨] فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْمَغْشِيِّ﴾ [١٢٩] .
[التوبة: ١٢٨ ، ١٢٩] .

وقوله: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥] .

(١) ذكر صريحاً في خمسة وعشرين موضعاً. في البقرة: ٨٧، ١٣٦، ٢٥٣. وآل عمران: ٤٥، ٥٢، ٥٥، ٥٩، ٨٤. والنساء: ١٥٧، ١٦٣، ١٧١. والمائدة: ٤٦، ٧٨، ١١٠، ١١٢، ١١٤، ١١٦. والأنعام: ٨٥. ومريم: ٣٤. والأحزاب: ٧. والشورى: ١٣. والزخرف: ٦٣، والحديد: ٢٧. والصف: ٦، ١٤.
(٢) ذكر ﷺ صريحاً في خمسة مواضع: في آل عمران: ١٤٤. والأحزاب: ٤٠. ومحمد: ٢. والفتح: ٢٩. والصف: ٦، بلفظ أحمد.

وقوله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكُتُبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ
تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
[المائدة: ١٩]. انتهى^(١).

(١) هذا النوع لم يذكره السيوطي في الإقتان.

النوع الثاني والثلاثون بعد المائة

علم تاريخ الأنبياء المذكورين
في القرآن
وبيان المتقدم منهم والمتأخر



النوع الثاني والثلاثون بعد المائة

علم تاريخ الأنبياء المذكورين في القرآن وبيان المتقدم منهم والمتأخر

وهو نوع جليل عظيم لم يذكره الإمام الحافظ السيوطي رحمته الله في الإتقان، ولا غيره من العلماء - رحمهم الله تعالى - .
فأولهم آدم - عليه الصلاة والسلام - وهو أبو البشر^(١)، وعاش من العمر قريباً من ألف عام.

وقال ابن أبي خيثمة^(٢): عاش من العمر تسعمائة سنة وستين .
وقال النووي في تهذيبه: اشتهر في كتب التاريخ أنه عاش ألف سنة^(٣).
أخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إنما سمي آدم لأنه خلق من آدم^(٤) الأرض^(٥).

(١) في (ح): «أبو سائر البشر».

(٢) هو: أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب أبو بكر الإمام الحجة البغدادي، صاحب التاريخ الكبير، من شيوخه أبو نعيم وعفان ومسلم بن إبراهيم، ومن تلاميذه البيهقي ومحمد بن مخلد وإسماعيل الصفار، قال الدارقطني: ثقة مأمون، توفي سنة (٢٧٩هـ).
انظر: تذكرة الحفاظ: ٥٩٦/٢، وطبقات الحفاظ: ٢٦٧، وتاريخ بغداد: ١٦٢/٤.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات: ٩٥/١.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية: ٩٩/١: واختلف في مقدار عمره عليه السلام ففي الحديث عن ابن عباس، وأبي هريرة مرفوعاً: «إن عمره اكتب في اللوح المحفوظ ألف سنة». وهذا لا يعارضه ما في التوراة، من أنه عاش تسعمائة وثلاثين سنة، لأن قولهم مطعون فيه، ومردود إذا خالف النص.

ويمكن الجمع بينهما؛ فإن ما في التوراة محمول على مدة مقامه في الأرض بعد الإهباط، وذلك تسعمائة وسبع وخمسون سنة، فيكون الجميع ألف سنة.

(٤) آدم الأرض: وجهها، والمراد به التراب، وأديم كل شيء: ظاهره.

انظر: اللسان: ١٠/١٢ مادة: (أدم).

(٥) انظر: تاريخ الطبري: ٩١/١، والكامل لابن الأثير: ٢٨/١، وتهذيب الأسماء: ٩٦/١.

وقال قوم: هو اسم سرياني، أصله إِدَام، بوزن خِتَام، عرب بحذف ألفه الثانية.

وقال الثعلبي^(١): آدَام [بالسريانية]^(٢): التراب، فسمي آدم^(٣) به. وبعده شيث - عليه الصلاة والسلام - ومعناه في العربية هبة الله وعطيته^(٤)، وعاش من العمر تسعمائة سنة واثنتي عشرة سنة^(٥).

وبعده إدريس - عليه الصلاة والسلام - وهو المسمّى في السريانية خنون، وعند أهل اليونان هرمس، وهو أول من أعطي السعة والبراعة [في العلوم]^(٦) والتكلم في حقائق الأشياء^(٧)، ومسير الأفلاك، ومنازل الكواكب، وتقسيم البروج.

(١) هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي صاحب «التفسير» و«العرائس في قصص الأنبياء»، من شيوخه أبو طاهر الفضل وأبو بكر بن مهران، ومن تلاميذه أبو الحسن الواحدي، توفي سنة (٤٢٧هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ: ١٠٩٠/٣، وطبقات المفسرين للداودي: ٦٥/١، والشذرات: ٢٣/٣.

(٢) في (ح): «بالعبرانية».

(٣) وفي اللسان: مادة: (أدم): ١٢/١٢: واختلف في اشتقاق اسم «آدم» فقال بعضهم: سمي آدم لأنه خلق من أدمة الأرض، وقال بعضهم: لأدمه جعلها الله فيه، وقال الجوهري: آدم أصله بهمزتين لأنه أفعال، إلا أنهم لينوا الثانية، فإذا احتجت إلى تحريكها جعلتها واوًا، وقلت: أو آدم في الجمع؛ لأنه ليس لها أصل في الياء معروف، فجعل الغالب عليها الواو.

قلت: والصواب إن آدم اسم مشتق من أديم الأرض؛ لأنه خلق من تراب، وأديم الأرض وجهها.

قال النووي في تهذيب اللغات: ٩٦/١: فأما اشتقاق اسمه فقال الواحدي: قال ابن عباس رضي الله عنه: سمي آدم؛ لأنه خلق من أديم الأرض، قال الزجاج: قال أهل اللغة: آدم مشتق من أديم الأرض؛ لأنه خلق من تراب، وأديم الأرض وجهها.

(٤) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٩٨/١: ومعنى: شيث: هبة الله، وسمياه بذلك لأنهما رزقاه بعد أن قُتل هابيل.

(٥) وفي تهذيب الأسماء واللغات للنوي: ٢٤٨/١:

كان شيث من أجمل ولد آدم... وعاش تسعمائة سنة واثنتي عشرة سنة.

وانظر: تاريخ الطبري: ١٦٣/١، والكامل لابن الأثير: ٤٥/١.

(٦) في (ح): «في الهموم».

(٧) وفي البداية والنهاية: ٩٩/١: فإدريس عليه السلام قد أثنى الله عليه، ووصفه بالنبوة والصدقية، وهو خنون هذا... ويزعم كثير من علماء التفسير والأحكام، أنه أول من تكلم =

ومنه استفيد علم الرمل والهيئة^(١)، وإخراج ما في الضمائر، وأنزلت عليه ثلاثون صحيفة من حضرة الله تعالى^(٢).

وقد اختلف في إدريس عليه السلام هل كان قبل نوح أو بعده^(٣) وسياق كثير من الأخبار يقتضي أنه قبل نوح عليه السلام.

أخرج في المستدرک بسنده إلى وهب بن منبه^(٤) أنه سئل عن إدريس من هو وفي أي زمان هو؟ قال: هو جد نوح الذي يقال له خون وهو في الجنة حيٌّ. انتهى^(٥).

= في حقائق الأشياء، ويسمونه هرمس الهرامسة، ويكذبون عليه أشياء كثيرة، كما كذبوا على غيره من الأنبياء...

(١) وفي البداية والنهاية: ٩٩/١: قيل: إن إدريس عليه السلام هو المشار إليه في حديث معاوية بن الحكم السلمي قال: قلت يا رسول الله، ومنا رجال يخطون، قال: «كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه». فذاك رواه أبو داود في سننه، كتاب الطب، باب في الخط وزجر الطير: ١٦/٤.

قوله: يخطون من حَطَّ يَحُطُّ حَطًّا يقال: خطه بقلمه أو بيده إذا كتبه بقلمه أو بيده. انظر: القاموس المحيط مادة: (خط): ٣٧١/٢، والمعجم الوسيط مادة: (خطط): ١/٢٤٣.

(٢) أخرج ابن جرير في تاريخه: ١٧١/١ من حديث أبي ذر الغفاري قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا ذر، أربعة - يعني من الرسل - سريانبيون، آدم، وشيث، ونوح، وأخنون، وهو أول من خط بالقلم، وأنزل الله تعالى على أخنون ثلاثين صحيفة. (٣) في (ح): (أو نوح).

(٤) هو: وهب بن منبه بن كامل أبو عبد الله الصنعاني، عنده من علم الكتاب شيء كثير، وحديثه في الصحيحين عن أخيه همام. من شيوخه: أبو هريرة وابن عمر وابن عباس، ومن تلاميذه: وهب ابن أخيه عبد الصمد، وعمرو بن دينار وإسرائيل. قال العجلي: كان ثقة... تابعياً على قضاء صنعاء، وقال أبو زرعة والنسائي: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، قال أحمد: وكان يُتهم بشيء من القدر ثم رجع، قال الحافظ ابن حجر: ثقة، ولد سنة أربعة وثلاثين في خلافة عثمان، وتوفي سنة عشر ومائة، وقيل غير ذلك.

انظر: تذكرة الحفاظ: ١٠٠/١، وتهذيب التهذيب: ١١/١٦٦، وتقريب التهذيب: ٢/٣٣٩، وفيات الأعيان: ٣٥/٦.

(٥) المستدرک للحاكم: كتاب التاريخ، باب إدريس: ٥٤٩/٢، وهو حديث ضعيف لأن في سنده عبد المنعم بن إدريس عن أبيه، قال الذهبي: عبد المنعم كذبه أحمد.

وقال محمد بن إسحاق بن يسار^(١): كان إدريس أول نبي أعطي النبوة، وهو خون بن يزيد بن أهليل بن قينان بن ناسر بن شيث بن آدم. انتهى^(٢).
 وسيأتي في قصص الأنبياء سياق نسبه^(٣).
 والذي يظهر - والله أعلم - أن مسمى إدريس من الأنبياء ثلاثة:
 إدريس الأول وهو الذي قبل الطوفان.
 وإدريس الثاني.
 وإدريس الثالث، وهو النبي إلياس عليه السلام^(٤).
 وسمي إدريساً لكثرة دراسته كتب الله تعالى^(٥)، وبلغ من العمر ثلاثمائة وخمساً وستين عاماً^(٦) ورفع^(٧).

(١) هو: محمد بن إسحاق بن يسار أبو عبد الله المطلبي المدني صاحب السيرة النبوية، رواها عنه ابن هشام، من شيوخه: أبان بن عثمان، والزهري ونافع، ومن تلاميذه: السفينان وزباد البكائي. وثقه ابن معين مرة وضعفه أخرى، توفي سنة خمسين ومائة، وقيل: إحدى وخمسين ومائة.
 انظر: طبقات ابن سعد: ٦٧/٧، وتذكرة الحفاظ: ١٧٢/١، وتهذيب التهذيب: ٣٨/٩.
 (٢) انظر: الأخبار الطوال: ١.
 (٣) انظر: علم قصص الأنبياء النوع (١٣٦): ١٢٩٨، ولكن المؤلف لم يذكر نسبه هناك، بل ذكره هنا فقط.
 (٤) قلت: ما ذكره المؤلف من أن مسمى إدريس من الأنبياء ثلاثة، لم أر أحداً من العلماء قال به.
 وقد علق ابن كثير على قول ابن مسعود: إلياس هو إدريس حيث يقول: إن الذي قاله ابن مسعود غير صحيح، والصحيح غيره.
 انظر: قصص الأنبياء لابن كثير: ٢٤٦/٢.
 بل أظهر: أن إدريس من الأنبياء واحد، وهو الذي قبل نوح عليه السلام. قال ابن كثير في قصص الأنبياء: ٧١/١: وكان - أي إدريس - أول بني آدم أعطي النبوة بعد آدم وشيث عليه السلام. وانظر: البداية والنهاية: ٩٩/١، والأخبار الطوال: ١.
 (٥) انظر: تفسير الخازن: ٢٤٩/٤، والأخبار الطوال: ١.
 (٦) انظر: تاريخ الطبري: ١٧٠/١، والمختصر في أخبار البشر: ٩/١.
 (٧) رفع إدريس عليه السلام إلى السماء بجسده حياً، وذلك قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (٥٧).
 [مريم: ٥٧]. فقد روى البخاري في صحيحه أنه عليه السلام رأى إدريس عليه السلام في السماء الرابعة ليلة المعراج.
 انظر: صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج: ٢٤٨/٤، وتفسير القاسمي: ١٣٤/١١، وتفسير الخازن: ٢٤٩/٤.

وبعده نبي الله نوح - عليه الصلاة والسلام -، وسمي نوحاً لكثرة نياحته^(١). وعاش من العمر ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعو قومه كما قال تعالى: ﴿فَلْيَتَّخِذُوا فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾، وعاش بعد الطوفان حتى كثر الناس وفشوا. وفي المستدرک عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - عاش بعد الطوفان ستين سنة^(٢).

وبعده نبي الله هود^(٣) - عليه الصلاة والسلام -، وكان مرسلأ إلى قبائل عاد^(٤)، وهم أمة عظيمة، وفيهم الملوك والجبابرة، وقد أهلكهم الله جميعاً بدعائه - عليه الصلاة والسلام -.

وبعده نبي الله صالح - عليه الصلاة والسلام -، وكان مرسلأ إلى قبائل ثمود^(٥)، وكانوا أمة عظيمة فأهلكهم الله جل شأنه بعضيائهم، وتوجه صالح ﷺ هو ومن آمن به إلى البيت الشريف، وأقام يعبد الله تعالى ويمجده إلى أن توفي ودفن عند البيت^(٦) الشريف - رحمه الله تعالى -.

(١) وإنما سمي نوحاً لكثرة نوحه على نفسه، ونوح: من ناح ينوح نوحاً ونوحاً، يقال: ناحيت المرأة على الميت: بكت عليه بجزع.

انظر: اللسان مادة: (نوح): ٦٢٧/٢، والمعجم الوسيط: مادة: (نوح): ٩٧٠/٢.

وانظر: تفسير الخازن: ٢٢٩/١، والإتقان: ٥٨/٤.

(٢) المستدرک كتاب التاريخ، باب ذكر نوح: ٥٤٦/٢.

(٣) هو: هود بن عبد الله بن رباح الجارود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ﷺ وكان من قبيلة يقال لهم: عاد بن عوص بن سام بن نوح، وكانوا عرباً يسكنون الأحقاف، وكانوا كثيراً ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام. انظر: البداية والنهاية: ١٣١/١.

(٤) وهم أولاد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، كانوا قبائل عظيمة وأماً جلييلة، وكان ساكنهم الأحقاف.

انظر: تفسير ابن جرير: ١٦/٢٦، وتفسير ابن كثير: ٢٥٩/٤، وتفسير الآلوسي: ٧٠/٢٧. وسيأتي سياق نسبه وبيان مكانه في علم قصص الأنبياء النوع (١٣٦): ٦٢٧.

(٥) هي قبائل مشهورة يقال لها: ثمود سميت باسم جددهم ثمود أخي جديس وهما ابنا عابر بن إرم بن سام، وكانوا عرباً من العاربة، يسكنون الحجر وهو بوادي القرى بين المدينة والشام، بينهما وبين وادي القرى ثمانية عشر ميلاً.

انظر: البداية والنهاية: ١٣٠/١، ومعجم البلدان: ٢١٩/٢، وأخبار الدول: ٢٧.

(٦) وفي البداية والنهاية: ١٣٨/١.

إن صالحاً ﷺ انتقل إلى حرم الله فأقام به حتى مات.

وفي «المستدرک» بسنده إلى نوف الشامي^(١) من حديث: ولم يكن بين نوح وإبراهيم [نبي]^(٢) قبله، يعني قبل إبراهيم، إلا هود وصالح عليهما السلام^(٣). وقال الحافظ ابن حجر وغيره: القرآن يدل على أن ثمود كانوا بعد عاد، كما أن عاداً بعد نوح^(٤).

وفي تهذيب النووي: أقام فيهم عشرين سنة ومات بمكة) وهو ابن ثمان وخمسين سنة^(٥).

ثم بعده نبي الله حنظلة بن صفوان عليه السلام، ولم يذكر في كتاب الله تعالى، وهو الذي أرسله جل شأنه إلى [أهل]^(٦) البئر المعطلة^(٧)، وهم من أمة صالح عليه السلام الذين آمنوا به، أقاموا دهرًا يعبدون الله عز وجل وتناسلوا وتوالدوا، ثم حبيت إليهم عبادة الأصنام، فنبأ الله جل شأنه [فيهم]^(٨) حنظلة هذا^(٩)، فنهاهم عن عبادة الأصنام

= وفي أخبار الدول: ٢٩: ولحق صالح عليه السلام ومن آمن من قومه بمكة... وتوفي بمكة ودفن بالحجر.

(١) هو: نوف بن فضالة الحميري البكالي الشامي إمام أهل دمشق في عصره، وهو ابن زوجة كعب الأحبار، توفي ما بين التسعين إلى المائة.
انظر: تهذيب التهذيب: ٤٩٠/١٠.

(٢) في (هـ): «نبي الله»، وما أثبتته من (ح) كما في المستدرک: ٥٦٥/٢.

(٣) المستدرک: كتاب التاريخ، باب ذكر صالح: ٥٦٥/٢.

(٤) فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ثَمَّذُورًا مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَنَجْحُونَ الْجِبَالَ يُوْتًا فَاذْكُرُوا آيَاتِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ [الأعراف: ٧٤].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ...﴾ [التوبة: ٧٠]. فقد ذكرهم الله تعالى مرتباً بدأ بقوم نوح ثم عاد ثم ثمود.

(٥) تهذيب الأسماء واللغات: ٢٤٨/١ بتصرف.

(٦) ساقط من (ح).

(٧) وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا حَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَثُرُ مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ ﴿٤٥﴾ [الحج: ٤٥].

(٨) ساقط من (ح).

(٩) قلت: بعد البحث والاطلاع في كتب التفاسير تبين لي أن أهل البئر المعطلة هم أصحاب الرس، وهم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي عليه السلام والله أعلم.

قال الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق: ١١:

إن أصحاب الرس كانوا بلحضور) فبعث الله إليهم نبياً يقال له: حنظلة بن صفوان فكذبوه =

وأخبرهم أنها لا تغني عنهم شيئاً وأنهم إن لم يرجعوا أهلكتهم الله تعالى كما أهلك قبلهم عاداً وثمود، فلم يرجعوا، فهموا بقتله، فنجاه^(١) الله ﷻ منهم وأخرب بثرهم التي كانوا يغتبطون بها، وصاحت منهم [ملائكة العذاب]^(٢) فهلكوا جميعاً.

وكذلك بعدهم أهل القصر المشيد^(٣)، وهم من أمة صالح - عليه الصلاة والسلام -، أقاموا مدة متمسكين بدين نبي الله صالح ﷺ وتوالدوا وتناسلوا، ثم ظهر فيهم ملك جبار ذو شوكة وقوة وبنى قصرأ عظيماً وأتقنه وشيد بنيانه أي أرفعهما وأعلاها، وكان سفاكاً للدماء، فبعث الله جل شأنه نبياً من أنبيائه فوعظه، ونصحه فلم ينت، ه وقتله، ولم ينكر^(٤) عليه أهل بلده صنيعة، فغضب الله جل شأنه عليهم وأرسل إليهم ملكاً من الملائكة فصاح بهم فهلكوا جميعهم. وبقي القصر المشيد خالياً خاويأ عبرة (للمعتبرين)^(٥) وتنبهاً للغافلين.

ثم بعده نبي الله [حنظلة بن صفوان]^(٦) - عليه الصلاة والسلام - وهو أيضاً

= وقتلوه... فأهلك الله أصحاب الرس.. وانظر: البداية والنهاية: ٢٤٦/١.

هذا عن أصحاب الرس. أما أهل البئر المعطلة، فقد ذكر المفسرون في تفاسيرهم: إن البئر: الرس. قال في الصحاح مادة: (رس): ٩٣٤/٣، الرس: البئر المطوية بالحجارة، وكانت باليمن.. في بلدة يقال لها: (حاضراء).. نزل بها أربعة آلاف ممن آمن بصالح.. وأمروا العلس بن جلاس، وأقاموا بها زماناً، ثم كفروا وعبدوا صنماً، وأرسل الله تعالى إليهم حنظلة بن صفوان نبياً، فقتلوه، فأهلكهم الله تعالى وعطل بثرهم وخرب قصورهم.

انظر: تفسير القرطبي: ٧٥/٦، وحاشية الجمل: ١٧/٣، وتفسير الألوسي: ١٦٧/١٧، وتفسير الشوكاني: ٧٧/٤.

وعلى هذا تبين لي أن أهل البئر المعطلة وأصحاب الرس اسمان لجماعة واحدة والله أعلم، وتأتي قصة أصحاب الرس ص ٧٧٧.

(١) لم أعثر على مرجع يذكر أن الله تعالى نجى نبي الله حنظلة بن صفوان من قومه، بل المراجع التي اطلعت عليها ذكرت أنهم قتلوه فأهلكهم الله.

انظر: تاريخ دمشق: ١١، وتفسير القرطبي: ٧٥/٦، والبداية والنهاية: ٢٤٦/١ وغيرها. (٢) في (ح): «ملائكة العقاب».

(٣) وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِ مَعْطَلَةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥].

(٤) في (هـ) و(ح): «ولم ينكروا»، وهو خطأ.

(٥) في (ح): «للمفسدين».

(٦) في (هـ) و(ح): «صفوان بن حنظلة»، ولم أعثر على مرجع يذكر أن هناك نبياً =

لم يذكر في «الكتاب العزيز» وهو المرسل إلى أصحاب الرس^(١)، وهم أمة عظيمة ومسكنهم [أرض]^(٢) (حضر موت)^(٣)، وكان طول مدينتهم أربعين ميلاً، وعرضها كذلك، وسموا باسم ملكهم الرس^(٤)، وكانوا متنعمين متمتعين، فعبدوا الأصنام وفشت فيهم الفواحش، فأرسل الله جل شأنه إليهم نبيه حنظلة بن صفوان^(٥) هذا - عليه الصلاة والسلام -، فنهاهم عن المعاصي فلم يسمعوا ولم يقبلوا، فأقحطوا وملح ماؤهم، فعمدوا إليه فقتلوه، فغضب الله ﷻ ومسخهم كلهم ومدينتهم أحجاراً سوداً^(٦).

= اسمه: صفوان بن حنظلة، وقد ذكرت في قصة أهل البئر المعطلة ص(٢٣) أنهم وأصحاب الرس واحد، وأن الله بعث إليهم حنظلة بن صفوان.

(١) أصحاب الرس: ذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ۗ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ۖ﴾ [الفرقان: ٣٨، ٣٩].

وقال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قِبَلَهُمْ قَوْمٌ نُّوحٌ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودٌ ۗ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۗ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمٌ تُبَّعٌ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ ۗ﴾ [ق: ١٢ - ١٤].

قلت: النبي المرسل إلى أصحاب الرس ليس صفوان بن حنظلة كما ذكره المؤلف وإنما هو حنظلة بن صفوان كما ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق، ووافقه ابن كثير في البداية والنهاية. قال الحافظ ابن عساكر: إن أصحاب الرس كانوا ب(حضور) فبعث الله إليهم نبياً يقال له: حنظلة بن صفوان فكذبوه وقتلوه، فسار عاد بن عوص، بن إرم بن سام بن نوح بولده من الرس، فنزل (الأحقاف) وأهلك الله أصحاب الرس..

انظر: تاريخ دمشق: ١١. وانظر: البداية والنهاية: ٢٤٦/١.
(٢) ساقط من (ح).

(٣) وأصحاب الرس مسكنهم (حضور)، وهي جبل وبلد ب(اليمن).

انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر: ١١، والبداية والنهاية: ٢٤٦/١، والقاموس المحيط مادة: (حضر): ١١/٢.

(٤) الرس ليس اسم ملك - كما ذكره المؤلف - وإنما هو البئر المطوية بالحجارة، قاله صاحب الصحاح مادة: (رسس): ٩٣٤/٣، وصاحب القاموس المحيط مادة: (رسس): ٢٢٧/٢، وصاحب اللسان مادة: (رسس): ٩٩/٦.

وسموا بأصحاب الرس؛ لأنهم رسوا فيها نبيهم أي دفنوه فيها. انظر: البداية والنهاية: ٢٤٦/١.

(٥) في (هـ) و(ح): «نبيه صفوان هذا».

(٦) وفي البداية والنهاية: ٢٤٦/١.

قال السهيلي: وكان يوحى إليه في النوم وكان اسمه حنظلة بن صفوان فعدوا عليه فقتلوه =

ثم بعده نبي الله وخليله إبراهيم - عليه أفضل الصلاة والسلام -، وسيأتي في قصص الأنبياء^(١) مساق نسبه ونسب الأنبياء ﷺ.

قال الجواليقي^(٢): هو اسم قديم يعرب وقد تكلمت به العرب على وجوه: [أشهرها: إبراهيم وأبراهام]^(٣)، وقرئ بهما^(٤) في السبع^(٥) وإبراهيم بحذف الياء، وإبراهم وهو اسم سرياني معناه: أب رحيم. وقيل: مشتق من البرهمة^(٦) وهي شدة النظر، حكاه الكرمانلي في عجائبه. وقال الواقدي^(٧): ولد إبراهيم على رأس ألفي سنة من.....

= وألقوه في البئر، فغار ماؤها وعطشوا بعد ربههم وييست أشجارهم وانقطعت ثمارهم وخربت ديارهم، وتبدلوا بعد الأنس بالوحشة وبعد الاجتماع بالفرقة وهلكوا عن آخرهم، وسكن في مساكنهم الجن والوحوش فلا يسمع ببقاعهم إلا زعيق الجن وزئير الأسد وصوت الضباع.

(١) علم قصص الأنبياء النوع (١٣٦): ٦٣٣، والمؤلف لم يذكر مساق نسب إبراهيم هنا ولا هناك.

وقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية: ١٣٩/١. سياق نسبه فقال: هو: إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن رعو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح ﷺ.

(٢) هو: موهوب بن أحمد بن محمد أبو منصور الجواليقي، من شيوخه: الخطيب التبريزي، من مؤلفاته: «التكملة فيما تلحن فيه العامة»، و«تتمة درة الغواص»، و«شرح أدب الكاتب»، ولد سنة (٤٦٦هـ)، وتوفي سنة (٥٣٩هـ).

انظر: إنباء الرواة: ٣/٣٣٥، وبغية الوعاة: ٤٠١.

(٣) في (ج): «أشهرها إبراهيم، وقالوا: أبراهام».

(٤) في (هـ) و(ح): «به» والصواب ما أثبتته.

(٥) وفي الكشف عن وجود القراءات السبع: ١/٢٦٣ قوله: (إبراهيم) قرأه ابن هشام بألف في موضع الياء، هكذا «إبراهام» في ثلاثة وثلاثين موضعاً... وروي عن ابن ذكوان أنه قرأ في البقرة خاصة بالألف، وبالوجهين قرأت، - يعني قرأت لابن ذكوان بالوجهين - وهو الاختيار، اتباعاً للمصحف، ولأن عليه لغة العامة، وعليه الجماعة، والألف لغة شامية قليلة.

وانظر: التيسير في القراءات السبع: ٧٨، وتهذيب الأسماء واللغات: ١/٩٨.

(٦) وفي اللسان مادة: (برهم): ٤٨/١٢: البرهمة إدامة النظر وسكون الطرف، ثم قال ابن منظور: إبراهيم اسم أعجمي وفيه لغات: إبراهيم وإبراهم وإبراهيم بحذف الياء.

(٧) هو: محمد بن عمر بن واقد الواقدي، قاضي بغداد وهو رأس في المغازي والسير ويروي عن كل ضرب، من شيوخه الثوري والأوزاعي، ومن تلاميذه الشافعي وأبو عبيد =

[خلق] (١) آدم (٢).

وفي المستدرک مسنده إلى أبي هريرة قال: اختتن إبراهيم بعد عشرين ومائة سنة بالقدوم، ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة (٣).

وحكى النواوي وغيره: أنه عاش مائة وخمساً وسبعين سنة (٤).

وقال الواقدي (٥): يقول الله تعالى: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨] (٦) فكان بين نوح وآدم [عشرة قرون] (٧) وبينه وبين إبراهيم عشرة قرون، فولد إبراهيم خليل الرحمن على رأس ألفي سنة من خلق آدم. وهو أبو أكثر الأنبياء (٨) ﷺ، وهو المخصوص بالكرامة العظيمة والمناقب الحسنة، وهو

= القاسم. كذبه أحمد، وقال النسائي وابن معين: ليس ثقة، توفي سنة (٢٠٧هـ)، وقيل: (٢٠٩هـ). انظر: تذكرة الحفاظ: ٣٤٨/١، وطبقات الحفاظ: ١٤٤، والشذرات: ١٨/٢، ووفيات الأعيان: ٣٤٨/٤.

(١) ساقط من (هـ) و(ح) وما أثبتته من المستدرک: ٥٤٩/٢.

(٢) نقلاً عن المستدرک كتاب التاريخ، باب القرون فيما بين الأنبياء: ٥٤٩/٢.

(٣) المستدرک كتاب التاريخ، باب مات إبراهيم وهو ابن مائتي سنة: ٥٥١/٢.

قلت: ما رواه الحاكم رده الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه كتاب الاستئذان، باب الختان بعد الكبر: ١٤٣/٧، من حديث أبي هريرة نفسه: عن رسول الله ﷺ قال: «اختتن إبراهيم ﷺ بعد ثمانين سنة واختتن بالقدوم». ورواه في كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ اللَّهُ إِِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا...﴾ [النساء: ١٢٥]: ١١١/٤.

(٤) قال النووي في التهذيب: ٩٩/١: قيل: بلغ عمره ﷺ مائة وخمساً وسبعين سنة، وقيل: مائتي سنة.

(٥) قال الحاكم: حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بطة الأصبهاني، حدثنا الحسن بن الجهم التميمي، حدثنا الحسين بن الفرغ، حدثنا محمد بن عمر الواقدي، حدثني شريح بن يزيد، عن إبراهيم بن محمد بن زيادة عن أبيه عن عبد الله بن بشر قال: وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي، فقال: «هذا الغلام يعيش قرناً» فعاش مائة سنة، قال الواقدي: يقول الله ﷻ: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨]، فكان بين نوح وآدم عشرة قرون، وبينه وبين إبراهيم عشرة قرون، فولد إبراهيم خليل الله على رأس ألف سنة من خلق آدم.

المستدرک للحاكم كتاب التاريخ، باب بيان القرون فيما بين الأنبياء: ٧٤٩/٢.

(٦) تمامها: ﴿وَعَادًا وَنَمُودًا وَأَصْحَبَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ (٧٨).

(٧) في (ح): «عشرون قرناً».

(٨) وفي تهذيب الأسماء واللغات: ٩٩/١: قال أهل التواريخ: كانت له عشر صحائف، وجعل له لسان صدق في الآخرين أي ثناءً حسناً، فليس أحد من الأمم إلا يحبه، وأكرمه بالحلة، وبأن جعل أكثر الأنبياء من ذريته، وختم ذلك ﷺ بنينا محمد ﷺ.

أول من سن السنن الحسنة، وأقام النواميس العظيمة، نبأه الله جل شأنه وأعلى ذكره، وأرسله إلى الأمم الطاغية من قوم نمرود بن كنعان، فدعا إلى الله سبحانه، وجاهد في الله حقَّ جهاده فأوذي كثيراً، ثم نصره الله ﷺ، وأظهر دينه وملته، وأمر ببناء البيت الشريف فبناه، وكان ربوة عالية، فحفر أساسه وبناه حتى أكمله. وهذه العمارة الثالثة^(١)، فإن الأولى كانت للملائكة، والثاني لآدم ﷺ، والثالث لإبراهيم ﷺ، فبناه هو وابنه إسماعيل^(٢) ﷺ، وصليا

(١) وفي الروض الأنف للسهيلي: ٢٦٥/١ بتصرف يسير:

وكمل بناؤها في الدهر خمس مرات:

الأولى: حين بناها شيث بن آدم.

والثانية: حين بناها إبراهيم على القواعد الأولى.

والثالثة: حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام.

والرابعة: حين احترقت في عهد ابن الزبير... فهدمها حتى أفضى إلى قواعد إبراهيم...

فبناها على مقتضى حديث عائشة عن رسول الله ﷺ، على قواعد إبراهيم، كما في صحيح

البخاري: كتاب الحج، باب من أين يخرج من مكة رقم (١٥٨٣، ١٥٨٤، ١٥٨٥، ١٥٨٦)،

وكتاب الأنبياء رقم: (٣٣٦٨) وكتاب التفسير، تفسير سورة البقرة، الآية ١٢٧.

والخامسة: في عهد عبد الملك بن مروان، فهدمها وبناها على ما كانت عليه في عهد

رسول الله ﷺ.

قلت: القول الذي تطمئن به النفس ما قاله ابن كثير في السيرة النبوية: ١٦٦/١:

وأقوى الأقوال أن أول من بناه الخليل ﷺ. انتهى.

وقد روى البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ﴿بُرُؤُونَ﴾: ١١٦/٤ في حديث

طويل وفيه: ... «ثم قال: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربك،

قال: وتعينني؟ قال: وأعينك، قال: فإن الله أمرني أن أبني ههنا بيتاً، وأشار إلى أكمة

مرتفعة على ما حولها، قال: فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت... الحديث.

وأيضاً قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١٧٨/١:

قال بعض السلف: إن في كل سماء بيتاً يعبد الله فيه أهل كل سماء، وهو كالكعبة لأهل

الأرض، فأمر الله تعالى إبراهيم ﷺ أن يبني له بيتاً يكون لأهل الأرض كتلك المعابد

لملائكة السماوات، وأرشدته الله إلى مكان البيت المهيأ له المعين لذلك منذ خلق السماوات

والأرض... ولم يجئ في خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنياً قبل الخليل ﷺ، ومن

تمسك في هذا بقوله: ﴿مَكَاتِ الْبَيْتِ﴾، فليس بناهض ولا ظاهر؛ لأن المراد مكانه المقدر

في علم الله المقرر في قدرته، المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم.

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ [البقرة: ١٢٧].

عنده^(١) ودعوا الله ﷻ^(٢)، فأمر إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - بالنداء^(٣)،
 ألا إن الله ﷻ قد بنى البيت فحجوه، فأبلغ الله ﷻ صوته إلى حيث شاء،
 فحججه الناس من كل فج عميق، وحججه إبراهيم ﷺ وإسحاق وسارة، وبنى
 (البيت المقدس)^(٤) بعد بناء البيت، وتوفي ب(المقدس)، - رحمه الله تعالى -
 ونفعنا به آمين.

ثم بعده في أيامه نبي الله لوط - عليه الصلاة والسلام - وكان مرسلأ إلى
 أهل (سُدوم)^(٥) وهي بلدة عظيمة ب(الأردن) ويقال: كان المرسل إليهم سبعة^(٦)

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكَافِرِينَ
 وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن دُرَيْتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ . . .﴾ إلى قوله
 تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨، ١٢٩].

(٣) وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ
 كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَمِيقِ﴾ [الحج: ٢٨، ٢٩].

(٤) والصحيح الذي بنى بيت المقدس هو نبي الله سليمان ﷺ وليس كما ذكره المؤلف
 من أن إبراهيم ﷺ هو الذي بنى بيت المقدس بعد بناء الكعبة.
 وقد ذكر المؤلف نفسه في قصة سليمان، أنه الذي بناه.

انظر: ص (٣٩) نقلاً عن الإتيان: ٦٤/٤.

قال أهل التاريخ: ملك أي سليمان وهو ابن ثلاث عشر سنة، وابتدأ بناء بيت المقدس
 بعد ملكه بأربع سنين، ومات وله ثلاث وخمسون سنة.

(٥) وسدوم بفتح أوله، مدينة من مدائن لوط، كان قاضيها يقال له: سدوم، وضرب به
 المثل، يقال: أجور من قاضي سدوم وأجور من سدوم.

انظر: معجم ما استعجم: ٧٢٩/٣، ومعجم البلدان: ٢٠٠/٣.

(٦) قلت: لم أعر على ما قاله المؤلف من أن مدائن قوم لوط سبع، فقد روى الحاكم
 في المستدرک كتاب التاريخ، باب أحوال قوم لوط: ٥٦٢/٢. في حديث طويل وفيه: أن
 لوطاً نبأه الله وبعثه إلى المؤتفكات رسولاً داعياً إلى الله، وهي خمس مدائن أعظمها
 (سدوم)، ثم (عمود)، ثم (أروم)، ثم (صعور)، ثم (صابور)... فنزل لوط (سدوم) فلبث
 فيهم بضعا وعشرين سنة يأمرهم وينهاهم ويدعوهم إلى الله وإلى عبادته، وترك ما هم عليه
 من الفواحش والخبائث.

وذكر الطبري في تاريخه: ٣٠٧/١، وابن الأثير في الكامل: ١٢٢/١ أن مدائن قوم
 لوط خمس.

مدائن كبار، فدعاهم إلى توحيد الله ﷻ وتعظيمه، وأمرهم باجتناب الفواحش والمنكر، وكان قد فشى فيهم اللواط، فنهاهم عن ذلك^(١)، فحذرهم سخط الله وعقابه فلم ينتهوا عما هم عليه، وكانوا يتجاهرون بذلك في مجالسهم ونواديبهم ويفعلون الفاحشة بمن وصل إليهم من غريب أو ابن سبيل، فأمر الله لوطاً ﷺ أن يتحمل بأهله ويرحل عنهم، وأن لا يلتفت منهم أحد إلى ورائه، وأرسل عليهم ملائكة فاحتملت مدائنهم حتى بلغت بها إلى الجوى، فقلبت عليها سافلها وحصبوا بالحجارة^(٢).

وولد لإبراهيم - عليه الصلاة والسلام - ابنه نبي الله إسماعيل ﷺ.

قال النووي وغيره: هو أكبر ولد إبراهيم^(٣). وكان مرسلًا إلى قبائل العرب من جرهم^(٤) والعمالقة^(٥)، وذلك أنه لما حملت به أمه هاجر أمر الله ﷻ أباه إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - أن يضعها في (مكة)، فأتى بهما إلى (مكة) ووضعهما وذهب، فقالت له هاجر: أتركنا حيث لأن الله أمرك بذلك؟ فقال: نعم، قالت: هو حسبنا. فأقامت هي وابنها حتى لحقهما الظم واشتد بهما العطش، فخرجت تلمس لابنها ماء، فذهبت إلى (الصفا) ثم إلى (المروة) فلم تجد، وفي غيبتها أمر الله ﷻ جبريل ﷺ فضرب بجناحه تحت

(١) وفي الكامل لابن الأثير: ١١٨/١: أقام لوط ﷺ ب(سدوم)، أرسله الله إلى أهلها، وكانوا أهل كفر بالله تعالى وركوب فاحشة، وإتيان الذكور في الأدبار، وقطع السبيل، وكان لوط يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عن الأمور التي يكرهها الله منهم، ويتوعددهم على إصرارهم، وترك التوبة بالعذاب الأليم. اه بتصرف قليل.

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا سَافِلَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سَجِيلٍ مُّنْزُورٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: ٨١ - ٨٣].

(٣) تهذيب الأسماء واللغات: ١٠٢/١.

(٤) هم: جرهم القحطانيون فيرجع نسبهم إلى جرهم بن قحطان بن هود، وهم أصهار إسماعيل ﷺ.

انظر: تاريخ ابن خلدون: ٣٠/٢، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د. جواد علي: ٣٤٥/١.

(٥) تأتي ترجمتهم في صفحة (٣٦).

قدم إسماعيل فنبع الماء^(١) ففحص إسماعيل الماء برجله، وأقبلت أمه وعندها أنه قد مات من الظمأ، فوجدت الماء يسيل تحت أقدامه فجمعته، فأقامت هي وابنها ﷺ يشربان من ذلك الماء حتى وفد عليهما ناس من جرهم، فلما رأوا الماء ولم يكونوا يعهدونه في ذلك الموضع استأذنوا هاجر أن ينزلوا معها على الماء، فأذنت لهم وأقاموا معها واستأنست بهم، وماتت هاجر ودفنت بـ(الحطيم) أو (الحجر)^(٢) - رحمها الله تعالى -، وكبر إسماعيل وتزوج امرأة من جرهم، وكان قد نبغ في العربية لمخالطته جرهم ففاق عليهم فيها.

وفي ذريته القبائل العدنانية - رحمه الله تعالى - ونفعنا به آمين.

وولد أيضاً لإبراهيم - عليه الصلاة والسلام - ابنه نبي الله إسحاق - عليه الصلاة والسلام - وهو أبو الأنبياء من بني إسرائيل ﷺ.

قال الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - في الإتيان: ولد بعد إسماعيل بأربع عشرة سنة وعاش مائة وثمانين سنة^(٣).

وذكر أبو علي بن مسكر^(٤) في كتاب «نديم الفريد»^(٥): أن معنى إسحاق بالعبرانية: الضحاك.

(١) فقد روى البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فِي آيَاتٍ مُّصَدِّقَاتٍ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْقُرْآنَ فِي لَيْلٍ مُّبَارَكَةٍ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْحَقَّ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُبِينَةِ﴾ من حديث ابن عباس في حديث طويل وفيه: .. وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يلتوي، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت (الصفاء) .. فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي... فلم تر أحداً... ثم أتت (المروة)، فقامت عليها.. فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات... فلما أشرفت على (المروة) سمعت صوتاً... فقالت: قد أسمعت صوتاً إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء، فجعلت تحوض، وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها... وسأذكر (قصة زمزم) في علم قصص الأنبياء النوع (١٣٦) في قصة إسماعيل - إن شاء الله -.

(٢) وفي اللسان مادة: (حجر): ١٧٠/٤ الحجر حجر الكعبة، وهو ما حواه الحطيم المدار بالمدار بالبيت جانب الشمال، وكل ما حجرته من حائط فهو حجر.

(٣) الإتيان: ٦٠/٤.

(٤) لم أعثر على ترجمته.

(٥) نقلاً عن الإتيان: ٥٨/٤.

نبأه الله جل شأنه واصطفاه، فخلف هو وأخوه إسماعيل عليهما السلام أباهما .
 وكان إسحاق مرسلاً إلى أهل فلسطين وبيت المقدس ^(١) .
 وقد اختلف أهل العلم في الذبيح من أولاد إبراهيم عليه السلام :
 فذهب أهل الكتاب وجمع من أهل الإسلام إلى أنه نبي الله إسحاق .
 والمشهور الصحيح عند المحمديين أنه إسماعيل ^(٢) .

(١) وفي أنس الجليل: ٦٥ / ١ :

ولم يمّت إبراهيم عليه السلام حتى بعث إسحاق إلى أرض الشام، وبعث يعقوب إلى أرض
 كنعان، وإسماعيل إلى جرهم .

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: ٣٠ / ٦ :

وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكى ذلك عن طائفة من
 السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة رضي الله عنهم .

والصحيح أن الذبيح هو - إسماعيل - .

وقال ابن كثير في تفسيره: ٣٠ / ٦ :

قال ابن إسحاق: سمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول:

إن الذي أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه من ابنيّه: إسماعيل، وإننا لنجد ذلك في
 كتاب الله تعالى؛ وذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصة المذبوح من ابني إبراهيم قال
 تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الصافات: ١١٢] . ويقول الله تعالى:
 ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود: ٧١] ، يقول: بابن وابن ابن، فلم يكن
 ليأمره بذبح إسحاق، وله فيه من الموعد بما وعده، وما الذي أمر بذبحه إلا
 إسماعيل .

قال ابن إسحاق سمعته يقول ذلك كثيراً .

ثم علق ابن كثير فيقول: وأما ما اختاره ابن جرير واعتمده في تفسيره - أن الذبيح
 إسحاق عليه السلام - ، ليس بمذهب ولا لازم بل هو بعيد جداً . والذي استدل به محمد بن كعب
 القرظي على أنه إسماعيل عليه السلام أثبت وأصح وأقوى - والله أعلم - انتهى .

= وأيضاً: إن قول أهل الكتاب بأن الذبيح هو إسحاق عليه السلام : باطل بنص كتابهم؛ فإن
 كتابهم: فيه أن الله تعالى أمر سيدنا إبراهيم أن يذبح ابنه بكره، وفي لفظ (وحيده)، ولا
 يشك أهل الكتاب أن إسماعيل هو بكر أولاده .

انظر: أبو الأنبياء لمنع محمود: ٦٦ .

ويمكن الجمع بأن إبراهيم عليه السلام بعد أن أمر بذبح إسماعيل عليه السلام واتفق له ما اتفق فعل ذلك إسحاق عليه السلام تيمناً وتبركاً، ثم فداه من عنده فصار يطلق على كل منهما الذبيح^(١) - والله أعلم - .

توفي عليه السلام ودفن ب(بيت المقدس).

ثم بعده ابنه نبي الله يعقوب - عليه الصلاة والسلام - وهو المسمى إسرائيل^(٢)، وولد له اثنا عشر ولداً هم الأسباط^(٣)، وهم سائر قبائل بني إسرائيل .

توفي - عليه الصلاة والسلام - وله من العمر [مائة وسبع وأربعون سنة]^{(٤)(٥)}، ودفن ب(بيت المقدس)^(٦) .

(١) هذا الجمع قيم جداً، غير أنه لم يرد فيه حديث صحيح عن المعصوم حتى نعتمد عليه ونقول به على الرأس والعين .

(٢) وسمي إسرائيل؛ لأنه كان يسري بالليل ويكنّ بالنهار هرباً من أخيه العيص إلى خاله . انظر: الكامل لابن الأثير: ١/١٢٧ .

(٣) والأسباط: أولاد يعقوب وهم اثنا عشر ولداً، ولكل واحد منهم من الأولاد جماعة .

والسبط في بني إسرائيل بمنزلة القبيلة في العرب، وسموا الأسباط من السبط وهو التابع، فهم جماعة متتابعون، وأيضاً لأن كل رجل من أولاد يعقوب ولد أمة من الناس، فسموا الأسباط .

انظر: تفسير ابن كثير: ١/١٩٣، وتفسير الشوكاني: ١/١٤٧، والأنس الجليل: ١/٦٥ .

(٤) في (هـ) و(ح): «مائة وأربعون سنة»، وما أثبتته من الإتيان: ٤/٦٠ .

(٥) وفي البداية والنهاية: ١/٢٣٨ قال ابن كثير:

وعند أهل الكتاب أن عمر يعقوب يوم دخل مصر مائة وثلاثون سنة، وعندهم أنه أقام بأرض مصر سبع عشرة سنة، ومع هذا قالوا: فكان جميع عمره مائة وأربعين سنة، هذا نص كتابهم وهو غلط، إما في النسخة أو منهم، أو قد أسقطوا الكسر وليس بعادتهم فيما هو أكثر من هذا .

(٦) وفي البداية والنهاية: ١/١٩٠: وقبر إبراهيم وقبر ولده إسحاق وقبر ولد ولده يعقوب في المربعة التي بناها سليمان بن داود ببلد حبرون، وهو البلد المعروف بالخليل اليوم، وهذا تُلقب بالتواتر أمة بعد أمة وجيلاً بعد جيل، من زمن بني إسرائيل وإلى زمننا هذا: أن قبره بالمربعة تحقيقاً . فأما تعيينه منها فليس فيه خيرٌ صحيحٌ عن معصوم، فينبغي أن تراعى تلك المحلة وأن تحترم احترام مثلها، وأن تجلّ أن يداس في أرجائها، خشية أن يكون قبر الخليل أو أحد من أولاده الأنبياء عليهم السلام تحتها .

وخلف بعده نبي الله يوسف - عليه الصلاة والسلام - وهو أحد الأبناء الاثنا عشر أبناء يعقوب - عليه الصلاة والسلام -، نبأه الله جل شأنه واصطفاه وملكه جميع أرض مصر.

وجميع أبناء يعقوب - عليه الصلاة والسلام - أختيار أمجاد أتقياء أصفياء، وبعضهم أنبياء^(١) نفع الله بهم أمين.

وفي المستدرک بسنده إلى الفضيل بن عياض^(٢) قال: كان فراق يوسف حجر يعقوب إلى أن التقيا ثمانين سنة^(٣).

وفي المستدرک عن الحسن: أن يوسف ﷺ ألقى في الجب وهو ابن اثني عشر سنة ولقي أباه بعد الثمانين^(٤).

وفي الإتيان وغيره: وعاش من العمر مائة وعشرين سنة^(٥).

ثم بعده نبي الله موسى بن ميثا^(٦)، وهذا لم يذكر في الكتاب العزيز، وهو من ولد يوسف ﷺ، أوحى الله جل شأنه إليه، وأرسله إلى قومه بمواعظ وأوامر فقرأها عليهم فأجابوه واتبعوا أمره فلبث فيهم زمناً طويلاً حتى قبضه الله جل شأنه إلى دار كرامته ورضوانه - رحمة الله وسلامه عليه -.

(١) قال ابن كثير في قصص الأنبياء: ٣٠٩/١: وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أنه لم يكن فيهم نبي غير يوسف، وباقي إخوته لم يوح إليهم، وما يؤيد أن يوسف هو المختص من بين إخوته بالرسالة والنبوة؛ أنه ما نص على واحد من إخوته سواء فدل على ما ذكرناه.

(٢) هو: الفضيل بن عياض بن مسعود أبو علي الزاهد التميمي، من شيوخه: الأعمش وجعفر الصادق، ومن تلاميذه الشافعي والسفيانان، قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث.

قال النسائي: ثقة مأمون، توفي سنة (١٨٧هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ: ٢٤٥/١، وطبقات الحفاظ: ١٠٤، والشذرات: ٣١٦/١، وفيات الأعيان: ٥٧/٤.

(٣) المستدرک، كتاب التاريخ، باب ذكر يوسف: ٥٧٢/٢.

(٤) المستدرک، كتاب التاريخ، باب ذكر يوسف: ٥٧١/٢.

(٥) الإتيان: ٦١/٤.

(٦) لم أر من العلماء قديماً وحديثاً من يتكلم ويذكر هذا الاسم من أنبياء الله، ولم أعر على مرجع هذا الكلام؛ ولم يعرف من الأنبياء نبي مرسل إلى أهل مصر سوى يوسف وموسى - المعروف - وهارون ﷺ (فيما أعلم).

ثم بعده نبي الله أيوب - عليه الصلاة والسلام -، وهو من لد العيص^(١) بن إسحاق عليه السلام، نبأه الله تعالى، واصطفاه ورزقه سعة عظيمة في الدنيا، وكان شاكراً لأنعم الله عليه مكرماً للضعيف، يأوي الغريب، ويحسن إلى السائل، فابتلاه الله جل شأنه بذهاب ما رزقه من السعة وفقد أولاده^(٢)، فكان في ذلك صابراً شاكراً لله تعالى، فأعاد الله جل شأنه عليه ذلك في لمح البصر - عليه سلام الله ورحمته -.

وحكى ابن عساكر: أن أمه بنت لوط، وأن أباه ممن آمن بإبراهيم^(٣). انتهى.

وهذا القول هو الراجح الصحيح، وقد قيل غير ذلك، ستأتي في نوع قصص الأنبياء^(٤).

وروى الطبراني: أن مدة عمره كانت ثلاثاً وتسعين سنة^(٥).

وفي المستدرک عن وهب بن منبه قال: كان عمر أيوب ثلاثاً وتسعين سنة،

(١) هو: أيوب بن موص بن زراح بن روم بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل. انظر: البداية والنهاية لابن كثير: ٢٢٠/١.

(٢) فقد ذكر الله تعالى قصته في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٢﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدًا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٨٤﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا غُغْسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٨٥﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٨٦﴾ وَخَذَّ بِيَدِكَ ضَغْفًا فَأَضْرَبَ بِرِجْلِهِ وَلَا تَحْتَّ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٨٧﴾﴾ [ص: ٤١ - ٤٤].

وفي تفسير المراعي: ٦١/١٧: إن أيوب ابتلي في نفسه وولده وماله، فابتلي بالمرض، وهلاك الأولاد، وضياع الأموال، امتحاناً منه تعالى، واختياراً له، ثم كشف عنه ما به من ضرر فشفى من أمراضه التي أصيب بها، وأنجب من الأولاد ضعف ما كان، وحسن حاله في ماله فزال ما به من عدم وإقتار.

(٣) وفي البداية والنهاية: ٢٣٩/١: وحكى ابن عساكر أن أمه بنت لوط عليها السلام، وقيل: كان أبوه ممن آمن بإبراهيم عليه السلام يوم ألقي في النار فلم تحرقه.

(٤) انظر: النوع (١٣٦) علم قصص الأنبياء صفحة (٦٧٣).

(٥) وفي البداية والنهاية: ٢٤٤/١: أن أيوب عليه السلام لما توفي كان عمره ثلاثاً وتسعين سنة.

وأوصى عند موته إلى ابنه حومل^(١).

وقد بعث بعده ابنه بشر بن أيوب نبياً وسماه ذا الكفل^(٢)، وأمره بالدعاء إلى توحيد، وأنه كان مقيماً بالشام حتى مات، وكان عمره خمساً وسبعين سنة^(٣).

وإن بشراً أوصى إلى ابنه عبدان، ثم بعث الله بعدهم شعبياً. انتهى.

وسياتي عن ذي الكفل ما قيل فيه^(٤).

ثم بعده نبي الله شعيب^(٥) - عليه الصلاة والسلام -، وهو من أولاد مدين بن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - نبأه الله جل شأنه، واصطفاه وأرسله إلى قومه من أولاد مدين، وكانوا أمماً عظيمة وهم أصحاب الأيكة، وقيل: أصحاب الأيكة غيرهم^(٦)، وأرسل شعيب إلى كلتي الطائفتين، وكان فيهم بخس الميزان

(١) المستدرك، كتاب التاريخ، باب أمطر على أيوب جراد من ذهب: ٥٨٢/٢. وانظر:

البداية والنهاية: ٢٤٤/١.

(٢) يأتي بيان سبب تسميته ذا الكفل في صفحة ٤١.

(٣) وفي البداية والنهاية: ٢٤٤/١ مختصراً.

وقام بالأمر بعده ولده بشر بن أيوب، وهو ذو الكفل، ومات وكان عمره من السنين خمساً وسبعين.

(٤) تأتي قصته في صفحة (٤١).

(٥) هو: شعيب بن نويب بن عيفا بن مدين بن إبراهيم، ويسمى خطيب الأنبياء، لفصاحته وعلو عبارته وبلاغته في دعاية قومه إلى الإيمان برسالته. انظر: البداية والنهاية: ٢٠١/١.

(٦) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٠٦/١: ومن زعم من المفسرين كفتادة وغيره:

أن أصحاب الأيكة أمة أخرى غير أهل (مدين)، فقله ضعيف. وإنما عمدتهم شيثان:

أحدهما: أنه قال: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ ﴿الشعراء: ١٧٦﴾ ولم يقل: أخوهم كما قال: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴿الأعراف: ٨٥﴾، هود: ٨٤، العنكبوت: ٣٦.﴾

والثاني: أنه ذكر عذابهم بيوم الظلة، وذكر في أولئك الرجفة أو الصيحة.

والجواب عن الأول: أنه لم يذكر الإخوة بعد قوله: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ لأنه وصفهم بعبادة الأيكة، فلا يناسب ذكر الإخوة ههنا، ولما نسبهم إلى القبيلة شاع ذكر شعيب بأنه أخوهم. وهذا الفرق من النفائس اللطيفة العزيزة الشريفة.

وأما احتجاجهم بيوم الظلة، فإن كان دليلاً بمجردده على أن هؤلاء أمة أخرى، فليكن تعداد الانتقام بالرجفة والصيحة على أنهما أمتان أخريان، وهذا لا يقوله أحد يفهم شيئاً من هذا الشأن... ثم قد ذكر الله عن أهل الأيكة من المذمة، ما ذكر عن أهل مدين من =

والخيانة في ذلك فنهاهم عن ذلك، وحذرهم سخط الله وغضبه، فلم ينتبهوا وأصروا على العصيان، وراموا إخراجه هو ومن آمن به، فأرسل الله جل شأنه عليهم ريحاً شديدة حارة فأهلكتهم^(١)، وتوجه هو ومن آمن به وأتباعه إلى (البيت الشريف)، فحج البيت ومات ب(مكة)^(٢)، - رحمه الله تعالى - ونفعا به آمين.

وفي أيامه ظهر نبي الله موسى بن عمران - عليه الصلاة والسلام -.

أخرج أبو الشيخ من طريق عكرمة عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: إنما سمي (موسى)^(٣) لأنه ألقى بين شجر وماء، فالماء (بالقبطية)^(٤) «مو» والشجر «سا»^(٥). وهو من أولاد يعقوب - عليه الصلاة والسلام -، نبأه الله ﷻ، واصطفاه، وبعثه رسولاً إلى بني إسرائيل لما استضعفهم القبط وكثر الفساد، وخصوصاً بظهور فرعون وادعائه الربوبية، فدعاهم إلى توحيد الله وتعظيمه، وترك ما هم عليه، فأوذي كثيراً وثبته الله وأعانه بأخيه هارون ﷻ، ونبأه وأرسله معيناً لموسى ﷻ، فقاما أحسن القيام وبثا الدعوة وأظهرا التوحيد، فنصرهما الله جل شأنه وأيدهما وخذل عدوهما، فظهر الدين واستنارت الأمة بوجودهما، وتوفي موسى - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة

= التطفيف في المكيال والميزان، فدل على أنهم أمة واحدة، أهلكوا بأنواع من العذاب، وذكر في كل موضع ما يناسب الخطاب.

(١) وفي البداية والنهاية: ٢٠٦/١: وقوله: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَادِبِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٨٩]. ذكروا أنهم أصابهم حر شديد وأسكن الله هبوب الهواء عنهم سبعة أيام، فكان لا ينفعهم مع ذلك ماء ولا ظل ولا دخولهم في الأسراب، فهربوا من محلثهم إلى البرية، فأظلمت سحابة، فاجتمعوا تحتها ليستظلوا بظلها، فلما تكاملوا فيه أرسلها الله ترميهم بشرر وشهب، ورجفت بهم الأرض، وجاءتهم صيحة من السماء فأزهقت الأرواح، وخربت الأشباح ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَانَتْ يَمِينًا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٢].

(٢) وفي البداية والنهاية: ٢٠٧/١: إن شعيباً ﷻ مات ب(مكة) ومن معه من المؤمنين، وقبورهم غربي (الكعبة) بين دار الندوة ودار بني سهم.

(٣) ساقطة من (هـ) و(ح)، مثبتة في الإتيان: ٦٣/٤.

(٤) ساقطة من (هـ) و(ح)، مثبتة في الإتيان: ٦٣/٤.

(٥) نقلاً عن الإتيان ٦٣/٤.

والسلام -، ودفن (ببيت المقدس) مع آبائه الكرام - عليه الصلاة والسلام - .
قال الثعلبي^(١): عاش مائة وعشرين سنة، ومات هارون قبل موسى، وكان
ولد قبله^(٢).

وذكر ابن عساكر: إن معنى هارون بالعبرانية المحجب^(٣).

وفي المستدرک عن وهب بن منبه قال: وقبض هارون وموسى بن سبع
عشرة ومائة (سنة)^(٤) قبل أن ينقضي التيه بثلاث سنين، وقبض هارون وهو ابن
عشرين ومائة سنة^(٥). انتهى.

وهو على هذا أكبر من موسى بثلاث سنين.

وفي أيامه كان نبي الله الخضر - عليه الصلاة والسلام - واسمه باليابن
ملكا^(٦)، وهو نبي من أنبياء الله تعالى على الصحيح^(٧).

(١) هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي صاحب التفسير
والعرائس في قصص الأنبياء، من شيوخه: أبو طاهر الفضل وأبو بكر بن مهران، ومن
تلاميذه: أبو الحسن الواحدي، توفي سنة (٤٢٧هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ: ١٠٩٠/٣، وطبقات المفسرين للداودي: ٦٥/١، والشذرات:
٢٣٠/٣، وفيات الأعيان: ٧٩/١.

(٢) العرائس للثعلبي: ١٩٥، كما في المستدرک: ٥٧٨/٢.

(٣) نقلاً عن الإتيان: ٦٣/٤، وفي الإتيان: «ابن مسكويه».

(٤) ساقطة من (هـ) و(ح)، مثبتة في المستدرک.

(٥) المستدرک للحاكم، كتاب التاريخ، باب ذكر وفاة هارون: ٥٧٨/٢.

(٦) هو: بلياً ويقال: إيليا بن ملكا بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن

نوح ﷺ.

انظر: المعارف لابن قتيبة: ... والبداية والنهاية: ٣٢٦/١.

(٧) وفي نبوته أدلة أذكرها:

أحدها: قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَأْتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا

عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]. وقوله تعالى: ﴿قَالَ لِمَ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْكَ عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتُ

رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦ - ٧٠]. فلو كان

ولياً، وليس بنبي لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة، ولم يرد على موسى هذا الرد.

الثاني: أن الخضر أقدم على قتل ذلك الغلام وما ذاك إلا للوحي من الملك العلام؛

لأن الولي لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس بمجرد العصمة؛ إذ يجوز عليه الخطأ

بالاتفاق.

الثالث: أنه لما فسّر الخضر تأويل تلك الأفاعيل لموسى، ووضح له عن حقيقة أمره، =

وقيل: إنه ولي وهو موجود من زمن ذي القرنين الأول^(١) الذي كان في زمن الخليل إبراهيم، لا ذي القرنين الرومي^(٢)، إلى زمن موسى ﷺ، واتفق له معه ما اتفق الذي ذكره الله جل شأنه في كتابه العزيز^(٣)، والصحيح أنه حي يرزق إلى أن يذهب الله بالدنيا^(٤) - عليه سلام الله ورضوانه - .
وبعد نبي الله موسى ﷺ تلميذه نبي الله يوشع^(٥)، نبأه الله جل شأنه،

= قال بعد ذلك كله: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢]. ولا ينافي ذلك حصول ولايته.

انظر: البداية والنهاية: ٣٢٨/١.

(١) ذو القرنين: أبوه أول القياصرة، وكان من ولد سام بن نوح ﷺ، وكان ملكاً صالحاً وأثنى الله عليه في كتابه وكان منصوراً وكان الخضر ﷺ في مقدمة جيشه، وكان عنده بمنزلة المشاور الذي هو من الملك بمنزلة الوزير. وكان ذو القرنين أسلم على يدي إبراهيم الخليل وطاف معه بالكعبة المكرمة هو وإسماعيل ﷺ. انظر: البداية والنهاية: ١٠٣، ١٠٦. ويأتي في صفحة (٧٨٣) بيان ترجمته كاملة.

(٢) هو: الإسكندر بن فيلسوف بن مصرم بن هرمس بن ميطنون بن رومي المقدوني اليوناني المصري، باني إسكندرية الذي يؤرخ بأيامه الروم، وكان مشركاً ووزيره أرسطاطاليس الفيلسوف، وهو الذي قتل دارا بن دارا وأذل ملوك الفرس وأوطأ أرضهم. انظر: البداية والنهاية: ١٠٥/٢، ١٠٦. ففي صفحة (٩٥) أبين خطأ المؤلف - رحمه الله تعالى - من أن ذي القرنين المذكور في القرآن هو الإسكندر بن فيلسوف الرومي المقدوني هذا، حيث إنه كان مشركاً ووزيره أرسطاطاليس فيلسوفاً، فأما ذو القرنين المذكور في القرآن يأتي ترجمته كاملة في صفحة (٧٨٣).

(٣) وذلك قوله تعالى: ﴿وَيَتْلُونَكَ عَن ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣].

(٤) هذا القول يرده ما رواه البخاري من حديث ابن عمر رضيهما الله عن النبي ﷺ قال: صلى بنا النبي ﷺ العشاء في آخر حياته، فلما سلم قام فقال: «أرأيتمكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد».

صحيح البخاري، كتاب العلم، باب السمر في العلم: ٣٧/١.

ويرده قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مِن قَبْلِكَ الْخَلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، فالخضر إن كان بشراً فقد دخل في هذا العموم لا محالة، ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل صحيح، والأصل عدمه حتى يثبت ولم يذكر فيه دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله. انظر: البداية والنهاية: ٣٣٦/١، وانظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي: ١٦٨/٥.

(٥) هو: يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ، وقد ذكره الله تعالى في القرآن غير مصرح باسمه في قصة الخضر من قوله =

واصطفاه وأرسله إلى بني إسرائيل، وأمره بقتال الجبابرة والطفغة من العمالقة^(١) والكنعانيين وغيرهم، فقاتلهم وفتح سائر أرض (الشام)، وقتل من ملوكهم أحداً وثلاثين ملكاً^(٢)، وخرب إحدى وثلاثين مدينة، وقسم الأراضي التي أخذها بين الأسباط صارت (الشام) كلها لبني إسرائيل. ونصر الدين، ودبر أمر بني إسرائيل سبعة وعشرين عاماً^(٣)، وهو ذكره الله جل شأنه في كتابه العزيز بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْنَهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ [الكهف: ٦٠] وهو أحد الرجلين^(٤) اللذين ذكرهما الله جل شأنه بقوله عز من قائل: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا﴾ [المائدة: ٢٣]، توفي ﷺ وهو ابن مائة وعشرين سنة^(٥) - سلام الله ورحمته عليه - .

= تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْنَهُ﴾ [الكهف: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتْنَهُ﴾ [الكهف: ٦٢].

انظر: قصص الأنبياء لابن كثير: ١٩٩/٢.

(١) هم: أمم كثيرة، ويرجع نسبهم إلى عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، وكانت منازلهم من حدود مصر فطور سيناء إلى فلسطين، ثم تفرقت في البلاد فكان منهم أهل عمان، وأهل الحجاز، وأهل الشام، وأهل مصر، ومنهم فراعنة مصر والجبابرة، ومنهم ملوك فارس وأهل خراسان.

انظر: المعارف لابن قتيبة: ٢٧، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د. جواد: ٣٤٥/١.

(٢) يقال: إن يوشع بن نون ظهر على أحد وثلاثين من ملوك الشام، ذكره ابن كثير في قصص الأنبياء: ٢٠٧/٢.

(٣) قال ابن كثير في قصص الأنبياء: ٢١٣/٢: ولما استقرت يد بني إسرائيل على بيت المقدس استمروا فيه، وبين أظهرهم نبي الله يوشع يحكم بينهم بكتاب الله التوراة، حتى قبضه الله إليه، وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة، فكانت مدة حياته بعد موسى سبعاً وعشرين سنة.

(٤) وفي البداية والنهاية: ٣٠٢/١: وقد أشار عليهم رجلان صالحان منهم بالإقدام، ونهياهم عن الإحجام، ويقال: إنهما يوشع بن نون وكالب بن يوقنا.

وذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ﴾. وانظر: التعريف والإعلام: ٤٩.

(٥) قال ابن كثير في قصص الأنبياء: ٢١٣/٢: قبض الله يوشع إليه وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة.

ثم بعده نبي الله حزقيل^(١) - عليه الصلاة والسلام - وهو المشار إليه في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، فكانت حياتهم تسبب توسله إلى الله ﷻ، فاستجاب الله دعوته، وأوحى إليه: أني جعلت حياتهم على يدك، فقال لهم: أحيوا بإذن الله، فعاشوا^(٢). - عليه سلام الله ورضوانه -.

ثم بعده نبي الله شمويل^(٣) - عليه الصلاة والسلام - وهو المراد في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَدِ مُوسَى إِذْ قَالَوا لِنَبِيِّ لَهُمْ﴾ الآية [البقرة: ٢٤٦]^(٤).

وقد كان ولي أمر بني إسرائيل وتدبير سياستهم^(٥) - عليه سلام الله ورضوانه -.

(١) هو: حزقيل بن بوذي وهو ابن العجوز، وهو الذي دعا للقوم الذين ذكرهم الله في كتابه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة: ٢٤٣]. انظر: البداية والنهاية: ٣/٢.

(٢) وفي البداية والنهاية: ٣/٢: كانت قرية وقع بها الطاعون، فهرب عامة أهلها فنزلوا ناحية منها، فهلك من بقي في القرية، وسلم الآخرون، فلم يمت منهم كثير، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين، فقال الذين بقوا: أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا بقينا، ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن معهم، فوقع في قابل فهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفاً حتى نزلوا ذلك المكان وهو (وادي أفيح)، فناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه، أن موتوا فماتوا، حتى إذا هلكوا وبقيت أجسادهم مر بهم نبي يقال له: حزقيل، فلما رآهم، وقف عليهم، فجعل يفكر فيهم، ويلوي شذقيه وأصابعه، فأوحى الله إليه تريد أن أريك كيف أحبيهم؟ قال: نعم.

وإنما كان تفكره أنه تعجب من قدرة الله عليهم، فقبل له: ناد، فنادي: يا أيها العظام، إن الله يأمرك أن تجتمعي، فجعلت العظام يطير بعضها إلى بعض، حتى كانت أجساداً من عظام، ثم أوحى الله إليه أن نادي، يا أيها العظام، إن الله يأمرك أن تكتسي لحماً، فاكنتس لحماً ودماً، وثيابها التي ماتت فيها... إلى آخر القصة وهي رواية عن ابن عباس وابن مسعود وأناس من الصحابة.

(٣) تقدمت ترجمته صفحة (٧).

(٤) وتام الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَدِ مُوسَى إِذْ قَالَوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أَبْتِ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

(٥) وقصته المذكورة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَدِ مُوسَى إِذْ =

ثم بعده نبي الله داود - عليه الصلاة والسلام - وهو من سبط بنيامين بن يعقوب عليه السلام، وكان ولي أمر بني إسرائيل، وأعطاه الملك والحكمة، ونبأه، واصطفاه، ورفع شأنه، وأعلاه، وأعزّ به بني إسرائيل، وأنزل الله جلّ شأنه الزبور^(١)، وهو مشتمل على مواعظ وحكم، وكان إذا قرأ الزبور عكف عليه الطير، والوحش، والأوادم، ويركد الماء، ويسكت الريح، ويحمل من مجلسه جماعة كثيرون أمواتاً من رقة قوله وحسن صوته، وكانت الجبال والطيور تسبح الله معه إذا سبّح الله^(٢) - عليه سلام الله تعالى ورحمته ورضوانه - .

قال النووي: قال أهل التاريخ: عاش مائة سنة، مدة ملكه منها أربعون سنة. انتهى.

ثم بعده نبي الله سليمان^(٣) - عليه الصلاة والسلام - نبأه الله جلّ شأنه،

= قَالُوا إِنِّي لَهُمْ آيَةٌ أَنْ مَلِكًا يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦ - ٢٤٨].

قال ابن جرير في تفسيره: ١٩١/٥، ٣٠٦: ﴿إِذْ قَالُوا إِنِّي لَهُمْ آيَةٌ أَنْ مَلِكًا يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إن النبي الذي قال لهم ذلك «شمويل». وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ...﴾ الآية، يعني تعالى ذكره بذلك: وقال للملأ من بني إسرائيل نبيهم «شمويل»: إن الله أعطاكم ما سألتكم، بعث لكم طالوت ملكاً...

وانظر: تفسير القرطبي: ٢٤٣/٢، وتفسير أبي حيان: ٢٥٤/٢، وتفسير الألوسي: ١٤٦/٢. بل وقال ابن كثير في البداية والنهاية: ٦/٢: قال أكثر المفسرين كان نبي هؤلاء القوم المذكورين في هذه القصة هو «شمويل».

(١) قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

(٢) وفي البداية والنهاية: ١١/٢: قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد في تفسير هذه الآية: ﴿وَالطَّيْرَ تَحْمُورَةً كُلُّ لَهُمْ آيَةٌ﴾ [ص: ١٩]، أي عند آخر النهار وأوله، وذلك أنه كان الله تعالى قد وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه أحداً، بحيث كان إذا ترنم بقراءة كتابه يقف الطير في الهواء يُرْجَعُ بترجيعة، ويُسْبِحُ بتسبيحه، وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبّح بكرة وعشياً. وقال الأوزاعي: حدثني عبد الله بن عامر قال: أعطى داود من حسن الصوت ما لم يعط أحد قط، حتى إن كان الطير والوحش ينعكف حوله حتى يموت عطشاً وجوعاً وحتى الأنهار لتقف.

(٣) هو: سليمان بن داود بن إيشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن مخشون بن عمينا بن =

وأعطاه الملك، والحكمة، والنبوة وهو صغير^(١)، وولي أمر بني إسرائيل، ثم سار إلى رحمة الله ورضوانه، ودفن بالأرض المقدسة - رحمة الله وسلامه عليه - .

قال الحافظ السيوطي في الإتيان^(٢):

قال أهل التاريخ: ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وابتدأ بناء بيت المقدس بعد ملكه بأربع سنين، ومات وله ثلاث وخمسون سنة.

ثم بعده نبي الله إلياس^(٣) وهو من ولد هارون^(٤) نبأه الله ﷺ

= داب بن إرم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ﷺ .
انظر: البداية والنهاية: ١٨/٢.

(١) وفي الكامل لابن الأثير: ٢٢٩/١: لما توفي داود ﷺ ملك بعده ابنه سليمان ﷺ على بني إسرائيل، وكان ابن ثلاث عشرة سنة، وأتاه الله مع الملك النبوة.

انظر: تفسير الألوسي: ١٧١/١٩.

(٢) الإتيان: ٦٤/٤.

(٣) إن القرآن الكريم لم يذكر قصة إلياس ﷺ مفصلة بل ذكرها مجملة، فقال تعالى: ﴿وَلِإِسْرَائِيلَ إِسْرَائِيلَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولَى ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَاتَّبَعُوا لِمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلِّمْنَا عَلَىٰ آلِ يَأْسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ [الصفافات: ١٢٣ - ١٣٢].

وقد اطلعت على بعض التفاسير وبعض كتب التاريخ فوجدتها تذكر الكثير عن إلياس ﷺ بما هو مشيع بالإسرائيليات.

وقد ذكر الثعلبي في العرائس: ١٤٢ - ١٤٧ قصة إلياس ﷺ مطولة كلها من الإسرائيليات.

والمؤلف رحمه الله نقل قصته عن الثعلبي هنا مختصرة، وفي علم قصص الأنبياء: ١٦٧٤ وما بعدها مطولة، بدون نقد ولا تنبيه!

وذكر ابن كثير في تفسيره ٣٣/٦ بنحو ما ذكره الثعلبي مختصراً. ثم قال ابن كثير: هكذا حكاه وهب بن منبه عن أهل الكتاب والله أعلم بصحته.

(٤) هو: إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون ﷺ، فهو إسرائيلي من سبط هارون.

انظر: تفسير الطبري: ٩١/٢٣، وتفسير ابن كثير: ٣٣/٦.

وأرسله إلى لاجب ملك العشرة الأسباط من بني إسرائيل، وكان قد صنع صنماً ودعا قومه إلى عبادته، وأخبرهم على ذلك، فنهاهم إلياس عليه السلام عن ذلك وأكثر عليهم، فهموا بقتله، ففر هارباً إلى الفلاة والقفار، وأقام مدة شريداً وحيداً فريداً في الجبال الشوامخ يعبد الله تعالى، ويقتات من الأشجار^(١)، ورفع الله تعالى عن أعين الخلق، ونزع عنه لذة المطعم والمشرب، وصار إنسياً ملكياً أرضياً سماوياً، وهو كالخضر عليه السلام موجود في العالم كما دلت على ذلك الأخبار النبوية، والآثار عن الأخيار الأبرار^(٢) - عليه سلام الله ورضوانه - .

(١) منقول عن العرائس للشعلبي: ١٤٣ بتصرف.

(٢) مثل: حديث ابن عباس:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يلتقي الخضر وإلياس كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات: بسم الله ما شاء الله، لا يسوق الخير إلا الله ما شاء الله، لا يصرف السوء إلا الله ما شاء الله، ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله.

ومثل: حديث ابن أبي رواد:

قال: إلياس والخضر يصومان شهر رمضان (ببيت المقدس)، ويحجان في كل سنة، ويشربان من ماء زمزم شربة واحدة تكفيهما إلى مثلها من قابل..

نقلًا عن قصص الأنبياء لابن كثير: ٢/٢٣١، ٢٣٢.

قال ابن كثير تعليقاً على هذه الأخبار:

وهذه الروايات هي عمدة من ذهب إلى حياته اليوم، وكل الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً لا يقوم بمثلها حجة في الدين، والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف الإسناد، وقصاراها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره؛ لأنه يجوز عليه الخطأ والله أعلم.

قلت - إضافة إلى ما قاله ابن كثير تعليقاً على الروايات -: إن القول: إن إلياس والخضر عليهما السلام موجودان في هذا العالم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهذا يردده الحديث الذي رواه البخاري من حديث ابن عمر قال: صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم العشاء في آخر حياته، فلما سلم قام قال: «أرأيتمكم ليلتكم هذه، فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد».

صحيح البخاري، كتاب العلم، باب السمر في العلم: ٣٧/١.

ويرده قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ بْنِ قَيْلِكَ آلَ الْخُلْدِ﴾ [الأنبياء: ٣٤]: فإلياس والخضر عليهما السلام إن كانا بشرين فقد دخلا في هذا العموم لا محالة، ولا يجوز تخصيصهما منه إلا بدليل صحيح، والأصل عدمه حتى يثبت، ولم يذكر فيهما دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله. انظر: البداية والنهاية: ١/٣٣٦.

قال وهب بن منبه: إنه عمر كما عمر الخضر وإنه يبقى إلى آخر الدنيا^(١).
وعن ابن مسعود: «إن إلياس هو إدريس»^(٢). انتهى.
وقد تقدم إدريس الأول^(٣).

ثم بعده تلميذه نبي الله اليسع^(٤) - عليه الصلاة والسلام - نبأه الله جلّ شأنه واصطفاه، وبعثه الله إلى بني إسرائيل فأمنوا به، وكان رسولاً معظماً مهاب الكلمة مقبول الإشارة، حكم في بني إسرائيل مدة من الزمن إلى أن توفي^(٥) - رحمه الله تعالى -.

ثم بعده تلميذه نبي الله ذو الكفل^(٦) - عليه الصلاة والسلام - .
واختلف في تسميته ذو الكفل^(٧). والمشهور: أنه تكفل أن لا يغضب.

(١) نقلاً عن الإتقان ٦٦/٤.

(٢) نقلاً عن قصص الأنبياء لابن كثير: ٢٤٦/٢ وقال ابن كثير: والصحيح غيره.

(٣) تقدم في صفحة (٤١٥) وهو الذي قبل نوح ﷺ وبيّنت هناك أن مسمى إدريس من الأنبياء واحد، وليس كما ذكره المؤلف من أن مسمى إدريس منهم ثلاثة. فليرجع إليها.

(٤) هو: اليسع بن أخطوب ابن العجوز، وهو من أنبياء بني إسرائيل، لم يذكر القرآن شيئاً من حياته، إلا أنه ذكر فيه مع الأنبياء في سورتي (الأنعام) و(ص) فقال تعالى:
﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَحُوطًا وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ عَلِيًّا فَفَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَأَذَكَّرَ إِسْمَاعِيلَ وَأَلْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾. انظر: تفسير ابن جرير: ١٧٣/٧.

(٥) وفي البداية والنهاية: ٤/٢: عن الحسن قال: كان بعد إلياس: اليسع ﷺ فمكث ما شاء الله أن يمكث يدعوهم إلى الله مستمسكاً بمنهاج إلياس وشريعته حتى قبضه الله ﷻ إليه...

(٦) هو: بشر بن أيوب بن أموص بن زراح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ، بعثه نبياً بعد أبيه وكان مقيماً بالشام. انظر: روح المعاني: ٨٢/١٧.

(٧) روى ابن جرير في تفسيره: ٥٩/١٧: عن مجاهد قال: لما كبر اليسع قال: لو أنني استخلفت رجلاً على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يفعل، فجمع الناس فقال: من يتقبل مني بثلاث أستخلفه: فيصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب؟ قال: فقام رجل تزدرية الأعين فقال: أنا، فقال: أنت تصوم النهار، وتقوم الليل، ولا تغضب؟ قال: نعم... فاستخلفه... فسماه ذا الكفل؛ لأنه تكفل بأمر فوفى به. وانظر: تفسير ابن كثير: ٥٨٤/٤.

قلت: والقول الذي تظمن به النفس ما قاله الألوسي في تفسيره: ٨٢/١٧.

والكفل: الكفالة والحظ والضعيف، وإطلاق ذلك عليه إن لم يكن اسمه؛ إما لأنه تكفل بأمر فوفى به، وإما لأنه كان ذا حظ من الله تعالى.

وقيل: تكفل بصيام النهار وقيام الليل.

وقيل: بصلاة ألف ركعة وكان نبياً عظيماً - رحمه الله تعالى - .

قال ابن عساكر^(١): قيل: هو نبي تكفل الله أن يوفي عمله بضعف عمل غيره من الأنبياء.

وقيل: لم يكن نبياً، وإن اليسع استخلفه فتكفل له أن يصوم النهار ويقوم الليل.

وقيل: أن يصلي كل يوم مائة ركعة.

وقيل: هو اليسع وإن له اسمين^(٢).

ثم بعده نبي الله يونس بن متى^(٣) - عليه الصلاة والسلام - نبأه جل شأنه، وأرسله إلى أهل (يَنْبُؤَى)^(٤) وما والاهما، وكانوا أمماً كثيرة وعوالم جليلة، فدعاهم إلى توحيد الله تعالى وتعظيمه فلم يستجب له إلا قليل منهم، ثم بعد مدة آمنوا وأتابوا إلى الله ﷻ، [وكانوا] أكثر من مائة ألف رجل^(٥) - صلوات الله وسلامه عليه - .

ثم بعده نبي الله شعياً^(٦) - عليه الصلاة والسلام - وكان نبياً عظيماً

(١) نقلاً عن الإتيقان: ٦٥/٤.

(٢) نقلاً عن الإتيقان: ٦٥/٤.

(٣) هو: يونس بن متى، ونبي وهو ابن ثمان وعشرين سنة، ويسمى عند أهل الكتاب «يونا بن أمثا»، وهو من أنبياء بني إسرائيل. انظر: روح المعاني: ١٤٢/٢٣.

(٤) يَنْبُؤَى: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وفتح النون والواو، بوزن طيطوى، وهي قرية يونس بن متى ﷺ بالموصل، وبسواد الكوفة ناحية يقال لها ينبؤى منها: كربلاء التي قتل بها الحسين. انظر: معجم البلدان: ٣٣٩/٥.

(٥) وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٢١) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٢٢﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٢٣﴾ فَالْتَمَعَهُ الْحَوْثُ وَهُوَ مَلِيمٌ ﴿١٢٤﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٢٥﴾ لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٢٦﴾ فَبَدَّنْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٢٧﴾ وَأَبْتَنَّا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَفْطِينَ ﴿١٢٨﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٢٩﴾ فَتَأَمَّلُوا مَتَعْنَهُمْ إِلَى يَوْمِ نَحْشُرُهُمْ ﴿١٣٠﴾ [الصافات: ١٣٩ - ١٤٨].

(٦) هو: شعيا بن أمصيا. كان قبل زكريا ويحيى، وهو ممن بشر بعيسى ومحمد ﷺ. وكان في زمانه ملك اسمه حزقيا على بني إسرائيل ببلاد بيت المقدس، وكان سامعاً مطيعاً =

نبأه الله ﷻ، واصطفاه، وأرسله إلى قومه من بني إسرائيل، فوعظهم وأمرهم ونهاهم وحذرهم سخط الله وعقابه وبشر بوجود محمد ﷺ، فنشر بين دفتين - رحمه الله وسلامه عليه - .

ثم بعده نبي الله أرمياً^(١) - عليه الصلاة والسلام - ولم يذكر في كتاب الله تعالى، نبأه الله جل وشأنه، وأوحى إليه، وأرسله إلى بني إسرائيل لما طغوا وبغوا وتجبروا وعبدوا [الأصنام]^(٢) غير الله ﷻ، فخطبهم ووعظهم فلم يسمعوا، فأهلكهم الله ﷻ، وتوجه هو إلى مصر، فقتله اليهود بها - رحمة الله ورضوانه عليه - .

ثم بعده نبي الله عزير^(٣) - عليه الصلاة والسلام - وهو من سبط هارون ﷻ وهو المراد في قول الله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾^(٤) الآية [البقرة: ٢٥٩] - عليه سلام الله ورحمته - .

ثم بعده نبي الله دانيال^(٥) ﷻ ولم يذكر في كتاب الله ﷻ وهو من أولاد

= لشعيا فيما يأمره به وينهاه عنه... ثم لما مات الملك اختلطت أحداث بني إسرائيل وكثر شرهم، فأوحى الله تعالى إلى شعيا، فقام فيهم فوعظهم وذكرهم وأخبرهم عن الله بما هو أهله، وأنذرهم بأسه وعقابه إن خالفوه وكذبوه، فلما فرغ من مقاتله عدوا عليه وطلبوه ليقتلوه، فهرب منهم فمر بشجرة فانفلقت له فدخل فيها، وأدركه الشيطان فأخذ بهدبة ثوبه فأبرزها، فلما رأوا ذلك جاءوا بالمنشار، فوضعوه على الشجرة، فنشروها ونشروه معها، فإنا لله وإنا إليه راجعون. انظر: البداية والنهاية: ٣٢/٢، ٣٣.

(١) هو: أرميا بن حلقيا من سبط لاوي بن يعقوب وهو ممن وجده بخت نصر في السجن حين غزا بيت المقدس، فأخرجه وقص عليه ما كان من أمره فقال بخت نصر: بشن القوم قوم عصوا رسول الله ﷻ. وخلى سبيله وأحسن إليه. انظر: البداية والنهاية: ٣٣/٢، ٣٩.

(٢) ساقطة من (ح).

(٣) هو: عزير بن سروخا بن عديا بن أيوب بن درزنا بن عري بن تقي بن أسبوع بن فنحاص بن العازر بن هارون بن عمران ﷻ. انظر: البداية والنهاية: ٤٢/٢.

(٤) وتام الآية: ﴿قَالَ أَنِّي يُعْمَى هَذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَسْتَنْهَ وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْمَطَّارِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(٥) وفي البداية والنهاية: ٤١/٢: عن عبد الرحمن ابن أبي الزناد عن أبيه قال: رأيت في يد ابن بردة بن أبي موسى الأشعري خاتماً نقش فيه أسدان بينهما رجل يلحسان ذلك =

سليمان بن داود عليه السلام، نبأه الله جل شأنه وعلمه - سلام الله تعالى ورحمته عليه - .

ثم بعده نبي الله زكريا عليه السلام ^(١)، وهو من أولاد سليمان عليه السلام وكان رئيس الأحبار وكبير الرهبان في زمنه وإليه مرجعهم، ونُشر ^(٢) كما نشر نبي الله شعيماً عليه السلام .

ثم بعده نبي الله يحيى عليه السلام ^(٣)، نبأه الله عليه السلام، واصطفاه، وأيده بالحكمة والمعرفة، وعلمه، التوراة كل ذلك وهو في سن الطفولة ^(٤)، ولما نبئ كان عمره ثلاث سنين، وأرسل إلى بني إسرائيل، فكان يعظهم ^(٥) كثيراً وينصحهم

= الرجل قال أبو بردة: هذا خاتم ذلك الرجل الميت الذي زعم أهل هذه البلد أنه دانيال، أخذه أبو موسى يوم دفنه. قال أبو بردة: فسأل أبو موسى علماء تلك القرية عن نقش ذلك الخاتم، فقالوا: إن الملك الذي كان دانيال في سلطانه جاءه المنجمون وأصحاب العلم، فقالوا له: إنه يولد ليلة كذا وكذا غلام يعور ملكك ويفسده، فقال الملك: والله لا يبقى تلك الليلة غلام إلا قتلته، إلا أنهم أخذوا دانيال فألقوه في أجمة الأسد، فبات الأسد ولبوته يلحسانه، ولم يضراه، فجاءت أمه فوجدتها يلحسانه، فنجاه الله بذلك حتى بلغ ما بلغ. قال أبو بردة: قال أبو موسى: قال علماء تلك القرية، فنقش دانيال صورته وصورة الأسدين يلحسانه في فص خاتمه لثلا ينسى نعمة الله عليه في ذلك. قال ابن كثير: إسناده حسن. قلت: ذكرت هذه الرواية؛ لأنني لم أجد خبر دانيال عليه السلام إلا في البداية والنهاية، وقد حسن ابن كثير هذا الإسناد.

(١) هو: زكريا بن لدن بن مسلم بن صدوق بن حشبان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديفة بن برخيا بن بلعاطة بن ناخور بن شلوم بن بهفاشاط بن أيتامن بن رجبام بن سليمان بن داود عليه السلام. أبو يحيى النبي عليه السلام من بني إسرائيل. انظر: البداية والنهاية: ٥١/٢.

(٢) ففي البداية والنهاية: ٥٢/٢: عن وهب بن منبه أنه قال: هرب أي زكريا من قومه فدخل شجرة فجاءوا فوضعوا المنشار عليه، فلما وصل المنشار إلى أضلاعه أن، فأوحى الله إليه لئن لم يسكن أنينك لأقلبن الأرض ومن عليها، فسكن أنينه حتى قطع بائنتين. قوله: «أن» قال في مختار الصحاح مادة: (أ ن ن): ٢٩: «أن» الرجل من الوجد يئن بالكسر أنياً.

(٣) هو: يحيى بن زكريا بن لدن بن مسلم بن صدوق بن حشبان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديفة بن برخيا بن بلعاطة بن ناخور بن شلوم بن بهفاشاط بن أيتامن بن رجبام بن سليمان بن داود عليه السلام. انظر: البداية والنهاية: ٥١/٢.

(٤) وذلك قوله تعالى: ﴿يَبِيحِينَ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآيَاتِهِ الْمُكَمَّ صَبِيحًا﴾ [مريم: ١٢].

(٥) في (هـ) و(ح): «يعظهم» وهو تصحيف والصواب ما أثبتته.

ويأمرهم، وكان يؤذى بسبب ذلك كثيراً إلى أن قتل^(١) - رحمه الله تعالى روضي الله عنه ونفعنا به آمين - .

ثم بعده نبي الله عيسى - عليه الصلاة والسلام - وهو روح الله وكلمته، نبأه الله جل شأنه، واصطفاه، وبعثه إلى بني إسرائيل، فدعا إلى الله تعالى، وبث الدعوة ونشر الفضائل، وأظهر الدين، وبعث أتباعه إلى الأقطار لتعليم الخير وإفادة المعرفة، وأنزل عليه الإنجيل، وهدى الله به ناساً كثيرين^(٢)، ممن سبقت له السعادة، وكفر به ممن سبقت له الشقاوة، نعوذ بالله من سخطه، ولما هموا بقتله، رفعه الله جل شأنه إليه، كما قال عز من قائل: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨] - عليه سلام الله وتحياته ورضوانه - .

ثم بعده نبي الله جرجيس - عليه الصلاة والسلام - لم يذكر في كتاب الله تعالى وكان نبياً عظيماً، وكان على دين عيسى ﷺ، وكان يدعو إلى الله ﷻ، فأوذي كثيراً، وقتل ثلاث مرات^(٣)، فأحياه الله جل شأنه ورده إلى قومه

(١) وفي البداية والنهاية: ٥٣/٢: وذكروا في قتله أسباباً، من أشهرها أن بعض ملوك ذلك الزمان بدمشق، كان يريد أن يتزوج ببعض محارمه أو من لا يحل له تزويجها، فنهاه يحيى ﷺ عن ذلك، فبقي في نفسها منه، فلما كان بينها وبين الملك ما يحب منها استوهبت منه دم يحيى، فوهبه لها، فبعث إليه من قتله، وجاء برأسه ودمه في طشت إليها، فيقال: إنها هلكت من فورها وساعتها.

(٢) في (هـ) و(ح): «ناس كثيرون» وهو خطأ نحوي.

(٣) قلت: ما ذهب إليه المؤلف من أن جرجيس نبي، كان على دين عيسى ﷺ يعني في زمن الفترة يرده ما رواه البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «إن أولى الناس بعيسى ابن مريم أنا؛ لأنه ليس بيني وبينه نبي» انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾: ٤٧٧/٦ والأشبه أنه كان رجلاً صالحاً له أحوال وكرامات.

قال ابن الأثير في الكامل: ٣٦٧/١ وما بعدها: كان بالموصل ملك يقال له دازانه، وكان جباراً عاتياً، وكان جرجيس رجلاً صالحاً من أهل فلسطين يكتنم إيمانه مع أصحاب له صالحين، وكانوا قد أدركوا بقايا من الحواريين فأخذوا عنهم، وكان جرجيس كثير التجارة عظيم الصدقة، وربما نفذ ماله في الصدقة ثم يعود يكتسب مثله. . وكان يخاف بالشام أن يفتن عن دينه، فقصد الموصل ومعه هدية لملكها لئلا يجعل لأحد عليه سبيلاً، فجاءه حين جاءه وقد أحضر عظماء قومه وأوقد ناراً وأعد أصنافاً من العذاب، وأمر بضمه له فنصب، =

فدعاهم فقتلوه، فأنزل الله ﷻ عليهم ناراً من السماء بدعائه فأحرقتهم، ثم أرسل الله تعالى ملكاً فجعل عاليها سافلها.
ثم بعده نبي الله خالد بن سنان العبّسي^(١)، وهو من ولد إسماعيل - عليه الصلاة والسلام - ولم يذكر في كتاب الله ﷻ.

= فمن لم يسجد له عذبه وألقي في النار... فدعاه الملك إلى عبادة صنمه فلم يجبه، فعذبه الملك بأنواع من العذاب، وقتله مرات، في كل ذلك ردّ الله إليه روحه، ثم أقبل جرجيس على الدعاء وقال اللهم أكرممتني بهذا البلاء لتعطيني أفضل منازل الشهداء، وهذا آخر أيامي فأسألك أن تنزل بهؤلاء المنكرين من سطواتك وعقوبتك ما لا قبل لهم به. فأمطر الله عليهم النار فأحرقتهم، فلما احترقوا بحرهما عمدوا إليه فضربوه بالسيوف فقتلوه، وهي القتلة الرابعة، فلما احترقت المدينة بجميع ما فيها رفعت من الأرض وجعل عاليها سافلها.

ولعل هذه القصة من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب، حيث لا نجد ما يؤيده أو يكذبه من الكتاب ولا من السنة.

(١) أخرج الحاكم في المستدرک، کتاب التاريخ، باب ذکر خالد بن سنان: ٥٩٩/٢: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً من بني عبس يقال له خالد بن سنان، قال لقومه... الحديث.

قال سماك بن حرب: سئل عنه النبي ﷺ فقال له: «ذاك نبي أضاعه قومه»، وإن ابنه أتى النبي ﷺ فقال له: «مرحباً بابن أخي».

قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.
قال ابن كثير في السيرة النبوية: ١٠٤/١ بعد ذكر الحديث: ورواه البزار، ثم قال البزار: ولا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وكان قيس بن الربيع - من رجال سنده - ثقة في نفسه، إلا أنه كان رديء الحفظ، وكان له ابن يدخل في أحاديثه ما ليس منها.

قلت: إن هذه الرواية تتناقض مع ما رواه البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «إن أولى الناس بعيسى ابن مريم أنا؛ لأنه ليس بيني وبينه نبي». انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ٢٢]: ٤٧٧/٦.

وما دامت الرواية التي تذكر أن خالد بن سنان نبي فيها مقال، وهناك رواية في البخاري وهي صحيحة بلا تردد؛ فالاعتبار ما في البخاري.

فعلى هذا إن القول الذي تظمن به النفس ما ذهب إليه ابن كثير في السيرة النبوية: ١٠٦/١ حيث يقول: والأشبه أنه كان رجلاً صالحاً له أحوال وكرامات؛ فإنه إن كان في زمن الفترة فقد ثبت في صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن أولى الناس بعيسى ابن مريم أنا؛ لأنه ليس بيني وبينه نبي»، فإن كان كذلك فلا يمكن أن يكون نبياً؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِن تُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [السجدة: ٣].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ناراً ظهرت في الفترة بين مكة والمدينة، فكانت طائفة من العرب تعبدها مضاهاة للمجوس، فقال خالد هذا عليه السلام وأخذ عصاه، وأضخمها، وأخذ يضربها حتى أطفأها الله ﷻ، وكان نبياً عظيماً. روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنه نبي أضاعه ^(١) قومه» ^(٢).

ثم بعده سيدنا ونبينا خاتم النبيين ورسول رب العالمين ورحمة الله على الخلق أجمعين، إمام حضرة العرب، وإمام حلية الحب سيد الأنام ومصباح القوم، ورسول الملك العلام، أحسن المخلوقات ومظهر التجليات، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم - صلى الله عليه وآله وصحبه وذريته وأهل بيته وأتباعه وأشياعه وورثائه أجمعين إلى يوم الدين - . انتهى .

(١) في (هـ) و(ح): «أضاعوه قومه» وهو خطأ نحوي.

(٢) رواه الحاكم في المستدرک، کتاب التاريخ، باب ذکر خالد بن سنان: ٥٩٩/٢، وصححه ووافقه الذهبي وذكرت في أول القصة ما حكاه ابن كثير عن قول البزار عن إسناده فإن فيه مقال. انظر: السيرة النبوية لابن كثير: ١٠٦/١.

النوع الثالث والثلاثون بعد المائة

علم ما وقع في القرآن
العظيم من الأسماء والكنى والألقاب



النوع الثالث والثلاثون بعد المائة

علم ما وقع في القرآن العظيم من الأسماء والكنى والألقاب^(١)

وقد تقدم ذكر الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - في النوع الذي قبل هذا، وهو علم تاريخ الأنبياء ومعرفة المتقدم والمتأخر، وهذا النوع يذكر فيه مَنْ ذكر باسمه أو كنيته أو لقبه من غير الأنبياء ﷺ.

[أسماء الملائكة]^(٢):

ففيه من أسماء الملائكة:

١ ، ٢ - جبريل^(٣) وميكائيل^(٤): وفيهما لغات^(٥):

(١) هذا النوع منقول عن الإتيان: ٥٨/٤ - ٧٨، وعنوانه: «النوع التاسع والستون: فيما وقع في القرآن من الأسماء والكنى والألقاب».

غير أن المؤلف لم يذكر هنا أسماء الأنبياء، بل ذكرها في النوع الثاني والثلاثين بعد المائة علم تاريخ الأنبياء وبيان المتقدم منهم والمتأخر.

(٢) تكملة من الإتيان، من زيادة محققه.

(٣) هو: اسم ملك الوحي وهو روح القدس والروح الأمين الذي يرسله سبحانه إلى رسله لتبليغ رسالاتهم وهو أقرب ملائكة الله تعالى المقربين لديه.

انظر: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٩٥.

وذكر في القرآن الكريم ثلاث مرات: البقرة: ٩٧، ٩٨. والتحريم: ٤.

(٤) هو: أحد كبار الملائكة المقربين إلى الله سبحانه مثل جبريل ﷺ. المصدر السابق: ٥٠٢.

وذكر في القرآن الكريم بلفظ ميكال في سورة البقرة الآية: ٩٨.

(٥) قال الشوكاني في فتح القدير: ١١٧/١.

وفي جبريل عشر لغات... وفي ميكائيل ست لغات. وهما اسمان أعجميان، والعرب إذا نظقت بالعجمي تساهلت فيه.

جَبْرِيل^(١): بكسر الجيم والراء بلا همز. وَجَبْرِيل: بفتح الجيم وكسر الراء بلا همز^(٢). وجبرائيل: بهمز بعد الألف^(٣). وجبرائيل: بيائين بلا همز^(٤). وجبرئيل: بهمز وياء بلا ألف^(٥). وجبرال: مشددة اللام، وقرئ بها^(٦). قال ابن جنى^(٧): وأصله «كوربال» فغير بالتعريب وطول الاستعمال إلى ما ترى.

وقرئ: ميكائيل: بلا همز^(٨)، وميكيل^(٩)، وميكال^(١٠).

(١) قال ابن جرير في تفسيره: ٣٤٦/١ بتصرف: وأما جبريل فإن للعرب فيه لغات: جبريل بغير همز بكسر الجيم والراء لغة أهل الحجاز، وَجَبْرِيل بفتح الجيم والراء بهمز وزيادة ياء بعد الهمز لغة تميم وقيس وبعض نجد، وَجَبْرين بالنون لغة بني أسد. وفي تهذيب اللغة للنووي: ١٤٤/١: وفيه تسع لغات: جبريل، وَجَبْرِيل بكسر الجيم وفتحها، وَجَبْرئِل بفتح الجيم وهمزة مكسورة وتشديد اللام، وجبرائيل بألف بعد الراء فهمزة بعدها ياء، وجبرائيل بيائين بعد الألف، وجبرئيل بهمزة بعد الراء وياء، وَجَبْرئِل بكسر الهمزة وتخفيف اللام مع فتح الجيم والراء، وَجَبْرين بفتح الجيم وكسرهما. أما (جَبْرِيل) بزنة (قُنْدِيل) بكسر الجيم والراء بلا همز، فهي قراءة أبي عمرو، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم. انظر: حاشية الجمل على الجلالين: ٨٤/١.

(٢) وبها قرأ ابن كثير والحسن.

انظر: النشر في القراءات العشر: ٢١٩/٢، وحاشية الجمل: ٨٣/١.

(٣) (جبرائيل): بهمز بعد الألف، وبها قرأ عكرمة.

انظر: حاشية الجمل: ٨٣/١.

(٤) (جبرائيل): بيائين بلا همز، وهي قراءة الأعمش.

انظر: المصدر السابق.

(٥) (جَبْرئِل): كسلسيل، وهي قراءة حمزة والكسائي.

المصدر السابق.

(٦) (جبرال): مشددة اللام، قراءة يحيى بن يعمر.

انظر: مختصر شواذ القرآن لابن خالويه: صفحة ٨.

(٧) في: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ٩٧/١.

(٨) أما (ميكائيل): بيائين بعد الألف، وبها قرأ الأعمش.

انظر: حاشية الجمل: ٨٤/١.

(٩) ميكيل: بوزن مَفْعِيل، قراءة ابن محيص. انظر: مختصر شواذ القرآن لابن خالويه:

صفحة ٨.

(١٠) وأما (ميكال): بغير همز ولا ياء بعدها، بوزن مفعال: قرأ بها البصريان وحفص.

انظر: النشر في القراءات العشر: ٢١٩/٢.

أخرج ابن جرير^(١) من طريق عكرمة عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: جبريل عبد الله، وميكائيل عبيد الله، وكل اسم فيه إيل فهو عبد الله^(٢).

وأخرج ابن أبي حاتم^(٣) عن عبد العزيز بن عمير، قال: اسم جبريل في الملائكة خادم الله [عجل] ^(٤).
فائدة:

قرأ أبو حيوة: «فأرسلنا إليها روحنا» [مریم: ١٧] بالتشديد^(٥)، وفسره ابن مهران^(٦) بأنه اسم لجبريل، حكاه الكرمانى في عجائبه.
٣، ٤ - هاروت وماروت^(٧):

أخرج ابن أبي حاتم عن علي - كرم الله تعالى وجهه ورضي الله تعالى عنه - قال هاروت وماروت ملكان (من ملائكة الله تعالى)^(٨).
٥ - الرعد^(٩):

(١) في تفسيره: ٣٤٧/١، وانظر: تفسير ابن كثير: ٢٢٨/١.
(٢) في الإتيان: ٦٨/٤ (معبد الله). وفي تفسير ابن جرير ٣٤٧/١: وكل اسم إيل فهو الله: ٣٤٧/١. وأخرج ابن جرير عن علي بن حسين قال: جبريل عبد الله، وميكائيل عبيد الله، وكل اسم فيه إيل فهو عبد الله. تفسير ابن جرير: ٣٤٧/١.
(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٩٢/١، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن عبد العزيز بن عمير.

(٤) تكملة من الإتيان: ٦٨/٤.
(٥) أي بتشديد النون، وهي قراءة شاذة، والمتواتر (روحنا) بدون تشديد.
انظر: مختصر شواذ القرآن لابن خالويه: صفحة ٨٣.
(٦) هو: أحمد بن الحسين بن مهران أبو بكر النيسابوري إمام عصره في القراءات، من كتبه: «آيات القرآن»، و«الشامل في القراءات»، ولد سنة ٢٩٥هـ، وتوفي سنة ٣٨١هـ. انظر: البداية والنهاية: ٣٠٥/١١.

(٧) ذكرنا في القرآن الكريم في سورة البقرة: ١٠٢.
هما ملكان هبطا ببابل بصورة آدمية، وعلمنا الناس السحر ابتلاء من الله تعالى وامتحاناً لهم.

انظر: تفسير ابن كثير: ٢٣٩/١.
(٨) في الإتيان: ٦٨/٤ (من ملائكة السماء). أخرج ابن جرير في تفسيره: ٣٦٢/١.
وذكره ابن كثير في تفسيره: ٢٤٠/١ وعزاه إلى ابن أبي حاتم.
(٩) ذكر في القرآن مرتين: في البقرة: ١٩. والرعد: ١٣.

وفي الترمذي من حديث ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما -: أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: أَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ قَالَ: «مَلِكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ»^(١).

وأخرج ابن أبي حاتم^(٢) عن عكرمة قال: «الرعد ملك يسبح». وأخرج عن مجاهد أنه سئل عن الرعد فقال: هو ملك يسمى الرعد، ألم تر أن الله جل شأنه يقول: ﴿وَيَسِيحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ [الرعد: ١٣].
٦ - والبرق^(٣):

= اختلف أهل العلم في الرعد فقيل: إنه ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب للحديث الذي رواه الترمذي من حديث ابن عباس المذكور في المتن.. قال القرطبي في تفسيره: ٢١٧/١: وعلى هذا أكثر العلماء. وقيل: اضطراب أجرام السحاب عند نزول المطر منها، وإلى هذا ذهب جمع من المفسرين تبعاً للفلاسفة وجهلة المتكلمين. قلت: ويمكن الجمع بين ما ذهب إليه أكثر العلماء وبين ما ذهب إليه الفلاسفة، إذ لا تعارض بين ما ذكر في الحديث وما يذكره علماء الطبيعة، من أنه صوت احتكاك السحاب ببعضه ببعض؛ لأن هؤلاء يصفون مظاهر الحادثة الكونية كما يدركونها، - والوحي - عن طريق الأنبياء، يفسر لنا حقائق هذه الحادثة، ويكشف لنا عن الأسرار الكامنة وراء المظاهر المادية.

انظر: تفسير ابن جرير: ١١٦/١، وتفسير القرطبي: ٢١٧/١، وتفسير الشوكاني: ١/٤٩، واللسان: مادة: (رعد): ١٧٩٣، والإتقان تحقيق د. مصطفى ديب البغا: ١٠٧٤/٢، والجمع بين الأقوال نقلاً عنه.
(١) سنن الترمذي كتاب التفسير، باب من سورة (الرعد): ٢٩٤/٥. وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) أورده السيوطي في الدرر: ٥١/٢، وعزاه إلى عبد بن حميد عن مجاهد. قال الشوكاني في تفسيره: ٧٢/٣: وأما على تفسير الرعد بملك من الملائكة، فلا استبعاد في ذلك، ويكون ذكره على الأفراد مع ذكر الملائكة بعده لمزيد خصوصية له، وعناية به.

(٣) ذكر في القرآن أربع مرات: (في البقرة: ١٩، ٢٠، والرعد: ١٢، والروم: ٢٤). واختلف العلماء في البرق: فقيل: مخراق حديد بيد الملك الذي يسوق السحاب. وإليه ذهب كثير من الصحابة وجمهور علماء الشريعة. وقيل: إن البرق ما ينقذ من اصطكاك أجرام السحاب المتراكمة من الأبخرة المتصعدة المشتعلة على جزء من نار يتلهب عند الاصطكاك. وإليه ذهب بعض المفسرين تبعاً للفلاسفة.

فقد أخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن مسلم^(١)، قال: بلغنا أن البرق ملك له أربعة أوجه: وجه إنسان، ووجه ثور، ووجه نسر، ووجه أسد، فإذا مصع^(٢) بذنبه، فذلك البرق^(٣).
 ٧ - مالك: خازن جهنم^(٤).
 ٨ - والسجل^(٥):

= قال القرطبي: قالت الفلاسفة: «البرق ما ينقذ من اصطكاك أجرام السحاب»، وهذا مردود لا يصح به نقل.

قلت: الأفضل الجمع بين القولين.

انظر: تفسير ابن جرير: ١١٦/١، وتفسير القرطبي: ٢١٧/١، وتفسير الشوكاني: ١/٤٨، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٦٣.

(١) هو: محمد بن مسلم بن تدرس أبو الزبير الأسدي المكي، روى عن جابر وابن عمر وغيرهما، وعنه السفينان وغيرهما، وثقه ابن المديني، وابن معين، وضعفه ابن عيينة وغيره، توفي سنة ثمان وعشرين بعد المائة.

انظر: تذكرة الحفاظ: ١/١٢٦، وطبقات الحفاظ: ٥٠.

(٢) المصع: تحريك الذنب.

وفي اللسان مادة: (مصع): ٣٣٧/٨: «المصع التحريك».

في القاموس المحيط مادة مصع: مصع البرق... لمع، والدابة بذنبها حركته وضربت به.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسير: ١١٨/١ مع اختلاف يسير.

(٤) ذكر في سورة الزخرف: ٧٧، وفي الإتيان: ٤/٦٩: (خازن النار).

(٥) وهو مذكور في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

اختلف العلماء في المراد بـ«السجل» فقيل: هو ملك من الملائكة، وقيل: الصحيفة التي يكتب فيها، وقيل: اسم كاتب النبي ﷺ.

والصحيح والذي يناسب اللغة هو ما قاله ابن عباس: إن المراد بـ«السجل» هو الصحيفة. ولا يعرف لنا كاتب اسمه السجل، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه.

وهذا القول هو اختيار ابن جرير.

وقال ابن كثير في تفسيره بعد ذكره اختيار ابن جرير: وصدق ﷺ في ذلك. وهو من أقوى الأدلة على نكارة الحديث.

وأما من ذكره في أسماء الصحابة، فإنما اعتمد على هذا الحديث لا على غيره - والله أعلم -.

انظر: تفسير ابن جرير: ٧٩/١٧، وتفسير ابن كثير: ٤/٦٠٢.

أخرج ابن أبي حاتم^(١) عن أبي جعفر محمد الباقر^(٢) قال: السجل ملك، وكان هاروت وماروت من أعوانه.

وأخرج عن ابن عمر^(٣) - رضي الله تعالى عنهما - قال: السجل ملك. وأخرج عن السدي^(٤) قال: ملك موكل بالصحف. ٩ - وقعيد^(٥):

فقد ذكر مجاهد: أنه اسم كاتب السيئات [أخرجه أبو نعيم في الحلية^(٦)]. فهو لاء تسعة^(٧).

١٠ - وأخرج ابن أبي حاتم عن طرق مرفوعة وموقوفة ومقطوعة أن ذا القرنين^(٨) ملك من الملائكة.

(١) لم أعر على ما أخرجه ابن أبي حاتم في كتب التفسير.

(٢) هو: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو جعفر الباقر، روى عن أبيه وجدديه الحسن والحسين وغيرهم، وروى عنه ابنه جعفر الصادق، وعطاء وغيرهم، وثقه الزهري وغيره، توفي سنة أربع عشرة بعد المائة. انظر: تذكرة الحفاظ: ١/١٢٤، وطبقات الحفاظ: ٤٩، وشذرات الذهب: ١/١٤٩.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٤/٦٠١، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن ابن عمر.

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره: ٤/٦٠١، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن السدي.

(٥) وهو مذكور في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَلْقَى الْمُتَلَقِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾

[ق: ١٧].

وفي تفسير ابن جرير: ٢٦/٩٩: قال مجاهد: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾، قال: عن اليمين الذي يكتب الحسنات وعن الشمال الذي يكتب السيئات. وانظر: الدر المنثور: ٦/١٠٣.

قال الشوكاني في تفسيره: ٥/٧٥: قال مجاهد: وكل الله بالإنسان ملكين بالليل وملكين بالنهار. ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ إنما قال قعيد ولم يقل قعيدان وهما اثنان؛ لأن المراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه.

قال الأخفش في «معاني القرآن»: ٢/٤٨٣: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ ولم يقل: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، ذكر أحدهما واستغنى كما قال: ﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [الرعد: ٦٧]، فاستغنى بالواحد عن الجميع.

(٦) لم أجد في الحلية.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من الإتيان: ٤/٦٩.

(٨) ذكر في القرآن في سورة الكهف: ٨٣: هو: ذو القرنين، أبوه أول القياصرة وكان من ولد سام بن نوح ﷺ وكان ملكاً صالحاً، وأثنى الله عليه بالعدل، وأنه بلغ المشارق =

فإن صح أكمل العشرة.

١١ - وأخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ [النبا: ٣٨].

قال: هو ملك من أعظم الملائكة خلقاً^(١).

فصاروا أحد عشر.

١٢ - قال الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - : ثم رأيت الراغب قال في مفرداته^(٢)، في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٤]^(٣): قيل: إنه ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه^(٤). كما روي: أن

= والمغارب وملك الأقاليم، وهو السلطان المظفر المنصور القاهر المقسط. انظر: البداية والنهاية: ١٠٢/٢.

ثم قال ابن كثير: والصحيح أنه كان ملكاً من الملوك العادلين... وأغرب من قال: ملكاً من الملائكة.

(١) في الإتيان: ٦٩/٤: «تلك من أعظم الملائكة خلقاً».

أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١٥/٣٠.

واختلف العلماء في المراد بالروح في هذه الآية:

فقيل: إنه ملك من الملائكة.. وقيل: هو جبريل. وقيل: هو جند من جنود الله ليسوا ملائكة. وقيل: حفظة على الملائكة. وقيل: أرواح بني آدم تقوم صفاً وتقوم الملائكة صفاً. وقيل غير ذلك.

قلت: والقول الذي تسكن إليه النفس ما قاله ابن جرير في تفسيره: والصواب من القول أن يقال: إن الروح خلق من خلقه تعالى. وجائز أن يكون بعض هذه الأشياء التي ذكرت - والله أعلم -.

انظر: تفسير ابن جرير: ١٦/٣٠، وتفسير الشوكاني: ٣٧٠/٥.

(٢) المفردات: ٢٣٧: مادة: (سكن).

(٣) وذكر في البقرة: ٢٤٧، والتوبة: ٢٤، ٤٠، والفتح: ٤، ١٨، ٢٦.

(٤) قلت: ما ذكر الراغب - رحمه الله تعالى - من أن «السكينة» ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه، قول لا أساس من الصحة وبعيد عن المعنى اللغوي، فإن السكينة فعلية من سكن فلان إلى كذا وكذا، إذا اطمأن إليه وهدأت عنده نفسه، فهو يسكن سكوناً وسكينة، فالمراد بها هي الطمأنينة والثبات والوقار.

انظر: تفسير ابن جرير: ٣٨٧/٢، وتفسير الآلوسي: ٩٢/٢٦، واللسان: ٢١٣/١٣،

مادة: (سكن).

السكينة تنطق على لسان عمر^(١).

[أسماء الصحابة]^(٢):

وفيه من أسماء الصحابة: زيد بن حارثة^(٣)، والسجل^(٤)، في قول من قال: إنه كاتب^(٥) النبي ﷺ، أخرجه^(٦) أبو داود^(٧) والنسائي من طريق [أبي الجوزاء]^(٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه. نقلاً عن روح المعاني: ٩٢/٢٦.

(٢) تكملة من الإتيان: ٦٩/٤، من زيادة المحقق.

(٣) هو: زيد بن حارثة بن شراحيل أو شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن يزيد بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان أبو أسامة، الكلبي، ثم المحمدي، سيد الموالي، وأسبقهم إلى الإسلام، وحب رسول الله ﷺ ولم يسم الله تعالى في كتابه صحابياً باسمه إلا زيد بن حارثة، هاجر مع الرسول ﷺ إلى المدينة، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والحديبية وخيبر، استشهد في غزوة مؤتة، وكان أمير الجيش سنة ثمان من الهجرة.
انظر: طبقات ابن سعد: ٢٧/٣، وتهذيب الأسماء واللغات: ٢٠٢/١، وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١/٢٢٠.

وهو مذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ يَتَهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزِلِجِ أَدْعِيَهِمْ إِذَا قَضَوْا إِلَيْنَا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ [الأحزاب: ٣٧].

(٤) المذكور في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

(٥) تقدم بيانه والرد عليه في الهامش: صفحة ٥٤.

(٦) في الإتيان: ٦٩/٤: «أخرج».

(٧) في سننه كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في اتخاذ الكاتب: ٣٤٨/٣: عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: السجل كاتب، كان للنبي ﷺ. وعلق عليه الشيخ محيي الدين عبد الحميد في هامش سنن أبي داود. قال ابن القيم: سمعت شيخنا ابن تيمية يقول: هذا الحديث موضوع، ولا يعرف لرسول الله ﷺ كاتب اسمه السجل قط، وليس في الصحابة من اسمه السجل، وكتاب النبي ﷺ معروفون لم يكن فيهم من يقال له السجل، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] الآية مكية، ولم يكن لرسول الله ﷺ كاتب (مكة)، والسجل: هو الكتاب المكتوب. انتهى.

(٨) في (هـ) و(ح): «أبي الجوزاء» وما أثبتته من الإتيان كما في سنن أبي داود: ٣/

٣٤٨

[أسماء المتقدمين من غير الأنبياء والرسل] (١):

وفيه من أسماء المتقدمين غير الأنبياء والرسل: عمران أبو مريم (٢).
وقيل (فيه) (٣): أبو موسى أيضاً، وأخو هارون، وليس بأخي موسى، كما
في حديث أخرجه مسلم (٤)، وسيأتي آخر الكتاب إن شاء الله تعالى.
[وعزير (٥)، وتبع (٦)] (٧)، وكان رجلاً صالحاً، كما أخرج الحاكم (٨)، وقيل:
نبي. حكاه الكرمانى في عجائبه.

= وأبو الجوزاء: هو أوس بن عبد الله أبو الجوزاء الربعي البصري التابعي من ربعة الأزدي،
روى عن أبي هريرة وابن عباس وغيرهما. وروى عنه أبو الأشهب وقتاده وغيرهما. قال
العجلي: بصري تابعي ثقة، توفي سنة ثلاث وثمانين هجرية.
انظر: تهذيب التهذيب: ٣٨٣/١.

(١) تكملة من الإتيان: ٦٩/٤ من زيادة المحقق.

(٢) وهو مذكور في (آل عمران): ٣٣، ٣٥. و(التحریم): ١٢. وهو: عمران بن باشم
والد مريم أم رسول الله عيسى ﷺ، ويرجع نسبه إلى سليمان بن داود ﷺ.
انظر: تفسير ابن جرير: ١٥٧/٣، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٣٥٦.
(٣) ساقط من الإتيان: ٦٩/٤.

(٤) انظر: الإتيان: ٢٣٦/٤: ما جاء في تفسير سورة (مريم). أخرجه مسلم في
صحيحه: كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم: ١٧١/٦، وغيره: عن
المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران، فقالوا: رأيت ما تقرؤون:
﴿يَتَأَخَذُ هَرُونَ﴾ [مريم: ٢٨]، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟ فرجعت فذكرت ذلك
لرسول الله ﷺ فقال: «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم».
(٥) وهو مذكور في (التوبة): ٣٠.

وهو الذي مر على قرية (بيت المقدس) بعد أن خربها بختنصر، وكان راكباً حماراً،
فقال - تعجباً -: كيف يعبد الله الحياة إليها؟! فأماته الله مائة عام ثم بعثه. قال ابن كثير بعد
ذكره قول ابن جرير وابن أبي حاتم: وهذا القول هو المشهور.

انظر: تفسير ابن جرير: ١٩/١، وتفسير ابن كثير: ٥٥٨/١ ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٣٤٠.

والمشهور أن عزير نبي من أنبياء بني إسرائيل. قاله ابن كثير في قصص الأنبياء: ٢٣٩/٢.

(٦) ذكر في موضعين من القرآن: في (الدخان): ٣٧، و(ق): ١٤.

هو أحد ملوك اليمن الحميريين، ثم صار لقب أعظم ملوكهم، وقوم تبع هم سبأ، كلما
ملك فيهم رجل سموه تبعاً.

انظر: تفسير ابن كثير: ٢٥٦/٦، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٨٤.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ٧٠/٤.

(٨) في المستدرک: کتاب التفسیر، باب تفسیر سورة (الدخان): ٤٥٠/٢.

ولقمان^(١): وقد قيل: إنه كان نبياً، والأكثر على خلافه. أخرجه ابن أبي حاتم وغيره من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً^(٢).

ويوسف الذي في سورة (غافر)^(٣).

ويعقوب في أول سورة (مريم)^(٤) [على ما تقدم^(٥)].

= عن عائشة قالت: كان تبع رجلاً صالحاً، ألا ترى أن الله تعالى ذم قومه ولم يذمه؟ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(١) ذكر في سورة (لقمان): ١٢، ١٣.

لقمان رجل صالح، كان حكيماً دقيق الحسن كامل الفضائل، ولم يكن نبياً، وإلى هذا أكثر العلماء، وقد رفعه الله بحكمته.

انظر: تفسير ابن جرير: ٤٣/٢١، وتفسير ابن كثير: ٣٨/٥، ومعجم الألفاظ القرآنية:

٤٧٩.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٤٣/٢١.

وذكره ابن كثير في تفسيره: ٣٨/٥ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وغيره.

(٣) أي المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي

سَبِيلِكُمْ وَمَا جَاءَكُمْ بِهِ...﴾ [غافر: ٣٤]. اختلف العلماء في المراد بيوسف هنا:

فقيل: هو يوسف بن يعقوب، وقيل: يوسف بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب، وقيل:

هو من الجن بعثه الله إليهم رسولاً. قلت: والقول الذي تظمن إليه النفس هو القول

الأول، لأن يوسف بن يعقوب هو الذي يناسب هذه الصفات ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ

قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ ولم يُعرف أن هناك رسولاً اسمه يوسف غيره. قال ابن كثير في تفسيره

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني أهل مصر، قد

بعث الله فيهم رسولاً من قبل موسى عليه السلام وهو يوسف عليه السلام وكان رسولاً يدعو إلى الله

تعالى أمته بالقسط فما أطاعوه تلك الطاعة إلا بمجرد الوزارة والجاه الدنيوي ولهذا قال

تعالى: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي سَبِيلِكُمْ وَمَا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قَلْتُمْ لَنَ بَعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ

رَسُولًا﴾.

انظر: تفسير ابن كثير: ١٣٧/٦، وتفسير الشوكاني: ٤٩١/٤.

(٤) وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿بِئْتِي وَبِئْتِي مِنَ آلِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا﴾

[مريم: ٦].

(٥) انظر: الكلام عن يعقوب عليه السلام في الإتيان أوائل النوع التاسع والستين فيما وقع في

القرآن من الأسماء والكنى والألقاب: (٦١/٤): القول بأن المراد بـ«يعقوب» هنا غير

يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم هو قول الكلبي ومقاتل وقالوا: إنه يعقوب بن باشم أخو

عمران، وآل يعقوب هم خاصته الذين يؤول أمرهم إليه للقرابة أو الصحبة أو الموافقة في =

وتقي^(١) في قوله فيها: ﴿قَالَتْ إِنَّيْ أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ (١٨)، قيل: إنه اسم رجل كان من أمثل الناس؛ أي إن كنت في الصلاح مثل تقي. حكاها الثعلبي^(٢).

وقيل: اسم رجل كان يتعرض للنساء.

وقيل: إنه عمها أتاها جبريل ﷺ في صورته. حكاها^(٣) الكرمانى في عجائبه^(٤).

[أسماء النساء]^(٥):

وفيه من أسماء النساء: مريم، لا غير، [النكته تقدمت في نوع الكناية]^(٦)،

= الدين، وقد كان فيهم أنبياء وملوك. ذكره الشوكاني في تفسيره: ٣/٣٢٢. قلت: والقول الذي تسكن به القلوب أن المراد ببيعقوب هنا هو النبي يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ لأن المراد بالوارثة - على ما هو الراجح وراثه العلم والنبوة؛ لأن زكريا ﷺ - طلب ولياً وارثاً علمه ونبوته هذه صفته فقال: هب لي الذي يكون وارثي. ويؤيده القراءة بالرفع في الفعلين ﴿يَرْثِي وَيَرِثُ..﴾ وهي قراءة أهل الحرمين وعاصم وحمزة وغيرهم. على أنهما صفتان للولي. انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٢/٨٤، وتفسير الشوكاني: ٣/٣٢٢.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح) وما أثبتته من الإتيان: ٧٠/٤.

(٢) لم أعر على مرجع ما حكاها الثعلبي.

وقال الشوكاني في تفسيره: ٣/٣٢٨: قيل: إن تقياً اسم رجل صالح، فتعوذت مريم

منه.

(٣) في (هـ) و(ح): «حكاها»، وما أثبتته من الإتيان: ٧٠/٤.

(٤) قلت: إن «تقياً» ليس اسم رجل صالح، ولا اسم رجل فاجر، ولا اسم ابن عم

مريم، وإنما من «التقوى».

والتقوى هو: جعل النفس في وقاية مما يخاف، وفي الشرع: حفظ النفس عما يؤثم،

وذلك بترك المحظور. قاله الراغب في المفردات: ٥٣٠، مادة: (وقى).

ومعنى قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّيْ أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ (١٨) إن كنت تتقي الله،

فستنتهي بتعوذى منك، وهذا هو المشروع في الدفع أن يكون بالأسهل فالأسهل، فخوفته

أولاً بالله ﷻ. وقال الألوسي: وقول من قال: إنه اسم رجل صالح أو طالح، ليس

بسديد.

انظر: تفسير ابن كثير: ٤/٤٤٥، وتفسير ابن الجوزي: ٥/٢١٧، وتفسير الألوسي:

٧٧/١٦.

(٥) تكملة من الإتيان: ٧٠/٤ من زيادة محققه.

(٦) تكملة من الإتيان: ٧٠/٤.

ومعنى مريم بالعبرانية: الخادم^(١). وقيل: المرأة التي تغازل
الفتيان^(٢). حكاهما^(٣) الكرمانى.
وقيل: إن بعللاً في قوله تعالى: ﴿أَنْذَعُونَ بَعْلًا﴾ [الصفات: ١٢٥] اسم امرأة
كانوا يعبدونها حكاه ابن عسكر^(٤).

[أسماء الكفار]^(٥):

وفيه من أسماء الكفار: قارون^(٦)، وهو ابن يصهر بن عم موسى ﷺ، كما
أخرجه ابن أبي حاتم^(٧) عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - .
وجالوت^(٨)،

- = قال السيوطي في الإتيان: ٧٠/٤: النوع الرابع والخمسين «في كنيته وتعريضه»:
قال السهيلي: وإنما ذكرت مريم باسمها على خلاف عادة العصماء لئلا تكون، وهو أن
الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم في ملاء، ولا يبتذلون أسماءهن، بل يكونون عن
الزوجة بالفرش والعيال ونحو ذلك، فإذا ذكروا الإماء لم يكونوا عنهن، ولم يصونوا
أسماءهن عن الذكر، فلما قالت النصارى في مريم ما قالوا، صرح الله باسمها، ولم يكن
إلا تأكيداً للعبودية التي هي صفة لها، وتأكيذاً لأن عيسى لا أب له، وإلا نسب إليه».
(١) في (هـ) و(ح): «الخادمة» وما أثبتته من الإتيان: ٧٠/٤، وهو الصواب؛ لأن
«الخادم» يلزم حالة واحدة ولا يؤنث.
(٢) المعنى الأول - أي الخادم - هو المقبول والأليق بقرائن الحال، والمناسب للمقام؛
لأن أمها هي التي نذرتها لخدمة بيت المقدس، ويبعد على أمها أن تسميها بهذا الاسم
- المرأة التي تغازل الفتيان - إن كان هذا معناه. قاله الدكتور مصطفى البغا في هامش
الإتيان بتعليقه: ١٠٧٦/١، وما قاله هو المرضي عندي.
(٣) في (هـ) و(ح): «حكاها»، وما أثبتته من الإتيان: ٧٠/٤.
(٤) نقلاً عن تفسير ابن كثير: ٣٣/٦.
وفي تفسير ابن كثير أيضاً: ٣٣/٦: أن بعللاً هو اسم صنم كانوا يعبدونه، وهو قول
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقول الضحاك، وهو الصواب.
(٥) تكملة من الإتيان: ٧١/٤، من زيادة محققه.
(٦) ذكر في (القصص): ٧٦، و(العنكبوت): ٣٩، و(غافر): ٢٤.
(٧) نقلاً عن تفسير ابن كثير: ٢٩٨/٥.
عن ابن عباس قال: إن قارون كان من قوم موسى، قال: كان ابن عمه...، قال ابن
جريج: هو قارون بن يصهر بن فاهث، وموسى بن عمران بن فاهث...، وأكثر أهل العلم
على أنه كان ابن عمه - والله أعلم - .
(٨) ذكر في (البقرة): ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١.

وهامان^(١)، وبشرى الذي ناداه الوارد المذكور في سورة (يوسف) بقوله: ﴿يَكْبُشْرَى﴾ [يوسف: ١٩] في قول السدي، أخرجه ابن أبي حاتم^(٢).
 وآزر^(٣) أبو إبراهيم، وقيل: اسمه تارخ، وآزر لقبه.
 أخرج ابن أبي حاتم^(٤) من طريق الضحاك عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر، إنما كان اسمه تارخ.
 وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس^(٥) - رضي الله تعالى عنهما - قال: معنى آزر: الصنم.
 وأخرج عن السدي قال: اسم أبيه تارخ، واسم الصنم آزر^(٦).

= وهو ملك العمالقة ورأس الجيش، وهو الذي قتله داود عليه السلام حين أقبل على قتال بني إسرائيل وعلى رأسهم طالوت ملكهم.

انظر: الكامل لابن الأثير: ٢١٨/١، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ١٠٣.
 (١) ذكر في (القصص): ٦، ٨، ٣٨، و(العنكبوت): ٣٥. و(غافر): ٢٤، ٣٦.

هو: وزير فرعون الأول ومن أعوانه المقربين، وقد كلفه فرعون أن يبني له صرحاً عالياً يتجه إلى السماء صعداً حتى ينالها ويطلع إلى إله موسى ليحاربه. معجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٥٥٧.

(٢) نقلاً عن تفسير ابن جرير: ٩٩/١٢.

أخرج ابن جرير عن السدي: ﴿يَكْبُشْرَى هَذَا عَلْمٌ﴾، قال: نادى رجلاً من أصحابه يقال له بشرى، فقال: يا بشرى هذا غلام.

والقول بأن «بشرى» اسم رجل بعينه هو اختيار ابن جرير، حيث يقول في تفسيره: ١٢/٩٩. «وأعجب القراءة في ذلك التي قراءة من قرأ بإرسال الياء وتسكينها؛ لأنه كان اسم رجل بعينه كان معروفاً فيهم كما قال السدي، فتلك هي القراءة الصحيحة لا شك فيها.

قلت: والقول الذي تطمئن إليه النفس ما قاله ابن كثير في تفسيره: ١٥/٤: وقرأ بعض القراء «يا بشرى»، فزعم السدي أنه اسم رجل ناداه ذلك الرجل الذي أدلى دلوه معلماً له أنه أصاب غلاماً، وهذا القول من السدي غريب؛ لأنه لم يسبق إلى تفسير هذه القراءة إلا في رواية عن ابن عباس - والله أعلم - وإنما معنى القراءة على هذا النحو يرجع إلى القراءة الأخرى، ويكون قد أضاف البشرى إلى نفسه وحذف ياء الإضافة وهو يريد كما تقول العرب: يا نفس اصبري.. بحذف حرف الإضافة... وتفسرها القراءة الأخرى «يا بشرى» والله أعلم.

(٣) ذكر في القرآن في سورة (الأنعام): ٧٤.

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره: ٥٢/٣، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٥) نقلاً عن تفسير ابن كثير: ٥٢/٣.

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١٥٨/٧، ١٥٩.

وأخرج عن مجاهد قال: ليس آزر أبا إبراهيم^(١).

ومنها: النسبي^(٢): أخرج ابن أبي حاتم عن أبي وائل قال: كان رجل من بني كنانة كان يجعل المحرم صفرًا يستحل به الغنائم^(٣) [ولعل تسميته النسبي في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ الذي هو عبارة عن نقل الأشهر، والتغيير فيها والتبديل، كما كانت عادة العرب في الجاهلية، وكون هذا الرجل هو المبتدئ في ذلك التغيير فسمي الفعل باسمه]^(٤).

[أسماء الجن]^(٥):

وفيه من أسماء الجن: أبوهم إبليس^(٦)، وكان اسمه [أولاً]^(٧): عزازيل. أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: [كان

(١) المصدر السابق: ١٥٨/٧.

قلت: والقول الذي يسكن به القلب ما اختاره ابن جرير في تفسيره: ١٥٩/٧. «... فأولى القولين بالصواب منهما عندي قول من قال: هو اسم أبيه؛ لأن الله تعالى أخبر أنه أبوه، وهو القول المحفوظ من قول أهل العلم دون القول الآخر...». قال ابن كثير في تفسيره: ٥٣/٣، بعد حكاية قول ابن جرير: «وهذا الذي قاله جيد قوي - والله أعلم -».

(٢) المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧].

(٣) وفي تفسير ابن جرير: ٩٢/١٠: عن أبي وائل: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾... الآية، وكان رجل من بني كنانة يسمى النسبي فكان يجعل المحرم صفرًا، ويستحل فيه الغنائم، فنزلت هذه الآية.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من الإتيان: ٧١/٤.

والأصح أنه مصدر، ومعناه التأخير في الوقت، والمراد به في الآية ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من تأخير الشهر الحرام إلى شهر آخر ليستبيحوا قتال من أرادوا في أي قوت أرادوا، وقد كانوا يحرمون القتال - أي يستنكرونه - في الشهر الحرام، لاعتقادهم حرمة الأشهر الحرم ووجوب تعظيمها.

قاله الدكتور مصطفى البغا في هامش الإتيان بتعليقه: ١٠٧٧/٢ وهو الذي يسكن به القلب.

(٥) تكملة من الإتيان: ٧١/٤ من زيادة محققه.

(٦) ذكر في (البقرة): ٣٤. و(الأعراف): ١١. و(الحجر): ٣١، ٣٢. و(الإسراء): ٦١. و(الكهف): ٥٠. و(طه): ١١٦. و(الشعراء): ٩٥. و(سبأ): ٢٠. و(ص): ٧٤، ٧٥.

(٧) ساقط من (هـ) و(ح). وما أثبتته من الإتيان: ٧١/٤.

إيليس اسمه عزازيل^(١)(٢).

أخرج ابن جرير^(٣) عن السدي قال: كان اسم إيليس الحارث، قال: هو يعني عزازيل.

وأخرج ابن جرير^(٤) وغيره من طريق الضحاك عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: إنما سمي إيليس لأن الله جل شأنه أبلسه من الخير كله، آيسه منه.

وقال ابن عساكر: قيل في اسمه: قتره. حكاه الخطابي، وكنيته أبو كردوس.

وقيل: أبو قتره. وقيل: أبو مرة. وقيل: أبو لبيني. حكاه السهيلي في الروض الأنف^(٥).

[أسماء القبائل]^(٦):

وفيه أسماء القبائل: يأجوج ومأجوج^(٧)، وعاد^(٨)

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ٧١/٤.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ٢٩٤/١.

(٣) في تفسيره: ١٧٨/١.

(٤) في تفسيره: ١٨٠/١، بلفظ عن ابن عباس قال: إيليس أبلسه الله من الخير كله، وجعله شيطاناً رجيماً عقوبة لمعصيته.

(٥) لم أجد في الروض الأنف، ووجدت القول الأول في التعريف الإعلام له: ١٩.

(٦) تكملة من محقق الإتيان. انظر: الإتيان: ٧١/٤.

(٧) ذكر في الكهف: ٩٤، والأنبياء: ٩٦.

يأجوج ومأجوج اسمان عجميان بدليل منع صرفهما، وبه قال الأكثر، وهم أمتان من وراء السد الذي بناه ذو القرنين. واختلف في نسبهم: فقيل: هم ولد يافث بن نوح، وقيل: يأجوج من الترك، ومأجوج من الجبل والديلم، ورجح القرطبي أنهم من ولد يافث بن نوح. انظر: تفسير ابن جرير: ١٤/١٦، وتفسير القرطبي: ٥٦/٦، وتفسير الشوكاني: ٣١٢/٣.

(٨) ذكر في الأعراف: ٦٥، ٧٤. والتوبة: ٧٠. وهود: ٥٠، ٥٩، ٦٠. وإبراهيم: ٩.

والحج: ٤٢. والشعراء: ١٢٣. وص: ١٢. وغافر: ٣١. وفصلت: ١٣، ١٥. والأحقاف:

٢١. وق: ١٣. والذاريات: ٤١. والقمر: ١٨. والحاقة: ٤، ٦. والفجر: ٦. وهود: ٦٠.

والفرقان: ٣٨. والعنكبوت: ٣٨. والنجم: ٥٠.

وهم قوم هود عليه السلام نشأوا أولاً في موطنهم ما بين (عمان) و(حضر موت) وقد أشار =

[وئمود^(١)، ومدين^(٢)، وقريش^(٣) والروم^(٤) .

[أسماء الأقالوم بالإضافة]^(٥):

وفيه [من]^(٦) الأقالوم بالإضافة: قوم نوح^(٧)،

= القرآن الكريم إلى عاد بأنهم عصوا نبيهم هوداً واستكبروا في الأرض بغير الحق. معجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٣٦٢.

(١) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ٧١/٤. وكلمة «ئمود» ذكرت في الأعراف: ٧٣. والتوبة: ٧٠. وهود: ٦١، ٦٨، ٩٥. وإبراهيم: ٩. والإسراء: ٥٩. والحج: ٤٢. والفرقان: ٣٨. والشعراء: ١٤١. والنمل: ٤٥. والعنكبوت: ٣٨. وص: ١٣. وغافر: ٣١. وفصلت: ١٣، ١٧. والذريات: ٤٣. والنجم: ٥١. والقمر: ٢٣. والحاقة: ٤، ٥. والبروج: ١٨. والفجر: ٩. والشمس: ١١.

وهم قوم صالح عليه السلام ومسكنهم الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى في الطريق الموصل بين المدينة وتوبك.

معجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٩٢.

(٢) ذكر في الأعراف: ٨٥، والتوبة: ٧٠، وهود: ٨٤، ٩٥. وطه: ٤٠، والحج: ٤٤، والقصص: ٢٢، ٢٣، ٤٥، والعنكبوت: ٣٦.

هم قوم شعيب، كانوا يسكنون مدينتهم (مدين) التي هي قرية من أرض معان من أطراف الشام، مما يلي ناحية الحجاز قريباً من بحيرة قوم لوط. و(مدين) مدينة عرفت بها القبيلة، وهم من بني مدين بن مديان بن إبراهيم الخليل.

انظر: البداية والنهاية: ٢/٢٠٠.

(٣) ذكر في سورة قريش: ١.

وهي قبيلة عربية نزلت بمكة واستطاعت أن تتغلب على قبيلة خزاعة التي هاجرت من اليمن عقب سيل العرم، وسميت قريشاً لأنهم أصحاب تجارة ولم يكونوا أصحاب زرع ولا ضرع.

انظر: معجم البلدان: ٤/٣٣٦ مادة: (قريش)، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٤٢٢.

(٤) ذكر في سورة الروم: ٢.

والروم اسم لأمة عظيمة من ولد روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام. وحدود الروم شرقاً وشمالاً الترك والخزر والروس، وجنوباً الشام والإسكندرية، وغرباً البحر والأندلس.

انظر: معجم البلدان: ٣/٩٨: مادة: (روم). ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٢١٥.

(٥) تكلمة من الإتيان: ٧٢/٤ من زيادة محققة.

(٦) ساقط من (هـ) و(ح) وما أثبتته من الإتيان: ٧٢/٤.

(٧) ذكر في القرآن في الأعراف: ٦٩. والتوبة: ٧٠. وهود: ٨٩. وإبراهيم: ٩. والحج: =

وقوم لوط^(١)، وقوم تبع^(٢)، وقوم إبراهيم^(٣)، وأصحاب الأيكة^(٤)، وقيل: هم مدين، وأصحاب الرس^(٥). وهم بقية من ثمود. قاله ابن عباس^(٦) - رضي الله تعالى عنهما -.

وقال عكرمة^(٧): هم أصحاب ياسين، وقال قتادة: هم قوم شعيب. وقيل: أصحاب الأخدود. واختاره ابن جرير^(٨).

[أسماء الأصنام]^(٩):

وفيه من أسماء الأصنام التي كانت أسماء لأناس: ود، وسواع، ويغوث، ونسر، وهي أصنام قوم نوح^(١٠).

= ٤٢. والفرقان: ٣٧. والشعراء: ١٠٥. وص: ١٢. وغافر: ٥، ٣١. وق: ١٢. والذاريات: ٤٦. والنجم: ٥٢. والقمر: ٩.

(١) ذكر في القرآن سبع مرات: هود: ٧٠، ٧٤، ٨٩. والحج: ٤٣. والشعراء: ١٦٠. وص: ١٣. والقمر: ٣٣.

(٢) ذكر في القرآن مرتين: الدخان: ٣٧. وق: ١٤.

(٣) ذكر في القرآن الكريم مرتين: التوبة: ٧٠. والحج: ٤٣.

(٤) ذكرت في القرآن الكريم في سورة الحجر: ٧٨.

هم قوم شعيب أيضاً، وقد كانوا يسكنون قرية (الأيكة) وسميت بذلك؛ لأنها كانت ذات غياض ورياض وشجر مشمر، وكانت قريباً من (مدين).

انظر: معجم البلدان: ٢٩١/١، ومعجم الألفاظ القرآنية: ٢٨٤.

(٥) ذكرت في سورة الفرقان: ٣٨. وسورة ق: ٣٨. والرس: هو بئر لم تطو.

قال الشوكاني: في فتح القدير: ٧٦/٤.

الرس في كلام العرب: البئر التي تكون غير مطوية، والجمع رساس.

سموا بأصحاب الرس لأنهم رسوا فيها نبيهم أي دفنوه فيها، والمرسل إليه نبياً هو حنظلة بن صفوان. ومسكنهم (حضور) وهي جبل وبلد باليمن.

انظر: تاريخ دمشق: ١١، والبداية والنهاية: ٢٤٦/١، والقاموس المنحيط مادة:

(حضر): ١١/٢.

(٦) وفي تفسير ابن جرير: ١٠/١٩، وتفسير ابن كثير: ١٥٢/٥. قال ابن جرير عن

ابن عباس: هم أهل قرية من قرى ثمود.

(٧) المصدر السابق.

(٨) في تفسيره: ١٠/١٩.

(٩) تكملة من الإتيان: ٧٢/٤ من زيادة محققة.

(١٠) ذكرت في سورة نوح: ٢٣.

والللات^(١)، والعزى^(٢)، ومناة^(٣) وهي أصنام قريش.
وكذا الرُّجْز، فيمن قرأ بضم الراء^(٤)، [ذكر]^(٥) الأُخْفَش في كتاب «الواحد
والجمع»: أنه اسم صنم^(٦).

= كما في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب ﴿وَدَا وَلَا سُوَاعًا﴾:
٧٣/٦ يأتي ذكره في صفحة (٦٩).

(١) ذكرت في سورة النجم: ١٩.

والللات: اسم صنم كان لثقيف، كان اسم رجل صالح اعتاد أن يلت السوق على حجر
ليطعم الجائع من الحاج فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه.

انظر: تفسير ابن كثير: ٤٥٣/٦، وفتح الباري: ٤٧٠/٨، ومعجم الألفاظ والأعلام
القرآنية: ٤٨٠.

(٢) ذكرت في سورة النجم: ١٩.

والعزى: هي شجرة عليها بناء وأستار بنخلة، وهي بين مكة والطائف، كانت قريش
يعظمونها كما أبو سفيان يوم أحد: أنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ:
«قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم». فبعث الرسول ﷺ خالد بن الوليد بعد الفتح فقطعها.

انظر: تفسير ابن كثير: ٤٥٤/٦، وتفسير ابن الجوزي: ٧٢/٨، وتفسير الشوكاني: ٥/
١٠٨.

(٣) ذكر في سورة النجم: ٢٠.

وهي صنم كانت منصوبة بين مكة والمدينة بالمشلل عند قديد، وكانت خزاعة والأوس
والخزرج في جاهليتها يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة.

انظر: تفسير ابن كثير: ٤٥٤/٦، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٥٠٧.

(٤) وهي قراءة الحسن، وأبو جعفر، وشيبة، وعاصم، ويعقوب، وابن محيضر، وابن
السميفع.

انظر: التيسير في القراءات السبع للداني: ٢١٦، والنشر في القراءات العشر لابن

الجزري: ٣٩٣/٢، وزاد المسير لابن الجوزي: ٤٠١/٨.

(٥) في (هـ) و(ح): «وكسرهما»، وما أثبتته من الإتيان: ٧٢/٤.

(٦) لم أعثر على مرجع كلام الأُخْفَش.

وفي زاد المسير لابن الجوزي: ٤٠١/٨، قال أبو علي: قراءة الحسن بالضم - هكذا
«الرُّجْز» - وقال: هو اسم صنم.

ثم أورد ابن الجوزي أقوالاً في المراد بـ «الرجز».

أحدهما: أنه الأصنام والأوثان، قاله ابن عباس، ومجاهد وغيرهما.

والثاني: أنه الإثم، روي عن ابن عباس أيضاً.

والثالث: الشرك، قاله ابن جبير، والضحاك.

الرابع: الذنب، قاله الحسن.

والجبت^(١) والطاغوت^(٢) قال ابن جرير^(٣): وذهب بعضهم أنهما صنمان، وكان المشركون يعبدونهما.

ثم أخرج^(٤) عن عكرمة قال: الجبت والطاغوت صنمان.
والرشاد في قول الله ﷻ في سورة (غافر): ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾
[غافر: ٢٩] وقيل: هو صنم^(٥) من أصنام فرعون حكاها الكرمانى في عجائبه.
وبعل^(٦): وهو صنم قوم إلياس.

= والخامس: العذاب، قاله ابن السائب، قال الزجاج: الرجز في اللغة العذاب. ومعنى الآية: أهدر ما يؤدي إلى عذاب الله.

والسادس: الشيطان، قاله ابن كيسان.

قال ابن كثير في تفسيره: ١٥٤/٧.

وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبسه ﷻ من ذلك، كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّجَىٰ أَيْقَىٰ اللَّهُ وَلَا يُطِيعُ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١].

(١) ذكر في سورة النساء: ٥١.

وهو اسم صنم، ثم استعمل في كل ما عبد من دون الله من شيطان أو ساحر أو كاهن والجبت السجر أيضاً.

انظر: المفردات للراغب: ٨٥ مادة: (جبت)، وتفسير ابن كثير: ٣١٥/٢، ومعجم الألفاظ القرآنية: ٩٥.

(٢) ذكر في البقرة: ٢٥٦، ٢٥٧، والنساء: ٥١، ٦٠، ٧٦. والمائدة: ٦٠، والنحل: ٣٦. والزمر: ١٧.

والطاغوت يذكر ويؤنث: الطاغى المعتدي، أو هو كل رأس في الضلال يصرف الناس عن طريق الخير، أو هو كل ما يعبد من دون الله من الجن والإنس والأصنام.

انظر: المفردات للراغب: ٣٠٤، ٣٠٥، وتفسير ابن كثير: ٣١٦/٢، ومعجم الألفاظ القرآنية: ٣٠٢.

(٣) في تفسيره: ٨٣/٥.

(٤) في تفسيره: ٨٣/٥.

(٥) ما ذكره الكرمانى لا أساس له من الصحة، فإن الرشاد هنا بمعنى الحق والصدق والرشد والهدى، وهذا دليل على أن فرعون افتري وخان الله ورسوله ورعيته وما نصحهم، وإن كان قومه قد أطاعوه واتبعوه، قال تعالى: ﴿وَأَسْلَفَ فرعونُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾ ﴿٧٦﴾ [طه: ٦٩].

انظر: تفسير ابن كثير: ١٣٧/٦، وتفسير ابن الجوزى: ٣١٩/٧.

(٦) ذكر في الصفات: ١٢٥.

وهو صنم قوم إلياس كما قال تعالى: ﴿وَلِإِنَّ إِيَّاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ [الصفات: ١٢٣ - ١٢٥].

وآزر^(١) على أنه اسم صنم^(٢).

وروى البخاري^(٣) عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر: أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إليهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصباً^(٤) وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، [حتى إذا هلك]^(٥) هؤلاء وتنسخ العلم عبت.

أقول^(٦): ما وقع من ذكر نوح في قوله «من قوم نوح» سهو والله أعلم، (فإن نوحاً)^(٧) هو المحاج والمنكر على عبدة يغوث، ويعوق، ونسر، وهو المبعوث إليهم والقائلون في جوابهم له تحريضاً لقومهم: ﴿وَلَا تَدْرَنَ وَدًا وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢٣، ٢٤]، فدل سياق القرآن، على أن عبادة ود، وسواع، ويغوث، ونسر سابقة على زمن نوح ﷺ فلا يصح أن يكون أسماء جماعة من قومه، ولعل الواقع أنهم من قوم إدريس

(١) ذكر في الأنعام: ٧٤.

(٢) وهو رواية عن ابن عباس.

انظر: تفسير ابن كثير: ٥٢/٣ وقد ذكرت في الهامش: ٦٢ على أنه اسم أبي إبراهيم فليراجع إليه.

(٣) في صحيحه بلفظ: عن ابن عباس ﷺ صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد: أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع أسماء رجال صالحين... الحديث كما في المتن.

صحيح البخاري كتاب التفسير باب ﴿وَدًا وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾: ٧٣/٦.

(٤) أنصباً: جمع نصب، وهو حجر أو صنم ينصب تخليداً لذكرى رجل أو غيره. هلك أولئك: مات الذين نصبوا الأنصاب، وكانوا يعلمون لماذا نصبت، تنسخ العلم: زالت معرفة الناس بأصل نصبها، والمعنى الذي نصبت من أجله.

شرحه د. مصطفى البغا في هامش الإتيان بتعليقه: ١٠٧٩/٢.

(٥) في الإتيان: ٧٢/٤: (فإذا هلك)، وفي (هـ) و(ح): «فلما هلك» وما أثبتته من

صحيح البخاري: ٧٣/٦.

(٦) القائل هو المؤلف.

(٧) في (هـ) و(ح): «فإن نوح» وهو تصحيف.

لا نوح، فجري ذكر نوح سهواً^(١).

وقد ثبت في بعض الأخبار أن عبادة الأصنام كانت بعد إدريس، وسببها أنه كان قوم صالحون علماء من أتباع إدريس ﷺ فلما ماتوا صور أتباعهم على أشكالهم صوراً يتبركون بها، فأقاموا على ذلك مدة، ثم انقرضوا طبقة بعد طبقة إلى أن عبدها قوم آخرون واتخذها آلهة.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عروة: أنهم كانوا أولاد آدم لصلبه^(٢).
وأخرج البخاري^(٣) عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - وحكاة ابن جني عنه: أنه قرأ «اللات» [النجم: ١٩] بتشديد التاء، وفسره بذلك، وكذا أخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد^(٤).

[أسماء البلاد والأمكنة]^(٥):

وفيه من أسماء البلاد والبقاع والجبال والأمكنة: (بكة)^(٦) اسم للمكة،

(١) ما ذكره المؤلف - رحمه الله تعالى - من أن «وَدًا»، و«سَوَاءًا»، و«يَقُوتَ»، و«وَيْعُوتَ»، و«نَسْرًا» من قوم إدريس لا نوح، يرده ما رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب «وَدًا وَلَا سَوَاءًا»: ٧٣/٦. عن ابن عباس قال: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد... الحديث.

(٢) نقلاً عن فتح الباري كتاب التفسير، باب «وَدًا وَلَا سَوَاءًا» [نوح: ٢٣]: ٥٢١/٨، وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٩/٦ بنحوه. وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن عروة. قلت: هذا كلام لا أساس له من الصحة، فقد ذكرنا أنهم من قوم نوح ﷺ كما في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب «وداً، ولا سواعاً...»: ٧٣/٦.

(٣) في صحيحه: كتاب التفسير، باب «أَفْرَهَيْمُ أَلَّتْ وَالْعُرَى» [النجم] صحيح البخاري: ٥١/٦.

(٤) لم أجد ما حكاة ابن جني، بل نقلت عن ابن حجر.

قال في فتح الباري: ٤٧١/٨، كتاب التفسير، باب «أَفْرَهَيْمُ أَلَّتْ وَالْعُرَى» [النجم]: ... وكان مجاهد يقرأ: «أَلَّتْ» مشددة. وانظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ١٤٧.

(٥) زيادة من محقق الإتيقان. انظر: الإتيقان: ٧٢/٤.

(٦) لفظ: (بكة) ذكر في آل عمران: ٩٦، ولفظ: (مكة) في الفتح: ٢٤.

قال الراغب في مفرداته: ٧٤: (بكة) هي (مكة) عن مجاهد، وجعله نحو سبد رأيه وسمده... وفي كون الباء بدلاً من الميم. وانظر: معجم البلدان: ٤٧٥/١ مادة: (الباء مع الكاف).

فقبل الباء بدل من الميم ومأخذه من تمككت العظم أي اجتذبت ما فيه من
المخ، وتملك الفيصل ما في ضرع الناقة؛ فكأنها تجتذب إلى نفسها ما في
البلاد من الأوقات^(١).

وقيل: لأنها تملك الذنوب أي تذهبها.

وقيل: لقلّة مائها.

وقيل: لأنها في بطن واد تملك الماء من جبالها عند نزول المطر وتنجذب
إليها السيول.

وقيل: الباء أصل، ومأخذه من البك، لأنها تبك أعناق الجبابرة أي
تكسرهم فيذلون ويخفضون.

وقيل: من الباك، وهو الازدحام لازدحام الناس فيها في الطواف^(٢).

وقيل: (مكة) الحرم، و(بكة) المسجد خاصة^(٣).

وقيل: (مكة) البلد، و(بكة) البيت وموضع الطواف^(٤).

وقيل: البيت خاصة^(٥).

و(المدينة): وسميت في الأحزاب ب(يثر) ^(٦) حكاية عن المنافقين، وكان
اسمها في الجاهلية.

(١) انظر: تفسير الشوكاني: ٣٦٢/١.

(٢) وفي المفردات للراغب: ٧٤ مادة: (الباء مع الكاف): وسمي بذلك من التباك أي
الازدحام، لأن الناس يزدحمون فيه للطواف.

وقيل: سميت مكة بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة إذا أهدوا فيها بظلم.

وانظر: تفسير ابن كثير: ٧٥/٢، وتفسير الشوكاني: ٣٦٢/١.

(٣)(٤)(٥) وفي تفسير الشوكاني: ٣٦٢/١: و(بكة) اسم علم للبلد الحرم كله، وكذا
(مكة) وهما لغتان، وقيل: إن (بكة) اسم لموضوع البيت، و(مكة) اسم للبلد الحرم،
وقيل: (بكة) للمسجد، و(مكة) للحرم كله.

قلت: والقول الذي يطمئن إليه القلب هو: أن (بكة) هي من أسماء (مكة)، فإن لمكة
أسماء كثيرة.

قال ابن كثير في تفسيره: ٧٥/٢: بكة من أسماء مكة على المشهور... وقد ذكروا
لمكة أسماء كثيرة: مكة، وبكة، والبيت، العتيق والبيت الحرم، والبلد الأمين... وأم
القرى...

(٦) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا...﴾

[الأحزاب: ١٣].

وقيل: إنه اسم أرض هي من ناحيتها^(١).

وقيل: سميت بيثرب بن وائل من بني إرم بن سام بن نوح؛ لأنه أول من نزلها، وقد صح النهي عن تسميتها به^(٢)، لأنه ﷺ يكره الاسم الخبيث، وهو يشعر بالثرب وهو الفساد أو التثريب وهو التويخ. (بدر)^(٣): وهي قرية قرب المدينة^(٤).

أخرج ابن جرير^(٥) عن الشعبي قال: كانت بدر لرجل من جهينة يسمى بدرأ، فسميت به.

قال الواقدي: فذكرت ذلك لعبد الله بن جعفر ومحمد بن صالح فأنكراه، وقالوا: فلأبي شيء سميت الصفراء، ورباغ!! هذا ليس بشيء إنما هو

وذكر لفظ (المدينة) في التوبة: ١٠١، ١٢٠، والأحزاب: ٦٠، والمنافقون: ٨.

(١) في الإتيان: ٧٣/٤: فقيل: لأنه اسم أرض في ناحيتها.

وفي تفسير ابن جرير: ١٣٥/٢١: (يثرب): اسم أرض، فيقال: إن مدينة رسول الله ﷺ في ناحية يثرب.

(٢) روى الإمام أحمد في مسنده: ٢٨٥/٤: عن البراء بن عازب ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله ﷻ، هي طابة، هي طابة».

قال ابن كثير في تفسيره: ٤٣٤/٥، بعد إيراده هذا الحديث: تفرد به الإمام أحمد، وفي إسناده ضعف، والله أعلم.

وقد جاء تسميتها يثرب في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب، باب علامة النبوة في الإسلام: ١٨٢/٤ - ١٨٣، ومسلم في صحيحه: كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ: ٥٦/٧: من حديث أبي موسى الأشعري: عن النبي ﷺ قال: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي - أي ظني - إلى أنها اليمامة - بلد من بلاد الحجاز - أو هجر، أي مدينة في اليمن، فإذا هي المدينة يثرب». وفي معجم البلدان: ١٣٠/٥ باب الباء والثاء وما يليهما.

يثرب مدينة رسول الله ﷺ، سميت بذلك؛ لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب بن قانية بن إرم بن سام بن نوح ﷺ، فلما نزلها رسول الله ﷺ سماها طيبة وطابة كراهية للتثريب... قال ابن عباس: «من قال للمدينة يثرب فليستغفر ثلاثاً إنما هي طيبة».

(٣) اللفظ وارد في آل عمران: ١٢٣ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ...﴾.

(٤) وفي معجم البلدان: ٣٥٧/١ باب الباء والذال وما يليهما: وبدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء بينه وبين الجار - وهو ساحل البحر - ليلة. وهي الآن مدينة عامرة.

(٥) في تفسيره: ١٧٠/٧.

اسم الموضع^(١).

- وأخرج عن الضحاك قال: (بدر) ماء بين مكة والمدينة^(٢).
(أحد): قرئ شاذاً: «إذ تصعدون ولا تلوون على أحد»^(٣).
(حنين)^(٤): وهي قرية قرب (الطائف) [وعرفات]^(٥).
(جمع)^(٦): وهي (مزدلفة)، و(المشعر الحرام)^(٧) وهو جبل بها.
(الحجر)^(٨): [منازل ثمود ناحية (الشام) عند وادي القرى]^(٩).
(الأحقاف)^(١٠): وهي جبال الرمل بين (عمّان)^(١١) و(حضر موت)^(١٢)(١٣).

(١) أي: ولا يشترط أن يكون هناك سبب لتسميتها، كما سمي غيرها من المواضع كالصفراء ورابع، ولا سبب لتسميتها بذلك.

(٢) تفسير ابن جرير: ١٧١/٧، بلفظ: بدر ماء عن يمين طريق مكة، بين مكة والمدينة.

(٣) اللفظ المتواترة: (على أحد)، وعلى هذا فلا تسمية لأحد في القرآن.

(٤) اللفظ وارد في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُرُوكُكُمْ فَلَمْ تَفْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا...﴾

[التوبة: ٢٥].

وفي معجم البلدان: ٣١٣/٢: حنين قريب من مكة. وقيل: هو واد قبل الطائف.

(٥) ساقط من الإتيان: ٧٣/٤.

(٦) لم أجد لها تسمية في القرآن.

(٧) اللفظ وارد في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَقْبَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ

الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨].

وسمي مشعراً؛ لأنه من معالم الحج، ووصف بأنه داخل حرم مكة.

انظر: معجم الألفاظ القرآنية: ٢٧٠.

(٨) اللفظ وارد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْمَجْرِ الْأَثَرِيِّينَ﴾ [الحجر: ٨٠].

الحجر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام، وكان أصحاب الحجر قد

نحتوا بيوتهم من الحجر، وهو من وادي القرى على يوم بين جبال.

انظر: معجم البلدان: ٢٢١/٢، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٢١٧.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ٧٣/٤.

(١٠) واللفظ وارد في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَنَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرْتُ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ...﴾ [الأحقاف: ٢١].

(١١) عمان: بالفتح ثم التشديد وآخره نون، بلد في طرف الشام وكانت قسبة أرض

البلقاء، وهي الآن عاصمة الأردن.

انظر: معجم البلدان: ١٥١/٤.

(١٢) حضر موت: بالفتح ثم السكون، وفتح الراء والميم اسمان مركبان. وهي ناحية واسعة في شرقي

عدن بقرب البحر، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، وبينها وبين صنعاء اثنا وسبعون فرسخاً.

انظر: معجم البلدان: ٢٦٩/٢.

(١٣) وفي معجم البلدان: ١١٥/١: الأحقاف: واد بين عمان وأرض مهرة، وقيل: =

و(نقع): [في قوله تعالى: ﴿فَأَثَرُنَّ بِهِ نَقْعًا﴾] [العاديات: ٤] [١] قيل: اسم لما بين (عرفات) إلى (مزدلفة). حكاها الكرمانى.
 و(مصر)^(٢)، و(بابل)^(٣): وهي قرية^(٤) بسواد (العراق).
 و(الأيكة)^(٥)، و(ليكة) بفتح اللام بلد قوم شعيب، والثاني: اسم البلدة، والأول اسم الكورة^(٦).

= رمال مشرفة على البحر بالشجر من أرض اليمن، وقيل: هي رمل فيما بين عمان إلى حضرموت قال صاحب معجم البلدان: «وهذه ثلاثة أقوال غير مختلفة في المعنى». وقد اخترت قول ابن زيد وابن جرير فيه أي الأحقاف في النوع ١٣٦، وهي ما وصفت من الرمال المستطيلة الشرفة، سواء كانت جبلاً بالشام، أو واد بين عمان وحضرموت، أو رمال بالشجر.

انظر: تفسير ابن جرير: ١٦/٢٦، وتفسير ابن كثير: ٤/١٦٠.

(١) ولم ترد كلمة «نقع» في القرآن إلا في هذه الآية، والمراد به: الغبار الذي تثيره الخيل أثناء سيرها. وما بين المعقوفين ساقط من الإتيان: ٧٣/٤.

(٢) ذكر في البقرة: ٦١. ويونس: ٨٧. ويوسف: ٢١، ٩٩. والزخرف: ٥١.

وهي: بلد قديم ذو تاريخ عريق، وهي من فتوحات عمرو بن العاص في أيام عمر، بعد عهود طويلة من حكم الفراعنة، وقد عاش فيها أنبياء من بني إسرائيل: يوسف، وموسى، وعيسى عليهم السلام، ودخلها من قبل إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام.

انظر: معجم البلدان: ١٣٧/٥، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٤٩٩.

(٣) ذكر في البقرة: ١٠٢.

(وبابل): بلد قديم ب(العراق) على الجانب الأيسر من نهر الفرات قرب (الكوفة)، كان لها تاريخ حافل في العصور الخالية، وينسب إليها السحر، وإلى ذلك أشار القرآن في (البقرة): ١٠٢.

انظر: معجم البلدان: ٣٩/١، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٤٥٦.

(٤) في الإتيان: ٧٣/٤: «بلد».

(٥) ذكر في الحجر: ٧٨. والشعراء: ١٧٦. وص: ١٣. وق: ١٤.

(الأيكة): الشجرة كثيرة الأغصان، وكانت أرض مدين (قوم شعيب) كثير الأشجاء الملتفة الأغصان في البقعة الواقعة بين ساحل البحر الأحمر وجنوب الشام؛ ولذا سمي قوم شعيب بأصحاب (الأيكة).

انظر: معجم البلدان: ٢٩١/١، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٥٤.

(٦) (الكورة): تطلق على المدينة وعلى الصقع من الأرض، وهو الناحية منها.

و(الأيكة)، و(ليكة) قرئ بهما في المتواتر من القراءات أما: (ليكة) فهي قراءة الحرابين وابن عامر و(الأيكة) هي قراءة الباقيين.

انظر: التيسير في القراءات السبع: ١٦٦.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما -: إنها جبل بالشام^(١).

أقول^(٢): (الحجر) هي مدائن قوم صالح، وهي أرض (بلقاء)^(٣)، و(الأحقاف) كما قيل: بحضرموت.

و(طور سيناء)^(٤): وهو الجبل^(٥) [الذي نودي منه موسى]^(٦).

و(الجودي)^(٧): وهو جبل بالجزيرة.

و(طوى)^(٨): اسم الوادي، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما -^(٩).

(١) وأخرج ابن جرير في تفسيره: ٢٢/٢٦: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: الأحقاف: جبل بالشام. وفي تفسير الشوكاني: ٢٤/٥: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه قال: الأحقاف: جبل بالشام.

(٢) كلام المؤلف.

قلت: ما ذكره المؤلف من أن الحجر مدائن قوم صالح، وهي أرض بلقاء صحيح؛ لأن بلقاء هي كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، وسمي الحجر لأن قوم صالح نحتوا بيوتهم من الحجر. انظر: معجم البلدان: ٤٨٩/١، ٢٢١/٢.

(٣) البلقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة، وبجودة حنطتها يضرب المثل. انظر: معجم البلدان: ٤٨٩/١.

(٤) واللفظ وارد في قوله تعالى: ﴿وَسَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، و(طور سيناء): الجبل الذي نودي منه موسى رضي الله عنه وهو جبل بالشام. وهو طور أضياف إلى سيناء. انظر: معجم البلدان: ٤٨/٤.

(٥) في (هـ) و(ح): «جبل»، وما أثبتته من الإتيان: ٧٣/٤.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته في الإتيان: ٧٣/٤.

(٧) واللفظ وارد في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]. وفي معجم البلدان: ١٧٩/٢. الجودي: ياؤه مشددة: هو جبل مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من أعمال الموصل، عليه استوت سفينة نوح عليه السلام لما انضب الماء. وانظر: تفسير الشوكاني: ٥٠٠/٢.

(٨) ذكر في طه: ١٢. والنازعات: ١٦. هو اسم الوادي المبارك الذي هبط فيه موسى رضي الله عنه بطور سيناء، وكلمه فيه رب العزة عليه السلام. وهو موضع بالشام عند الطور. انظر: معجم البلدان: ٤٥/٤، ومعجم الألفاظ: ٣٢٠، وتفسير الشوكاني: ٣٥٨/٣.

(٩) ذكره الشوكاني في تفسيره: ٣٦١/٣، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

وأخرج من وجه آخر عنه: إنه سمي طوى؛ لأن موسى طواه ليلاً^(١).
وأخرج عن الحسن قال: هو واد بـ(فلسطين) قيل له: طوى؛ لأنه قدس
مرتين^(٢).

وأخرج عن ميشير بن عبيد قال: هو واد بأيلة، طوى بالبركة مرتين^(٣).
و(الكهف)^(٤)، و(الرقيم)^(٥):

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: زعم
كعب أن (الرقيم): القرية التي خرجوا منها^(٦).

وعن عطية قال: (الرقيم): واد^(٧).

[وعن سعيد بن جبير مثله.

وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس قال: (الرقيم) واد^(٨) بين
..... (عُسفان)^(٩).....

(١) ذكره الشوكاني في تفسيره: ٣/٣٦١ وعزاه إلى ابن حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه بلفظ:
أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه بالوادي المقدس طوى يعني الأرض المقدسة،
وذلك أنه مر بواديه ليلاً فطوى. طواه ليلاً أي قطعه سيراً في الليل وجازه.

(٢) أخرج ابن جرير في تفسيره: ١٦/١٤٦: عن الحسن قال: كان قدس مرتين.

(٣) قال ابن كثير في تفسيره: طوى هو اسم الوادي، وكذا قال غير واحد، فعلى هذا
يكون عطف بيان. وقيل: عبارة عن الأمر بالوطة بقدمه، وقيل: لأنه قدس مرتين وطوى له
البركة وكررت. والأول أصح كقوله: إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى...

(٤) وهو مذكور في الكهف: ٩، ١٠، ١١، ١٦، ١٧، ٢٥.

و(الكهف): المكان المنقور في الجبل، أو الملجأ يأوى إليه الإنسان والحيوان. وهو
الغار الواسع في الجبل، فإن كان صغيراً سمي غاراً.

انظر: تفسير الشوكاني: ٣/٢٧٢، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٤٦٢.

(٥) واللفظ وارد في الكهف: ٩.

(٦) وأخرجه ابن جرير في تفسيره: ١٥/١٩٥: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: يزعم كعب أن
(الرقيم) القرية.

وفي تفسير الشوكاني: ٣/٢٧٣: وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنه قال: وسألت كعباً
فقال: اسم القرية التي خرجوا منها.

(٧) أخرج ابن جرير في تفسيره: ١٥/١٩٥، عن عطية قال: الرقيم: واد.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ٤/٧٤.

(٩) عُسفان: بضم أوله، وسكون ثانيه ثم فاء، وآخره نون: فعلان، من عسفت المفازة =

(وَأَيْلَةَ) ^(١) دون (فلسطين) ^(٢) ^(٣).

وعن قتادة قال: (الرقيم): اسم للوادي الذي فيه (الكهف) ^(٤) وعن أنس بن مالك قال: (الرقيم) الكلب ^(٥).

أقول ^(٦): والصحيح أن الكهف ^(٧) والرقيم ^(٨) معنيان مترادفان بمعنى واحد.

= وهو يعسفها، وهو قطعها بلا هداية ولا قصد، وسميت عسفان لتعسف السيل فيها؛ كما سميت الأبواء لتبوء السيل بها.

وهي قرية جامعة، بها منبر ونخيل مزارع على ستة وثلاثين ميلاً من مكة، وهي حد تهامة.

انظر: معجم البلدان: ١٢٢/٤.

(١) (أيلة): بالفتح: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: آخر الحجاز

وأول الشام.

انظر: معجم البلدان: ٢٩٢/١.

(٢) فلسطين: بالكسر ثم الفتح وسكون السين وطاء مهملة، وآخره نون.

وهي: آخر كور الشام من ناحية مصر، قصبته البيت المقدس، ومن مشهور مدنها:

(عسقلان)، و(الرملة)، و(غزة)، و(أريحا)، و(عمان)، و(يافا)، و(بيت جبرين).

انظر: معجم البلدان لياقوت: ٢٧٤/٤.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١٩٥/١٥ بلفظه، وذكره الشوكاني في تفسيره: ٣/

٢٧٣ ونسبه إلى ابن أبي حاتم نحوه.

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١٩٨/١٥، بلفظ: أن الرقيم: الوادي الذي فيه

أصحاب الكهف.

(٥) ذكره الشوكاني في تفسيره: ٢٧٣/٣ ونسبه إلى ابن أبي حاتم عن أنس.

وأنس بن مالك: هو: أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة، صحابي جليل، خدم

النبي ﷺ عند قدومه المدينة وكان صغيراً، سمع منه ومن كبار الصحابة، وشهد معه

الحديبية وعمرته والحج والفتح، رحل إلى دمشق والبصرة وتوفي بها سنة ٨٣هـ. انظر:

تذكرة الحفاظ: ٤٤/١، وتهذيب التهذيب: ٣٧٦/١.

(٦) كلام المؤلف.

(٧) قلت: والقول الذي يسكن به القلب ما ذهب إليه ابن جرير في تفسيره: ١٩٥/٥:

أن الكهف المراد هنا هو كهف الجبل الذي أوى إليه أصحاب الكهف.

(٨) هناك رأي جديد في المراد بـ«الرقيم»، وهو: أنه اسم البلد التي تجاور الكهف

الذي أوى إليه الفتية المؤمنون الذين لجئوا إليه محافظة على إيمانهم (أصحاب الكهف)،

وهي تقع على بعد نحو تسعة كيلو متر للجنوب الشرقي من مدينة عمان، والتي حرفت إلى

= «الرجيب» وهي كلمة بدوية؛ لأن البدو يلفظون القاف جيماً، ويقبلون الميم باء.

= حيث اكتشفت دائرة الآثار الأردنية بالتعاون مع رابطة العلوم الإسلامية بعمان موقع كهف أصحاب الكهف عام ١٩٦١م، وهو على بعد تسعة كيلو متر جنوب شرق عمان، وفي قربه بمائتي متر قرية «الرقيم» التي حرقها أهلها إلى «الرجيم». وهذا الاكتشاف التاريخي على موقع الكهف يستند بأدلة وقرائن دينية، وتاريخية، وأثرية.

أما الأدلة الدينية فلعل أهمها وأجدرها بالاعتبار انطباق آية الشروق المذكور في سورة الكهف: ١٧ على هذا الموقع تماماً، فقد جاء في الآية الكريمة: ﴿وَرَبِّيَ اشْتَمَسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوَعَ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ وهذا ينطبق كل الانطباق على هذا الكهف، فإنه يتجه إلى الناحية القبلية، والشمس تطل عليه حين تشرق وتبعث بأشعتها إلى مدخل بابه، ولكنها لا تنفذ إلى داخله حيث توجد الفجوة التي يقيمون فيها، ويستمر الوضع كذلك حتى الغروب.

ومن الأدلة الدينية: العثور على المسجد الذي ورد ذكره في سورة الكهف: ٢١ ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾. وقد عثر على هذا المسجد الذي أقيم فوق الكهف بعد إزالة الأنقاض، وظهرت سبعة أعمدة أثرية قديمة، ربما نصبت في هذا المسجد رمزاً لعدددهم.

وكذلك الفترة التي أخلدوا فيها إلى النوم، وهي ٣٠٠ سنة شمسية، و٣٠٩ سنة قمرية، قال تعالى: ﴿وَلْيَتُوبُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥]. وقد أيدتها الاكتشافات الأثرية.

وكذلك الفجوة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم سورة الكهف: ١٧، والتي وجدت في داخل الكهف وتمتد إلى أعلاه بواسطة نفق.

الأدلة التاريخية والأثرية:

وهي تستند في جملتها إلى ما رواه الصحابة، ومن جاء بعدهم، وعلماء المسلمين الذين زاروا هذا الموقع، وما ورد على ألسنة شعراء العرب في العصر الجاهلي.

فمن ذلك:

أن الصحابي عبادة بن الصامت بعثه الخليفة أبو بكر رسولاً إلى ملك الروم، يدعو إلى الإسلام، وأنه مر على مغارة فيها أجسام غير بالية ويعتنى بها في جبل الرقيم على مقربة من طريق القوافل بين الشام والحجاز (المواقع الذي تم اكتشافه يقع على طريق الشام والحجاز)، وهذه الرواية تدل على أن موقع الكهف كان معروفاً في صدر الإسلام.

ومما يذكر بهذا الصدد أن كلمتي (الكهف والرقيم) كانتا تردان على ألسنة القوم في الجزيرة العربية ففي شعر لامية بن أبي الصلت وردت هاتان الكلمتان في قوله:

ليس بها إلا الرقيم مجاوراً وصيدهم والقوم في الكهف هجد

= ومن المعلوم أن هذا الشاعر الجاهلي كان على دين أهل الكتاب ولعله عرف هذه القصة منهم.

و(العرم)^(١): أخرج ابن أبي حاتم عن عطاء قال: العرم اسم الوادي.
 و(حرد)^(٢): قال السدي: بلغنا أن اسم القرية حرداً، أخرجه ابن أبي حاتم.
 و(الصريم)^(٣): أخرج ابن جرير^(٤) عن سعيد بن جبير أنها أرض باليمن
 تسمى بذلك.

= وممن زاروا هذا الموقع وكتبوا عنه: الأمير أسامة بن منقذ من قواد صلاح الدين الأيوبي، والشيخ أبو الأعلى المودودي وغيرهما.

وهناك الكثير من العلماء، والمفكرين، والمؤرخين يؤيدون هذا الاكتشاف منهم: الشيخ عبد الرحمن النجار مدير عام المساجد بوزارة الأوقاف بمصر، والدكتور إبراهيم الخولي الأستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، والشيخ حازم أبو غزالة رئيس جمعية دار القرآن الكريم بالأردن، والأستاذ محمود العابدي مساعد مدير دائرة الآثار الأردنية، والأستاذ إحسان النمر الكاتب والمؤرخ المعروف وغيرهم.

وقد أيدت تلك الأدلة والأقوال الحفريات التي أجرتها دائرة الآثار العامة الأردنية في ذلك الموقع، والتي كشفت عن الأضرحة، والمسجد، والفجوة، وطرز البناء، والنقوش، والكتابات، والزخرفة، وكلها تدل دلالة صريحة على العصر الذي ظهروا فيه، وتتفق إلى حد بعيد مع ما جاء في القرآن الكريم، وما ورد من الروايات الإسلامية في مختلف العصور.
 انظر: كتاب: «أهل الكهف وظهور المعجزة القرآنية الكبرى» لمحمد تيسير ظبيان: ٤٣، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ١٢٢، ١٥١.

ولمزيد من المعرفة والتوسع حول هذا الاكتشاف التاريخي فليراجع هذا الكتاب، فقد أجاد مؤلفه وأتقن فيه.

(١) ذكر في: سبأ: ١٦. قال الشوكاني في تفسيره: ٣٢٠/٤: قال عطاء: (العرم) اسم الوادي. و(العرم): السيل الذي لا يطاق، والمطر الشديد، كما في مختار الصحاح للرازي مادة: (ع ر م): ٤٢٨.

(٢) ذكر في: القلم: ٢٥، وهو قوله تعالى: ﴿وَعَدَّوْا عَلَىٰ حَرٍِّ قَدِيدٍ﴾. قال الشوكاني في تفسيره: ٢٧٢/٥. قال الأزهري: (حرد) اسم قريتهم، وقال السدي: اسم جنتهم.

وقيل: معناه على قصد أو منع؛ وهو الصحيح الذي يناسب اللغة والسياق. قال السعدي في تفسيره: ٤٤٩/٧ عند تفسير هذه الآية ﴿وَعَدَّوْا﴾ في هذه الحالة الشنيعة، والقسوة، وعدم الرحمة ﴿عَلَىٰ حَرٍِّ قَدِيدٍ﴾ أي على إمساك ومنع لحق الله، جازمين بقدرتهم عليها.

(٣) ذكر في: القلم: ٢٠، وهو قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾.

(٤) في تفسيره: ٣١/٢٩ نحوه: عن سعيد بن جبير يقول: هي أرض باليمن يقال لها: ضروان، من صنعاء على ستة أميال.

و(ق)^(١): وهو جبل محيط بالأرض^(٢).

و(الجرز)^(٣): قيل: هو اسم أرض.

و(الطاغية)^(٤): قيل: اسم البقعة التي أهلكت [بها]^(٥) ثمود. حكاهما الكرمانى.

[أسماء الأماكن الآخروية]^(٦):

وفيه من أسماء الأماكن الآخروية: الفردوس^(٧) وهو: أعلى مكان في الجنة.

= قلت: إن هذا الرأي فاسد، والصواب: في المراد بـ«الصريم» هو المعنى اللغوي وهو الشيء الذي صرمت ثماره أي قطعت، فعيل بمعنى مفعول: ومعنى ﴿فَأَصْحَاتْ كَالصَّيْرِمْ﴾ أنها حرقت واسودت فصارت كالأرض المقطوعة النبات.. انظر: تفسير الشوكاني: ٢٧١/٥.

(١) ذكر في: سورة ق: ١.

(٢) قلت: والذي أميل أن (ق) من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه؛ لأنه من فواتح السور بالتهجي. وهذا الذي مال إليه الشوكاني في تفسيره.

انظر: تفسير الشوكاني: ٧١/٥.

(٣) ذكر في: الكهف: ٨. والسجدة: ٢٧.

وفي تفسير الشوكاني: ٢٥٧/٤ - ٢٥٨ بتقديم وتأخير قيل: هي أرض اليمن، وقيل: أرض عدن....

قال مجاهد: إنها أرض النيل؛ لأن الماء إنما يأتيها في كل عام.

قال المبرد: يبعد أن يكون لأرض بعينها لدخول الألف واللام.

قال الشوكاني: أصله من الجرز وهو القطع أي التي قطع نباتها لعدم الماء، ولا يقال للتي لا تنبت أصلاً كالسباخ جرز.

(٤) واللفظ وارد في قوله تعالى: ﴿فَأَنَّا ثَمُودُ فَأَقْبَلَكُمَا بَالطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥]. والطاغية صيحة العذاب التي أهلکوا بها.

(٥) ساقط من (ح).

(٦) تكملة من الإتيقان: ٧٥/٤، من زيادة محققه.

(٧) وهو مذكور في الكهف: ١٠٧، والمؤمنون: ١١.

كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده: ٣٣٥/٢، ٣٣٩، ٢٤١/٥، ٣٢١، وابن ماجه في سننه كتاب الزهد، باب صفة الجنة: ١٤٤٦/٢: عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين، كما بين السماء والأرض، أعلاها الفردوس، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس».

وعليون^(١): قيل: أعلى مكان في الجنة. وقيل: اسم لما ورد فيه أعمال صلحاء الثقلين.

والكوثر^(٢): نهر في الجنة، كما في الأحاديث المتواترة^(٣).

وسلسبيل^(٤)، وتسليم^(٥): عينان في الجنة.

وسجين^(٦): اسم لمكان أرواح الكفار.

(١) ذكر في: المطففين: ١٨، ١٩.

والظاهر أن «عليين» مأخوذ من العلو، وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع، وجائز أن يكون ذلك: الجنة أو سدرة المنتهى، أو السماء الرابعة، أو اسم لما ورد فيه أعمال الصالحين من الثقلين.

انظر: تفسير ابن جرير: ١٠٣/٣٠، وتفسير ابن كثير: ٤٨٦/٤.

(٢) ذكر في سورة الكوثر: ١

(٣) منها: ما رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب سورة ﴿إِنَّا أَنْطَيْنَاكَ الْكُوثُرَ﴾: ٩٢/٦ من حديث سعيد بن جبير: عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه، قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة. فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه.

جاء في كتاب «نظم المتنائر من الحديث المتواتر» للكتاني: ١٥٣ - الناشر دار المعارف سورية - أحاديث كثيرة، قال الحافظ عماد الدين بن كثير: تواترت من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث.

(٤) ذكر في: سورة الإنسان: ١٨ وهو قوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ وهو قول قتادة. أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٢٩/٢١٨. لكن ابن جرير اختار أن «السلسبيل» صفة للعين وصفت بالسلاسة في الحلق، وفي حال الجري، لإجماع أهل التأويل على أن قوله تعالى: ﴿سَلْسَبِيلًا﴾ صفة لا اسم.

انظر: المصدر السابق: ٢٩/٢٢٠.

(٥) ذكر في: سورة المطففين: ٢٧، ٢٨. وهو قوله تعالى: ﴿وَمِرْآةٍ مِنْ تَلْهِيمٍ﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ هو عين الجنة يمزج بها الرحيق لأصحاب اليمين وأما المقربون فيشربونها صرفاً، وهو قول عبد الله بن مسعود، ومسروق. ذكره ابن جرير في تفسيره: ٣٠/١٠٨.

(٦) اللفظ وارد في: المطففين: ٧، ٨.

أخرج ابن جرير في تفسيره: ٣٠/٩٤ عن ابن عمر قال: هي الأرض السفلى فيها أرواح الكفار وأعمالهم أعمال السوء.

وذكر ابن الجوزي الأقوال في «سجين» في تفسيره: ٥٤/٩:

أحدها: أنها الأرض السابعة، قاله مجاهد وغيره.

والصعود^(١): جبل في جهنم، كما أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد مرفوعاً.

وغى^(٢)، وأثام^(٣)،

= والثاني: أن المعنى أن كتابهم لفي سفال، قاله الحسن.
والثالث: لفي خسار، قاله عكرمة.

والرابع: لفي حبس، فاعيل من السجن، قاله أبو عبيدة.

قال ابن كثير في تفسيره: ٢٣٨/٨: والصحيح أن «سجيناً» مأخوذ من السجن، وهو الضيق، فإن المخلوقات كل ما تسافل منها ضاق، وكل ما تعالى منها اتسع، فإن الأفلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذي دونه، وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التي دونها حتى ينتهي السفول المطلق، والمحل أضيّق إلى المركز في وسط الأرض السابعة، ولما كان مصير الفجار إلى جهنم، وهي أسفل السافلين كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْتُهُ أَصْفَلِ سَفَلِينَ﴾ [١٣]، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [التين: ٥، ٦]، وقال هاهنا: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [٧]، ﴿وَمَا آذَرْتِكَ مَا يَحِينُ﴾ [٨]، [المطففين: ٧، ٨]. وهو يجمع الضيق والسفول، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣].

(١) واللفظ وارد في قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُمْ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧]. أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة جهنم باب، ما جاء في صفة النار: ٧٠١/٤.

وكتاب التفسير باب، ومن سورة المدثر: ٤٢٩/٥، من حديث أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال: «الصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفاً ثم يهوي عليه كذلك فيه أبداً». قال الترمذي هذا حديث غريب، إنما نعرفه من حديث ابن لهيعة، وقد روي شيء من هذا عن عطية عن أبي سعيد قوله، موقوفاً. قال ابن حجر عنه في التريب: ٤٤٤/١: ابن لهيعة صدوق، خلط بعد احتراق كتبه. وما دام الحديث في إسناده مقال، فالأحسن أن نرجع إلى معنى «الصعود» وهو المشقة، قال البيضاوي في تفسيره مع حاشية الشهاب: ٢٧٤/٨: ﴿سَأُرْهِقُهُمْ صَعُودًا﴾ [٧]، سأعشيه عقبه شاقة المصعد، وهو مثل ما يلقي من الشدائد.

(٢) ذكره في البقرة: ٢٥٦. والأعراف: ١٤٦، ٢٠٢. ومريم: ٥٩.

(٣) ذكر في الفرقان: ٦٨.

ذكر ابن الجوزي في زاد المسير أقوالاً في المراد بـ«أثام»:

قال ابن عباس: أثام: أي جزاء.

قال مجاهد وعكرمة: هو وادٍ في جهنم.

قال ابن قتيبة: أثام: عقوبة.

قال الزجاج: أثام: جزم على الجزاء.

قال سيويه والخليل في معنى «يَلْقَى أَثَامًا» [الفرقان: ٦٨]: يلقي جزاء الآثام، وإنما جزم

= يُضَاعَفُ لَهُ الْمَذَابُ [الفرقان: ٦٩] لأن مضاعفة العذاب لقي الأثام، فلذلك جزمت.

وموبق^(١)، وويل^(٢)، والسعير^(٣).

وسائل^(٤)، وسحق^(٥): أودية في جهنم.

أخرج ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ

= قلت: القول الذي تطمئن به النفس ما ذهب إليه سيويه والخليل.

ويأيد هذا ما قاله الراغب في المفردات: ١٠.

وقيل: معنى يلق أناماً: أي يحمله ذلك على ارتكاب آثام؛ وذلك لاستدعاء الأمور

الصغيرة إلى الكبيرة.

(١) ذكر في الكهف: ٥٢.

(٢) ذكر في البقرة: ٧٩. وإبراهيم: ٢. ومريم: ٣٧. والأنبياء: ١٨. وص: ٢٧. والزمر:

٣٢. وفصلت: ٦. والزخرف: ٦٥. والجمانية: ٧. والذاريات: ٦٠. والطور: ١١.

والمرسلات: ١٥، ١٩، ٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٥، ٤٧، ٤٩.

(٣) ذكر في النساء: ١٠. والإسراء: ٩٧. والحج: ٤. والفرقان: ١١. ولقمان: ٢١.

وسبأ: ١٢. وفاطر: ٦. والأحزاب: ٦٤. والشورى: ٧. الفتح: ١٣، والملك: ٥، ١٠،

١١. والإنسان: ٤.

(٤) ذكر في الذاريات: ١٩. والمعارج: ١، ٢٥. والضحي: ١٠.

قلت: إن هذا الرأي فاسد لا يؤيده دليل صحيح، ولا معنى لغوي، فإن الصواب هو

معناه اللغوي؛ فإن «سائل» من السؤال وهي اللغة الفاشية، وهو مضمن معنى الدعاء فلذلك

عدى بالباء، فمعنى قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ دعا داع على نفسه بعذاب

واقِع.

والسائل هو النضر بن الحارث، فقد روى الحاكم وصححه ووافقه الذهبي عن سعيد بن

جبير، ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ قال كائن ﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُم دَافِعٌ﴾ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ

﴿٢﴾ الدرجات، سأل سائل هو النضر بن الحارث بن كلدة، قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا

هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]، وهو ممن قتل يوم بدر

صبراً.

وقيل: السائل هو أبو جهل.

انظر: تفسير الشوكاني: ٢٨٨/٥.

(٥) من قوله تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١].

إن الذي قال: إن سُحْقاً هو وادٍ في جهنم يقال له السحق هو سعيد بن جبير وأبو

صالح، كما ذكره الشوكاني في تفسيره: ٣٦١/٥. ولكن هذا القول لا يؤيده دليل ولا معنى

لغوي، بل إن معناه اللغوي يرده. كما أن رواية أخرى تؤيد المعنى اللغوي، وهو أن سُحْقاً

معناه: بعداً، فمعنى الآية ﴿فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أي فبعداً لهم من الله ومن رحمته.

وأورد الشوكاني في تفسيره وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قوله

تعالى: «سُحْقاً» قال: بعداً. انظر: الشوكاني: ٢٦١/٥.

مَوْيِقًا ﴿الكهف: ٥٢﴾ قال: واد في جهنم من قيح^(١).

وأخرج عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿مَوْيِقًا﴾ قال: هو نهر في النار.

وأخرج الحاكم في مستدركه^(٢)، عن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]^(٣).

قال: واد في جهنم.

وأخرج الترمذي^(٤) وغيره^(٥) من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله تعالى عنه -

(١) ذكره الشوكاني في تفسيره: ٢٩٤/٣ وعزاه إلى ابن بي حاتم وغيره عن أنس قال:

«واد في جهنم من قيح ودم».

واختار ابن جرير في تفسيره: ٢٦٥/١٥: أن المراد بقوله تعالى: ﴿مَوْيِقًا﴾ أنه بمعنى المهلك وذلك أن العرب تقول في كلامها: قد أوبقت فلاناً: إن أهلكته. ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ يُوقَهُنَّ يَمًا كَسْبًا﴾ سورة الشورى: ٣٤، بمعنى يهلكن.

وهذا القول هو الذي تميل إليه النفس لدلالة معناه اللغوي.

(٢) المستدرک: كتاب التفسير، باب «سيهلك من أمتي أهل الكتاب وأهل اللين»: ٢/

٣٧٤، نحوه بلفظ: «عن عبد الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ قال: نهر في جهنم، بعيد القعر خبيث الطعم» قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

(٣) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٤٦/٥ أقوالاً في المراد بـ«الغي»:

أحدها: أنه واد في جهنم، رواه ابن عباس عن النبي ﷺ.

والثاني: أنه نهر في جهنم، قاله ابن مسعود.

والثالث: أنه الخسران، قاله ابن عباس.

والرابع: أنه العذاب، قاله مجاهد.

والخامس: أنه الشر، قاله ابن زيد.

والسادس: أن المعنى: فسوف يلقون مجازاة الغي، كقوله تعالى: ﴿يَلْقَىٰ أَثَامًا﴾ الفرقان:

١٨، أي مجازاة الآثام قاله الزجاج.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه كتاب التفسير باب: ومن سورة الأنبياء ﷺ: ٣٢٠/٥

واللفظ له مع اختلاف في آخره وهو «قبل أن يبلغ».

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث ابن لهيعة.

قال ابن حجر في التقریب: ٤٤٤/١ وعن ابن لهيعة - وهو عبد الله بن لهيعة المصري -:

ابن لهيعة صدوق، خلط بعد احتراق كتبه.

(٥) ورواه الحاكم في المستدرک كتاب التفسير، باب: المدثر: ٥٠٧/٢، وصححه

وأقره الذهبي.

عن رسول الله ﷺ قال: «ويل، واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً»^(١) قبل أن يقع قعره».

وأخرج ابن المنذر^(٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ويل واد في جهنم من قيح.

وأخرج ابن أبي حاتم عن كعب قال: في النار أربعة أودية يُعذبُ الله تعالى بها أهلها: غليظ، وموبق، وآثام، وغي^(٣).

وأخرج عن سعيد بن جبير قال: السعير واد من قيح، وسحق واد في جهنم^(٤).

(١) أربعين خريفاً: أي أربعين سنة، من تسمية الكل بالبعض.
(٢) وذكره السيوطي في الدر المنثور ٨٢/١، وعزاه إلى ابن منذر وغيره عن ابن مسعود قال: «ويل واد في جهنم يسيل منه صديد أهل النار»، وذكره أيضاً في المصدر السابق عن النعمان بن بشير قال: «الويل واد من قيح في جهنم».
وذكر ابن الجوزي في زاد المسير: ١٠٦/١ أقوالاً في المراد بـ«الويل».
أحدها: الحديث الذي رواه الترمذي في سننه ٣٢٠/٥، والحاكم في المستدرک: ٢/٥٠٧، وصححه وأقره الذهبي وغيرهما، عن النبي ﷺ قال: «ويل: واد في جهنم، يهوي الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره».
الثاني: قال الزجاج: الويل: كلمة تقولها العرب لكل من وقع في هلكة، وأصلها في اللغة: العذاب والهلاك.

الثالث: قال ابن الأنباري: يقال: معنى الويل: المشقة من العذاب.
(٣) ورد لفظ «غليظ» في القرآن وصفاً للعذاب، انظر: هود: ٥٨، وإبراهيم: ١٧، ولقمان: ٢٤، وفصلت: ٥٠.

ولفظ: «آثام» وارد في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ الفرقان: ٦٨. و«غي» مذكور في البقرة: ٢٥٦. والأعراف: ١٤٦، ٢٠٢. ومريم: ٥٩.
ولفظ «موبق» في الكهف: ٥٢.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ١٢٤/٢، وعزاه إلى ابن أبي حاتم وغيره عن سعيد بن جبير.

قلت: إن هذا واضح البطلان، فإن معنى «السعير» اللغوي هو: الجمر المشتعل وهو أشد الحريق، يقال: سعرت النار فهي مسعورة. وفي مختار الصحاح مادة «س ع ر» ص ٢٩٩: (سعر) النار والحرب هيجها وألهبها... والسعير النار. فمعنى قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ أي: وأعدنا للشياطين في الآخرة بعد الإحراق في الدنيا بالشهب عذاب السعير أي عذاب النار.

انظر: تفسير الشوكاني: ٢٦٠/٥.

وأخرج عن (ابن زيد)^(١) في قوله تعالى: ﴿سَأَلَّ سَائِلٌ﴾ [المعارج: ١] قيل: هو واد من أودية جهنم. [يقال له سائل^(٢)] ^(٣).

[والفلق: جب في جهنم]^(٤) في حديث مرفوع أخرجه ابن جرير ^(٥).

ويحموم^(٦): [دخان أسود، أخرجه الحاكم عن ابن عباس]^(٧).

= أما كلمة «السحق» فقد بينت بطلان الرواية فيها وإثبات معناه اللغوي. انظر: ٨٧.

(١) في «ه» و«ح» والإتقان: ٧٥/٤: «أبي زيد»، وما أثبتته من تفسير ابن جرير ٧٠/٢٩.

(٢) تكملة من الإتقان: ٧٥/٤.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٧٠/٢٩. عن ابن زيد قال: في قول الله تعالى: ﴿سَأَلَّ سَائِلٌ يَدَافِرُ وَاقِعٌ﴾ قال: قال بعض أهل العلم: هو واد في جهنم، يقال له: سائل.

قلت: فقد ناقشت هذا الرأي مع بيان معناه الصحيح في: ٨٧.

(٤) في «ه» و«ح» - بدل هذه الكلمات - «وأخرج عن أبي زيد» وما أثبتته من الإتقان:

٧٥/٤.

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٣٤٩/٣٠، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: قال:

«الفلق جب في جهنم مغطى».

قال الشوكاني في تفسيره: ٥١٩/٥: الفلق: الصبح، يقال: أبين من فلق الصبح. وسمي فلماً لأنه يغلق عند الليل، وهذا إيحاء إلى أن القادر على إزالة هذه الظلمات الشديدة عن كل هذا العالم يقدر أيضاً أن يدفع عن العائد كل ما يخافه ويخشاه.

وقيل: هو سجن في جهنم.

وقيل: هو اسم من أسماء جهنم.

وقيل: غير ذلك.

قلت: القول الأول الذي ذكره الشوكاني هو أولى بناء على المعنى اللغوي. وقد قال

الشوكاني: وهذا قول جمهور المفسرين.

(٦) ذكر في: (الواقعة: ٤٣). في قوله تعالى: ﴿وَطَلَّيْنِ يَحْمُومٍ﴾ ^(٤٣).

(٧) تكملة من الإتقان: ٧٥/٤.

أخرجه الحاكم في المستدرک: كتاب التفسير، باب «تفسير سورة الواقعة»: ٤٧٦/٢. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

قلت: واليحموم: يفعل من الأحم: وهو الأسود، والعرب تقول أسود يحموم: إذا

كان شديد السواد.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَطَلَّيْنِ يَحْمُومٍ﴾ ^(٤٣): أنهم يفرعون إلى الظل فيجدونه ظلاً من

دخان جهنم شديد السواد.

انظر: تفسير الشوكاني: ١٥٣/٥.

وفيه من المنسوب إلى [الأمكنة]^(١):
 الأمي^(٢): قيل: إنه نسبة إلى أم القرى مكة^(٣).
 وعبقرى^(٤): قيل: منسوب إلى عبقر، موضع للجن ينسب إليه كل نادر.
 والسامري^(٥): قيل: منسوب إلى أرض يقال لها سامرون. وقيل: سامرة.
 والعربي^(٦): قيل: منسوب إلى عرب^(٧)، وهي باحة دار إسماعيل عليه السلام وأنشد:

(١) في الإتيان: ٧٦/٤: «الأمكن».

(٢) لفظ «الأمي» ورد مفرداً في الأعراف: ١٥٧، ١٥٨، وورد جمعاً في البقرة: ٧٨، وآل عمران: ٢، ٧٥ والجمعة: ٢.

(٣) قلت: إن هذا الرأي ضعيف؛ لأن هذا اللفظ صفة للرسول صلى الله عليه وسلم الذي لا يكتب ولا يقرأ، وهذه الصفة إحدى معجزاته صلى الله عليه وسلم؛ لأنه تلا على أمته كتاب الله منظوماً، تارة بعد أخرى، بالنظم الذي أنزل عليه فلم يغيره ولم يبدل ألفاظه، وكان الخطيب من العرب إذا ارتجل خطبة ثم أعادها زاد فيها ونقص، فحفظه الله صلى الله عليه وسلم على نبيه كما أنزله، وأبانه من سائر من بعثه إليهم بهذه الآية التي باين بينه وبينهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَسْلُوًا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

والصواب: أن معنى «الأمي» المنسوب إلى ما عليه جبلته أمه؛ أي لا يكتب ولا يقرأ، أو المنسوب إلى الأمة الأمية التي لا تكتب ولا تقرأ ولا تحسب وهم العرب، ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ...﴾ [الجمعة: ٢].

انظر: اللسان مادة: «أمم» ٣٤/١٢، وفتح القدير: ٢٥٢/٢.

(٤) ذكر في: الرحمن: ٧٦. وهو قوله تعالى: ﴿مُتَكِينٍ عَلَى رُقْرُقٍ حُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾.
 عبقرى: موضع تزعمه العرب أنه موطن للجن، ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من خلقه أو جودة صنعته، فقالوا: عبقرى، وهو واحد وجمع.

انظر: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٣٢٨.

قلت: القول الذي تظمن به النفس ما ذكره الشوكاني: أن العبقرى عند العرب: كل جليل فاضل فاخر من الرجال والنساء.

انظر: تفسير الشوكاني: ١٤٣/٥.

(٥) ذكر في: طه: ٨٥، ٨٧، ٩٥.

والسامري: رجل فلسطيني من قبيلة السامرة، رحل إلى مصر بعد إقامة بني إسرائيل فيها.

انظر: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٢٥١.

(٦) ذكر في يوسف: ٢، والرعد: ٣٧، والنحل: ١٠٣، وطه: ١١٣، والشعراء:

١٩٥، والزمر: ٢٨، وفصلت: ٣، ٤٤، والشورى: ٧، والزخرف: ٣، والأحقاف: ١٢٠.

(٧) في الإتيان: ٧٦/٤: «عربة».

وعربة أرض ما يحل^(١) حرامها من الناس إلا اللوذعي الحلاحل^{(٢)(٣)}
يعني النبي ﷺ.

[أسماء الكواكب]^(٤):

وفيه من أسماء الكواكب: الشمس^(٥)، والقمر^(٦)، والطارق^(٧)،
والشعري^(٨).

(١) في «ها» و«ح»: «ما يؤكل»، وما أثبتته من الإتيان: ٧٦/٤.

(٢) اللوذعي: الرجل الظريف القوي الفؤاد.

والحلاحل: السيد الوقور. شرحه الدكتور مصطفى البغا في هامش الإتيان بتعليقه: ٢/١٠٨٥.

(٣) لم أعثر على قائله.

(٤) تكملة من الإتيان: ٧٦/٤، من زيادة محققه.

(٥) ذكر لفظ: «الشمس» في: البقرة: ٢٥٨، والأنعام: ٧٨، ٩٦، والأعراف: ٥٤،

ويونس: ٥، ويوسف: ٤، والرعد: ٢، وإبراهيم: ٣٣، والنحل: ١٢، والإسراء: ٧٨،

والكهف: ١٧، ٨٦، ٩٠، وطه: ١٣٠، والأنبياء: ٣٣، والحج: ١٨، والفرقان: ٤٥،

والزمر: ٥، ونوح: ١٦، والقيامة: ٩، والإنسان: ١٣، والتكوير: ١، والشمس: ١.

والشمس: هي النجم الملتهب الذي تنبعث منه الحرارة والضوء على الأرض وغيرها من الكواكب المحيط بها.

انظر: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية: ٢٧٥.

(٦) ذكر في الأنعام: ٧٧، ٩٦، والأعراف: ٥٤، ويونس: ٥، ويوسف: ٤، والرعد:

٢، وإبراهيم: ٣٣، والنحل: ١٢، والأنبياء: ٣٣، والحج: ١٨، والفرقان: ٦١،

والعنكبوت: ٦١، ولقمان: ٢٩، وفاطر: ١٣، ويس: ٣٩، ٤٠، والزمر: ٥، وفصلت:

٣٧، والقمر: ١، والرحمن: ٥، ونوح: ١٦، والمدثر: ٣٢، والقيامة: ٨، ٩،

والانشقاق: ١٨، والشمس: ٢.

وهو: الكوكب السيار الذي يستمد نوره من الشمس ويدور حول الأرض ويضيؤها ليلاً.

انظر: معجم الألفاظ القرآنية: ٤٣٥.

(٧) ذكر في: سورة الطارق: ١، ٢.

الطارق: هو النجم الثاقب، كما صرح به التنزيل، قال المفسرون: أقسم الله بالسماء

والطارق، يعني الكواكب تطرق بالليل وتخفى بالنهار.

انظر: فتح القدير للشوكاني: ٤١٨/٥.

(٨) ذكر في: (النجم: ٤٩) وهو قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ هُمْ رَبُّ الْقَمَرِ﴾.

الشعري: هي كوكب خلف الجوزاء كانت خزاعة تعبدها، والمراد بها الشعري التي

يقال لها: العبور، وهي أشد ضياء من الشعري التي يقال لها: الغميصاء.

فائدة [في أسماء الطير]^(١):

قال بعضهم: سمى الله جلّ شأنه في القرآن - عشرة أجناس من الطير: السلوى^(٢)، والبعوض^(٣)، والذباب^(٤)، والنحل^(٥)، والعنكبوت^(٦)، والجرادة^(٧)،

= انظر: فتح القدير للشوكاني: ١١٧/٥.

(١) تكملة من الإتيان: ٧٦/٤ من زيادة محققة.

(٢) ذكر في البقرة: ٥٧، والأعراف: ١٦٠، وطه: ٨٠.

والسلوى: طائر سمين مثل الحمام.

انظر: تفسير ابن جرير: ٢٩٦/١، وتفسير الشوكاني: ٨٧/١.

(٣) ذكر بلفظ «بعوضة» في: سورة البقرة: ٢٦.

والبعوضة: حشرة كالذبابة مؤذية عضوض تمتص الدم، وتسبب مرض الملاريا.

انظر: معجم الألفاظ القرآنية: ٧١.

(٤) ذكر في: الحج: ٧٣.

والذبابة: حشرة طائرة معروفة وهي التي في أحد جناحها الداء وفي الآخر دواء، ولذا أمر الرسول ﷺ إغماسها إذا وقعت في إناء ماء في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، باب: إذا وقع الذباب: ١٠٠/٤: «إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه، ثم لينزعه، فإن في أحد جناحيه داء، وفي الآخر شفاء».

(٥) في «ه» و«ح»: «النمل»، وهو تصحيف، حيث إنه فيهما مرتين، وما أثبتته من

الإتيان: ٧٦/٤.

وذكر في: النحل: ٦٨.

وهي: حشرة تربي للحصول على عسلها وشمعها، ولها نظام خاص تقسم الأعمال بينها، فبعضها يعمل الشمع وبعضها يعمل العسل وبعضها يبني البيوت. ولها رئيس يدير هذه الأعمال. وسمي نحلاً لأن الله تعالى نحلّه العسل الذي يخرج منه، والنحل والنحلة: الدبر يقع على الذكر والأنثى.

انظر: الحيوان للجاحظ: ٤١٩/٥ ط٢، وتفسير الشوكاني: ١٧٥/٣، ومعجم الألفاظ

القرآنية: ٥١٩.

(٦) ذكر في: العنكبوت مرتين الآية: ٤١.

وهي: دويبة صغيرة تنسج من لعابها في الهواء خيوطاً رقيقة وتصيد بهذا النسيج طعامها من الذباب وغيره. انظر: الحيوان للجاحظ: ٢٠٤/٥، وتفسير الشوكاني: ٢٠٤/٤، ومعجم الألفاظ القرآنية: ٣٦٠.

(٧) ذكر في: الأعراف: ١٣٣، والقمر: ٧.

والجراد اسم جنس، والواحدة: جرادة: وهي حشرة ذات أجنحة، تجرد الأرض وتآكل ما عليها من النبات ولا تبقى منه شيئاً.

انظر: معجم الألفاظ القرآنية: ٩٩.

والهدهد^(١)، والغراب^(٢)، وأبابيل^(٣).

والنمل^(٤): فإنه من الطير لقوله تعالى في شأن سليمان ﷺ: ﴿عَلَّمْنَا مَنَاطِقَ
الطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦] وقد فهم كلامها.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي قال: النملة التي فقه سليمان كلامها
كانت ذات جناحين^(٥).

(١) ذكر في: النمل: ٢٠.

والهدهد: طائر منتن الريح والبدن من جوهره وذاته، ويزعمون أنه هو الذي كان يدل
سليمان ﷺ على مواضع المياه في قعور الأراضي، إذا أراد استنباط شيء منها.
انظر: الحيوان للجاحظ: ٥١٠/٣ - ٥١٢.

(٢) ذكر في: المائدة، مرتين، الآية: ٣١، وفاطر: ٢٧.
بلفظ: (غرايب).

والغراب: طائر معروف يطلق على أنواع كثيرة، وغرب الشيء: أسود، وغرايب: شديد
السواد، ويقال: غرايب سود لتأكيد السواد.

وهو: طائر أسود قوي البصر، معول المنقار الذي يلتمس الطعام في الصحاري،
ويأكل الجيف، وتنن فرخه، ويأخذ الصداقة للشعلب، والنفور من النخل، وهو شرار
الطير.

انظر: الحيوان للجاحظ: ٥٣/٢، ٣١٤، ٤٣١/٣، ٤٥٥، ومعجم الألفاظ والأعلام
القرآنية.

(٣) واللفظ وارد في: سورة الفيل: ٣.

وأبابيل: هي وصف للطير، ومعناها أي جماعات كثيرة متتابعة مجتمعة تأتي من كل
مكان.

انظر: تفسير ابن كثير: ٣٧٤/٧، وتفسير الألوسي: ٢٣٦/٣٠.

(٤) في الإقنآن: ٧٦/٤ (النحل) وهو تصحيف.

وذكر في: النمل: ١٨، وبلفظ «نملة» كذلك في نفس الآية.

والنملة: حشرة معروفة ضئيلة الجسم تعيش في جماعة من أفرادها تحت الأرض عاملة
متعاونة.

انظر: معجم الألفاظ القرآنية: ٥٤٣.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ١٠٤/٥ وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن الشعبي.

وانظر: فتح القدير للشوكاني: ١٣٠/٤.

قال ابن كثير في تفسيره: ٢٢٧/٥، تعليقا على هذا القول: ومن قال من المفسرين: إن
هذه النملة كانت ذات جناحين كالذباب أو غير ذلك من الأقاويل؛ فلا حاصل لها.

فصل [في الكنى والألقاب في القرآن] (١)

وأما الكنى: فليس في القرآن منها غير أبي لهب^(٢)، واسمه عبد العزى؛ ولذلك لم يذكر باسمه لأنه حرام شرعاً، وقيل للإشارة أنه جهنمي^(٣).
وأما الألقاب: فمنها: إسرائيل^(٤)، لقب يعقوب ومعناه عبد الله. وقيل: صفوة الله. وقيل: سرى إلى الله لأنه أسرى لما هاجر.
أخرج ابن جرير^(٥) من طريق عمير عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن إسرائيل كقولك: عبد الله.
وأخرج عبد بن حميد^(٦) في تفسيره عن [أبي مجلز]^(٧) قال: كان يعقوب

(١) تكملة من الإتقان: ٧٦/٤، من زيادة محققه.

(٢) ذكر في: سورة المسد: ١.

(٣) القول الذي تطمئن إليه القلوب: القول الثاني؛ لأنه سمي بذلك لإشراق وجهه، وكان جميلاً. هذا الإطلاق في الأصل، غير أن هذه الكنية وبها ما يشير إلى أنه ملابس للنار، يعني جهنمي لأن اللهب هي لهب النار.

انظر: تفسير ابن كثير: ٣٩٩/٧، وتفسير الشوكاني: ٥١١/٥.

(٤) ذكر في القرآن مفرداً ومضافاً إليه، فالمفرد في: آل عمران: ٩٣. ومريم: ٨٥. والمضاف إليه في: البقرة: ٤٠، ٤٧، ٨٣، ١٢٢، ٢١١، ٢٤٦. وآل عمران: ٤٩، ٩٣. والمائدة: ١٢، ٣٢، ٧٠، ٧٢، ٧٨، ١١٠. والأعراف: ١٠٥، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٨. ويونس: ٩٠، ٩٣. والإسراء: ٢، ٤، ١٠١، ١٠٤. وطه: ٤٧، ٨٠، ٩٤. والشعراء: ١٧، ٢٢، ٥٩، ١٩٧. والنمل: ٧٦، والسجدة: ٢٣. وغافر: ٥٣، والزخرف: ٥٩. والدخان: ٣٠. والجمعة: ١٦. والأحقاف: ١٠، والصف: ٦، ١٤.

إسرائيل: لقب لنبي الله يعقوب وهو ابن إسحاق بن إبراهيم. وبنو إسرائيل هم أبناء يعقوب وذريتهم، والاسم يطلق بصفة عامة على قوم موسى ﷺ وهم اليهود.

انظر: تفسير ابن كثير: ١٤٣/١، ومعجم الألفاظ القرآنية: ٣١.

(٥) في تفسيره: ١٩٧/١.

(٦) ذكره السيوطي بلفظه في الدر المنثور: ٦٣/١. وعزاه إلى عبد بن حميد وغيره.

(٧) في (هـ) و(ح): «أبي مخلد». وما أثبتته من الإتقان: ٧٦/٤، كما في الدر المنثور: ٦٣/١.

أبو مجلز: بكسر الميم وسكون الجيم وفتح اللام بعدها زاي. هو: لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي أبو مجلز البصري المشهور بكنيته، روى عن أبي موسى الأشعري والحسن وغيرهما، وعنه قتادة وأنس بن سيرين وغيرهما، قال العجلي: بصري تابعي ثقة، وقال ابن عبد البر: هو ثقة. قال ابن حبان عن ابن معين: مضطرب الحديث، توفي سنة مائة أو إحدى ومائة. وقيل غير ذلك.

رجلاً بطاشاً^(١)، فلقني ملكاً فعالجه فصرعه الملك، فضرب على فخذيه، فلما رأى يعقوب ما صنع به بطش به، فقال: ما أنا بتاركك حتى تسميني اسماً، فسماه إسرائيل. قال أبو مجلز: ألا ترى أنه من أسماء الملائكة^(٢).

وفيه لغات: أشهرها بياء بعد الهمزة ولا م^(٣)، وقرئ: إسرائيل^(٤) بلا همز.

قال بعضهم^(٥): ولم يخاطب الله تعالى اليهود في القرآن إلا بـ ﴿يَبْنَئِ﴾ إسرئيل ﴿يا بني يعقوب﴾ لنكتة، وهو أنهم خوطبوا بعباد الله^(٦)، وذكروا بدين أسلافهم: موعظة لهم وتنبهاً من غفلتهم، فسموا بالاسم الذي [فيه]^(٧). تذكرة بالله تعالى، فإن^(٨) إسرائيل اسم مضاف إلى الله تعالى، في التأويل.

= انظر: تهذيب التهذيب: ١٧١/١١.

(١) في الإتيان: ٧٦/٤، والدر المنثور: ٦٣/١: «بطيشا».

(٢) قلت: هذا رأي فاسد لا يقبله عقل سليم، فإن «إسرائيل» هو بمعنى عبد الله وصفوته من خلقه، و(إيل) هو الله، و(إسرا) هو العبد. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن «إسرائيل» كقولك «عبد الله».

انظر: تفسير ابن جرير: ١٩٧/١، وتفسير ابن كثير: ١٤٣/١، وتفسير الشوكاني: ١/

٧٤.

(٣) هي قراءة الجمهور.

قال الشوكاني في تفسيره: ٢٤١/١: «إسرائيل» بهمزة بعد الألف وياء بعدها، وبه قرأ الجمهور... وانظر: تفسير البيضاوي بحاشية الشيخ زاده: ٢٨٠/١.

(٤) إن كان المراد تسهيل الهمزة فالقراءة متواترة، وإن كان مراده حذف الهمزة مطلقاً فليس بمتواتر، بل هي قراءة شاذة وبها قرأ سقلاب عن نافع، قال ابن خالوية في «مختصر شواذ القرآن»: ٥: «يا بني إسرائيل» بياء واحدة. سقلاب عن نافع.

(٥) قال الآلوسي في تفسيره: ٢٤٢/١: «وأضاف رضي الله عنهما هؤلاء المخاطبين إلى هذا اللقب - تأكيداً لتحريكهم إلى طاعته -، فإن في «إسرائيل» ما ليس في اسمه الكريم «يعقوب»...؛ لأن الطبائع تميل إلى اقتفاء أثر الآباء...»

(٦) في الإتيان: ٧٧/٤: «عبادة الله».

(٧) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ٧٧/٤.

(٨) قال الشوكاني في تفسيره: ٧٤/١: اتَّفَق المفسرون على أن «إسرائيل» هو «يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم رضي الله عنهما» ومعناه «عبد الله»؛ لأن «إسرا» في لغتهم هو «العبد»، و«إيل» هو الله. قال ابن جرير في تفسيره: ١٩٧/١: كان «يعقوب» يدعى «إسرائيل» بمعنى «عبد الله» وصفوته من خلقه، و«إيل» هو الله، و«إسرا» هو العبد، كما قيل «جبريل» بمعنى عبد الله.

ولما ذكر^(١) موهبته لإبراهيم وتبشيريه به قال: يعقوب، وكان أولى من إسرائيل؛ لأنها موهبة لإبراهيم بمعقب آخر، فناسب ذكر اسم يشعر بالتعقيب.
ومنها: المسيح^(٢): لقب بعيسى، ومعناه: قيل: الصديق. وقيل: الذي ليس في رجليه أخمص. وقيل: الذي لا يمسخ ذا عاهة إلا برئ. وقيل: الجميل.
وقيل: الذي يمسخ الأرض (أي يقطعها)^(٣)، وقيل غير ذلك.
ومنها: إلياس^(٤)، قيل: إنه لقب إدريس^(٥).

أخرج ابن أبي حاتم بسند حسن عن ابن مسعود قال: إلياس هو إدريس، وإسرائيل هو يعقوب^(٦). وفي قراءة: «وإن إدريس لمن المرسلين» [الصفات: ١٢٣]^(٧)، «سلام على آل إدراسين» [الصفات: ١٣٠]^(٨)، [وفي قراءة أبيّ «وإن

(١) في (هـ) و(ح): «كما ذكر» وما أثبتته من الإتيان: ٧٧/٤.

(٢) ذكر في: آل عمران: ٤٥. والنساء: ١٥٧، ١٧١، ١٧٢. والمائدة: ١٧، ٧٢، ٧٥. والتوبة: ٣٠، ٣١.

(٣) في (هـ) و(ح): «أن يضعها». وما أثبتته من الإتيان: ٧٧/٤. وفيه أن المسيح هو: «الذي ليس لرجله أخمص». قال ابن كثير في تفسيره: ٤٠/٢. قيل: لأنه كان مسيح القدمين، لا أخمص لهما. قال في مختار الصحاح مادة: (خ م ص): ١٩٠: «الأخمص» ما دخل من باطن القدم فلم يصب الأرض.

وفي المفردات للراغب مادة: (مسح): ٤٦٧ - ٤٦٨: وقيل: سمي به لأنه كان يمسخ ذا العاهة فيبرأ. وقيل: سمي عيسى ﷺ مسيحاً لكونه ماسحاً في الأرض أي ذاهباً فيها، وذلك أنه كان في زمانه قوم يسمون المشائين والسياحين لسيرهم في الأرض....
وفي تفسير الشوكاني: ٣٤٠/١: قيل: إنه كان لا يمسخ ذا عاهة إلا برئ، وقيل: لأنه كان ممسوح الأخمصين....

(٤) ذكر في: الأنعام: ٨٥، والصفات: ١٢٣، ولفظ «آل ياسين» في: الصفات: ١٣٠.

(٥) ... وقيل: إلياس هو إدريس، وهذا غير صحيح لأن إدريس جد نوح، وإلياس من ذريته... وذلك أن الله تعالى نسب إليه في الآية: ٨٤ - ٨٥ من سورة الأنعام إلى نوح وجعله من ذريته، ومحال أن يكون جد أبيه منسوباً إلى أنه من ذريته.

انظر: تفسير ابن جرير: ٢٦٢/٧، وتفسير الشوكاني: ١٣٧/٢.

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسير: ٢٦٢/٧: عن ابن مسعود قال: إدريس هو إلياس، وإسرائيل هو يعقوب.

(٧) الإتيان: ٧٧/٤: وفي قراءة: «إن إدراش لمن المرسلين» قال ابن خالوية في «شواذ

القرآن»: ١٢٨: «وإن إدريس لمن المرسلين». ابن مسعود.

(٨) قراءة ابن مسعود أيضاً. قال ابن خالوية في «شواذ القرآن»: ١٢٨: «سلام على

إدراسين» عنه - يعني ابن مسعود - أيضاً.

إيليسين»، «سلام على ياسين»^(١).

ومنها ذو الكفل^(٢). قيل: إنه لقب إلياس. وقيل: لقب يوشع. وقيل: لقب زكريا. [وقيل: نبي آخر، وهو تلميذ اليسع كما تقدم]^(٣).

ونوح^(٤): اسمه عبد الغفار، ولقبه (نوح)^(٥) لكثرة نوحه على نفسه^(٦) في طاعة الله تعالى. أخرجه ابن أبي حاتم عن يزيد الرقاشي^(٧).

(١) ما بين المعقوفين تكملة من الإتيان: ٧٧/٤.

قراءة أبي «سلام على ياسين» [الصفات: ١٣٠]. قال ابن خالوية في «مختصر شواذ القرآن»: ١٢٨: «سلام على ياسين». أبي بن كعب. واللفظ المتواتر: ﴿وَلِإِيَّاسَ لَبَنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصفات: ١٢٣]: ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ إِيَّاسِينَ﴾ [الصفات: ١٣٠].

أبي هو: أبي بن كعب بن قيس أبو المنذر من بني النجار الخزرجي، صحابي جليل من كتاب الوحي، شهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها على عهد الرسول ﷺ، واشترك في جمع المصحف بأمر عثمان، توفي سنة (٥٢١هـ)، وقيل: سنة (٥٢٢هـ) بالمدينة. انظر: الطبقات لابن سعد: ٤٩٨/٣، وطبقات القراء: ٣١/١، وتذكرة الحفاظ: ١٦/١.

(٢) ذكر في: الأنبياء: ٨٥، وص: ٤٨.

(٣) ما بين المقوفين ساقط من الإتيان: ٦٥/٤، انظر ما تقدم ذكره في الإتيان: ٧٧/٤، وفي هذه الرسالة: النوع: ١٣٢ «علم تاريخ الأنبياء المذكورين في القرآن»: صفحة ٤١.

قال الشوكاني في تفسيره: ٤٢٠/٣: ... وذا الكفل إلياس، وقيل: يوشع بن نون، وقيل: زكريا. والصحيح أنه رجل من بني إسرائيل كان لا يتورع عن شيء من المعاص، فتاب فغفر الله له. وقيل: إن اليسع لما كبر قال: من يتكفل لي بكذا وكذا من خصال الخير حتى أستخلفه؟ فقال رجل: أنا، فاستخلفه وسمي ذا الكفل...

(٤) ذكر في آل عمران: ٣٣. والنساء: ١٦٣. والأنعام: ٨٤. والأعراف: ٥٩، ٦٩. والتوبة: ٧٠. ويونس: ٧١. وهود: ٢٥، ٣٢، ٣٦، ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٨٩. وإبراهيم: ٩. والإسراء: ٣، ١٧. ومريم: ٥٨. والأنبياء: ٧٦. والحج: ٤٢. والمؤمنون: ٢٣. والفرقان: ٣٧. والشعراء: ١٠٥، ١٠٦، ١١٦. والعنكبوت: ١٤. والأحزاب: ٧. والصفات: ٧٥، ٧٩. وص: ١٢. وغافر: ٥، ٣١. والشورى: ١٣. وق: ١٢. والذاريات: ٤٦. والنجم: ٥٢. والقمر: ٩. والحديد: ٢٦. والتحريم: ١٠. ونوح: ١، ٢١، ٢٦.

(٥) في الإتيان: ٧٧/٤: «نوحاً» وهو خطأ.

(٦) في اللسان لابن منظور: مادة: (نوح): ٦٢٧/٢. النوح: مصدر ناح ينوح نوحاً، يقال: نائحة ذات نياحة، وناحت المرأة تنوح نوحاً ونياحة ناحت عليه، والمناحة والنوح: النساء يجتمعن للحزن. وفي تفسير الخازن: ٢٢٩/١.

وسمي نوحاً لكثرة نوحه على نفسه.

(٧) هو: يزيد بن أبان بن عبد الله أبو عمرو الرقاشي البصري، روى عن أبيه والحسن =

ومنها: ذو القرنين^(١): واسمه الإسكندر. وقيل: عبد الله بن الضحاك بن سعيد. وقيل: المنذر بن ماء السحاب^(٢). وقيل: [الصعب بن مر بن الهماك. حكاه ابن عساكر. ولقبه ذو القرنين]^(٣)؛ لأنه بلغ قرني الأرض المشرق والمغرب^(٤). وقيل: لأنه ملك فارس والروم^(٥). وقيل: على رأسه قرنان أي ذؤابتان^(٦). وقيل: كان له قرنان من ذهب. وقيل: كانت صفحتا رأسه من نحاس^(٧). وقيل: كان على رأسه قرنان صغيران تواريهما العمامة. وقيل: إنه ضرب على قرنه فمات، ثم بعثه الله، فضربوه على قرنه الآخر^(٨).

= البصري وغيرهما، وعنه ابنه عبد النور وقتادة وغيرهما، قال ابن سعد: كان ضعيفاً قديراً، وقال ابن معين: ضعيف، وقال الحاكم: متروك الحديث، توفي ما بين عشر ومائة وعشرين ومائة. انظر: تهذيب التهذيب: ٣٠٩/١١.

والرقاشي: بفتح الراء والقاف المخففة وفي آخرها شين معجمة، هذه النسبة إلى امرأة اسمها رقاش بنت قيس، كثر أولادها فنسبوا إليها. والمشهور بهذه النسبة جماعة، منهم يزيد بن أبان الرقاشي البصري. اللباب لابن الأثير: ٣٣/٢.

(١) ذكر في: الكهف: ٨٣، ٨٦، ٩٤.

هو: ذو القرنين، أبوه أول القياصرة، وكان من ولد سام بن نوح، وكان ملكاً صالحاً، وأثنى الله عليه في كتابه بالعدل وأنه بلغ المشارق والمغرب وملك الأقاليم وقهر أهلها وسار فيهم بالعدل التام والسلطان المؤيد المظفر المنصور المسقط.

انظر: البداية والنهاية: ١٠٢/٢.

(٢) في الإتيان: ٧٧/٤: «ماء السماء».

(٣) في الإتيان: ٧٧/٤: «الصعب بن قرين بن الهمال، حكاها ابن عسكر، ولقب ذا القرنين».

(٤) قال الزهري: لأنه بلغ قرني الشمس غرباً وشرقاً وملك ما بينهما من الأرض. قال ابن كثير تعليقاً على هذا القول: وهذا أشبه من غيره.

انظر: البداية والنهاية: ١٠٣/٢.

(٥) قاله بعض أهل الكتاب كما في البداية والنهاية: ١٠٣/٢.

(٦) ذؤابتان: تثنية ذؤابة، وهي شعر مقدم الرأس.

(٧) هذان قولان قريبان من قول وهب بن منبه حيث يقول: كان له قرنان من نحاس في رأسه كما في البداية والنهاية: ١٠٣/٢ وعلق ابن كثير على قول وهب بن منبه: وهذا ضعيف.

(٨) روى الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن علي بن أبي طالب أنه سئل عن ذي القرنين، فقال: كان عبداً ناصح الله فناصره، دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات، فأحياه الله فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه الآخر فمات؛ فسمي ذا القرنين. البداية والنهاية: ١٠٤/٢.

وقيل: لأنه كريم الطرفين. وقيل: لأنه انقراض في وقته قرنان من الناس وهو حي. وقيل: لأنه أعطي علم الظاهر والباطن. وقيل: لأنه دخل النور والظلمة، [وسياتي في القصص أن ذا القرنين لقبٌ لملكين: الأول والثاني وهو الرومي، واسميها مختلفان]^(١).

ومنها فرعون^(٢): واسمه الوليد بن مصعب، وكنيته أبو العباس^(٣). وقيل: أبو الوليد. وقيل: أبو مر. وقيل: إن فرعون لقب لكل من ملك مصر. أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: كان فرعون فارسياً من أهل اصطخر^(٤).

(١) ما بين القوسين من كلام المؤلف، وسياتي في النوع: ١٣٧ «علم من ذكر في القرآن العظيم من الملوك والأمم غير الأنبياء»، صفحة .

قلت: والقول الذي تطمئن به القلوب ما قاله الزهري: فسمي ذا القرنين لأنه بلغ قرني الشمس غرباً وشرقاً، وملك ما بينهما من الأرض، وقد قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١٠٣/٢ عن هذا القول: وهذا أشبه من غيره.

(٢) ذكر في: البقرة: ٤٩، ٥٠. وآل عمران: ١١. والأعراف: ١٠٣، ١٠٤، ١٠٩، ١١٣، ١٢٣، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٧، ١٤١. والأنفال: ٥٢، ٥٤ (٢). ويونس: ٧٥، ٧٩، ٨٣، ٨٨، ٩٠. وهود: ٩٧ (٢). وإبراهيم: ٦. والإسراء: ١٠١، ١٠٢. وطه: ٢٤، ٤٣، ٦٠، ٧٨، ٧٩. والمؤمنون: ٤٦. والشعراء: ١١، ١٦، ٢٣، ٤١، ٤٤، ٥٣. والنمل: ١٢. والقصص: ٣، ٤، ٦، ٨ (٢)، ٩، ٣٢، ٣٨. والعنكبوت: ٣٩. وص: ١٢. وغافر: ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٦، ٣٧ (٢)، ٤٥، ٤٦. والزخرف: ٤٦، ٥١. والدخان: ١٧، ٣١. وق: ١٣. والذاريات: ٣٨. والقمر: ٤١. والتحريم: ١١ (٢). والحاقة: ٩. والمزمل: ١٥، ١٦. والنازعات: ١٧. والبروج: ١٨. والفجر: ١٠.

(٣) القول: «إن اسم فرعون الوليد بن مصعب وكنيته أبو العباس، وقيل: أبو الوليد» كلام خطأ؛ وذلك لأن الوليد كلمة عربية مشتقة، وكذلك مصعب والعباس اسم عربي، وفرعون اسم أعجمي. والأقرب أنه من بني عمليق أو عمالق بن لاوز بن إرم بن سام بن نوح ﷺ وهم أمم تفرقوا في البلاد.

وفرعون لقب لمن ملك العمالقة، ككسرى لملك الفرس، وقيصر لملك الروم، وخاقان لملك الترك، وتبع لملك اليمن، والنجاشي لملك الحبشة.

وقال السهيلي: فرعون اسم لكل من ملك القبط ومصر. انظر: زاد المسير لابن الجوزي: ٧٧/١، وروح المعاني للآلوسي: ٢٥٣/١، وفتح القدير للشوكاني: ٨٢/١.

والصواب: أن اسمه أخناتون كما في تاريخ مصر القديم.

(٤) نقلاً عن تفسير الآلوسي: ٢٥٣/١.

ومنها: تبع^(١): قيل اسمه سعد بن معدي كرب^(٢)، وسمي تبعاً [لكثرة من تبعه. وقيل: إنه لقب ملوك اليمن، سمي كل واحد منهم تبعاً]^(٣) أي يتبع صاحبه كالخليفة يخلف غيره.

(١) ذكر في: الدخان: ٣٧. وق: ١٤.

(٢) في الإتيان: ٧٨/٤: «قيل: كان اسمه أسعد بن ملكي كرب».

(٣) ساقط من (هـ) و(ح). وما أثبتته من الإتيان: ٧٨/٤، إلا أن في الإتيان: «كل واحد منهما»، وهو خطأ نحوي.

قلت: إن تبعاً لقب ملوك اليمن سمي كل واحد منهم تبعاً فهذا القول هو الراجح. قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١٥٩/٢: إن سبأ يجمع هذه القبائل كلها: مذحج، وكندة، والأزد، والأشعريون، وأنمار، وحمير. وقد كان فيهم التبابعة بأرض اليمن واحدهم تبع... وكانت العرب تسمي كل من ملك اليمن مع الشحر وحضرموت تبعاً، كما يسمون من ملك الشام مع الجزيرة قيصر، ومن ملك الفرس كسرى، ومن ملك مصر فرعون، ومن ملك الحبشة النجاشي، ومن ملك الهند بطليموس...

النوع الرابع والثلاثون بعد المائة

علم مبهمات القرآن

النوع الرابع والثلاثون بعد المائة

علم مبهمات القرآن^(١)

أفرده بالتأليف السهيلي^(٢) وكتابه^(٣) حسن، وابن عساكر^(٤)، والقاضي بدر الدين ابن جماعة^(٥). قال الحافظ^(٦): وَلِي فِيهِ تَأْلِيْفٌ لَطِيْفٌ^(٧) جمع فوائد الكتب المذكورة مع زوائد أخرى^(٨) على صغر حجمه جداً. وقال بعد ذلك:

(١) هذا النوع منقول عن الإتيقان: ٧٩/٤ - ١٠٠.

أبهم الله ﷻ بعض الأسماء في كتابه العزيز لأسباب، يرجع إليها في مظانها.

انظر: الإتيقان: ٧٩/٤، ومفحومات الأقران في مبهمات القرآن للسيوطي: ٣.

(٢) هو: عبد الرحمن بن عبد الله بن الخطيب أبو القاسم السهيلي، من تصانيفه: «الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة»، و«التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن»، ولد سنة ثمان وخمسمائة، وتوفي سنة إحدى وثمانين وخمسمائة من الهجرة. انظر: وفيات الأعيان: ١٤٤/٣، والأعلام: ١٣٢/٣.

والسهيلي: بضم السين المهملة وفتح الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام نسبة إلى سهيل، وهي قرية بالقرب من (مالقة) بالأندلس سميت باسم الكوكب؛ لأنه لا يرى في جميع بلاد (الأندلس) إلا من جبل مظل عليها. انظر: معجم البلدان: ٢٩١/٣.

(٣) المسمى ب«التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام» وهو مطبوع بتحقيق عبد أ. مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت عام (١٤٠٧هـ).

(٤) وكتاب ابن عساكر ذيل على كتاب «التعريف والإعلام» للسهيلي، المسمى ب«التكميل والإتمام». انظر: كشف الظنون: ٤٢١/١.

(٥) كتاب ابن جماعة المسمى ب«التيبان في مبهمات القرآن».

قال صاحب كشف الظنون: ٤٢١/١ فيه: جمع فيه المؤلف بين كتاب «التعريف والإعلام» للسهيلي، وكتاب «التكميل والإتمام» لابن عساكر.

(٦) يريد به الحافظ السيوطي.

(٧) المسمى ب«مفحومات الأقران في مبهمات القرآن» وهو مطبوع سنة (١٣٢٦هـ) بمطبعة السعادة، مصر، ويليه كتاب «فتح المنان ببيان الرسل التي في القرآن» للشيخ أحمد السجاعي.

(٨) في (هـ) و(ج): «آخر»، وما أثبتته من الإتيقان: ٨١/٤.

اعلم أن علم المبهمات مرجعه النقل المحض لا مجال للرأي فيه^(١)، ولما كانت الكتب المؤلفة فيه وسائر التفاسير كثر فيها أسماء المبهمات^(٢)، والخلاف فيها دون بيان [سديد]^(٣) مستند يرجع إليه أو عرف يعتمد عليه؛ ألفت [الكتاب]^(٤) الذي ألفته المذكوراً فيه عزو كل قول إلى قائله من الصحابة والتابعين، وغيرهم^(٥) معزواً إلى أصحاب الكتب الذين خرجوا ذلك بأسانيدهم، مبيناً فيه ما صح سنده وما ضعف، فجاء لذلك^(٦) كتاباً حافلاً لا نظير له في نوعه، وقد رتبته على ترتيب القرآن^(٧). انتهى.

وظاهر^(٨) كلامه الأول أن كتابه في المبهمات مختصراً، وهذا الكلام مصرح بأنه حافل، فلعله ألف فيه كتابين، ولم أقف على شيء منهما^(٩).

وهو علم شريف، وقد كان السلف يبحثون عنه. قال عكرمة: طلبت الذي خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله، ثم أدركه الموت أربع عشرة سنة^(١٠): قال الزركشي في البرهان^(١١): لا يبحث عن مبهم أخبر الله باستثنائه بعلمه^(١٢)، كقوله: ﴿وَالْآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]

(١) انظر: مفحمت الأقران: ٢.

(٢) في (هـ) و(ح): «اسم المبهمات» وما أثبتته من الإتيان: ٨١/٤.

(٣) ساقط من الإتيان: ٨١/٤.

(٤) ساقط من (هـ) و(ح) وهو: «مفحمت الأقران في مبهمات القرآن» المذكور.

(٥) في (هـ) و(ح): «أو»، وما أثبتته من الإتيان: ٨١/٤.

(٦) في (هـ) و(ح): «بذلك»، وما أثبتته من الإتيان: ٨١/٤.

(٧) الإتيان: ٨١/٤.

(٨) كلام المؤلف.

(٩) وفهمت من كلام السيوطي هذا، غير ما فهمه المؤلف، وهو أن السيوطي ألف في مبهمات القرآن كتاباً واحداً وهو المسمى بـ«مفحمت الأقران في مبهمات القرآن» وهذا الكتاب مطابق لما وصفه مؤلفه من أنه مختصر وحافل، وهو أجمل من كتاب السهلي - والله أعلم -.

(١٠) أورده ابن حجر في الإصابة: ٢١٢/٢: وقال بعده: رواه أبو أحمد الزبيري، عن محمد بن شريك، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان رجل يقال له (ضمرة) أو (ابن ضمرة) فذكره.

(١١) البرهان: ١٥٥/١.

(١٢) في (هـ) و(ح): «لا شيء من مبهم أضمر الله بإشارة يعلمه»، وفي الإتيان:

٨٠/٤: «لا يبحث من مبهم أخبر الله باستثنائه بعلمه»، وما أثبتته من البرهان: ١٥٠/١.

قال: والعجب ممن تجرأ وقال: إنهم قريظة^(١)، وقيل^(٢): من الجن^(٣).
وأجاب السيوطي بأن المنفي علم أعيانهم لا أجناسهم فلا جراً^(٤).
وهو على قسمين^(٥):

الأول: فيما أبهم من رجل أو^(٦) امرأة أو ملك أو جنني، أو مشنى أو مجموع عرف أسماء كلهم أو من أو الذي إذا لم يرد به العموم.
قوله تعالى^(٧): ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]. هو آدم^(٨) ^(٩).

(١) قاله مجاهد. انظر: تفسير ابن جرير: ٢٢/١٠. وقريظة: هم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْثِهِمْ لَمْ يَأْلُوا حَرِيراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [١٥] وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [١٦] وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَبَنَاتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [١٧] [الأحزاب: ٢٥ - ٢٧]. انظر: سيرة ابن هشام: ٢٢٣/٣. وهي: فخذ من حذام إخوة النضير ونزلوا بجبل يقال له: قريظة فنسبوا إليه، وقيل: إن قريظة اسم جدهم بقرب الخندق، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ صلح فنقضوه، ومالوا مع قريش. تاريخ يعقوبي: ٥٢/٢.

(٢) في الإتيان: «أو»، وفي (هـ) و(ح): «هو»، وما أثبتته من البرهان: ١٥٥/١.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم. انظر: المطالب العالية لابن حجر: ٣٣٥/٣، قال في مجمع الزوائد: ٢٧/٧ رواه الطبراني وفي إسناده مجاهيل.

قال ابن اليمان: الشياطين التي في الدور أخرجه ابن أبي حاتم، وفي سنده إسحاق بن بشر الكاهلي وهو كذاب، قاله الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٨/٧ ذكر هذه الأقوال السيوطي في مفحمت الأقران: ٣، واختار ابن جرير أن أقرب الأقوال وأشبهها بالصواب قول من قال: عني به الجن. انظر: تفسير ابن جرير ٢٢/١٠.

(٤) انظر: الإتيان: ٨١/٤ باختصار.

(٥) كلام السيوطي.

(٦) في (هـ) و(ح): «و»، وما أثبتته من الإتيان: ٨١/٤.

(٧) في (هـ) و(ح) زيادة كلمة: «في» هكذا: «في قوله تعالى»، وما أثبتته من الإتيان: ٨٢/٤.

(٨) في (هـ) و(ح): «وهو».

(٩) وفيه خلاف كثير، والظاهر أنه لم يرد آدم عيناً، إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠]؛ فإنهم أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك، فإذا المراد بالخليفة هو بنو آدم. قاله سفيان الثوري. انظر: تفسير ابن كثير: ١٢٢/١.

- ﴿وَزَوْجِكَ﴾^(١) هي حواء بالمد، لأنها خلقت من حي^(٢).
- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا﴾ [البقرة: ٧٣] اسمه عاميل^(٣).
- ﴿وَأَبَعَتْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩] هو النبي ﷺ^(٤).
- ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ﴾ [البقرة: ١٣٢] هو إسماعيل وإسحاق ومدين وزمران وشوح، ونفش ويقشان وأميم وكيشان وشروخ ولوطان ونافش^(٥).
- ﴿وَالْأَسْبَاطِ﴾ [البقرة: ١٢٦، ١٤٠] أولاد يعقوب^(٦) وهم^(٧) اثنا عشر رجلاً: يوسف، وروبييل، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، ودان، ونفتالي بفاء ومثناة، وجاد، وأشير ويشجر، وربالون، وبنيامين^(٨).
- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾ [البقرة: ٢٠٤] هو الأخنس بن شريق^(٩).
- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ٢٠٧] هو صهيب^{(١٠)(١١)}.

- (١) في الإتقان: ٨١/٤: «وزوجه»، وكذلك في (هـ) و(ح)، وما أثبتته من مفجمات الأقران: ٤. وهو من قوله تعالى: ﴿أَتَكْفُرُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ﴾ [البقرة: ٣٥].
- (٢) روى ابن جرير في تفسيره: ١٨٢/١ من طريق السدي بأسانيده: قالت له الملائكة: ما اسمها؟ قال: حواء، قالوا: ولم سميت حواء؟ قال: لأنها خلقت من حي.
- (٣) ذكره الكرمانى في العجائب. انظر: مفجمات الأقران: ٤.
- (٤) ولذلك قال ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم» أخرجه أحمد في مسنده: ١٢٧/٤، وابن جرير في تفسيره: ٤٣٥/١، والحاكم في المستدرک: ٦٠٠/٢ وصححه ووافقه الذهبي.
- (٥) انظر: طبقات ابن سعد: ٤٧/١، والبداية والنهاية: ١٩٠/١، ومفجمات الأقران: ٦ باختلاف يسير في بعض الأسماء.
- (٦) في (هـ) و(ح): «بالواو» هكذا: «وأولاد يعقوب».
- (٧) انظر: البداية والنهاية: ٢١٤/١.
- (٨) في أسماء الأسباط أي أولاد يعقوب ﷺ اختلاف بين الروايات. انظر: تفسير ابن جرير: ١١٢/٣، والبداية والنهاية: ٢١٤/١، ومفجمات الأقران: ٦، والإتقان: ٤/٨٢، ومع الأنبياء في القرآن لعفيف طبارة: ١٥٥.
- (٩) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١٨١/٢، وابن المنذر وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور: ٢٣٨/١، وأسباب النزول للواحدى: ٣٩. والأخنس بن شريق هو حليف بني زهرة أقبل إلى النبي ﷺ إلى المدينة، فأظهر له الإسلام.
- (١٠) هو: صهيب بن سنان بن مالك النمري التميمي الرومي، كانت منازل أبيه وعمه على دجلة عند الموصل فأغارت الروم عليهم، فأسرتهم وهو صغير، ثم اشتراه بنو كلب وباعوه بمكة، توفي بالمدينة سنة ثمان وثلاثين من الهجرة. انظر: البداية والنهاية: ٧/٣١٨، والإصابة: ١٩٥/٢، والمعارف لابن قتيبة: ٢٦٤.
- (١١) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٣٢١/٢، وأورده ابن حجر في المطالب العالية: =

﴿إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ آلِهَتُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٦] هو شمويل^(١)، وقيل: شمعون^(٢)،
وقيل: يوشع^(٣)،^(٤).

﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٢] قال مجاهد: موسى^(٥).

﴿وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٢] قال^(٦): محمداً^(٧).

﴿الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٨] نمرود بن كنعان^(٨).

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩] عزيز^(٩)، وقيل: أرميا^(١٠)، وقيل:
حزقيل^(١١).

﴿أَمْرَأَتِ عِمْرَانَ﴾ [آل عمران: ٣٥] حنة^(١٢) بنت فاووذ^(١٣).

= ٣/٣٠٩. وانظر: طبقات ابن سعد: ٣/٣٢٨، وأسباب النزول للواحدي: ٣٩.

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٢/٥٩٥.

(٢) هو الذي دعت أمه الله أن يرزقها غلاماً فاستجاب لها دعاءها فرزقها غلاماً فسمته
شمعون تقول: الله تعالى سمع دعائي. انظر: تفسير ابن جرير: ٢/٥٩٥.

(٣) هو: يوشع بن نون بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. انظر:
تفسير ابن جرير: ٢/٥٩٦.

(٤) انظر: تفسير ابن جرير: ٢/٥٩٥، ٥٩٦، ومفحمت الأقران: ٧، والإتقان:
٨٢/٤.

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٣/٢. وانظر: الدر المنثور: ١/٣١٨، ومفحمت
الأقران: ٨، والإتقان: ٨٢/٤.

(٦) في (ح): «هو»، وما أثبتته من مفحمت الأقران: ٨.

(٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٣/٢. وانظر: الدر المنثور: ١/٣١٨، ومفحمت
الأقران: ٨، والإتقان: ٨٢/٤.

(٨) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٣/٢٣، وأورده السيوطي في الدر المنثور: ١/٣٣١.
وانظر: مفحمت الأقران: ٨، والإتقان: ٨٢/٤.

(٩) أخرجه الحاكم في المستدرک: ٢/٢٨٢ وصححه، ووافقه الذهبي.

(١٠) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٣/١٩.

(١١) ذكره السيوطي في مفحمت الأقران: ٨.

(١٢) في (ح): «فاووذ»، وما أثبتته من مفحمت الأقران: ٨.

(١٣) هي: حنة بنت فاووذ بن قنيل، أم مريم ابنة عمران أم عيسى ابن مريم - صلوات الله
عليه - انظر: تفسير ابن جرير: ٣/٢٣٥، والدر المنثور: ٢/١٨، ومفحمت الأقران: ٨،
والإتقان: ٨٢/٤.

﴿وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: ٤٠] هي أشيع، أو أشيع بنت فاقوذ^(١).
﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] وهم الحسن، والحسين.
﴿وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] وهي فاطمة^(٢).
﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ وهو محمد ﷺ وعلي^(٣) [رضي الله عنه وكرم وجهه]^(٤).
﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي﴾ [آل عمران: ١٩٣] هو^(٥) محمد ﷺ.
[الطاغوت في قوله تعالى]^(٦) ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]. قال
ابن عباس رضي الله عنهما^(٧) هو كعب بن الأشرف^(٨) أخرجه أحمد^(٩).
﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبَدِلَ﴾^(١٠) [النساء: ٧٢] هو عبد الله^(١١) بن أبي^(١٢).

- (١) انظر: مفحمت الأقران: ٨، والإتقان: ٨٢/٤.
(٢) هي: فاطمة بنت الرسول ﷺ أمها خديجة بنت خويلد أم المؤمنين، توفيت سنة إحدى عشرة وكان عمرها سبعا وعشرين سنة. انظر: تهذيب النوري: ٣٥٢/١.
(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة آل عمران: ٢٢٥/٥ وصححه. انظر: أسباب النزول للواحدي: ٦٧، وفتح القدير: ٣٤٧/١.
(٤) ما بين المعقوفين ساقط من الإتقان: ٨٢/٤، ومفحمت الأقران: ٨.
(٥) في (ح) بالواو «وهو».
(٦) ساقط من الإتقان: ٨٢/٤.
(٧) ساقط من الإتقان: ٨٣/٤.
(٨) هو: كعب بن الأشرف الطائي، شاعر جاهلي، أمه من بني النضير، أدرك الإسلام ولم يسلم، وهو أكثر من هاجم النبي ﷺ، وأمر النبي ﷺ بقتله، فانطلق إليه خمسة من الأنصار، فقتلوه في ظاهر حصنه وحملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة. انظر: الكامل لابن الأثير: ١٤٣/٢، والأعلام: ٧٩/٦.
(٩) لم أعثر عليه في المسند، وهذا منقول عن تفسير ابن جرير: ٨٤/٥، وأسباب النزول للواحدي: ١١٤، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: ٦/٧، وقال: رواه الطبراني، وفيه يونس بن سليمان الحجال، لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح. وأورده النحاس في معاني القرآن: ٢٦٩/١ عن مجاهد. (المدقق).
(١٠) التبطله والإبطاء: التأخر، والمراد به المنافقون؛ كانوا يقعدون عن الخروج ويقعدون غيرهم. انظر: فتح القدير: ٤٨٢/١.
(١١) هو: عبد الله بن أبي ابن سلول المعروف بابن سلول، وهو رأس المنافقين، ولما مات تقدم النبي ﷺ فصلى عليه، فنزلت: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ...﴾ [التوبة: ٨٤]. انظر: طبقات ابن سعد القسم الثاني: ٩٠/٣.
(١٢) قاله مقاتل. أخرجه ابن أبي حاتم وغيره. انظر: مفحمت الأقران: ١١، وفتح القدير: ٤٨٧/١.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤]، هو عامر بن الأضبط الأشجعي^(١)، وقيل: مرداس^(٢)، والقائل ذلك^(٣) [نفر من المسلمين منهم]^(٤): أبو قتادة^(٥) ومحلم^(٦) بن جثامة^(٧)، وقيل: إن الذي باشر القول محلم. وقيل: إنه الذي باشر قتله أيضاً^(٨). وقيل: ^(٩) قتله المقداد بن الأسود^(١٠).

(١) هو: عامر بن الأضبط الأشجعي الذي سلم على أبي قتادة الأنصاري ومن معه في بطن أضم. انظر: طبقات ابن سعد: ٢٨٢/٤.

(٢) هو: مرداس بن عمرو الفدكي وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وهو الذي قتله أسامة بن زيد في سرية إلى بني ضمرة، وقيل غير ذلك.

انظر: الإصابة: ٤٠٠/٣، وأسد الغابة: ٣٤٦/٤. أورده الثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن اسم المقتول: مرداس ذكره السيوطي في مفحمت الأقران: ١١.

قلت: إن هذا الإسناد من أوهى الأسانيد وأضعفها. انظر: التفسير والمفسرون: ٨/١.
(٣) أي: لست مؤمناً.

(٤) في (ح): «هو من المسلمين فيهم»، وما أثبتته من مفحمت الأقران: ١١، والإتقان: ٨٣/٤.

(٥) هو: الحارث وقيل: النعمان، وقيل: عمرو بن ربعي بن بلده أبو قتادة الخزرجي السلمي، فارس رسول الله ﷺ، شهد أحداً وما بعدها، توفي بين الخمسين والستين. انظر: الإصابة: ١٥٩/٤.

(٦) هو: يزيد بن قيس بن ربيعة (محلم بن جثامة) أخو الليثي الصعب بن جثامة وهو الذي قتل عامر بن الأضبط الأشجع على بغير له، توفي في حياة النبي ﷺ فلفظته الأرض مرة بعد أخرى وقيل غير ذلك. انظر: الإصابة: ٣٦٩/٣، وأسد الغابة: ٣٠٩/٤.

(٧) كما رواه الإمام أحمد في مسنده: ١١/٦، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/٧، وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجاله ثقات.

(٨) كلمة «أيضاً» ساقط من (ح) رواه ابن جرير في تفسيره: ١٤٠/١.

(٩) رواه البزار عن ابن عباس. انظر: كشف الأستار عن زوائد البزار برقم (٢٢٠٢)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/٧ وقال: إسناده جيد.

(١٠) هو: المقداد بن عمرو بن ثعلبة من اليمن أبو معبد المعروف بابن الأسود الصحابي الجليل، وتوفي سنة ثلاث وثلاثين للهجرة.

انظر: تهذيب التهذيب: ٢٨٥/١٠، والمعارف: ٢٦٢.

وقيل: أسامة^(١) ابن زيد^(٢)(٣).

﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ﴾ [النساء: ١٠٠]، هو ضمرة بن جندب^(٤)(٥)، وقيل: ابن العيص^(٦)؛ رجل من خزاعة^(٧)، وقيل: أبو ضمرة بن العيص، وقيل: اسمه سبرة، وقيل: هو خالد بن حزام^(٨)، وهو غريب جداً.

وقوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢]^(٩)، هم

(١) هو: أسامة بن زيد بن حارثة أبو محمد، صحابي، كان الرسول ﷺ يحبه حباً جماً. انظر: طبقات ابن سعد: ٤٢/٤، والإصابة: ٢٩/١.

(٢) انظر: سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة النساء: ٢٤٠/٥، وتفسير ابن كثير: ٣٦٣/٢، وتفسير القاسمي: ٣٩٠/٥.

(٣) قلت: القول الذي تظمن به النفس هو ما ذهب إليه القفال في الجمع بين هذه الأقوال حيث يقول: ولا منافاة بين هذه الروايات، فلعلها نزلت عند وقوعها بأسرها، فكان كل فريق يظن أنها نزلت في واقعه. انتهى. نقلاً عن تفسير القاسمي: ٣٩٠/٥.

(٤) هو: ضمرة بن جندب من بني ليث وقيل: ضمير بن أبي العيص أو ابن العيص وقيل غير ذلك. اختلف في اسمه واسم أبيه على أكثر من عشرة أوجه، فأدرکه الموت وهو عند التنعيم فدفن عند مسجد التنعيم.

انظر: الإصابة: ٢١٢/٢، ٢٥١/١ في ترجمة جندع بن ضمرة، وأسد الغابة: ٣٠٨/١.
(٥) أخرجه أبو يعلى، والأثر أورده الهيثمي في مجمع الزوائد، وابن حجر في المطالب العالية: ٢٢١/٣. قال السيوطي في مفحمت الأقران: ١٢: رجاله ثقات عن ابن عباس.
(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٢٣٨/٥.

(٧) خزاعة: اسم للقبيلة المعروفة وهي بضم الخاء وتخفيف الزاي. وهم بنو عمرو بن ربيعة وسماوا بذلك لأنهم انخرعوا عن قومهم حين أقبلوا من مأرب فنزلوا ظهر مكة. انظر: تهذيب النووي: ٢٨٩/١.

(٨) هو: خالد بن حزام بن خويلد القرشي الأسدي، أخو الحكيم بن حزام، أسلم يوم الفتح وهو الذي قيل: إنه نزل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية، لكنه غير متفق عليه. انظر: الإصابة: ٤٠٣/١، وأسد الغابة: ٧٨/٢.

(٩) وفي أسماء النقباء اختلاف في المراجع واعتمدت ما في مفحمت الأقران حيث إنه عمدة للسيوطي. وانظر: تفسير ابن جرير: ١٥٠/٦، ومفحمت الأقران: ١٤، والإنتقان: ٨٣/٤.

والنقيب: كبير القوم العالم بأمرهم الذي يتقب عنها وعن مصالحتهم فيها. فتح القدير: ٢١/٢.

شموع بن زكور من سبط روبيل، وشوقط بن حوري من سبط شمعون، وكالب بن يوفنا من سبط يهودا، ويعوول^(١) بن يوسف من سبط أساخر^(٢)، ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف، وبلطي بن زوفو^(٣) من سبط بنيامين، وكراييل بن سودي^(٤) من سبط زبالون، وكدي بن سوسا^(٥) من سبط منشا بن يوسف، وعمائيل بن كسل من سبط دان، وستور بن مخائيل من سبط شيز^(٦)، ويحيى بن وقوسي من سبط تفتال^(٧)، وآل^(٨) بن موخا من سبط كاذلو.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّكَ لَكَ﴾ [المائدة: ٢٣] هما يوشع وكالب^(٩).

قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ [المائدة: ٢٧] هما: قابيل^(١٠) وهابيل، وهو المقتول^(١١).

قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرَ﴾ [الأعراف: ١٧٥] بلعم، ويقال: بلعام بن أبر، ويقال: باعر، ويقال: باعور^(١٢) وقيل: هو

(١) في الإتيان: ٨٣/٤: «بعورك».

(٢) في الإتيان: ٨٣/٤: «اشاجر».

(٣) في الإتيان: ٨٤/٤: «بلطي بن روفو».

(٤) في الإتيان: ٨٣/٤: «سورى» بالراء.

(٥) في الإتيان: ٨٣/٤: «شاس».

(٦) في الإتيان: ٨٣/٤: «أشير».

(٧) في الإتيان: ٨٣/٤: «نفتالي».

(٨) في الإتيان: ٨٣/٤: «وال».

(٩) انظر: تفسير ابن جرير: ١١٢/٦، والدر المنثور: ٢٧٠/٢، ومفحمت الأقران:

١٤، والإتيان: ٤، ٨٣، وفتح القدير: ٢٨٢.

(١٠) تأتي ترجمته في قصص الأنبياء صفحة (١٧٠).

(١١) وهو قول الجمهور من الصحابة.

انظر: تفسير ابن جرير: ١٨٦/٦، ومفحمت الأقران: ١٤، والإتيان: ٨٣/٤، وتفسير

الشوكاني: ٣٠/٢.

(١٢) كذا في (هـ) و(ح) والإتيان: ٨٤/٤.

وفي المستدرک: ٣٢٥/٢: «باعوراء»، وفي تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٦٥/١٠:

ويقال: بلعام بن باعوراء، وقال: ابن أبر، ويقال: ابن أور، ويقال: ابن باعر؛ كان يسكن

قرية من قرى البلقان، وهو الذي كان يعرف اسم الله الأعظم، فانسلخ من دينه، له ذكر في

القرآن.

أمية بن أبي الصلت^(١)، وقيل: صفي بن الراهب^(٢)، وقيل: فرعون^(٣) وهو أغربها^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَإِن جَاءَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨]^(٥) عني^(٦) سُرَاقَةَ^(٧) بن جعشم^(٨).

قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَمَّةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٢]، قال قتادة^(٩) هم: أبو سفيان^(١٠)، وأبو جهل، وأمّية بن خلف، وسهيل بن عمرو، وعتبة بن ربيعة.

= وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٥/٧، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره: ٨٢/٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ٢٦٦/١٠، وأورده السيوطي في الدر المنثور: ١٤٥/٣ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وغيره. (١) هو: أمية بن أبي الصلت عبد الله بن ربيعة الثقفي كان يتعبد في الجاهلية ويؤمن بالبعث، وينشد في أبياته الشعر المليح، وأدرك الإسلام ولم يسلم. انظر: التهذيب للنووي: ١٢٦/١.

(٢) في الإتيان بدون «ال».

(٣) حكاه الكرمانى في العجائب. انظر: مفحمت الأقران: ١٧.

(٤) انظر هذه الأقوال في: تفسير ابن جرير: ١١٩/٩، وتفسير ابن كثير: ٢٥٠/٣، ومفحمت الأقران: ١٧، والإتيان: ٨٤/٤.

(٥) ومعنى الجار هنا: الدافع عن صاحبه أنواع الضرر كما يدفع الجار عن الجار. فتح القدير: ٣١٥/٢.

(٦) ساقط من (ح).

(٧) هو: سُرَاقَةَ بن مالك بن جعشم سيد بني مدلج أبو سفيان المدلجي الصحابي، أسلم عند النبي ﷺ بالجعرة حين انصرف من حنين والطائف، توفي سنة أربع وعشرين على الأصح. انظر التهذيب للنووي: ٢١٠/١.

حيث إن الشيطان (إبليس) تبدى لهم في صورة سُرَاقَةَ بن مالك بن جعشم.

(٨) انظر: تفسير ابن جرير: ٨٨/١٠، وتفسير ابن كثير: ٣٣٢/٣، ومفحمت الأقران: ١٧، والإتيان: ٨٤/٤، وفتح القدير: ٣١٤/٢.

(٩) هو: قتادة بن دعامة بن قنادة أبو الخطاب السدوسي البصري التابعي، وهو ثقة مأمون حجة في الحديث. قاله ابن سعد، توفي سنة سبع عشر ومائة من الهجرة. انظر: التهذيب للنووي: ٥٧/١.

انظر قول قتادة في: تفسير ابن جرير: ٦٢/١٠، وتفسير ابن كثير: ٣٣٩/٢، والإتيان: ٨٤/٤، وفتح القدير: ٣٤٣/٢. قال ابن كثير: والصحيح أن الآية عامة وإن كان سبب نزولها مشركي قريش فهي عامة لهم ولغيرهم: ٣٣٩/٢.

(١٠) هو: صخر بن حرب بن أمية أبو سفيان القرشي الأموي الصحابي الجليل، =

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا لَنَرَى اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] هو أبو بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه - (١).

﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧] (٢) قال مجاهد (٣) هم: عبد الله بن أبي ابن سلول، ورفاعة بن الثابوت (٤)، وأوس بن قيطي (٥).

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَسْأَلُ اللَّهَ بِرَأْسِي﴾ [التوبة: ٤٩] هو الجد (٧) بن قيس (٨).

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ (٩) [التوبة: ٥٨] هو ذو الخويصرة (١٠) (١١).

= وأم حبيبة أم المؤمنين، توفي سنة إحدى وثلاثين من الهجرة بالمدينة. انظر: التهذيب للنووي: ٢٣٩/١.

(١) ففي صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ثَانِيكَ أَتَيْنِي إِذْ هُمَا فِي الْفَكَارِ...﴾. قال أبو بكر رضي الله عنه: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغار، فرأيت آثار المشركين، قلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدمه رأنا، قال: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

(٢) سمعون لهم: أي عيون يسمعون لهم الأخبار وينقلونها إليهم. تفسير ابن كثير: ٣٦١/٢.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير: ١٠٢/١٠، وفي تفسير مجاهد: ٢٨٠/١ زيادة: «عبد الله بن نبتل».

(٤) هو: رفاعة بن ثابوت الأنصاري. انظر: أسد الغابة: ١٧٧/٢، والإصابة: ٥١٧/١.

(٥) انظر: تفسير ابن جرير: ١٤٤/١٠، والإتقان: ٨٤/٤، وفتح القدير: ٣٦٨/٢.

(٦) ائذن لي في التخلف عن الجهاد. فتح القدير: ٣٦٧/٢.

(٧) هو: جد بن قيس بن صخر أبو عبد الله الأنصاري، كان منافقاً ونزل فيه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَسْأَلُ اللَّهَ بِرَأْسِي﴾ وتخلف عن البيعة يوم الحديبية وعن غزوة تبوك، ثم تاب وحسنت توبته وتوفي في خلافة عثمان.

انظر: الإصابة: ٢٢٩/١، وأسد الغابة: ١٧٤/١.

(٨) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ٣٠/٧، وقال: أخرجه الطبراني وفي إسناده يحيى الحماني وهو ضعيف. وأخرجه ابن جرير أيضاً: ١٠٤/١٠، وانظر: تفسير الشوكاني: ٣٦٨/٢.

(٩) واللمز: الاغتياب وتتابع المعاب، والمراد هنا: الطعن: أي يطعن عليك في الصدقات.

انظر: المفردات للراغب مادة: (لمز): ٤٥٤، وتفسير الشوكاني: ٣٧٣/٢.

(١٠) هو: حرقوص بن زهير ذي الخويصرة التميمي وهو الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم عندما كان يقسم قسماً: يا رسول الله اعدل، فقال صلى الله عليه وسلم: «ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل»، فقال عمر: ائذن لي لأضرب عنقه! قال: لا، إن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كمروق السهم من الرمية... الحديث وهو أصل الخوارج. انظر: أسد الغابة: ١٤٠/٢.

(١١) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري، كتاب استتابة المرتدين، باب من ترك قتال الخوارج للتألف...: ٥٢/٨.

قوله تعالى: ﴿إِن تَعَفُّ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ﴾^(١) [التوبة: ٦٦] هو مخشي^(٢) بن حمير^(٣).

﴿وَمِنَهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧٥]، هو ثعلبة^(٤).....

(١) الطائفة من الناس: الجماعة منهم، ومن الشيء القطعة. المفردات للراغب مادة: (طوف): ٣١١.

(٢) هو: مخشي بن حمير حليف بني سلمة من الأنصار الأشجعي، كان من المنافقين ومن أصحاب مسجد الضرار، ثم تاب وحسنت توبته، فغير النبي ﷺ اسمه فسماه عبد الله بن عبد الرحمن، واستشهد يوم اليمامة.
انظر: الإصابة: ٣/٣٩١، وأسد الغابة: ٤/٣٣٨.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم عن كعب بن مالك. انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٣٦٧، والإتقان: ٤/٨٤.

(٤) هو: ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد، أخى الرسول ﷺ بينه وبين معتب بن الحمراء من خزاعة، شهد بدرأً وأحدأً.
انظر: طبقات ابن سعد: ٣/٤٦٠، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم: ٣٣٤، والثقات لابن حبان: ٣/٣٦.

أما ما ذكره السيوطي وتبعه المؤلف من أن ثعلبة بن حاطب هو المعني في سبب نزول هذه الآية: ﴿وَمِنَهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ...﴾ [التوبة: ٧٥]، فهو خطأ، فإن ثعلبة بن حاطب بدري فقد جاء في شأن أهل البدر الحديث القدسي: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر.

قال ابن حزم في المحلى: ١١/٢٠٧، ٢٠٨. قال تعالى: ﴿وَمِنَهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِن مَّآكُنَّا مِن فَضْلِهِ﴾ إلى قوله: ﴿يَكْفُرُونَ﴾ قال: وهذه أيضاً صفة أوردها الله تعالى، يعرفها كل من فعل ذلك من نفسه، وليس فيها نص ولا دليل على أن صاحبها معروف بعينه.

على أنا قد روينا أثرأً لا يصلح، وفيه أنها نزلت في ثعلبة بن حاطب، وهذا باطل؛ لأن ثعلبة بدري معروف... وأخرج الحديث من رواية معان بن رفاعة وقال: وهذا باطل لا شك؛ لأن الله تعالى أمر بقبض زكوات أموال المسلمين، وأمر عليه السلام - عند موته - أن لا يبقى في جزيرة العرب دينار. فلا يخلو ثعلبة من أن يكون مسلماً، ففرض على أبي بكر وعمر قبض زكاته ولا بد، ولا نسخ في ذلك. وإن كان كافراً، فلا يقر في جزيرة العرب، فسقط هذا الأثر بلا شك.

وفي رواه معان بن رفاعة، والقاسم بن عبد الرحمن، وعلي بن يزيد وهو أبو عبد الملك الألهاني، وكلهم ضعفاء.

وانظر: كتاب ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى لعذاب الحمس: ٩١، ٩٢.

وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة: ١/٦٩٨: ثعلبة بن حاطب... ذكره موسى بن =

ابن حاطب^(١).

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجُوا عَرَفُوقًا بِذُنُوبِهِمْ﴾^(٢) [التوبة: ١٠٢]، قال ابن عباس رضي الله عنهما هم سبعة: أبو لبابة^(٣). وأصحابه^(٤)، وقال قتادة: سبعة من الأنصار: أبو لبابة، وجد بن قيس وخدام^(٥).....

= عقبة وابن إسحاق في البدرين وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: ٢٠٠/١: شهد بدرًا وأحدًا.

وقال ابن الأثير في أسد الغابة: ٢٨٣/١: شهد بدرًا. قاله محمد بن إسحاق وموسى بن عقبة. ولقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إني لأرجو أن لا يدخل النار أحد إن شاء الله ممن شهد بدرًا والحديبية». أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٣٦٢/٦. أما الرواية في أن ثعلبة هو المعني في آية: ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ﴾ وهو الذي سأل النبي ﷺ أن يدعو الله أن يرزقه مالا.

قال المناوي في فيض القدير: ٥٢٧/٤ قال البيهقي: في إسناد هذا الحديث نظر ومشهور بين أهل التفسير. وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: ٢٢٦/٣... لكنه حديث ضعيف لا يحتج به.

وقال في تخريج الكشاف: ٧٧/٤ بعد أن ذكر من أخرجه، وكلهم من طريق علي بن يزيد الألهاني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة، وهذا إسناد ضعيف جداً. (١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ٣٢/٧، وقال: أخرجه الطبراني، وإسناده ضعيف جداً؛ لأن في إسناده علي بن يزيد الألهاني وهو متروك. انظر: تفسير ابن كثير: ٣٧٤/٢.

(٢) والاعتراف: الإقرار بالشيء. والمعنى أن هؤلاء الجماعة تخلفوا عن الغزو لغير عذر مسوغ للتخلف ثم ندموا على ذلك، ولم يعتذروا بالأعدار الكاذبة، كما اعتذر المنافقون، بل تابوا واعترفوا بالذنب، ورجوا أن يتوب الله عليهم. وهذه الآية وإن كانت نزلت في أناس معينين إلا أنها عامة في كل المذنبين الخاطئين المخطئين الملوئين. انظر: تفسير ابن كثير: ٣٨٠/٢، وفتح القدير: ٣٩٩/٢.

(٣) هو: بشير بن عبد المنذر وقيل: رفاعة بن عبد المنذر أبو لبابة الأنصاري، شهد بدرًا، ثم شهد أحدًا وما بعدها، توف بعد مقتل عثمان. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢١٤/١٢، والمعارف: ٣٢٥.

(٤) هم الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، ربطوا أنفسهم بسواري المسجد وحلفوا لا يحلهم إلا رسول الله ﷺ، فلما أنزل الله هذه الآية: ﴿وَأَخْرَجُوا عَرَفُوقًا بِذُنُوبِهِمْ﴾ أطلقهم رسول الله ﷺ وعفا عنهم. انظر: تفسير ابن كثير: ٣٨٥/٢.

(٥) هو: خدام بن وديعة الأنصاري الأوسي وقيل: خدام بن خالد، وهو والد خنساء بنت خدام الذي زوج ابنته خنساء بنت خدام وهي ثيب، فكرهت فأتت النبي ﷺ فرد نكاحه. انظر: الإصابة: ٤٢١/١، وأسد الغابة: ١٠٧/٢.

وأوس، وكردم، ومرداس (٢)×(١).

[قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُوكَ مُرَجُونَ﴾ [التوبة: ١٠٦] هم هلال بن أمية^(٣)، ومرارة بن الربيع^(٤)، وكعب بن مالك^(٥) وهم الثلاثة الذين خلفوا^{(٦)×(٧)}.
قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾^(٨) [التوبة: ١٠٧]. قال ابن إسحاق^(٩): اثنا عشر من الأنصار: خذام بن خالد، وثعلبة بن حاطب وهو من بني أمية^(١٠)، ومعتب بن قشير^(١١)، وأبو حبيبة بن الأزعر^(١٢)، وعباد بن

(١) هو: مرداس - بكسر أوله وسكون الراء - ابن مالك الأسلمي، كان من أصحاب الشجرة. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر: ٨٦/١٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم. انظر: تفسير ابن كثير: ٣٨٥/٢، وفتح القدير: ٤٠١/٢، والإتقان: ٨٤/٤، ومفحمت الأقران: ١٩.

(٣) هو: هلال بن أمية بن عامر الصحابي الأوسي الأنصاري، شهد بدرًا وأحدًا وهو الذي تاب الله عليهم. انظر: التهذيب للنووي: ١٣٩/١.

(٤) هو: مرارة بن الربيع، ويقال: ابن ربيعة الأنصاري العمري الصحابي من بني عمرو بن عوف، شهد بدرًا، وهو أحد الثلاثة الذي تاب الله عليهم. التهذيب للنووي: ٨٦/١.

(٥) هو: كعب بن مالك بن عمرو أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي السلمي، شهد العقبة وأحدًا وسائر المشاهد إلا بدرًا وتبوك، وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم وأنزل فيهم: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ﴾ [التوبة: ١١٨]، توفي بالمدينة سنة ثلاث وخمسين في زمن معاوية. انظر: التهذيب للنووي: ٦٩/١.

(٦) ما بين المعكوفين ساقط من (ح).

(٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٨٧/٢، ومفحمت الأقران: ١٩، والإتقان: ٨٤/٤. وفتح القدير: ٤٠٢/٢.

(٨) والباعث لهم على بناء هذا المسجد أمور أربعة، الأول: الضرار لغيرهم. والثاني: الكفر بالله والمباهة لأهل الإسلام؛ لأنهم أرادوا ببناؤه تقوية أهل النفاق. الثالث: التفريق بين المؤمنين؛ لأنهم أرادوا أن لا يحضروا مسجد قباء فتقل جماعة المسلمين. الرابع: الإرصاء أي الإعداد لمن حارب الله ورسوله. انظر: فتح القدير: ٢/٤٠٣ بالاختصار.

(٩) انظر: سيرة ابن هشام: ١٧٤/٤.

(١٠) في الإتقان: ٨٥/٤ وهو من بني أمية، وما أثبتته من مفحمت الأقران: ١٩.

(١١) معتب بن قشير: معتب بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد التاء، من الذين بنوا مسجد الضرار، وهو الذي قال الله فيه أنه قال: ﴿لَوْ كَانَتْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤]. انظر: أسد الغابة: ٣٩٤/٤، وجمهرة النسب للكليبي: ٦٢٤.

(١٢) هو: أبو حبيبة بن الأزعر بن زيد بن العطاف بن صبة الأنصاري، استدركه =

حنيف^(١)، وجارية بن عامر^(٢) وابناه مجمع^(٣) وزيد^(٤)، ونبتل بن الحارث^(٥)،
وبخرج^(٦)، وبجاد بن عثمان^(٧)، ووديعة بن ثابت^{(٨)(٩)}.

قوله تعالى: ﴿لَمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ١٠٧] هو أبو عامر
الراهب^{(١٠)(١١)}.

= يحيى بن عبد الوهاب بن منده على جده، وقال: إنه ممن شهد أحداً. انظر: الإصابة: ٤/٤١، وسيرة ابن هشام: ٤/١٧٤.

(١) هو: عباد بن حنيف أخو عثمان وسهل الأنصاري الأوسي من بني عمرو بن عوف.
انظر: الإصابة: ٢/٢٦٤، وسيرة ابن هشام: ٤/١٧٤، والسيرة النبوية لابن كثير: ٤/٤٠.

(٢) هو: جارية بن عامر بن مجمع بن العطف وقد بايع النبي ﷺ هو وبنوه زيد، ويزيد
ومجمع من بني ضبيعة. انظر: جمهرة النسب للكليبي: ٦٢٤، وسيرة ابن هشام: ٤/١٧٤.

(٣) هو: مجمع بن جارية بن عامر الأوسي الأنصاري وأبوه ممن اتخذ مسجد الضرار.
انظر: أسد الغابة: ٤/٣٠٣، والإصابة: ٣/٣٦٦.

(٤) هو: زيد بن جارية بن عامر الأوسي الأنصاري، كان ممن استصغره رسول الله ﷺ
يوم أحد وكان أبوه من المنافقين ومن أهل مسجد الضرار. انظر: أسد الغابة: ٢/٢٢٣،
والإصابة: ١/٥٦٢، وسيرة ابن هشام: ٤/١٧٤.

(٥) هو: نبتل بن الحارث بن قيس بن زيد بن طبيعة وكان منافقاً من بني ضبيعة. انظر:
جمهرة النسب للكليبي ٦٢٤، وسيرة ابن هشام: ٤/١٧٤.

(٦) هو: بخرج من بني ضبيعة من الذين بنوا مسجد الضرار.

انظر: سيرة ابن هشام: ٤/١٧٤، والسيرة النبوية لابن كثير: ٤/٤٠، وتفسير الخازن: ٣/١٢٠.
(٧) هو: بجاد بن عثمان وهو من بني ضبيعة من الذين بنوا مسجد الضرار.

انظر: سيرة ابن هشام: ٤/١٧٤، والسيرة النبوية لابن كثير: ٤/٤٠، وتفسير الخازن: ٣/١٢٠.
(٨) هو: وديعة بن ثابت، وهو من بني أمية بن زيد من الذين بنوا مسجد الضرار.

انظر: سيرة ابن هشام: ٤/١٧٤، والسيرة النبوية لابن كثير: ٤/٤٠، وتفسير الخازن:
٣/١٢٠.

(٩) انظر: سيرة ابن هشام: ٤/١٧٤، وتفسير ابن كثير: ٢/٣٨٨، وتفسير الخازن: ٣/١٢٠،
ومفحّمات الأقران: ١٩.

(١٠) هو: أبو عامر الراهب الفاسق والد حنظلة غسيل الملائكة، وكان أبو عامر قد
ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وتنصر.

فلما انهزمت هوازن يثس أبو عامر وخرج هارباً إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن
استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لي مسجداً، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فأتي
بجند من الروم فأخرج محمداً وأصحابه. فبنوا مسجد الضرار. تفسير الخازن: ٣/١٢١.

(١١) انظر: تفسير ابن جرير: ١١/٢٣، وتفسير ابن كثير: ٢/٣٨٨، وتفسير الخازن:
٣/١٢٠، وتفسير الشوكاني: ٢/٤٠٥.

[قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة: ١٠٨] هو مسجد المدينة وقيل مسجد قباء^{(١)(٢)}.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [هود: ١٧]، وهو^(٣) محمد ﷺ^(٤) ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧] هو جبريل عليه السلام^(٥) وقيل: هو القرآن^(٦)، وقيل: أبو بكر^(٧) وقيل: علي^(٨) - رضي الله تعالى عنهما - .
﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ أَبْنَاهُمْ﴾ [هود: ٤٢] اسمه كنعان^(٩) وقيل: يام^{(١٠)(١١)}.

(١) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب الحج، من حديث حميد الخراط، أنه مسجد المدينة. ورواه أحمد في مسنده: ١١٦/٥، وابن جرير في تفسيره: ٢١/١١، والحاكم في المستدرک: ٣٣٤/٢، وابن كثير في تفسيره: ٣٨٩/٢.

قال النووي في شرح صحيح مسلم: ٥٤٢/٣: هذا نص بأنه المسجد الذي أسس على التقوى المذكور في القرآن، ورد لما يقول بعض المفسرين: إنه مسجد قباء، وأما أخذه ﷺ الحصباء وضربه في الأرض، فالمراد به المبالغة في الإيضاح لبيان أنه مسجد المدينة.

(٢) ما بين القوسين ساقط من الإتيان: ٨٥/٤.

(٣) في (ح): بدون الواو.

(٤) وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وأبو العالية، وصححه ابن كثير في تفسيره: ٤٤٠/٢.

وانظر: الإتيان: ٨٥/٤، ومفحمت الأقران: ٢٠، وتفسير الشوكاني: ٤٨٩/٢.

(٥) وهو قول ابن عباس ومجاهد وأبو العالية، وهو اختيار ابن جرير وصححه ابن

كثير. انظر: تفسير ابن جرير: ١٢/١٢، وتفسير ابن كثير: ٤٤٠/٢، وتفسير الشوكاني: ٤٨٩/٢.

(٦) ساقط من (ح) وهو قول زيد بن أسلم. انظر: مفحمت الأقران: ٢٠.

(٧) ذكره الكرمانى في عجائبه. انظر: مفحمت الأقران: ٢٠.

(٨) أخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي - يعني علي بن أبي

طالب - يا أبت: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ إن الناس يقولون: إنك أنت هو، قال: وددت أني أنا هو، لكنه لسانه. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٣٧/٧: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه خلود بن دعلج، وهو متروك.

(٩) وهو قول قتادة أخرجه ابن أبي حاتم. انظر: مفحمت الأقران: ٢٠، وتفسير

الشوكاني: ٤٩٩/٢.

(١٠) هو ابنه الرابع واسمه يام، وكان كافراً رعاه أبوه عند ركوب السفينة أن يؤمن

ويركب معهم ولا يغرق مثل ما يغرق الكافرون ﴿قَالَ سَتَأْتِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِيٰكَ مِنْ أَلْمَاءٍ﴾ [هود: ٤٣]. تفسير ابن كثير: ٥٥٣/٣.

(١١) حكاه السهيلي في التعريف والإعلام: ٧٧. وانظر: مفحمت الأقران: ٢٠،

والإتيان: ٨٥/٤.

﴿وَأَمْرًا تُنَبِّئُ فَأَيَّمَةَ﴾ [هود: ٧١] اسمها سارة^(١)^(٢).

«بنات لوط»^(٣): زيتاء وزعوراء^(٤).

﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ [يوسف: ٨] هو بنيامين شقيقه^(٥).

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ [يوسف: ١٠] هو روبيل^(٦)، وقيل: يهوذا^(٧)، وقيل:

شمعون^(٨).

﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾^(٩) [يوسف: ١٩] هو مالك بن ذعر^(١٠).

(١) هي: سارة بنت هاران بن ناحور بن ساروج بن راعون بن فالغ وهي ابنة عم إبراهيم. تفسير ابن جرير: ٤٣/١٢.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ٤٣/١٢، وتفسير ابن كثير: ٥٦٣/٣، ومفحمتان الأقران: ٢١، والإتقان: ٨٥/٤.

(٣) من قوله تعالى في سورة هود: الآية (٧٨): ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾.

قال في روح المعاني: ١٠٧/١٢ في قول لوط عليه السلام: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطَهَرُ لَكُمْ﴾ إن ذلك القول لم يكن منه عليه السلام مجرياً على الحقيقة من إرادة النكاح بل كان ذلك مبالغة في التواضع لهم ووقاية ضيفه (بتصرف).

قلت: قيل: كان له عليه السلام بنتان أو ثلاث بنات وكيف يعرض بناته على أولاد المهرجرين ليزوجهن مع القول بأنهم أكثر منهن. وعلى هذا فإن القول الذي تظمن إليه النفس: المراد بناته عليه السلام نساء أمته؛ لأن كل نبي أب لأمته، ويؤيد هذا قراءة ابن مسعود عليه السلام: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم».

انظر: تفسير ابن جرير: ٥١/١٢، وتفسير ابن كثير: ٥٦٦/٣، وتفسير الآلوسي: ١٢/١٠٧.

(٤) في (هـ) و(ح): «ريثا ورغوتا»، وما أثبتته من روح المعاني للآلوسي: ١٠٧/١٢.

(٥) هو: بنيامين وكان شقيقه لأمه. وهو قول قتادة أخرجه ابن أبي حاتم. انظر: تفسير ابن جرير: ٩٣/١٢، وتفسير ابن كثير: ١١/٤، ومفحمتان الأقران: ٢١، والإتقان: ٨٥/٤.

(٦) أخرج ابن جرير في تفسيره: ٩٣/١٢ عن قتادة قال: كنا نحدث أنه روبيل، وهو أكبر إخوته وهو ابن خالة يوسف.

(٧) وهو قول السدي. انظر: تفسير ابن كثير: ١٢/٤، ومفحمتان الأقران: ٢١، والإتقان: ٨٥/٤.

(٨) وهو قول مجاهد أخرج ذلك ابن أبي حاتم. انظر: تفسير ابن كثير: ١٢/٤، ومفحمتان الأقران: ٢١، والإتقان: ٨٥/٤.

(٩) والوارد: الذي يرد الماء ليسقي للقوم. انظر: تفسير الشوكان: ١٣/٣.

(١٠) هو مالك بن ذعر من العرب العاربة. انظر: تفسير ابن جرير: ١٠٤/١٢، وتفسير الشوكاني: ١٣/٣، ومفحمتان الأقران: ٢١، والإتقان: ٨٥/٤.

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ [يوسف: ٢١] هو قطفير أو أطيير^(١)^(٢).
﴿لَا مَرَأِيَهُ﴾ [يوسف: ٢١] هي راعيل^(٣)، وقيل: زليخا^(٤)^(٥).
قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ﴾ [يوسف: ٣٦] هما مجلت^(٦) ونبو^(٧)
وهو الساقى^(٨)، وقيل: راشان ومرطش^(٩). [وقيل: شرهم وسرهم]^(١٠)^(١١).
﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ^(١٢) أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا أَذْكُرَنِي﴾ [يوسف: ٤٢] [هو
الساقى]^(١٣)^(١٤).
﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢] هو الملك ريان^(١٥) بن الوليد^(١٦).

- (١) قال ابن كثير في البداية: ٢١٩/١. قال ابن إسحاق: واسمه أي عزيز مصر: أطفير بن رويحيب... وكان ملك مصر يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق.
(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ١٠٤/١٢، وتفسير الشوكاني: ١٥/٣.
(٣) قال ابن إسحاق: اسمها راعيل بنت راعائيل. أخرجه ابن أبي حاتم.
انظر: تفسير ابن جرير: ١٠٤/١٢، والبداية والنهاية: ٢١٩/١، وفتح القدير: ١٥/٣، ومفحمت الأقران: ٢١.
(٤) وقال غيره: كان اسمها زليخا. قال ابن كثير: والظاهر أنه لقبها. انظر: البداية والنهاية: ٢١٩/١.
(٥) انظر: تفسير ابن جرير: ١٠٤/١٢، والبداية والنهاية: ٢١٩/١، وفتح القدير: ٣/١٥، ومفحمت الأقران: ٢١.
(٦) كذا في (هـ) و(ح) وتفسير ابن جرير: ١٢٧/١٢، والإتقان: ٨٥/٤، ووقع في الدر المنثور: ١٨/٤: «مجلب» بالباء الموحدة.
(٧) في الإتقان: ٨٥/٤: «بنوه».
(٨) انظر: تفسير ابن جرير: ١٢٧/١٢، وتفسير ابن كثير: ٢٥/٤.
(٩) انظر: مفحمت الأقران: ٢١، والإتقان: ٨٥/٤.
(١٠) حكاة السهيلي في التعريف والإعلام: ٨١.
(١١) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).
(١٢) المراد بالظن العلم؛ لأنه قد علم من الرؤيا نجاة الشرابي وهلاك الخباز، والظان هو يوسف ﷺ. انظر: تفسير الشوكاني: ٢٨/٣.
(١٣) ساقط من (ح).
(١٤) قاله مجاهد وغيره. انظر: تفسير ابن جرير: ١٣/١٢، وتفسير ابن كثير: ٢٩/٤.
(١٥) هو: الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشه بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ﷺ كما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٢٦/١.
(١٦) انظر: مفحمت الأقران: ٢٢، والإتقان: ٨٥/٤.

﴿قَالَ أَتَوْنِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنَ أَبِيكُمْ﴾ [يوسف: ٥٩] هو بنيامين^(١) وهو المكرر^(٢) في السورة.

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَفَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ٧٧] هو يوسف^(٣).

﴿قَالَ كَبُرَتْهُمْ﴾ [يوسف: ٨٠] هو شمعون، وقيل: روبيل^(٤).

﴿ءَأَوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوهُ﴾ [يوسف: ٩٩] هما أبوه وخالته ليا^(٥) [وقيل أمه، واسمها راحيل]^{(٦)(٧)}.

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣] هو عبد الله^(٨) بن سلام^(٩).

وقيل^(١٠): جبريل^(١١).

(١) انظر: مفحمتا الأقران: ٢٢، والإتقان: ٨٥/٤، وفتح القدير: ٣٧/٣.

(٢) في الإتقان: ٨٥/٤: «المكرر» وما أثبتته من مفحمتا الأقران: ٢٢.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٤١/٤، ومفحمتا الأقران: ٢٢، والإتقان: ٨٥/٤.

قال قتادة: كان يوسف ﷺ قد سرق صنماً لجدته أبي أمه فكسره. نقلاً عن تفسير ابن كثير: ٥٠٤٠/٤.

(٤) قال مجاهد: هو شمعون الذي تخلف، أكبرهم عقلاً. قال قتادة: هو روبيل، أكبرهم في السن. انظر: تفسير ابن جرير: ٢٣/١٣، ومفحمتا الأقران: ٢٢، والإتقان: ٨٥/٤.

(٥) وهو قول السدي. انظر: تفسير ابن جرير: ٤٤/١٣، ومفحمتا الأقران: ٢٢.

(٦) وهو قول قتادة. انظر: تفسير ابن جرير، ومفحمتا الأقران: ٢٢.

قلت: القول الذي تطمئن به النفس ما قاله ابن جرير في تفسيره: ٤٤/١٣: كان أبوه وأمّه يعيشان، ولم يبق دليل على موت أمه، وظاهر القرآن يدل على حياتها.
(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٨) هو: عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف الإسرائيلي الصحابي، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، كان اسمه الحصين، فسماه الرسول ﷺ عبد الله، مات سنة ثلاث وأربعين للهجرة. انظر: البداية والنهاية: ٢٧/٨، والإصابة: ٣٢٠/٢.

(٩) وهو قول عكرمة ومجاهد. انظر: تفسير ابن كثير: ١٠٦/٤، ومفحمتا الأقران: ٢٢.

قال ابن كثير: إن هذا القول غريب؛ لأن عبد الله بن سلام، أسلم في أول مقدم النبي ﷺ المدينة، وهذه الآية مكية. انظر: تفسير ابن كثير: ١٠٦/٤.

(١٠) وهو قول سعيد بن جبيرة. انظر: مفحمتا الأقران: ٢٢.

(١١) والصحيح أن المراد بـ«من عنده علم الكتاب»: علماء اليهود والنصارى الذين يجدون صفة محمد ﷺ ونعته في كتبهم المتقدمة. انظر: تفسير ابن كثير: ١٠٦/٤.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٣٧] هو^(١) إسماعيل عليه السلام^(٢).

﴿رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [إبراهيم: ٤١] اسم أبيه: تارح، وقيل: آزر^(٣)، وقيل: يازر، واسم أمه: مشاني، وقيل: نوبا، وقيل: ليوثا^(٤).

قوله عزّ من قائل: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]. قال سعيد بن جبير^(٥): هم خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل^(٦)، وأبو زمعة، والحارث بن قيس^(٧)، والأسود بن عبد يغوث^(٨).

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ﴾ [النحل: ٧٦] هو أسيد بن أبي العيص^(٩).

﴿وَمَنْ يَأْمُرْ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل: ٧٦] هو عثمان بن عفان^(١٠).

﴿كَأَلِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ [النحل: ٩٢] هي ريطة بنت سعيد بن زيد مناة بن

(١) في (ح): «وهو» بالواو.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ١٥٢/١٣، ومفحمتا الأقران: ٢٣، والإتقان: ٨٦/٤.

(٣) اختلف علماء النسب في اسم أب إبراهيم، فقيل: إنه تارح، وقيل: آزر. قلت: والقول الذي تطمئن به النفس ما ذهب ابن جرير في تفسيره: ١٥٩/٧، إلى أن اسم أبيه آزر؛ لأن الله تعالى أخبر أنه أبوه.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ١٤٩/٢، ومفحمتا الأقران: ٢٣، والإتقان: ٨٦/٤.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم. انظر: تفسير ابن كثير: ٥٦٠/٢.

(٦) هو: العاص أو العاصي بن وائل بن هاشم السهمي، أدرك الإسلام وظل على الشرك، وهو من المستهزئين، ومات كافراً في السنة الأولى من الهجرة.

انظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ١٦١، والبداية والنهاية: ٥٩/٣.

(٧) هو: الحارث بن قيس بن عدي السهمي، كان من المستهزئين الذين يؤذون الرسول ﷺ، ثم أسلم وهاجر إلى أرض الحبشة مع بنيه الحارث وبشر ومعمار.

انظر: الإصابة: ٢٨٢/١، وأسد الغابة: ٣٤٤/١.

(٨) هو: الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف وهو ابن خال النبي ﷺ. انظر: الكامل: ٧١/٢.

(٩) انظر: تفسير ابن جرير: ١٠١/١٤، وأسباب النزول للواحدي: ١٨٩، وفتح

القدير: ١٨٣/٣، والإتقان: ٨٦/٤، ومفحمتا الأقران: ٢٤.

(١٠) هو: عثمان بن عفان بن أبي العاص الخليفة الثالث رضي الله عنه، توفي رضي الله عنه سنة خمس

وثلاثين من الهجرة ودفن بالبقيع. انظر: الإصابة: ٤٦٢/٢، والمعارف: ١٦٤.

تميم^(١).

﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣] عنوا عبد ابن الحضرمي^(٢)، واسمه: يحنس^(٣)، وقيل: عبيدين له: يسار وجبر. وقيل: عنوا قيناً^(٤) بمكة اسمه بلعام، وقيل^(٥): سلمان الفارسي^(٦).

﴿أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾^(٧) [الكهف: ٩] تملیخا وهو رئیسهم، والقائل: ﴿فَأَوَّأَ إِلَى الْكَهْفِ﴾ [الكهف: ١٦]، والقائل: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩] وتكسلبینا، وهو القائل: ﴿كَمْ لَيْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩]، ومرطوش وبراشق، وأیونس، وأریسطانس وشلططیوس^(٨).

﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾ [الكهف: ١٩] هو تملیخا^(٩).

﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾ [الكهف: ٢٨] هو عینة^(١٠) بن حصن^(١١).

(١) قاله السهيلي في التعريف والإعلام: ٩٥. وانظر: مفحمت الأقران: ٢٦، والإتقان: ٨٦/٤. قلت: والقول الذي تظمن به النفس ما قاله ابن كثير في تفسيره: ٢/٥٨٢: هذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده، وهذا هو الأرجح.

(٢) قاله مجاهد وقتادة كما صرح بذلك السيوطي في مفحمت الأقران: ٢٦.

(٣) في (هـ) و(ح) والإتقان: ٨٦/٤: «مقيس» وما أثبتته من مفحمت الأقران: ٢٦.

(٤) في (ح): «عبداً».

(٥) القول: أنه سلمان الفارسي ضعيف؛ لأن هذه الآية مكية وسلمان إنما أسلم بالمدينة. انظر: تفسير ابن كثير: ٥٨٦/٢، ومفحمت الأقران: ٨٦/٤.

(٦) هو: سلمان أبو عبد الله الفارسي يقال له: سلمان ابن الإسلام، أصله من مجوس أصبهان، عمّر دهرأ طويلاً، توفي بالمدينة سنة ست وثلاثين، وقيل: ثلاث أو اثنين وثلاثين وهو أصح.

انظر: الاستيعاب: ٥٦/٢، والإصابة: ٦٢/٢، والمعارف: ٢٧١.

(٧) الكهف: هو الغار الواسع في الجبل. انظر: فتح القدير: ٢٧٢/٣.

(٨) وذكر السهيلي أسماء أصحاب الكهف في التعريف والإعلام: ١٠٠. وانظر: مفحمت القرآن: ٢٦.

(٩) قاله ابن إسحاق. انظر: الإتقان: ٨٧/٤، ومفحمت الأقران: ٢٦.

(١٠) هو: عينة بن حصن بن حذيفة أبو مالك الصحابي الجليل أسلم قبل الفتح وشهدا وشهد حينئذ والطائف، عاش إلى خلافة عثمان. انظر: الإصابة: ٥٤/٣، وأسد الغابة: ١٦٧/٤.

(١١) انظر: التعريف والإعلام: ١٠١، وأسباب النزول للواحي: ٢٢٤، والمطالب العالية: ٣/٣٣١.

﴿وَأَضْرَبَ لَهمْ مَثَلًا لِّزَاطِينِ﴾ [الكهف: ٣٢] هما تمليحاً - وهو الخير - وفطروس^(١) وهما المذكوران في سورة (الصافات)^(٢).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ﴾ [الكهف: ٦٠] هو يوشع بن نون^(٣)، وقيل: أخوه يثربي^(٤).

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا﴾ [الكهف: ٦٥] هو الخضر^(٥) واسمه: بلياً^(٦).

﴿لَقِيَا عَلَمًا﴾ [الكهف: ٧٤] اسمه جيسور - بالجيم -، وقيل: بالحاء^(٧).

﴿وَرَأَاهُمْ مَلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩]^(٨) هو هدد بن بدد^(٩).

﴿وَأَمَّا أَلْعَلَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ﴾ [الكهف: ٨٠] اسم الأب كازدي

(١) انظر: التعريف والإعلام: ١٠٢، وزاد المسير: ١٣٩/٥.

(٢) في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾. وقيل: هما أخوان من بني إسرائيل وقيل غير ذلك.

قلت: والأولى بنا أن نعتبر من هذا المثل الذي ضربه الله تعالى لمن يفتخر بالدنيا ويستنكف عن مجالسة الفقراء بدون تعيين أسمائهما لعدم الفائدة.

انظر: الإلتقان: ٨٧/٤، وفتح القدير: ٢٨٥/٣.

(٣) قال ابن عباس وغيره: هو يوشع بن نون. أخرجه ابن أبي حاتم.

انظر: التعريف والإعلام: ١٠٣، ومفحمت الأقران: ٢٦.

ورواية ابن عباس هذه جاءت مرفوعة في صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ...﴾ [الكهف: ٦٠]: ٢٣٠/٥.

(٤) حكاه الكرمانى نقلاً عن مفحمت الأقران: ٢٦.

(٥) انظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ...﴾:

٢٣٠/٥، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر: ١٠٣/٧.

(٦) هو: الخضر اسمه بلياً بن فالغ بن عابر بن شالح بن سام بن نوح أبو العباس، ولقبه الخضر؛ لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من تحته خضراء. انظر: التهذيب للنووي: ١٧٦/١، وتفسر ابن كثير: ٤١٦/٤.

(٧) كما في فتح الباري، كتاب التفسير، باب ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ...﴾:

٤٢٠/٨.

وانظر: تفسير ابن كثير: ٤٠٣/٤، ومفحمت الأقران: ٢٦، والإلتقان: ٨٧/٤.

(٨) «وراءهم» قال المفسرون: يعني أمامهم. انظر: فتح القدير: ٣٠٤/٣.

(٩) كما في صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب فلما جاوزا قال لفتاه: ٢٣٢/٥.

وانظر: فتح الباري: ٤٢٠/٨، ومفحمت الأقران: ٢٦، والإلتقان: ٨٧/٤.

والأم سهوى^(١).

﴿لُعَلَمَيْنِ يَمِينٍ﴾ [الكهف: ٨٢] هما، أصرم وصريم^(٢).

﴿فَنَادَنَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ [مريم: ٢٤] قيل: عيسى^(٣)، وقيل: جبريل ﷺ^(٤).

﴿وَقَوْلُ الْإِنْسَانِ﴾ [مريم: ٦٦] هو أبي^(٥) بن خلف^(٦)، وقيل: أمية بن خلف،

وقيل: الوليد بن المغيرة.

﴿أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ [مريم: ٧٧] هو العاصي بن وائل^(٧).

﴿وَقَلَّتْ نَفْسًا﴾ هو القبطي واسمه فاقون^(٨).

﴿السَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٥] اسمه موسى بن ظفر^(٩).

﴿مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُولِ﴾ [طه: ٩٦] هو جبريل ﷺ^(١٠).

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ﴾ [الحج: ٣] هو النضر^(١١) بن الحارث^(١٢).

(١) وفي فتح الباري، كتاب التفسير، باب ﴿فَلَمَّا بَلَغَا بَلْعَمَ بَيْنَهُمَا...﴾: ٣٢٠/٨. وانظر: التعريف والإعلام: ١٠٥.

(٢) انظر: التعريف والإعلام: ١٠٥، ومفحمت الأقران: ٢٦، والإتقان: ٨٧/٤.

(٣) قاله مجاهد والحسن. انظر: تفسير ابن جرير: ٥٢/١٦، وتفسير ابن كثير: ٤٤٩/٤، ومفحمت الأقران: ٢٧، والإتقان: ٨٧/٤.

(٤) وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبيرة، والضحاك. انظر: تفسير ابن جرير: ٥٢/١٦، وتفسير ابن كثير: ٤٤٩/٤، ومفحمت الأقران: ٢٧، والإتقان: ٨٧/٤.

(٥) أبي بن خلف: كان على شر ما عليه أحد من أذى رسول الله ﷺ وتكذيبه. انظر: الكامل: ٧٢/٢.

(٦) حكاه الواحدي في أسباب النزول: ٢٢٧، وانظر: سيرة ابن هشام: ٢٦١/١.

(٧) كما أخرجه البخاري في صحيحه عن خباب بن الأرت، كتاب التفسير، باب ﴿أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا...﴾: ٣٢٦/٨.

(٨) انظر: مفحمت الأقران: ٢٧، والإتقان: ٨٧/٤.

(٩) انظر: التعريف والإعلام: ١١٢، ومفحمت الأقران: ٢٧، والإتقان: ٨٧/٤.

(١٠) كما أخرجه ابن أبي حاتم عن علي، وابن عباس ومجاهد. انظر: تفسير ابن كثير: ٥٣٥/٤، ومفحمت الأقران: ٢٧.

(١١) هو: النضر بن الحارث بن علقمة القرشي الكافر شديد الأذى للإسلام والمسلمين، قتل يوم بدر كافرأ على يد علي بن أبي طالب بأمر الرسول ﷺ. انظر: التهذيب للنووي: ١٢٦/١، والكامل: ٧٣/٢.

(١٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٦١٣/٤، ومفحمت الأقران: ٢٧.

﴿هَذَا خَصَمَان﴾ [الحج: ١٩] أخرج الشيخان^(١) عن أبي ذر^(٢) قال: نزلت هذه الآية في حمزة^(٣) وعبيدة بن الحارث^(٤) وعلي بن أبي طالب وعتبة^(٥) وشيبة^(٦) والوليد بن عتبة [لما تباروزا يوم بدر وتلاقوا، والتثنية إشارة إلى الجمعين]^(٧).

﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ﴾ [الحج: ٢٥]^(٨) قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في عبد الله^(٩) بن أنيس^(١٠).

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ [النور: ١١] هم حسان بن ثابت^(١١)، ومسطح بن

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿هَذَا خَصَمَانِ أَخْصَمُوا فِي رِبِّهِمْ﴾: ٢٤٢/٥، وصحيح مسلم، كتاب التفسير باب في قوله تعالى: ﴿هَذَا خَصَمَانِ أَخْصَمُوا فِي رِبِّهِمْ﴾: ٢٤٦/٨.

(٢) هو: جندب بن السكن، وقيل غير ذلك أبو ذر الغفاري، أسلم بمكة، توفي رضي الله عنه سنة اثنين وثلاثين هجرية (٣٢٢هـ). انظر: المعارف: ٢٥٢.

(٣) هو: حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، استشهد يوم أحد السنة الثالثة من الهجرة. انظر: التهذيب للنووي: ١/١٦٨.

(٤) هو: عبيدة بن الحارث بن المطلب القرشي المطلبي أبو الحارث، أسلم قديماً، جرح عبيدة بيدر فمات بعد بالصفراء يوم بدر. انظر: الإصابة: ١/٤٤٩، وأسد الغابة: ٣/٣٥٦.

(٥) هو: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبو الوليد، كبير قريش وأحد ساداتها، كان ذا رأي وحلم، وكان سبباً في إنهاء حرب الفجار، وكان أول المبارزين في بدر فقتله علي وحمزة ومات كافراً. انظر: البداية والنهاية ٣/٢٧٠، والأعلام: ٤/٢٠٠.

(٦) هو: شيبة بن ربيعة بن عبد شمس من زعماء قريش في الجاهلية وحضر وقعة بدر، وهو الذي بارز حمزة بن عبد المطلب، وقتل يوم بدر كافراً. انظر: الكامل: ٢/١٢٥، والأعلام: ٣/٢٦٤.

(٧) ما بين اللمعوفين ساقط من الإتيان: ٤/٨٧.

(٨) بالحداد: بأمر فطيع من المعاصي الكبار.

(٩) هو: عبد الله بن أنيس بن أسعد أبو يحيى الصحابي الأنصاري، شهد العقبة في السبعين من الأنصار، توفي سنة أربع وسبعين. انظر: التهذيب للنووي: ١/٢٦٠، والمعارف: ٢٨٠.

(١٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/٦٣٠، وفتح القدير: ٣/٤٤٩، ومفحمت الأقران: ٢٧.

(١١) هو: حسان بن ثابت بن المنذر، أبو عبد الرحمن الصحابي الأنصاري شاعر رسول الله عاش ستين سنة في الجاهلية وستين في الإسلام، وتوفي بالمدينة سنة أربع وخمسين هجرية. انظر: التهذيب للنووي: ١/١٥٦.

أثائة^(١)، وحمنة بنت جحش^(٢) وعبد الله بن أبي^(٣) وهو الذي تولى كبره^(٤).

﴿وَيَوْمَ يَعِضُ^(٥) الظَّالِمُ﴾ [الفرقان: ٢٧] عقبة^(٦) بن أبي معيط^(٧).

﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا﴾ [الفرقان: ٢٧] هو أمية بن خلف، وقيل: أبي بن خلف^(٨).

﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَيْبِهِ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان: ٥]^(٩) قال الشعبي: هو أبو جهل^(١٠).

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ [النمل: ٢٣] هي بلقيس بنت شراحيل^(١١).

(١) هو: مسطح بن أثائة بن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف أبو عباد، شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها، وهو الذي قذف عائشة. انظر: المعارف: ٣٢٨.

(٢) هي: حمنة بنت جحش الأسدية أخت أم المؤمنين زينب بنت جحش. انظر: الإصابة: ٥٧٥/٤.

(٣) في (ح): تقديم قوله: «الذي تولى كبره» على «عبد الله بن أبي».

(٤) كما أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث الإفك: ٥٥/٥، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف: ١١٢/٨.

(٥) العض: أزم بالأسنان وذلك عبارة عن الندم لما جرى به عادة الناس أن يفعلوه عند ذلك. قاله الراغب في المفردات مادة: (عض): ٣٣٧. وانظر: تفسير ابن كثير ١٤٩/٥.

(٦) هو: عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية القرشي الكافر، كان شديد الأذى للمسلمين عامة وللرسول ﷺ خاصة. انظر: البداية والنهاية: ٤٤/٣، ٤٦، والتهذيب للنووي: ٣٣٧/١.

(٧) أخرجه ابن حاتم. انظر: تفسير ابن كثير: ١٤٩/٥، ومفحمت القرآن: ٢٨، والإتقان: ٨/٤. وقال ابن كثير تعليقا على هذا القول: سواء كان سبب نزول هذه الآية في عقبة بن أبي معيط أو غيره من الأشقياء فإنها عامة في كل ظالم.

(٨) انظر: تفسير ابن جرير: ٦/١٩، ومفحمت القرآن: ٢٨، والإتقان: ٨٨/٤.

قال ابن كثير تعليقا على القول في المراد بـ«فلان»: يعني من صرفه عن الهدى وعدل به إلى طريق الضلال من دعاء الضلالة، وسواء في ذلك أمية بن خلف أو أخوه أبي بن خلف أو غيرهما. تفسير ابن كثير: ١٤٩/٥.

(٩) الظهير: المظاهر أي المعاون على ربه بالشرك والعداوة؛ لأنه يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الله. تفسير الشوكاني: ٨٣/٤.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم عن الشعبي. انظر: مفحمت القرآن: ٢٨، وتفسير الشوكاني: ٨٧/٤.

(١١) انظر: تاريخ الطبري: ٤٨٩/١، وتفسير ابن كثير: ٣٦٠/٣، ومفحمت القرآن: ٢٩، والإتقان: ٨٨/٤.

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾ [النمل: ٣٦] اسم الجائي^(١): منذر^(٢).
 ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [النمل: ٢٩] اسمه كوزن^(٣).
 ﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ [النمل: ٤] هو آصف^(٤) بن برخيا كاتبه - رضي الله تعالى عنه -^(٥). وقيل: رجل يقال له: ذو النور^(٦). وقيل: أسطوم^(٧). وقيل: مليخا^(٨). وقيل: ضبة أبو القبيلة^(٩)، وقيل: جبريل عليه السلام، وقيل: ملك آخر، وقيل: الخضر^(١٠) عليه السلام.
 ﴿سِتْعَةُ رَهْطٍ﴾ هم: رعمى، ورعيم، وهرمي، ودأب، وصواب، ورآب، ومسطمع، وقدار بن سالف عاقر الناقة^(١١).
 ﴿فَالنَّفَطَةُءُ أَلُ فِرْعَوْنَ﴾ [القصص: ٨]^(١٢) اسم الملتقط طابوت^(١٣).
 ﴿أَمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ [القصص: ٩] [هي]^(١٤).....

-
- (١) اسم الجائي: منذر: ذكره الكرمانى في عجائبه كما صرح بذلك السيوطى في مفحّمات الأقران: ٢٩.
- (٢) ما بين المعقوفين بياض في (ح).
- (٣) أخرجه ابن أبى حاتم عن شبيب الجبائى، ويزيد بن رومان. انظر: الدر المنثور: ١٠٨/٥، ومفحّمات الأقران: ٢٩.
- (٤) هو: آصف بن برخيا بن مشيعا بن منكيل، وكان كاتب سليمان عليه السلام. انظر: أحكام القرآن لابن العربي: ١٤٦٢/٣، وتفسير ابن كثير: ٣٦٤/٣، وتفسير القرطبي: ١٣/٢٠٤، وزاد المسير: ١٧٤/٦.
- (٥) قاله ابن عباس وقتادة. انظر: تفسير ابن جرير: ١٩/١٠٣، وزاد المسير: ١٧٤/٦.
- (٦) قاله زهير بن محمد. انظر: زاد المسير: ١٧٤/٦، ومفحّمات الأقران: ٢٩.
- (٧) وهو قول مجاهد. انظر: المصدر السابق.
- (٨) حكاه الكرمانى في العجائب. انظر: مفحّمات الأقران: ٢٩.
- (٩) حكاه الكرمانى في العجائب. انظر: مفحّمات الأقران: ٢٩.
- (١٠) قاله ابن لهيعة. انظر: تفسير ابن كثير: ٣٦٤/٣، وزاد المسير: ١٧٥/٤، ومفحّمات الأقران: ٢٩. وقال ابن كثير عن هذا القول: وهو غريب جداً.
- (١١) انظر: تفسير ابن جرير: ١٩/٢٢٦، والبحر المحيط: ٧/٨٣. وانظر: مفحّمات الأقران: ٢٩، والإتقان: ٤/٨٨.
- (١٢) قال ابن الجوزى: الالتقاط: إصابة الشيء من غير طلب. زاد المسير: ٦/٢٠٣، وانظر: تفسير الخازن: ٥/١٣٣.
- (١٣) انظر: مفحّمات الأقران: ٣٠، والإتقان: ٤/٨٩.
- (١٤) ساقطة من الإتقان: ٤/٨٨.

آسية بنت مزاحم^(١).

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ [القصص: ١٠] هي يوحاند بنت يصهر بن لاوي^(٢)،
وقيل: ياخوا، وقيل: أبا ذخت.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ﴾ [القصص: ١١] اسمها مريم، وقيل: كلثوم^(٣).

﴿هَذَا مِنْ شِعْبِهِ﴾ [القصص: ١٥] هو السامري^(٤) ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص:
١٥] اسمه فاتون^(٥).

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ [القصص: ٢٠] هو مؤمن آل فرعون واسمه
شمعان^(٦)، وقيل: شمعون، وقيل: جبر^(٧)، وقيل: حبيب، وقيل: حزقيل^(٨).

﴿أَمْرَاتَيْنِ تَدُودَانِ﴾^(٩) [القصص: ٢٣] وصفوريا^(١٠) وهي التي نكحها^(١١)،
وأبوها شعيب، وقيل: يثرون ابن أخي شعيب^(١٢).

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبْنِهِ﴾ [لقمان: ١٣] اسمه باران^(١٣) بالموحدة وقيل: داران،

(١) انظر: التعريف والإعلام: ١٣٠، وزاد المسير: ٢٠٣/٦، ومفحمت الأقران: ٣٠،
والإتقان: ٨٨/٤.

(٢) قاله البغوي. تفسير البغوي في هامش تفسير الخازن: ١٣٤/٥. وانظر: تفسير
الخازن: ١٣٤/٥، ومفحمت الأقران: ٣٠، والإتقان: ٨٩/٤.

(٣) انظر: مفحمت الأقران: ٣٠، والإتقان: ٨٩/٤.

(٤) حكاة الزمخشري في الكشاف: ١٦٠/٣.

(٥) حكاة الزمخشري في الكشاف: ١٦٠/٣.

(٦) وفي التعريف والإعلام: ١٣١: لا يعرف شمعان بالسين المعجمة إلا مؤمن من آل
فرعون.

وفي تاج العروس: ٤٠٣/٥ مادة: (شمع) نقلاً عن شعيب الجبائي: «شمعان».

(٧) وفي تفسير ابن جرير: ٤٠/٢٠ أن اسمه: جبر.

(٨) انظر: مفحمت الأقران: ٣٠.

(٩) الذود: معناه الدفع والحبس، والمعنى: تحبسان أغنهما من الماء حتى يفرغ الناس
ويخلو بينهما وبين الماء.

انظر: تفسير ابن جرير: ٥٥/٢٠، وتفسير الشوكان: ١٦٥/٤.

(١٠) كذا في الأصول، وفي تفسير ابن جرير: ٥٥/٢٠.

(١١) انظر: التعريف والإعلام: ١٣٢.

(١٢) انظر: تفسير ابن جرير: ٥٥/٢٠، والتعريف والإعلام: ١٣١، ومفحمت الأقران:

٣٠، والإتقان: ٨٩/٤.

(١٣) وفي التعريف والإعلام: ١٣٤: «ثاران» بالثاء.

وقيل: أنعم، وقيل: مشكم^(١).

﴿قُلْ يَتُوبُكُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١] اشتهر على الألسنة أن اسمه عزرائيل. رواه أبو الشيخ^(٢) عن وهب^(٣).

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ [السجدة: ١٨] نزلت في علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه - والوليد بن عقبة^(٤).

﴿وَيَسْتَعِذُّنَ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ [الأحزاب: ١٣] قال السدي^(٥): هما رجلان من بني حارثة: أبو عرابة بن أوس وأوس بن، قيظي.

﴿قُلْ لِأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٩] قال عكرمة: كانت تحته يومئذ تسع نسوة: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة، وصفية، وميمونة وزينب بنت جحش، وجويرية، وسودة [بنت زمعة]^(٦) وأم سلمة^(٧).

[وبناته: فاطمة، وزينب^(٨)، ورقية^(٩)،.....]

(١) ذكرهما البغوي في تفسيره في هامش تفسير الخازن: ١٧٩/٥، وانظر: مفحمت الأقران: ٣١.

(٢) انظر: تفسير البغوي في هامش تفسير الخازن: ١٨٤/٥، وتفسير الخازن: ٥/١٨٤، ومفحمت الأقران: ٣١.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من الإتيان: ٨٩/٤.

(٤) انظر: التعريف والإعلام: ١٣٥، وتفسير ابن جرير: ١٠٧/٢١، وأسباب النزول للواحدي: ٢٣٦، ومفحمت الأقران: ٣١، والإتيان: ٨٩/٤.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم. انظر: مفحمت الأقران: ٣١، والإتيان: ٨٩/٤.

السدي هو: إسماعيل بن عبد الرحمن السدي التابعي، حجازي الأصل، توفي سنة ثمان وعشرين بعد المائة للهجرة.

انظر: اللباب: ٥٧٣/١، والنجوم الزاهرة: ٣٠٨/١.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من الإتيان: ٨٩/٤.

(٧) انظر: تفسير ابن جرير: ١٥٧/٢١، وسيرة ابن هشام: ٦٤٣/٢، ومفحمت الأقران: ٣٢، والإتيان: ٨٩/٤.

(٨) هي: زينب بنت رسول الله ﷺ وهي أكبر بناته على الأصح وأمها خديجة بنت خويلد، ولدت سنة ثلاثين من مولده، وتوفيت سنة ثمان من الهجرة. انظر: سمط النجوم: ٤١٣/١.

(٩) هي: رقية بنت رسول الله ﷺ ولدت سنة ثلاث وثلاثين من مولده ﷺ أسلمت حين أسلمت أمها خديجة بنت خويلد، توفيت سنة اثنين من الهجرة. انظر: سمط النجوم: ١/٤٢٠.

وَأَمْ كَلْتُمُوهُمَا [٢٠] (١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. قال عليه السلام: «هم علي وفاطمة والحسن والحسين» (٣).

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٧] هو زيد (٤) بن حارثة (٥)، ﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ رَوْحَكَ﴾ [الأحزاب: ٢٧] هي زينب بنت جحش (٦).
﴿وَجَهِلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ [الأحزاب: ٧٢] قال ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - هو آدم عليه السلام (٧).

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اتْنَيْنِ﴾ [يس: ١٤] (٨) هما شمعون ويوحنا (٩). ﴿فَعَزَّزْنَا بِشَالِكٍ﴾ (١٠) [يس: ١٤] هو بولس، وقيل: هم صادق وصدوق وشلوم (١١).
﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ [يس: ٢٠] (١٢) هو حبيب النجار (١٣).

-
- (١) أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما توفيت رقية تزوجها عثمان بن عفان في سنة ثلاث من الهجرة، توفيت سنة تسع من الهجرة. انظر: سمط النجوم: ٤٢١/١.
- (٢) ما بين المعقوفين ساقط من مفحومات الأقران: ٣٢. انظر: التعريف والإعلام: ١٣٨.
- (٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير: ٣٥١/٥، وقال: هذا حديث حسن غريب، وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٢٠٨/٢.
- (٤) هو: زيد بن حارثة بن شراحيل وكان يقال له: زيد بن محمد حتى أنزل الله سبحانه: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ الآية [الأحزاب: ٥].
- انظر: التعريف والإعلام: ١٣٩، والإصابة: ٥٦٣/١.
- (٥) انظر: تفسير ابن جرير: ٩/٢٢، وتفسير ابن كثير: ٤/٤٩٠، والتعريف والإعلام: ١٣٩.
- (٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/٤٩٠، ومفحومات الأقران: ٣٢.
- (٧) انظر: تفسير ابن جرير: ٣٨/٢٢، ومفحومات الأقران: ٣٢، والإيتقان: ٩٠/٤.
- (٨) الآية ساقطة من الإيتقان: ٩٠/٤.
- (٩) انظر: تفسير الخازن: ٥/٦، ومفحومات الأقران: ٣٤، والإيتقان: ٩/٤.
- (١٠) فعززنا أي قويتنا وشددنا. انظر: زاد المسير: ١١/٧.
- (١١) أخرجه ابن أبي حاتم عن كعب ووهب. انظر: تفسير ابن جرير: ١٠٢/٢٢، والتعريف والإعلام: ١٤٣، ومفحومات الأقران: ٣٤، والإيتقان: ٩٠/٤.
- (١٢) هو: حبيب بن مري النجار، كان به داء الجذام فدعا له الحواري فشفى، ولذلك قال: ﴿ءَاتَيْنَا مِنْ دُونِهِمْ ءَالِهَةً إِنْ يُرِيدُنَ الرِّحْمَانُ يَضْرِبَ لَهَا تُغْنِ عَنْهُمْ شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُؤَدُّونَ﴾ [يس: ٢٣]. انظر: التعريف والإعلام: ١٤٤، وتفسير الخازن: ٥/٦.
- (١٣) وهو قول ابن عباس، وقتادة، وكعب ووهب. انظر: تفسير ابن جرير: ١٠٢/٢٢، والتعريف والإعلام: ١٤٤، ومفحومات الأقران: ٣٤، والإيتقان: ٩/٤.

﴿أَوْلَىٰ يَرِ الْإِنْسَانُ﴾ [يس: ٧٧] هو العاصي بن وائل^(١)، وقيل: أبي بن خلف^(٢)، [وقيل: أمية بن خلف]^{(٣)(٤)}.

﴿فَبَشِّرْهُ بِعَلَمٍ﴾ [الصفات: ١٠١] هو إسماعيل أو إسحاق قولان شهيران.
﴿نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ [ص: ٢١] هما ملكان. قيل: إنهما جبريل وميكائيل^(٥).
﴿جَسَدًا﴾ [ص: ٣٤] هو شيطان يقال له أسيد^(٦)، وقيل: صخر^(٧)،
وقيل: حقيق^(٨).

﴿مَسْنَى الشَّيْطَانِ﴾ [ص: ٤١] قال نوف^(٩): الشيطان الذي مسه يقال له:
مسعط^(١٠).

(١) كما أخرجه الحاكم في المستدرک: ٤٢٩/٢، وقال: هذا حديث صحيح على شرط
الشيخين ولم يخرجاه، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره: ٣٠/٢٣.
(٢) قاله مجاهد، وعكرمة، وعروة، والسدي، كما في مفحمت الأقران: ٣٤، وانظر:
تفسير ابن كثير: ٦٣٢/٥.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٤) حكاه ابن عسکر كما في مفحمت الأقران: ٣٤. وانظر: تفسير ابن كثير: ٦٣٢/٥.
وقال ابن كثير تعليقاً على هذه الأقوال: وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت
في أبي بن خلف، أو العاصي بن وائل أو أمية بن خلف أو فيهم، فهي عامة في كل من
أنكر البعث.

(٥) انظر: التعريف والإعلام: ١٤٩، ومفحمت الأقران: ٣٥.

قلت: إن الخصمان على الحقيقة من بني آدم ويأتي بيانه في قصة نبي الله داود عليه السلام
النوع (١٣٦)، فليرجع إليها صفحة (٢٤٩) فما بعدها.

(٦) وهو قول قتادة كما في مفحمت الأقران: ٣٥.

(٧) وهو قول ابن عباس؛ كما في مفحمت الأقران: ٣٥. انظر: التعريف والإعلام:

١٥٠، وتفسير ابن كثير: ٥٩/٦.

(٨) وهو قول السدي، كما في مفحمت الأقران: ٣٥. وانظر: التعريف والإعلام:

١٥٠، وتفسير ابن كثير: ٥٩/٦.

قلت: هذا رأي خاطئ والصواب أنه ابن لسليمان عليه السلام. انظر: البخاري، كتاب
الجهاد، باب من طلب الولد للجهاد ٢٠٨/٣، وكتاب النكاح، باب قول الرجل لأطوقن
الليلة على - نسائه - : ١٦٠/٦، والإمام أحمد في مسنده: ٢٢٩/٢، ٢٧٥، ٥٠٦.

(٩) هو: نوف بن فضالة الحميري البكالي أبو يزيد ابن امرأة كعب الأحرار، تابعي من

أهل دمشق، توفي ما بين التسعين إلى المائة. انظر: تهذيب التهذيب: ٤٩٠/١٠.

(١٠) انظر: مفحمت الأقران: ٣٥، والإتقان: ٩١/٤.

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ [الزمر: ٣٣] محمد^(١)، وقيل: جبريل^(٢).

﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر: ٣٣] محمد ﷺ^(٣) وقيل: أبو بكر^(٤).

﴿الَّذِينَ أَضَلَّانَا﴾ [فصلت: ٢٩] إبليس وقابيل^(٥).

﴿رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيَّتَيْنِ﴾ [الزخرف: ٣١] عنوا الوليد بن المغيرة من مكة

ومسعود^(٦) بن عمرو الثقفي^(٧)، وقيل: عروة بن مسعود من الطائف^(٨).

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ [الزخرف: ٥٧] الضارب له عبد الله^(٩) بن

الزُّبَيْري^(١٠).

﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٤]^(١١) قال ابن جرير: هو أبو جهل^(١٢).

(١) وهو قول قتادة. انظر: تفسير ابن كثير: ٩٣/٦، ومفحمت الأقران: ٣٥.

(٢) وهو قول السدي. انظر: المصدر السابق.

(٣) حكاة السهيلي في التعريف والإعلام: ١٥١.

(٤) وأميل إلى ما ذهب إليه مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾

قال أصحاب القرآن: المؤمنون يجيئون يوم القيامة فيقولون: هذا ما أعطيتمونا فعملنا فيه

بما أمرتمونا. تفسير ابن كثير: ٩٣/٦، وانظر: التعريف والإعلام: ١٥٠، ١٥١.

(٥) فإبليس يدعو به كل صاحب شرك، وقابيل يدعو به كل صاحب كبيرة. فإبليس الداع

إلى كل شر من شرك فما دونه، وابن آدم الأول كما ثبت في الحديث: «ما قتلت نفس

ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل». تفسير ابن كثير:

١٧٣/٦. وانظر: تفسير ابن جرير: ٧٥/٢٤.

(٦) هو: مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي، وهو المراد برجل من ثقيف في قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيَّتَيْنِ عَظِيمٍ﴾. انظر: الإصابة: ٤١٢/٣.

(٧) وهو قول ابن عباس كما في مفحمت الأقران: ٣٦. وانظر: تفسير ابن كثير: ٢٢٥/٦.

(٨) وهو قول قتادة. انظر: تفسير ابن جرير: ٤٠/٢٥، والتعريف والإعلام: ١٥٢،

ومفحمت الأقران: ٣٦. وانظر: ابن كثير في تفسيره: ٢٢٥/٦.

(٩) هو: عبد الله بن الزُّبَيْري - بكسر الزاي - ابن قيس السهمي الشاعر المشهور

الصحابي الجليل، كان من أشد الناس على رسول الله ﷺ قبل إسلامه، وأسلم بعد الفتح

وحسن إسلامه، واعتذر عن زلاته حين أتى النبي ﷺ. انظر: التهذيب للنووي: ٢٦٦/١،

والأعلام: ٨٧/٤.

(١٠) انظر: سيرة ابن هشام: ٣٥٩/١، وتفسير ابن كثير: ٢٣٢/٦، ومفحمت الأقران:

٣٦، والإتقان: ٩١/٤.

(١١) الأثيم: ذو إثم، والإثم: من أثم يأثم فهو أثيم، والمراد بالإثم هنا الكفر دون غيره من

الآثام، فالأثيم: الكافر. انظر: تفسير ابن جرير: ١٣٠/٢٥، وتفسير ابن كثير: ٢٥٩/٦.

(١٢) انظر: تفسير ابن جرير: ١٣٠/٢٥، وتفسير ابن كثير: ٢٥٩/٦، ومفحمت =

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأحقاف: ١٠] هو عبد الله بن سلام^(١).
﴿أُولَؤُلَا الْعَزِيزِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] أصح الأقوال أنهم: نوح،
وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ^(٢).

﴿يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ [ق: ٤١] هو إسرافيل^(٣)^(٤).
﴿ضَيْفَ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤] قال عثمان بن محصن: كانوا أربعة
من الملائكة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، [وعزرائيل]^(٥)^(٦).
﴿وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ﴾ [الذاريات: ٢٨] قال الكرمانى: أجمع المفسرون على أنه
إسحاق^(٧).

﴿سَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٥] جبريل^(٨).
﴿أَفْرَةَ يَتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ [النجم: ٣٣] هو العاصي بن وائل، وقيل: الوليد بن
المغيرة^(٩).

= القرآن: ٣٦، والإتقان: ٩١/٤. وعلق ابن كثير على هذا، حيث يقول: وذكر غير واحد أنه
أبو جهل، ولا شك في دخوله في هذه الآية، ولكن ليست خاصة به.

(١) انظر: تفسير ابن جرير: ٩/٢٦، وتفسير ابن جرير: ٢٧٨/٦. وأورده الهيثمي في
مجمع الزوائد: ١٠٥/٧، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٧/٦، ومفحمت الأقران: ٣٧، والإتقان: ٩١/٤.

(٣) هو: أحد حملة العرش، وهو الذي ينفخ بالصور النفخات الثلاث بأمر الله نفخة
الفرع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث. انظر: البداية والنهاية: ٤٥/١.

(٤) انظر: التعريف والإعلام: ١٦١، وروح المعاني: ١٩٤/٢٦، ومفحمت الأقران:

٣٨.

(٥) في (هـ) و(ح) والإتقان: ٩١/٤: «رفائيل»، وما أثبتته من مفحمت الأقران: ٣٧.

(٦) انظر: زاد المسير: ١٢٧/٤، ومفحمت الأقران: ٣٧، والإتقان: ٩١/٤.

(٧) انظر: تفسير ابن جرير: ٢٠٨/٢٦، ومفحمت الأقران: ٣٨، والإتقان: ٩١/٤.

وهذا القول هو الصحيح؛ لأن البشارة كانت بالولد من سارة، أما القول بأنه إسماعيل
فهو غير موافق للسياق فإن إسماعيل لهاجر، لا لسارة.

(٨) قاله الربيع والسدي. انظر: تفسير ابن جرير: ٢٦/٢٧، وتفسير ابن كثير: ٦/

٤٤٣، ومفحمت الأقران: ٣٧.

(٩) وقيل غير ذلك، والأشهر والأنسب أنه نزل في الوليد بن المغيرة لما بعده من قوله

تعالى: ﴿أَعْنَدُكُمْ عِثْرُ الْعَيْبِ﴾ إلى آخره. انظر: تفسير ابن جرير: ٧٠/٢٧، وأسباب النزول
للواحدى: ٢٦٧، وروح المعاني: ٦٥/٢٧.

﴿يَدْعُ الدَّاعِ﴾ [القمر: ٦] هو إسرائيلي^(١).
 ﴿قَوْلَ أَلْفِي مُجْدِلِكَ﴾ [المجادلة: ١] هي خولة بنت ثعلبة^(٢).
 ﴿فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١] هو أوس^(٣) بن الصامت^(٤).
 ﴿لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحریم: ١] هي سُرَيْتَةُ مَارِيَةَ^(٥) (٦).
 ﴿أَسْرَ النَّثِيِّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ [التحریم: ٣] هي حفصة^(٧).
 ﴿نَبَأَاتٍ بِهِ﴾ [التحریم: ٣]^(٨) أخبرت عائشة^(٩).
 ﴿إِنْ نُوْبًا﴾ [التحریم: ٤] ﴿وَإِنْ تَطْلَهْرًا﴾ [التحریم: ٤] هما: عائشة وحفصة^(١٠).
 ﴿وَصَلِحَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحریم: ٤] هما أبو بكر وعمر، أخرجه الطبراني في الأوسط^(١١).

- (١) انظر: روح المعاني: ٧٩/٢٧، ومفحات الأقران: ٣٧.
 (٢) هي: خولة بنت ثعلبة، وقيل: بنت مالك بن ثعلبة، وقيل: بنت خويلد، أنصارية امرأة أوس بن الصامت راوية كفاة الظهار، وهي المجادلة. انظر: التهذيب للنووي: ١/٣٤٢.
 (٣) هو: أوس بن الصامت بن قيس الخزرجي الأنصاري الصحابي، شهد بدرًا والمشاهد كلها، وهو الذي ظاهر من امرأته، سكن بيت المقدس، وقيل: الرملة، وتوفي بالرملة سنة اثنتين وثلاثين هجرية. انظر: التهذيب للنووي: ١/١٣٠، والأعلام: ٣/٢٥٨.
 (٤) انظر: تفسير ابن جرير: ٦/٢٨، وتفسير ابن كثير: ٥٧٢/٦، والتعريف والإعلام: ١٦٤.
 (٥) هي: مارية القبطية مولاة رسول الله ﷺ وسريته، وهي أم ولده إبراهيم ابن النبي ﷺ، توفيت سنة ست عشرة في خلافة عمر وكان يحشر الناس لشهود جنازتها ودفنت بالبقيع.
 انظر: أسد الغابة: ٥/٥٤٣، والإصابة: ٤/٤٠٤.
 (٦) وقيل: إن هذه الآية نزلت في قصة العسل الذي يشربه الرسول ﷺ في بيت بعض أزواجه، فحرمه لإرضاء بعض أزواجه.
 انظر: تفسير ابن كثير: ٧/٥٠، وفتح الباري: ٨/٦٥٧، وتفسير الشوكاني: ٥/٢٤٥.
 (٧) انظر: التعريف والإعلام: ١٧٣، ومفحات الأقران: ٣٧.
 (٨) نبأت به: أي أخبرت به غيرها. انظر: فتح القدير: ٥/٢٤٣.
 (٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٧/٥٢، وفتح القدير: ٥/٢٤٣.
 (١٠) كما أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿تَبَلَّغِي مَرَّضَاتَ أَزْوَاجِكَ...﴾: ٦/٦٩ عن ابن عباس ؓ قال: مكثت سنة أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ من أزواجه فقال تلك: حفصة وعائشة...
 وانظر: تفسير ابن كثير: ٧/٥٣، وفتح القدير: ٥/٢٤٣.
 (١١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/١٢٧، ولم ينص فيه على أنه في «الأوسط» =

- ﴿أَمْرَاتٌ نُوحٍ﴾ [التحریم: ۱۰] وإِعة ﴿وَأَمْرَاتٌ لُّوطٍ﴾ [التحریم: ۱۰] والهة، وقيل: واعلة^(۱).
- ﴿وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ [القلم: ۱۰] نزلت في الأسود بن عبد يغوث، وقيل: الأحنس بن شريق، وقيل: الوليد بن المغيرة^(۲).
- ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ [المعارج: ۱] هو النضر بن الحارث^(۳).
- ﴿رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [نوح: ۲۸] اسم أبيه لمك بن متوشلح، واسم أمه شمخا بنت أنوش^(۴).
- ﴿سَفِيهَاتٌ﴾ [الجن: ۴] هو إبليس^(۵).
- ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ۱۱]^(۶) هو الوليد بن المغيرة^(۷).
- ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ [القيامة: ۳۱] الآيات نزلت في أبي جهل^(۸).
- ﴿هَذَا أَنَّى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ [الإنسان: ۱] هو آدم^(۹).
- ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ۴۰] قيل: هو إبليس^(۱۰).

= وفي سنده عبد الرحيم بن زيد العمي، وهو متروك. كما قاله الهيثمي. وانظر: التعرف والإعلام: ۱۷۳، ثم قال السهيلي تعليقاً على هذا القول: ولفظ الآية عام فالأولى حملة على العموم.

(۱) انظر: البداية والنهاية: ۱/۱۸۱، ومفحمت الأقران: ۳۷، والإتقان: ۴/۹۴.

(۲) انظر: فتح القدير: ۵/۲۶۳، ومفحمت الأقران: ۳۷.

(۳) انظر: تفسير ابن كثير: ۷/۱۱۰، وفتح القدير: ۵/۲۸۳.

(۴) انظر: مفحمت الأقران: ۳۷.

(۵) انظر: تفسير ابن جرير: ۲۹/۶۷، وتفسير ابن كثير: ۷/۱۳۱.

(۶) ذرني: أي دعني، وهي كلمة تهديد ووعيد. انظر: فتح القدير: ۵/۳۱۶.

(۷) انظر: تفسير ابن جرير: ۲۹/۱۵۲، والتعريف والإعلام: ۱۷۹، وفتح القدير: ۵/

۳۱۶.

(۸) انظر: تفسير ابن جرير: ۲۹/۱۹۹، وتفسير ابن كثير: ۷/۱۷۵، ومفحمت

الأقران: ۳۷.

(۹) انظر: تفسير ابن جرير: ۲۹/۲۰۲، ومفحمت الأقران: ۳۷.

(۱۰) انظر: روح المعاني: ۳۰/۲۲، ومفحمت الأقران: ۳۷.

قلت: المراد هنا كل كافر، ولا شك أن إبليس - لعنه الله عليه - دخل فيها دخولاً أولياً.

﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس: ٢] هو عبد الله^(١) بن أم مكتوم^(٢).
 ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَعْتَبَ﴾ [عبس: ٥] هو أمية بن خلف، وقيل: هو عتبة بن ربيعة^(٣).

﴿لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩] قيل: جبريل^(٤)، وقيل: محمد ﷺ^(٥).
 «وأما الإنسان إذا ما ابتلاه...» الآيات [الفجر: ١٥]، نزلت في أمية بن خلف^(٦).

﴿وَوَالِدٍ﴾ [البلد: ٣] هو آدم^(٧).

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الشمس: ١٣] هو صالح^(٨).

﴿الْأَشْقَى﴾ [الليل: ١٥] هو أمية بن خلف^(٩)،^(١٠).

﴿الْأَنْفَى﴾ [الليل: ١٧] هو أبو بكر الصديق^(١١).

(١) هو: عبد الله، وقيل: عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم، ونسب إلى أمه أم مكتوم عاتكة بنت عبد الله من بني محزوم بن يقظة، الصحابي الجليل، توفي بالمدينة قبل وفاة عمر بن الخطاب سنة ثلاث وعشرين للهجرة. انظر: طبقات ابن سعد: ١٥٣/٤، والتعريف والإعلام: ١٧٩.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ٣٤/٣٠، وتفسير ابن كثير: ٢١١/٧.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير: ٣٤/٣٠، وفتح القدير: ٣٧٥/٥.

(٤) قاله الضحاك، والربيع، والسدي، وغيرهم. انظر: تفسير ابن جرير: ٥١/٣٠، وفتح القدير: ٣٧٩/٥. وهذا هو الصواب لما بعده ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾، كقوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم]، وهو قول السهيلي في التعريف والإعلام: ١٨٠.

(٥) انظر: فتح القدير: ٣٧٩/٥.

(٦) وقيل: أبي بن خلف، وقيل: عتبة بن ربيعة، وأبي حذيفة ابن المغيرة.

انظر: التعريف والإعلام: ١٨٣، وفتح القدير: ٤٢٦/٥.

(٧) انظر: تفسير ابن جرير: ١٢٥/٣٠، وتفسير ابن كثير: ٢٩٣/٧.

(٨) انظر: التعريف والإعلام: ١٨٤، وتفسير ابن كثير: ٣٠٣/٧.

(٩) ما بين المعقوفين من ص ١٣٧ إلى هنا قوله: «نبا الخصم» ساقط من (ح).

(١٠) انظر: فتح القدير: ٤٥٣/٥، ومفحومات الأقران: ٣٧.

قلت: والأولى حمل الأشقى على كل متصف بالشقاء، ويدخل أمية بن خلف دخولاً أولياً.

(١١) انظر: المستدرک للحاكم: ٢٢٥/٢، وتفسير ابن جرير: ١٤٢/٣، وسيرة ابن

هشام: ٣١٩/١.

﴿أَزْوَيْتَ الَّذِي بَيْنَهُمَا﴾ [العلق: ٩، ١٠] هو أبو جهل، والعبد هو النبي ﷺ^(١).

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]^(٢) هو العاصي بن وائل، وقيل: أبو جهل^(٣)، وقيل: عقبة بن أبي معيط، وقيل: أبو لهب^(٤) وقيل: كعب بن الأشرف^(٥).

﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤]^(٦) [امرأة أبي لهب]^(٧) واسمها^(٨) أم جميل العوراء بنت حرب بن أمية^(٩) - والله أعلم -.

القسم الثاني في مبهمات الجموع الذين عرفت أسماء بعضهم:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ [البقرة: ١١٨] سمي منهم رافع بن حرملة^(١٠).

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٢] سمي منهم رفاعة بن قيس، وقردم بن عمرو، وكعب بن الأشرف، ورافع بن حرملة، والحجاج بن عمرو،

(١) انظر: تفسير ابن جرير: ١٦٣/٣٠، وتفسير ابن كثير: ٣٢٧/٧.

(٢) الأبتَر: المنقطع ذكره، إنهم اعتقدوا إذا مات ذكور الرجل قالوا بتر. تفسير ابن كثير: ٣٩٠/٧.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٩٠/٧. ثم قال تعليقا على هذه الأقوال: وهذا يعم جميع من اتصف بذلك ممن ذكر وغيرهم.

(٤) هو: عبد العزى بن عبد المطلب، وزوجته أم جميل - حمالة الحطب - بنت حرب أخت أبي سفيان بن حرب.

انظر: التعريف والإعلام: ١٨٨، وسمط النجوم: ٣٤٩/١.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٩٠/٧. ثم قال تعليقا على هذه الأقوال: وهذا يعم جميع من اتصف بذلك ممن ذكر وغيرهم.

(٦) هذه الآية ساقطة من (ح).

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من الإتيان: ٩٣/٤.

(٨) وفي التعريف والإعلام: ١٨٨: وامرأته هي: أم جميل بنت حرب بن أمية عمه معاوية واسمها العوراء. انظر: سمط النجوم: ٣٤٩/١.

(٩) انظر: التعريف والإعلام: ١٨٨، وفتح القدير: ٥١٢/٥.

(١٠) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٤٠٧/١، وابن إسحاق وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور: ١١٠/١.

والربيع بن أبي الحقيق، [وكلهم من اليهود] (٢)(١).

﴿وَلَدًا قِيلَ لَهُمْ أَتَّبِعُوا...﴾ الآية [البقرة: ١٧٠]، سمي منهم رافع (٣)،
ومالك (٤) بن عوف (٥).

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾ [البقرة: ١٨٩] سمي منهم معاذ بن جبل (٦)
وثعلبة (٧) بن (٨) عثمة (٩).

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣١٥] سمي منهم عمرو (١٠) بن
الجموع (١١).

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾ [البقرة: ٢١٩] سمي منهم عمر ومعاذ
وحزمة (١٢).

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ [البقرة: ٢٢٠] سمي منهم عبد الله (١٣)

-
- (١) ما بين المعقوفين ساقط من الإتيان: ٩٣/٤.
- (٢) انظر: تفسير ابن جرير: ٣/٢، ومفحمت الأقران: ٦، والإتيان: ٩٣/٤.
- (٣) هو: رافع بن خارجة.
- (٤) هو: مالك بن عوف بن سعد أبو علي، كان رئيس المشركين يوم حنين.
- انظر: أسد الغابة: ٤/٢٩٠، والإصابة: ٣/٣٥٢.
- (٥) انظر: تفسير ابن جرير: ٤٧/٢، وسيرة ابن هشام: ١/٥٥٢، والدر المنثور: ١/١٦٧.
- (٦) هو: معاذ بن جبل بن أوس أبو عبد الرحمن الخزرجي الصحابي الجليل، شهد بدرًا
وهو ابن عشرين سنة، توفي سنة ثمان عشرة من الهجرة. انظر: المعارف: ٢٥٤.
- (٧) في مفحمت الأقران: ٦: «ثعلبة بن غنمة»، وفي (هـ) و(ح) والإتيان: ٩٣/٤:
«ثعلبة بن غنم»، وما أثبتته من فتح القدير: ١/١٨٨.
- (٨) انظر: تفسير ابن جرير: ١٠٨/٢، وزاد المسير: ١/١٩٥، وفتح القدير: ١/١٨٨.
- (٩) انظر: الدر المنثور: ١/٢٠٣، ومفحمت الأقران: ٦، والإتيان: ٩٣/٤.
- (١٠) هو: عمرو بن الجموح - بفتح الجيم - ابن زيد الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة،
واستشهد يوم أحد، ودفن هو وعبد الله والد جابر في قبر واحد وكانا صهرين. انظر:
التهذيب للنووي: ١/٢٥.
- (١١) انظر: زاد المسير: ١/٢٢٣، وأسباب النزول للواحدي: ٤٠، ومفحمت الأقران:
٧، والإتيان: ٩٣/٤.
- (١٢) انظر: البحر المحيط: ١/١٥٧، وأسباب النزول للواحدي: ٤٨، ومفحمت
الأقران: ٧، والإتيان: ٩٤/٤.
- (١٣) هو: عبد الله بن رواحة بن ثعلبة أبو محمد وقيل: أبو رواحة الأنصاري، استشهد
في غزوة مؤتة سنة ثمان من الهجرة. انظر: تهذيب النووي: ١/٢٦٤.

ابن رواحة^(١).

﴿وَسَأَلْتُكَ عَنِ الْمَجِيذِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] سمي منهم ثابت بن الدحداح^(٢)
وعباد بن بشر^(٣) وأسيد بن الحضير^(٤) [مصغر]^(٥)(٦).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٢٣] سمي منهم
النعمان بن عمرو^(٧)، والحارث^(٨) بن زيد^(٩).

﴿الْحَوَارِيُّونَ﴾ [آل عمران: ٥٢] سمي منهم: فطرس ويعقوبس، وبحنس
وأندرايس، وفيلس، [وابن ثلما، ومتنا، ويوقاس، ويعقوب بن خلقيا،
وبداويس ومانيا وبودس]^(١٠) ودرنايوطا وسرجس وهو الذي ألقى عليه
شبهه^(١١).

-
- (١) انظر: البحر المحيط: ١/١٦١، ومفحات الأقران: ٧، والإتقان: ٤/٩٤.
(٢) هو: ثابت بن الدحداح بن نعيم حليف الأنصار أبو الدحداح، إنه جرح يوم أحد،
ثم برأ ومات بعد ذلك على فراشه، وقيل: إنه مات يوم أحد، والأول أشهر.
انظر: الإصابة: ١/١٩١، وأسد الغابة: ١/٢٢٢.
(٣) هو: عباد بن بشر بن وقش الخزرجي الأنصاري الصحابي، أسلم في المدينة،
وشهد المشاهد كلها، وكان الرسول ﷺ يبعثه إلى القبائل لجمع الصدقات واستعمله على
حرسه بتبوك، استشهد يوم اليمامة. انظر: تهذيب التهذيب: ٥/٩٠٠، والأعلام: ٤/٢٨.
(٤) هو: أسيد بن الحضير بن سماك أبو يحيى الصحابي الأوسي، توفي سنة عشرين من
الهجرة بالمدينة ودفن بالبيع.
انظر: طبقات ابن سعد: ٣/٦٠٣، والأعلام: ١/٣٣٠.
(٥) ساقط من (ح).
(٦) انظر: تفسير ابن جرير: ٢/٢٢٤، والتعريف والإعلام: ٢٨، والبحر المحيط: ١/
١٦٦، ومفحات الأقران: ٧، والإتقان: ٤/٩٤.
(٧) هو: النعمان بن عمرو بن رفاعة وهو الذي يقال: نعيمان الصحابي، شهد العقبة
الثانية في السبعين ويدرأ والمشاهد كلها، كان كثير المزاح يضحك النبي ﷺ. انظر:
التهذيب للنووي: ١/١٣٠.
(٨) هو: الحارث بن زيد بن الحارث أبو عداس النمري، شاعر جاهلي، من الرؤساء
من بني النمر بن قاسط. انظر: الأعلام: ٢/١٥٤.
(٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/١٤٥، والتعريف والإعلام: ٣٢، والبحر المحيط: ٢/
٤١٦، والدر المنثور: ٢/١٤.
(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من الإتقان: ٤/٩٤.
(١١) انظر: سيرة ابن هشام: ٢/٦٠٨.

﴿وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُونَا﴾ [آل عمران: ٧٢] هم اثنا عشر من اليهود، سمي منهم: عبد الله بن الصيف، وعدي بن زيد^(١)، والحارث^(٢) بن عوف^(٣).

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ [آل عمران: ٨٧] قال عكرمة: نزلت في اثني عشر رجلاً، منهم: أبو عامر الراهب، والحارث بن سويد بن الصامت^(٤)، ووحوح بن الأسلت، زاد ابن عسكر: وطعيمة بن أبيرق^(٥).

[﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ١٥٤] سمي من القائلين عبد الله بن أبي^(٦)].

﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤] سمي من القائلين عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير^(٨).

(١) هو: عدي بن زيد بن حماد العبادي التميمي، توفي سنة خمس وثلاثين من الهجرة تقريباً.

انظر: خزانة الأدب: ١/١٨٤، والنجوم الزاهرة: ١/٢٤٩، وجمهرة النسب للكليبي: ٢٤٩.

(٢) هو: الحارث بن عوف بن أبي الحارثة المزني من فرسان الجاهلية. انظر: الإصابة: ١/٢٨٦، وأسد الغابة: ١/٢٤٢.

وفي الإلتقان: ٤/٩٣: «الحارث بن عمرو».

(٣) انظر: تفسير ابن جرير: ٣/٢٢٠، والتعريف والإعلام: ٣٤، وسيرة ابن هشام: ١/٥١٤.

(٤) هو: الحارث بن سويد بن الصامت الأنصاري الأوسي، كان مسلماً ثم ارتد ولحق بالكفار فنزلت هذه الآية: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ فحملها رجل فقرأها عليه فقال الحارث: والله إنك لصدوق وإن الله أصدق الصادقين. انظر: الإصابة: ١/٢٨٠، وأسد الغابة: ١/٣٣٢.

(٥) انظر: تفسير ابن جرير: ٣/٢٤٢، والبحر المحيط: ٢/٥١٨، ومفحمت الأقران: ٩، والإلتقان: ٤/٩٤. وقال أبو حيان تعليقاً على هذا القول: وألفاظ الآية تعم كل من ذكر وغيرهم.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٤/٩٤. وانظر: مفحمت الأقران: ٩، والإلتقان: ٤/٩٤.

(٨) انظر: تفسير ابن جرير: ٤/٩٤، والتعريف والإعلام: ٣٦، ومفحمت الأقران: ٩، والإلتقان: ٤/٩٤.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنَلُوكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧] القائل ذلك عبد الله والد جابر بن عبد الله الأنصاري^(١)، والمقول لهم عبد الله بن أبي وأصحابه^(٢).

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٧٢] هم سبعون، منهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والزبير^(٣)، وسعد^(٤)، وطلحة^(٥)، وابن عوف^(٦)، وابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وأبو عبيدة^(٧) بن الجراح^(٨).

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ [آل عمران: ١٧٢] سمي من القائلين نعيم^(٩) بن مسعود الأشجعي^(١٠).

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] قال ذلك

(١) هو: عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي والد جابر بن عبد الله الصحابي المشهور، معدود في أهل العقبة وبدر، وكان من النقباء استشهد يوم أحد. انظر: الإصابة: ٣٥٠/٢.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ١١١/٤، ومفحمت الأقران: ١٠، والإتقان: ٩٤/٤.

(٣) هو: الزبير بن العوام بن خويلد أبو عبد الله الأسدي القرشي الصحابي، توفي يوم الجمل، قتله ابن جرموز غيلة. انظر: الأعلام: ٧٤/٣.

(٤) هو: سعد بن مالك بن أهيب بن كنانة أبو إسحاق رضي الله عنه وهو من المبشرين بالجنة وأحد أصحاب الشورى، توفي سنة خمس وخمسين من الهجرة، وهو آخر العشرة موتاً، ودفن بالقيع رضي الله عنه. انظر: المعارف: ٢٤١.

(٥) هو: طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن كنانة أبو محمد، توفي رضي الله عنه سنة (٣٦هـ). انظر: المعارف: ٢٢٨.

(٦) هو: عبد الرحمن بن عوف بن الحارث ابن كنانة أبو محمد، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة الذين ذكروا للشورى، ولد بعد الفيل بعشر سنين، ومات سنة اثنتين وثلاثين هجرية. انظر: المعارف: ٢٣٥.

(٧) هو: أبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح وهو أمين هذه الأمة، توفي سنة ثمان عشرة من الهجرة. انظر: المعارف: ٢٤٧.

(٨) انظر: تفسير ابن جرير: ١١٧/٤، والدر المنثور: ١٠٢/٢، ومفحمت الأقران: ١٠، والإتقان: ٩٥/٤.

(٩) هو: نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي الصحابي أبو سلمة، توفي في آخر خلافة عثمان. انظر: تهذيب النووي.

(١٠) قاله السهيلي في التعريف والإعلام: ٣٦. وانظر: مفحمت الأقران: ١٠، والإتقان: ٩٥/٤.

فنحاص^(١)، وقيل^(٢): حبي بن أخطب^(٣)، وقيل^(٤): كعب بن الأشرف^(٥).

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٩] نزلت في النجاشي^(٦)، وقيل^(٧): في عبد الله بن سلام وأصحابه - رضي الله تعالى عنهم -^(٨).

﴿وَبَتَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١] قال ابن إسحاق: أولاد آدم لصلبه أربعون في عشرين بطناً، كل بطن ذكر وأنثى، وسمي من بنيه قاييل، وهابيل، وأيادن، وشبويه، وهند، ومرانييس، وفحور، وسند، وبارق، وشيت، وعبد المغيث، وعبد الحارث، وود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر.

ومن بناته: أقليمية، وأشوف، وجزوزة، وعزورا، وأمة المغيث^(٩).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ [النساء: ٤٤]، قال عكرمة: نزلت في رفاعة بن زيد بن التابوت، وكردم بن زيد، وأسامة بن حبيب، ورافع بن أبي رافع^(١٠)، وبحري بن عمرو، وحبي بن أخطب^(١١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس، وابن جرير عن السدي. وقاله السهيلي في التعريف والإعلام: ٣٧. انظر: تفسير ابن جرير: ١٢٩/٤.

(٢) قاله قتادة. أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١٣٠/٤.

(٣) هو: حبي بن أخطب اليهودي والد أم المؤمنين صفية رضي الله عنها، كان من رؤساء اليهود - لعنهم الله -. انظر: التهذيب للنوي: ١/١٧٢.

(٤) حكاه ابن عساكر كما في مفحمت الأقران: ١٠.

(٥) انظر: تفسير ابن جرير: ١٢٩/٤، ١٣٠، والتعريف: ٣٧، ومفحمت الأقران: ١٠، والإتقان: ٩٥/٤.

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١٤٦/٤ رقم (٨٣٧٦) ط. شاکر، وقال الشيخ أحمد شاکر: وهذا الحديث ضعيف. وانظر: تفسير ابن كثير: ١٨٦/٢.

(٧) قاله ابن جريج. أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١٤٦/٤. وانظر: تفسير ابن كثير: ١٨٦/٢.

(٨) الترضي ساقط من الإتقان: ٩٥/٤.

(٩) أخرجه ابن جرير في تاريخه: ١٤٥/١. وانظر: مفحمت الأقران: ١٠، والإتقان: ٩٥/٤.

(١٠) هو: رافع بن أبي رافع الطائي، توفي سنة ثلاث وعشرين من الهجرة. انظر: الإصابة: ٤٩٧/١، وأسد الغابة: ١٥٦/٢.

(١١) انظر: تفسير ابن جرير: ٧٤/٥، وزاد المسير: ٧٩/٢، ومفحمت الأقران: ١١، والإتقان: ٩٥/٤.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ [النساء: ٦٠] نزلت في الجلاس بن الصامت^(١)، ومعتب بن قشير، ورافع بن زيد^(٢)، وبشر^(٣).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ [النساء: ٧٧] سمي منهم عبد الرحمن بن عوف^(٤).

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ﴾ [النساء: ٩٠] قال ابن عباس: نزلت في هلال بن عويمر الأسلمي، وسراقة بن مالك المدلجي، وفي خزيمة بن عامر بن عبد مناف^(٥).

﴿سَتَجِدُونَ ءَآخِرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ﴾ [النساء: ٩١] قال السدي: نزلت في جماعة، منهم نعيم بن مسعود الأشجعي^(٦).

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧] سمى عكرمة منهم: علي بن أمية بن خلف^(٧)، والحرث بن زمعة^(٨)، وأبا قيس بن الوليد بن المغيرة^(٩)، وأبا العاص بن منبه بن الحجاج^(١٠)، وأبا قيس^(١١).....

(١) هو: جلاس بن سويد بن الصامت الأنصاري، كان منافقاً ومن الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في تبوك، واعترف بذنبه، ثم تاب، وحسنت توبته. انظر: الإصابة: ١/ ٢٤١، وأسد الغابة: ١/ ٢٩٢.

(٢) هو: رافع بن زيد بن كرز الأنصاري الأوسي، شهد بدرًا، وقتل يوم أحد. انظر: الإصابة: ١/ ٤٩٦، وأسد الغابة: ٢/ ١٥٢.

(٣) لم أعثر على المرجع إلا مفحمت الأقران: ١٢.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک: ٢/ ٣٠٧، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وانظر: تفسير ابن جرير: ٥/ ١٧٠.

(٥) انظر: تفسير ابن جرير: ٥/ ١٢٤، والأثر فيه عن عكرمة لا عن ابن عباس كما في مفحمت الأقران: ١٢.

(٦) انظر: فتح القدير: ١/ ٤٩٧، ومفحمت الأقران: ١٢، والإتقان: ٤/ ٩٥.

(٧) هو: علي بن أمية بن خلف، قتل هو وأبوه أمية بن خلف يوم بدر كافرين. انظر: جمهرة النسب للكلي: ٩٥، وسيرة ابن هشام: ١/ ١٢٦.

(٨) هو: الحرث بن زمعة بن الأسود من بني المطلب بن أسد بن عبد العزى، قتل يوم بدر كافرًا. انظر: جمهرة النسب للكلي: ٧٢، وسيرة ابن هشام: ١/ ١٢٦.

(٩) هو: أبو قيس بن الوليد بن المغيرة، قتل يوم بدر كافرًا. انظر: جمهرة النسب للكلي: ٨٨، وسيرة ابن هشام: ١/ ١٢٦.

(١٠) هو: أبو العاص بن منبه بن الحجاج بن حذيفة بن سعد بن سهم، قتل يوم بدر كافرًا. انظر: تفسير ابن جرير: ٥/ ١٤٨، وجمهرة النسب للكلي: ١٠٢.

(١١) هو: أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ ويعين =

ابن الفاكه^(١).

﴿إِلَّا الْمُسْتَضْمِينَ﴾ [النساء: ٩٨] سُمي منهم ابن عباس، وأمه أم الفضل^(٢)،
وعياش ابن أبي ربيعة^(٣)، وسلمة^(٤) بن هشام^(٥).

﴿وَلَا تُجَدِّدُ عَنِ الدِّينِ يَخْتَاوْنَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٧] بنو أبيرق^(٦): بشر^(٧)،
وبشير ومبشر^(٨).

﴿لَهَمَّتْ طَّائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ [النساء: ١١٣]، هم أسيد بن عروة
وأصحابه^(٩).

﴿وَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ [النساء: ١١٣] سَمِيَ من المستفتين خولة^(١٠) بنت

= أبا جهل على أذاه، قتله حمزة يوم بدر. انظر: الكامل: ٧٢/٢، وجمهرة النسب للكليبي: ٨٧.

(١) انظر: تفسير ابن جرير: ١٤٨/٥، وسيرة ابن هشام: ١٢٦/١، وفتح القدير: ١/٥٠٦، ومفحومات الأقران: ١٢، والإتقان: ٩٥/٤.

(٢) هي: لبابة بنت الحارث أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب، أم ابن عباس الهلالية، وهي أول امرأة آمنت بعد خديجة أم المؤمنين، وهي شقيقة ميمونة أم المؤمنين، توفيت في خلافة عثمان. انظر: الإصابة: ٤٨٤/٤، وأسد الغابة: ٦٠٨/٥.

(٣) هو: عياش بن أبي ربيعة ابن المغيرة القرشي المخزومي ابن عم خالد بن الوليد، مات سنة خمس عشرة بالشام في خلافة عمر وقيل غير ذلك. انظر: الإصابة: ٤٧/٣، وأسد الغابة: ١٦١/٤.

(٤) هو: سلمة بن هشام بن المغيرة أبو هاشم المخزومي الصحابي من السابقين، وهو أخو أبي جهل بن هشام، حبسه كفار قريش عن الهجرة وآذوه، فهرب منهم، وشهد بعض الوقائع، ثم خرج إلى الشام فاستشهد بمرج الصفر. انظر: طبقات ابن سعد: ١٣٠/٤، وجمهرة النسب للكليبي: ٨٦، والأعلام: ١١٤/٣.

(٥) انظر: تفسير ابن جرير: ١٥٠/٥، والتعريف والإعلام: ٤٣، وفتح الباري، كتاب التفسير، باب ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْمِينَ...﴾: ٢٦٣/٨.

(٦) بنو أبيرق: هم بطن من الأنصار من الأزدي من القحطانية، كما في «معجم قبائل العرب» لعمر رضا كحالة: ٤/١، وأبيريق لقب، وهو الحارث بن عمرو بن حارثة بن الهيثم بن رفاعة. جمهرة النسب للكليبي: ٦٤١.

(٧) كان بشر رجلاً منافقاً يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ ثم ينحله بعض العرب.

(٨) انظر: تفسير ابن جرير: ١٦٥/٥، والتعريف والإعلام: ٤٤، وسنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة النساء: ٢٤٥/٥، وفتح القدير: ٥١/٥.

(٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٩١/٢.

(١٠) هي: خولة بنت حكيم الأنصارية، وهي التي سألت رسول الله ﷺ: يا رسول الله =

حكيم^(١).

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [النساء: ١٥٣]، سُمِّيَ منهم ابن عسكر: كعب بن الأشرف، وفنحاصاً^(٢).

﴿لَنْ كُنَ الرَّسِيخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [النساء: ١٦٢] منهم، قال ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما -: هم عبد الله [بن سلام]^(٣) وأصحابه - رضي الله تعالى عنهم -^(٤).

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلُوبُ اللَّهِ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]^(٥)، سُمِّيَ منهم جابر^(٦) بن عبد الله^(٧).

﴿وَلَا يَأْتِيَنَّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢]، سُمِّيَ منهم الحطم^(٨) بن هند البكري^(٩).

= المرأة ترى في المنام ما يرى الرجل؟ قال: «إذا رأته ذلك فلتغتسل». انظر: الإصابة: ٤/١٩١، وأسد الغابة: ٥/٤٤٤.

(١) لم أعثر على المرجع إلا في مفحمت الأقران: ١٣، والإتقان: ٩٦/٤.

وهناك رواية أخرجه البخاري نعتد عليها في سبب نزول هذه الآية.

(٢) انظر: مفحمت الأقران: ١٣، والإتقان: ٩٦/٤.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من مفحمت الأقران: ١٣، كما في الإتقان: ٩٦/٤.

(٤) انظر: زاد المسير: ١٥١/٢، وفتح القدير ٥٣٧/١، ومفحمت الأقران: ١٣، والإتقان: ٩٦/٤.

(٥) الكلاله: هو الميت الذي لا ولد له ولا والد. انظر: فتح القدير: ٤٣٤/١.

(٦) هو: جابر بن عبد الله بن عمرو أبو عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمن الأنصاري صحابي ابن صحابي، توفي سنة ثمان وسبعين من الهجرة. انظر: الإصابة: ٢١/١، وأسد الغابة: ٢٥٦/١.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٨/٦، وفتح الباري: ٢٦٨/٨.

(٨) هو: شريح بن ضبيعة بن شرحبيل بن عمرو بن مرشد بن سعد بن مالك بن ضبيعة، من بكر بن وائل - والحطم لقب له - انظر: جمهرة الأنساب: ٣٠١.

قال الشيخ محمود شاکر في هامش تفسير ابن جرير: ٤٧٢/٩: الحطم لقب، واسمه شريح بن ضبيعة... وقوله هنا: الحطم بن هند، أتى بذكر أمه... وهي هند بنت حسان بن عمرو بن مرشد.

(٩) انظر: تفسير ابن جرير بتحقيق أحمد شاکر: ٣٨/٦، والتعريف والإعلام: ٤٧، وفتح القدير: ٨/٢، ومفحمت الأقران: ١٣، والإتقان: ٩٦/٤.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ [المائدة: ٤]، سُمِّيَ منهم عدي بن حاتم^(١)،
وزيد بن المهلهل^(٢) الطائيان، وعاصم بن عدي^(٣)، وسعد^(٤) بن خيثمة^(٥)،
وعُويمر^(٦) بن ساعدة^(٧).

﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا﴾ [المائدة: ١١]، سُمِّيَ منهم كعب بن الأشرف
وحُيَيِّ بن أخطب^(٨).

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً...﴾ [المائدة: ٨٢] الآيات، نزلت في الوفد الذين
جاؤوا من عند النجاشي وهم اثنا عشر، وقيل: ثلاثون، وقيل: سبعون،
وسُمِّيَ منهم إدريس، وإبراهيم، والأشرف، وتميم، وتَمَام، ودُرَيْد^(٩)^(١٠).
﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٨]، سُمِّيَ منهم زمعة بن الأسود^(١١)،

(١) هو: عدي بن حاتم بن عبد الله أبو طريف الطائي الصحابي، وأبوه حاتم المشهور
بالكرم، توفي سنة تسع وستين من الهجرة بالكوفة. انظر: التهذيب للنووي: ٣٢٧/١.

(٢) هو: زيد بن مهلهل بن منهب أبو مكنف الطائي زيد الخليل. انظر: الإصابة: ١/
٥٧٢، والأعلام: ١٠٢/٢.

(٣) هو: عاصم بن عدي بن الجَدَّ بن العجلان أبو عمرو حليف الأنصار، وكان سيِّد
بني عجلان، وهو أخو معن بن عدي، شهد أحداً وما بعدها. مات سنة خمس وأربعين.
انظر: الإصابة: ٢/٢٤٦، والمعارف: ٣٢٦.

(٤) في (هـ) و(ج): «سعد بن حكمة»، وما أثبتته من مفحومات الأقران: ١٣.

(٥) هو: سعد بن خيثمة بن الحارث الأوسي الأنصاري أبو عبد الله، الصحابي الجليل،
أحد التَّقباء الاثني عشر بالعقبه، واستشهد يوم بدر. انظر: الإصابة: ٢/٢٥، والأعلام:
١٣٣/٣.

(٦) هو: عُويمر بن ساعدة بن عابس حليف بني أمية الأوسي الأنصاري، توفي في
خلافة عمر بن الخطاب، وقيل غير ذلك. انظر: الإصابة: ٣/٢٤، وأسَد الغابة: ٤/١٥٨.
(٧) انظر: تفسير ابن جرير: ٦/٥٧، وفتح القدير: ٢/٦١، ومفحومات الأقران: ١٣،
والإتقان: ٤/٩٦.

(٨) انظر: تفسير ابن جرير: ٦/٩٣، وتفسير ابن كثير: ٢/٥٢٣، والإتقان: ٤/٩٧،
ومفحومات الأقران: ١٣.

(٩) انظر: تفسير ابن جرير: ٧/٣، وتفسير ابن كثير: ٢/٦٢٣.

(١٠) واختار ابن جرير أن هذه الآيات نزلت في صفة أقوام بهذه المثابة، سواء كانوا من
الحبشة أو غيرها. انظر: تفسير ابن جرير: ٧/٤.

(١١) هو: زمعة بن الأسود بن عامر القرشي من بني عامر بن لؤي، وهو ممَّن عقد له
أبو بكر الصديق من أمراء الأجناد، قال أبو بكر له: أنت مع يزيد بن أبي سفيان، ثم أمر =

والتَّضَرُّ بن الحارث بن كلدة، وأبي بن خلف، والعاصي بن وائل^(١).
﴿وَلَا تَقْرُرُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الأنعام: ٥٢]، سمي منهم ضُهيْب، وبلال^(٢)،
وعَمَّار^(٣)، وخباب^(٤)، وسعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وسلمان
الفارسي^(٥) - رضي الله تعالى عنهم -^(٦).
﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشَرًا مِّنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]، سمي منهم فنحاص،
ومالك بن الضيف^(٧).
﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، سمي منهم
أبو جهل، والوليد بن المغيرة^(٨).
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]، سمي منهم حمل^(٩) بن
قشير، وشمويل بن زيد^(١٠).

= يزيد أن يوليه مقدمته، وقال: إنه من صلحاء قومك ومن الفرسان. انظر: الإصابة:
٥٠٥/١.

(١) انظر: زاد المسير: ٨/٣، وفتح القدير: ١٠٢/٢، ومفحمت الأقران: ١٥،
والإتقان: ٩٧/٤.

(٢) هو: بلال بن رباح أبو عبد الله الصحابي الحشبي، توفي بدمشق سنة عشرين هجرية
وقيل غير ذلك. انظر: التهذيب للنووي: ١٣٦/١.

(٣) هو: عمار بن ياسر بن عامر وأبوه ياسر من اليمن وأمه سُمَيَّة كانت أمة لأبي حذيفة
المخزومي، توفي ﷺ شهيداً يوم صفين سنة سبع وثلاثين من الهجرة. انظر: المعارف:
٢٥٦.

(٤) هو: خباب بن الأرت أبو عبد الله من بني سعد بن زيد مناة بن تميم، توفي ﷺ
سنة سبع وثلاثين من الهجرة. انظر: المعارف: ٣١٦.

(٥) قلت: ذكر سلمان الفارسي في هذه الآية غريب، فإن هذا الآية مكِّيَّة، وإنما أسلم
سلمان بالمدينة.

(٦) انظر: تفسير ابن مثير: ٢٧/٣، وسيرة ابن هشام: ٣٩٢/١، وكشف الأستار بزوائد
البزار للهيثمي: ٤٨/٣.

(٧) انظر: تفسير ابن جرير: ١٧٧/٥، وسيرة ابن هشام: ٥١٤/١، وفتح القدير:
١٤١/٢، ومفحمت الأقران: ١٥، والإتقان: ٩٧/٤.

(٨) انظر: زاد المسير: ١١٨/٣، والإتقان: ٩٧/٤.

(٩) في مفحمت الأقران: ١: «ممل بن أبي قشير».

(١٠) انظر: تفسير ابن جرير: ٩٣/٩، ومفحمت الأقران: ١٧، والإتقان: ٩٧/٤.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [الأنفال: ١] (١)، سمي منهم سعد بن أبي وقاص (٢).
﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُوا﴾ [الأنفال: ٥]، سمي منهم أبو أيوب
الأنصاري (٣). ومن الذين لم يكرهوا المقداد (٤).
﴿إِن تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩]، سمي منهم أبو
جهل (٥).
﴿وَإِذْ يَمَكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٣٠]، وهم (٦) أهل دار الندوة (٧)،
وسمي منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو سفيان، وأبو جهل، وجُبَيْر بن مطعم،
وطعيمة بن عدي (٨)، والحارث بن عامر، [والنضر بن الحارث] (٩)، وزمعة بن
الأسود، وحكيم بن حزام (١٠)، وأمّية بن خلف (١١).
﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ...﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية، سمي

(١) الأنفال: جمع نفل وهو الغنيمة. انظر: فتح القدير: ٢٨٣/٢.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ١١٧/٩، وقال أحمد شاکر في تعليقه على تفسير ابن جرير
رقم (١٥٦٥٧): إسناده صحيح. وتفسير ابن كثير: ٢٧٤/٣، ومفحمت الأقران: ١٧،
والإتقان: ٩٧/٤.

(٣) هو: خالد بن زيد بن كليب أبو أيوب الأنصاري من بني النجار، الصحابي
الجليل، توفي سنة اثنتين وخمسين للهجرة. انظر: طبقات ابن سعد: ٤٩/٣، والإصابة:
٤٠٥/١، والمعارف: ٢٧٤.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٨١/٣، ومفحمت الأقران: ١٧، والإتقان: ٩٧/٤.

(٥) انظر: تفسير ابن جرير: ١٣٨/٩، وتفسير ابن كثير: ٣٩٧/٣، ومفحمت الأقران:
١٨، والإتقان: ٩٧/٤.

(٦) في الإتقان بدون الواو.

(٧) هي الدار التي تشاورت فيها قريش في أمر النبي ﷺ. انظر: فتح القدير: ٣٠٤/٣.

(٨) هو: طعيمة بن عدي بن نوفل بن عبد مناف من رؤساء قريش في الجاهلية، شهد
بدرًا، وقتل فيه كافرًا قتله حمزة وعلي. انظر: نسب قريش: ١٩٨، والأعلام: ٢٢٧/٣.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ج)، وما أثبتته من الإتقان: ٩٧/٤.

(١٠) هو: حكيم بن حزام بن خويلد أبو خالد القرشي الأسدي أسلم يوم فتح مكة سنة
ثمان من الهجرة، توفي سنة أربع وخمسين من الهجرة بالمدينة. انظر: التهذيب للنووي:
١٦٦/١.

(١١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ...﴾: ٥/
١٩٩، وابن جرير في تفسيره: ٢٥٢/٩، وانظر: تفسير ابن كثير: ٣١١/٣، ومفحمت
الأقران: ١٨، والإتقان: ٩٨/٤.

منهم أبو جهل، والنضر بن الحارث^(١).

﴿إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينَهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٩]، سمي منهم: عتبة بن ربيعة، وقيس بن الوليد، وقيس بن الفاكه، والحارث بن زمة، والعاصي بن منه^(٢).

﴿قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾ [الأنفال: ٧٠]، كانوا سبعين، منهم العباس^(٣)، وعُقَيْل^(٤)، ونوفل بن الحارث^(٥)، وسهيل بن بيضاء^(٦).

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، سمي منهم سلام بن مشكم^(٧)، ونعمان بن أوفى، ومحمد بن دحبة، وشأس بن قيس^(٨)، ومالك بن الصيف^(٩).

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾ [التوبة: ٧٩]، سمي من المطووعين عبد الرحمن بن عوف، وعاصم بن عدي^(١٠).

﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]، أبو عقيل^(١١)،

(١) انظر: سيرة ابن هشام: ٤٨١/١، وتفسير ابن كثير: ٣/٣٠٧، ومفحات الأقران: ١٨، والإتقان: ٩٨/٤.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١٦/١٠، وانظر: تفسير ابن كثير: ٣/٣٣٤، ومفحات الأقران: ١٨، والإتقان: ٩٨/٤.

(٣) هو: العباس بن عبد المطلب أبو الفضل عم رسول الله ﷺ، توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة، وقيل غير ذلك. انظر: التهذيب للنووي: ١/٢٥٧.

(٤) هو: عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، ابن عم الرسول ﷺ، توفي في خلافة معاوية، ودُفن بالبيعة. انظر: التهذيب للنووي: ١/٣٣٧.

(٥) هو: نوفل بن الحارث بن عبد المطلب أبو الحارث القرشي الهاشمي، ابن عم الرسول ﷺ، توفي بالمدينة سنة خمس عشرة من الهجرة. انظر: التهذيب للنووي: ١/١٣٤.

(٦) انظر: سيرة ابن هشام: ٣/٣٤٩، والإتقان: ٩٨/٤.

(٧) هو: سلام بن مشكم اليهودي والد شعثاء. انظر: هامش سيرة ابن هشام: ٤/٦٤.

(٨) هو: شأس بن قيس بن عبادة بن زهير بن عطية بن زيد من أشراف الأوس في الجاهلية، وكان قد تهوّد، وكان رأساً فيهم. جمهرة النسب للكليبي: ٦٤٨.

(٩) انظر: تفسير ابن جرير: ٧٨/١٠، وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٢/٢٢٩، وزاد نسبه لابن إسحاق وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس.

(١٠) انظر: التعريف والإعلام: ٧١، وتفسير ابن كثير: ٣/٤٣٠، والإتقان: ٩٨/٤.

(١١) هو: سهل بن رافع بن خديج بن مالك أبو عقيل الأنصاري الحبحاب، صاحب الصاع الذي لمزه المنافقون. انظر: الإصابة: ٨٧/٢.

ورفاعة^(١) بن سهل^(٢).

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ﴾ [التوبة: ٩٢]، سمي منهم العرياض بن سارية^(٣)، وعبد الله بن مغفل المزني^(٤)، وعمرو المزني^(٥)، وعبد الله بن الأزرق الأنصاري، وأبو ليلي^(٦) الأنصاري^(٧).

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا﴾ [التوبة: ١٠٨]، سمي منهم: عويم^(٨) بن ساعدة^(٩).

﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، نزلت في جماعة منهم: عمار بن ياسر، وعياش بن أبي ربيعة^(١٠).

﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾ [الإسراء: ٥]، هم طالوت وأصحابه^(١١)، [كذا

(١) هو: رفاعة بن سهل صاحب الصاع الذي لمزه المنافقون. انظر: الإصابة لابن حجر: ٥١٨/١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ...﴾: ٢٠٥/٥، وفي فتح الباري: ٣٣١/٨: «سهل». قال الحافظ ابن حجر: فيحتمل أن يكون اسم أبي عقيل «سهل»، ولقبه «حجاب» أو هما اثنان. وانظر: المطالب العالية: ٣٤١/٣، والتعريف والإعلام: ٧١.

(٣) هو: العرياض بن سارية أبو نجيح السلمي الصحابي كان من أهل الصفة، توفي سنة خمس وسبعين، وقيل: في أيام الزبير. انظر: التهذيب للنووي: ٣٣٠/١.

(٤) هو: عبد الله بن مغفل المزني الصحابي الجليل من أصحاب الشجرة، توفي فيها سنة ستين، وقيل: إحدى وستين من الهجرة. انظر: تهذيب التهذيب: ٤٢/٦، والأعلام: ١٤٠/٤.

(٥) هو: عمرو بن أبي عمرو المزني والد رافع. انظر: الإصابة: ٨/٣.

(٦) هو: أبو ليلي والد عبد الرحمن بن أبي ليلي الأنصاري، واختلف في اسمه، صحب النبي ﷺ، توفي يوم الصقين. انظر: الإصابة: ١٦٩/٤، وأسد الغابة: ٢٨٦/٥.

(٧) انظر: تفسير ابن جرير: ١٤٦/١٠، والتعريف والإعلام: ٧١، ومفحات الأقران: ٢٤، والإتقان: ٩٨/٤.

(٨) في (هـ) و(ح): «عويمر» وما أثبتته من: الإتقان: ٩٨/٤، كما في مفحات الأقران: ٢٤. هو: عويمر بن ساعدة. انظر: سيرة ابن هشام: ٣١٠/٤.

(٩) انظر: التعريف والإعلام: ٧٣، ومفحات الأقران: ٢٤، والإتقان: ٩٨/٤.

(١٠) انظر: تفسير ابن جرير: ١٢٢/١٤، ومفحات الأقران: ٢٤، والإتقان: ٩٨/٤، وفتح القدير: ١٩٨/٣.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في مفحات الأقران: ٢٤.

قيل . والصحيح أنه بخت نصر وأصحابه^{(١)(٢)} .

﴿وَأَن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]، قال ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما -: نزلت في رجال من قريش منهم أبو جهل وأمّية بن خلف^(٣) .

﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا﴾ [الإسراء: ٩٠]، سمي ابن عباس من قائل ذلك عبد الله بن أمّية^(٤) وذريته^(٥) .

﴿أَفَنَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ﴾ [الكهف: ٥٠]، سمي منهم ثبر^(٦)، والأعور^(٧)، وزلنسبور^(٨)، ومشوط^(٩)، وداسم^(١٠) [١١] .

﴿وَقَالُوا إِن نَّبَعِ الْهُدَى مَعَكَ﴾ [القصص: ٥٧]، سمي منهم الحارث^(١٢) بن عامر بن نوفل^(١٣) .

-
- (١) ما بين المعقوفين ساقط من الإتيان: ٩٩/٤ .
- (٢) في تفسير ابن كثير: ١٨١/٤ أنه بختنصر، ثم قال: «وهذا صحيح إلى سعيد بن المسيب، وهذا هو المشهور». وانظر: التعريف والإعلام: ٩٨، والإتيان: ٩٩/٤ .
- (٣) في تفسير ابن جرير: ٨٨/١٥، عن ابن عباس: أنهم من ثقيف .
- وانظر: فتح القدير: ٢٤٨/٣، ومفحمت الأقران: ٢٤، والإتيان: ٩٩/٤ .
- (٤) هو: عبد الله بن أمّية بن حذيفة بن المغيرة، كان شاعراً. انظر: جمهرة النسب للكليبي: ٨٧ .
- (٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٤٩/٤، ومفحمت الأقران: ٢٤، والإتيان: ٩٩/٤ .
- (٦) صاحب المصائب .
- (٧) صاحب الرّنا .
- (٨) صاحب الأسواق، وقيل: الذي يفرّق بين الناس، ويصر الرجل عيوب غيره .
- (٩) صاحب الأخبار يأتي بها فيلقها في أفواه الناس، ولا يجدون لها أصلاً .
- (١٠) الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم، ولم يذكر الله؛ بصره من المتاع ما لم يرفع، وإذا أكل لم يذكر اسم الله أكل معه . أخرج ذلك ابن جرير في تفسيره: ١٧١/١٥ . وانظر: التعريف والإعلام: ١٠٣ .
- (١١) ما بين المعقوفين ساقط من الإتيان: ٩٩/٤ .
- (١٢) هو: الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وفيه قتل خبيب وصلب . انظر: جمهرة النسب للكليبي: ٦٣، وديوان حسان بن ثابت: ١٣٥/١ .
- (١٣) رواه ابن جرير في تفسيره: ٩٤/٢٠، وأورده السيوطي في الدر: ١٣٤/٥، وزاد نسبه للنسائي وابن المنذر، وذكر ابن كثير عن رواية النسائي . انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٣/٥ .

﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا﴾ [العنكبوت: ٣]^(١)، هم المؤذون على الإسلام بمكة منهم عمار بن ياسر^(٢).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ [العنكبوت: ٢٤]، سمي منهم الوليد بن المغيرة^(٣).

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦]، سمي منهم النضر بن الحارث^(٤).

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ [الأحزاب: ٢٣]^(٥)، [سمي]^(٦) منهم أنس^(٧) بن النضر^(٨).
﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ﴾ [سبأ: ٢٣]، أول من يقول جبريل فيتبعونه^(٩).

﴿وَأَنْطَلَقَ اللَّذَلَاءُ﴾ [ص: ٦]، [سمي]^(١٠) منهم عقبة بن أبي معيط، وأبو جهل، والعاصي بن وائل، والأسود بن المطلب^(١١)، والأسود بن يغوث^(١٢).

(١) تفسير ابن كثير: ٣٠٧/٥.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ٨٣/٢٠، والدر المنثور: ١٤١/٥، ومفحمت الأقران:

٣١، والإتقان: ٩٩/٤، وفتح القدير: ١٩٥/٤.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ٣٣١/١٣، ومفحمت الأقران: ٣٠، والإتقان: ٩٩/٤.

(٤) انظر: التعريف والإعلام: ١٣٤، ومفحمت الأقران: ٣١، والإتقان: ٩٩/٤.

(٥) نَحْبُهُ: قال بعضهم: أجله، وقال البخاري: عهده. انظر: تفسير ابن كثير: ٤٣٨/٥.

(٦) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتقان: ٩٩/٤.

(٧) هو: أنس بن النضر بن ضمضم الصحابي، لم يشهد بدرًا، وشهد أحدًا، واستشهد يوم أحد وضرب بضع وثمانون ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، قال أنس: كُنَّا نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. انظر: التهذيب للنووي: ١٢٨/١.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾: ٢٢/٦.

وانظر: التعريف والإعلام: ١٣٧.

(٩) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٦٣/٢٢، مرفوعًا من حديث النواس بن سميان.

وانظر: تفسير ابن كثير: ٥٥١/٥، ومفحمت الأقران: ٣٣، والإتقان: ٩٩/٤.

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتقان: ٩٩/٤.

(١١) هو: الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي أبو زمعة، وكان هو وأصحابه يتغامزون بالنبي ﷺ. انظر: الكامل: ٧٤/٢.

(١٢) انظر: تفسير ابن جرير: ٨٠/٢٣، والمطالب العالية: ٣٦٣/٣، وتفسير ابن كثير:

٤٦/٦، ومفحمت الأقران: ٣٧، والإتقان: ٩٩/٤.

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا﴾ [ص: ٦٢]، سمي من القائلين أبو جهل، ومن الرجال عمار (بن ياسر)^(١)، وبلال^(٢).

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، سمي منهم زوبعة، وحسي، ومسي، وشاصر، وماصر، والأرد، وإينان، والأجقم، وسرف^(٣).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَأَدُّونَكَ مِن وَّرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ [الحجرات: ٤]، سمي منهم الأقرع بن حابس^(٤)، والزبرقان بن بدر^(٥)، وعيينة بن حصن، وعمرو^(٦) بن (الأهم)^{(٧)(٨)}.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المجادلة: ١٤]، قال السدي: نزلت في عبد الله بن نبتل^(٩) من المنافقين^(١٠).

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الإتيان: ٩٩/٤.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١١٦/٢٣، وانظر: تفسير ابن كثير: ٧٣/٦، ومفحمت الأقران: ٣٧، والإتيان: ٩٩/٤.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير: ٢٠/٢٦، ومجمع الزوائد للهيثمي: ١٠٦/٧، وقال الهيثمي: «رجاله ثقات»، والتعريف والإعلام: ١٥٦، ومفحمت الأقران: ٣٧، والإتيان: ٩٩/٤.

(٤) هو: الأقرع بن حابس بن عقال المجاشعي التميمي الصحابي، قدم على رسول الله ﷺ في وفد بني دارم من تميم فأسلموا، شهد حينئذ، وفتح مكة والطائف استشهد بالجوزحان. انظر: الأعلام: ٣٤٣/١.

(٥) هو: الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس التميمي السعدي، قدم على النبي ﷺ في وفد تميم، ثم أسلم وعاش إلى خلافة معاوية. انظر: الإصابة: ٥٤٤/١، وأسد الغابة: ١٩٤/٢.

(٦) هو: عمرو بن سنان بن سمي التميمي المنقري، أبو ربعي أحد السادات الشعراء الخطباء في الجاهلية والإسلام من أهل نجد. انظر: البيان والتبيين للجاحظ: ٢٧/١، والتعريف والإعلام: ١٦٠، والشعر والشعراء لمصطفى الشكعة: ٢٤٠.

(٧) في (هـ) و(ح): «الأصم»، وما أثبتته من الإتيان: ٩٩/٤.

(٨) رواه أحمد في مسنده: ٤٨٨/٣ و٣٩٣/٦، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠٨/٧: رواه أحمد والطبراني، وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح. وانظر: الدر المشور: ٨٦/٦، والإتيان: ٩٩/٤.

(٩) في (هـ) و(ح) والإتيان: ٩٩: «نفيل»، وهو خطأ، والمثبت من مفحمت الأقران: ٤٠.

(١٠) انظر: زاد المسير: ١٩٦/٨، ومفحمت الأقران: ٤٠، والإتيان: ٩٩/٤.

﴿لَا يَنْهَكَ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْبِلُوكُمْ﴾ [المتحنة: ٨]، نزلت في قتيلة^(١) أمّ أسماء بنت أبي بكر^(٢).

﴿إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ [المتحنة: ١٠]، سُمِّيَ منهم أمّ كلثوم^(٣) بنت عقبة بن أبي معيط^(٤)، وأمّية بنت بشر^(٥).

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا نُفِيقُوا﴾ [المنافقون: ٦]، ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا﴾ [المنافقون: ٧]، سُمِّيَ منهم عبد الله بن أبي^(٦).

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ...﴾ الآية [الحاقة: ١٧]، سُمِّيَ من حملة العرش إسرافيل، ولبنان، وروفيل^(٧).

﴿أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ [البروج: ٤]، ذو نواس^(٨)، وزرعة^(٩) بن أسد الحمير^(١١) وأصحابه^(١٢).

(١) هي: قتيلة بنت سعد من بني عامر بن لؤي امرأة أبي بكر الصديق، وهي أمّ عبد الله وأسماء. انظر: الإصابة: ٣٨٨/٤، وأسد الغابة: ٥٣٢/٥.

(٢) كما في المستدرک للحاكم: ٤٨٥/٢، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر: تفسير ابن جرير: ٤٣/٢٨، وتفسير ابن كثير: ٦٢٨/٦، ومفحّمات الأقران: ٤٠، والإتقان: ٩٩/٤.

(٣) هي: أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، أسلمت وهاجرت وبايعت النبي ﷺ. انظر: التهذيب للنووي: ٣٦٦/١.

(٤) أوردته الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٢٣/٧ وقال: إسناده ضعيف. وانظر: الدرر المنثور: ٢٠٦/٦.

(٥) وفي فتح الباري: ٦٣٧/٨: أميمة بنت رقيقة، بقافين، مصغراً.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَّقُونَ...﴾ [المنافقون: ١]، والأبواب السبعة التي بعده: ٦٣/٦.

(٧) انظر: مفحّمات الأقران: ٤٢، والإتقان: ١٠٠/٤، ولم أعثر على غيرهما من المراجع.

(٨) الأخدود وجمعه أخاديد، وهي الحفر في الأرض. تفسير ابن كثير: ٢٥٤/٧.

(٩) هو: ذو نواس الحميري آخر ملوك حمير في اليمن صاحب الأخدود، كان يدين باليهودية وبلغه أن أهل نجران يدخلون على النصرانية فحفر أخاديد وملأها ناراً، فعرض أعيان المنتصرين على النار، فمن رجع إلى اليهودية نجا، ومن أبى أدخله في الأخاديد.

انظر: الكامل: ٤٢٥/١، والأعلام: ٢٨/٣.

(١٠) هو: زرعة ذو نواس بن تيان أسعد بن كرب.

(١١) انظر: التعريف والأعلام: ١٨١، والإتقان: ١٠٠/٤.

(١٢) هم الذين قصدوا تخريب الكعبة من الحبشة. فتح القدير: ٤٩٥/٥.

«أصحاب الفيل» [الفيل: ١]، هم الحبشة^(١)، قاءدهم برهة الأشرم^(٢)، ودليلهم أبو رغال^(٣)(٤).

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، نزلت في الوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، والأسود بن المطلب، وأمّية بن خلف^(٥).

﴿الْفَلَقُ﴾ [الفلق: ٣]^(٦)، بنات لبيد الأعصم^(٧).

-
- (١) الحبشة: هم جيل معروف ويرجع نسبهم إلى حام بن نوح ﷺ، وهم أكثر الناس، وبلادهم أكثر البلاد. انظر: تهذيب النوي: ٢٨٨/١.
- (٢) هو: أبرهة الأشرم ملك الحبشة الذين قتلوا ذا نواس وغلّبوه على ملك اليمن. انظر: التعريف والأعلام: ١٨٦.
- (٣) هو: قسي بن منبه بن البيت بن يقدم أبو رغال صاحب القبر الذي يرجم إلى اليوم بين مكة والطائف ودليل الحبشة لما غزوا الكعبة، فهلك فيمن هلك منهم. انظر: المسعودي: ٢١٧/١، والأعلام: ٤٢/٦.
- (٤) انظر: تفسير ابن جرير: ١٩٦/٣٠، وسيرة ابن هشام: ٤٧/٢، ومفحّمات الأقران: ٤٥، والإتقان: ١٠٠/٤.
- (٥) انظر: تفسير ابن جرير: ٢١٤/٣٠، والتعريف والإعلام: ١٨٨، ومفحّمات الأقران: ٤٥، والإتقان: ١٠٠/٤.
- (٦) قال السهيلي في التعريف: ١٩٨: ﴿وَمِنْ شَكْرِ الْفَلَقِ فِي الْمَعْدِ﴾ يعني السواحر يعقدن في الحرير وغيره في سحرهن وينفثن فيه. انظر: فتح القدير: ٥٢١/٥.
- وانظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده: ٩١/٤.
- (٧) انتهى النقل من الإتقان: ٧٩/٤ - ١٠٠، وانظر: مفحّمات الأقران: ٣ - ٤٦.

النوع الخامس والثلاثون بعد المائة

علم أسماء مَنْ نزل فيهم القرآن



النوع الخامس والثلاثون بعد المائة



علم أسماء مَنْ نزل فيهم القرآن^(١)

قال الإمام الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - في «الإتقان»: رأيت فيهم^(٢) تأليفاً مفرداً لكنه غير محرّر، وكتاب «أسباب النزول»^(٣) و«المبهمات»^(٤) يُغنيان عن ذلك.

وقد قال ابن أبي حاتم: ذكر عن الحسين بن زيد الطحّان، أنبأنا إسحاق بن منصور، أنبأنا قيس^(٥)، عن الأعمش^(٦)، عن المنهال^(٧)، عن عباد بن عبد الله^(٨)، قال: قال عليّ: ما في قريش أحد إلا وقد نزلت فيه آية، قيل له:

(١) هذا النوع منقول عن: الإتقان: ١٠١/٤، النوع الحادي والسبعين «في أسماء من نزل فيهم القرآن».

(٢) في (هـ) و(ح): «فيه»، وما أثبتته من الإتقان: ١٠١/٤.

(٣) يشير إلى كتابه المسمّى بـ«لباب النقول في أسباب النزول»، وهو كما قال مؤلفه: تلخيص من جوامع الحديث والأصول، وتحرير من تفاسير أهل النقول، وهو كما قال، وهو مطبوع ط ٢، سنة ١٩٧٩، دار إحياء العلوم، بيروت.

(٤) يريد بكتابه المسمّى بـ«مفحّات الأقران في مبهمات القرآن» ذكرته في النوع: ١٣٤: «علم مبهمات القرآن». وهذا الكتاب مطبوع: ط ١، عام ١٣٢٦، مطبعة السعادة، بمصر.

(٥) هو: قيس بن الربيع أبو محمد الكوفي الأسدي، توفي سنة سبع أو ثمان وستين ومائة. انظر: تذكرة الحفاظ: ٢٢٦/١، وطبقات الحفاظ: ٩٦.

(٦) هو: سليمان بن مهران الأعمش الأسدي الكاهلي الكوفي أبو محمد، توفي سنة ثمان وأربعين ومائة للهجرة. انظر: تذكرة الحفاظ: ١٥٤/١، وطبقات الحفاظ: ٦٧، والشذرات: ٢٢٠/١.

(٧) هو: المنهال بن عمرو الأسدي مولا هم الكوفي، قال ابن حجر: صدوق ربما وهم. انظر: تهذيب التهذيب: ٣١٩/١، وتقريب التهذيب: ٢٧٨/٢.

(٨) هو: عباد بن عبد الله الأسدي الكوفي، ذكره ابن حبان في الثقات، قال علي بن المديني: ضعيف الحديث، قال ابن حجر في التقريب: هو ضعيف.

ما نزل فيك؟ قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [هود: ١٧] (١).
 ومن أمثله ما أخرجه أحمد (٢) والبخاري في «الأدب» (٣)، عن سعد بن أبي
 وقاص قال: نزلت في أربع آيات: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [الأنفال: ١]، ﴿وَوَصَّيْنَا
 الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]، وآية تحريم الخمر (٤)، وآية الميراث (٥).
 وأخرج ابن أبي حاتم عن رفاعة القرظي (٦)، قال: نزلت: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا لَهُمْ
 الْقَوْلَ﴾ [القصص: ٥١]، في عشرة، أنا أحدهم (٧).
 وأخرج الطبراني (٨) عن أبي جمعة جُنَيْد بن سبع (٩) - وقيل: حبيب بن
 سباع (١٠) - قال: فينا نزلت: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ﴾ [الفتح: ٢٥]،
 وكنا تسعة نفر؛ سبعة رجال وامرأتين (١١).
 انتهى (١٢) كلام الحافظ السيوطي - رحمة الله عليه - .

- = انظر: تهذيب التهذيب: ٩٨/٥، وتقريب التهذيب: ٢٩٢/١.
- (١) الحديث أورده السيوطي في الدرّ المنتور: ٣٢٤/٣، والشوكاني في فتح القدير: ٤٨٩/٢، وفي إسناده عباد بن عبد الله الأسدي الكوفي. قال ابن حجر عنه في التقريب: ٢٩٢/١: هو ضعيف.
- (٢) في مسنده: ١٨١/١: من حديث سعد بن أبي وقاص، في حديث طويل.
- (٣) الأدب المفرد، باب برّ الوالد المشرك: ١٧، باختصار.
- (٤) سورة المائدة: الآيتان (٩٠، ٩١).
- (٥) سورة النساء: الآيتان (١١، ١٢).
- (٦) هو: رفاعة بن قرظة القرظي، وهو الذي قال: نزلت هذه الآية في عشرة أنا أحدهم. أخرجه ابن أبي حاتم والبارودي والطبراني من حديث يحيى بن جعدة. انظر: الإصابة: ٥١٩/١، وأسد الغابة: ١٨٤/٢. في (ح): «بن القرظي».
- (٧) انظر: تفسير ابن جرير: ٨٨/٢٠، والدرّ المنتور: ١٣١/٥، قال السيوطي: إسناده جيد.
- (٨) انظر: المعجم الكبير للطبراني: ٢٩/٤، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠٧/٧: رواه الطبراني بإسنادين في المعجم الكبير: ٣٢٦/٣ و٢٩/٤، رجال أحدهما ثقات.
- (٩) في (ه) و(ح): «جندب بن سبع ويقال هذا».
- انظر: أسد الغابة: ٣٠٠/١.
- (١٠) هو: جنيد بن سبع، ويقال: حبيب بن سباع أبو جمعة الأنصاري. انظر: أسد الغابة: ٣٠٨/١.
- (١١) المعجم الكبير للطبراني: ٣٢٦/٣، ٢٩/٤، قال في مجمع الزوائد: ١٠٧/٧: رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات.
- (١٢) انتهى النقل من: الإتيان: ١٠١/٤.

النوع السادس والثلاثون بعد المائة

علم قصص الأنبياء ﷺ
المذكورين في القرآن العظيم



النوع السادس والثلاثون بعد المائة

علم قصص الأنبياء ﷺ

المذكورين في القرآن العظيم^(١)

أما صفة خلق آدم ﷺ: فَإِنَّ اللَّهَ لَمَّا أَرَادَ إِيجَادَ آدَمَ أَمَرَ مَلَكًا^(٢) مِنْ مَلَائِكَتِهِ أَنْ يَقْبِضَ قَبْضَةً مِنَ الْأَرْضِ، فَانضَمَّتْ الْأَرْضُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَاجْتَمَعَتْ، فَقَبِضَ مِنْهَا قَبْضَةً وَارْتَفَعَ بِهَا إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى، ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ ﷻ أَنْ يُلْقَى عَلَى ذَلِكَ التُّرَابِ مَاءٌ حَتَّى يَصِيرَ طِينًا، ثُمَّ صَوَّرَ اللَّهُ ﷻ مِنْ ذَلِكَ الطِّينِ صُورَةَ آدَمَ، وَسَائِرَ أَعْضَائِهِ وَجَوَارِحِهِ، فَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ بَرَهَةً مِنَ الزَّمَنِ، وَهُوَ كَالْفَخَّارِ^(٣) الْمَجْوَّفِ^(٤) جَمَادًا لَا

(١) هذا النوع لم يذكره الحافظ السيوطي في الإتيان.

(٢) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: ٨٦، ٨٥/١: ذكر السدي من حديث ابن عباس وناس من أصحاب رسول الله ﷺ، قالوا: فبعث الله ﷻ جبريل في الأرض لياتيه بطين منها، فقالت الأرض: أعوذ بالله منك أن تنقص مني أو تشينني، فرجع ولم يأخذ، وقال: رب إنها عاذت بك فأعذتها... فبعث ملك الموت فعاذت منه، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره، فأخذ من وجه الأرض وخلطه ولم يأخذ من مكان واحد، وأخذ من تربة بيضاء وحمراء وسوداء، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين، فصعد به قبل التراب حتى عاد طيناً لازباً... الحديث.

قال ابن كثير تعليقاً على هذه الرواية: إن لبعض هذا السياق شاهد من الأحاديث، وإن كان كثير منه متلقى من الإسرائيليات.

فقد روى الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة البقرة: ٢٠٤/٥ من حديث أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبْضُهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزَنُ وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) وذلك قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ٦].
والفخار: الخزف الذي طُبِخَ بالنار، وهو: الجَرّ.

انظر: تفسير الشوكاني: ١٣٣/٥، ومختار الصحاح للرازي: ١٩٣.

(٤) في (ح): «كالفخار المجوفة».

إحساس له ولا شعور^(١)، ثم نفخ فيه من روحه؛ فأول ما اتصلت به الروح بدماغه وسرت إلى خيشومه عطس، فقال: الحمد لله، فهي أول كلمة نطق بها، فأجاب الله ﷻ: يرحمك الله يا آدم، وللرحمة خلقتك^(٢)، ثم سرت الروح في سائر أجزائه، واستحال لحمًا ودمًا وعظامًا، فقام في أحسن تقويم يمجّد الله ﷻ ويُعظّمه، ثم إن الله ﷻ علّمه المعاني الدالّة على كل شيء المميّزة عن غيره، فما من شيء أو لون أو مسمّى إلّا وقد علّمه الله ﷻ ذلك^(٣) عزّ من قائل: ﴿وَعَلَّمَ

(١) روى ابن عساكر من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله خلق آدم من تراب، ثم جعله طيناً، ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنوناً خلقه وصوره، ثم تركه حتى إذا كان صلصالاً كالفخار قال: فكان إبليس يمرّ به فيقول: لقد خلقت لأمر عظيم...». نقلًا عن البداية والنهاية: ٨٦/١.

وأخرج الحاكم من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لما صور الله آدم تركه فجعل إبليس يظف به فينظر إليه، فلما رآه أجوف قال: ظفرت به خلق لا يتمالك»، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. المستدرک: ٥٤٢/٢، كتاب التاريخ، باب ذكر آدم.

(٢) وفي العرائس للثعلبي: ٢٢: فأول ما نفخ فيه الروح دخلت دماغه... ثم نزلت في خياشيمه فعطس... فلنقه الله تعالى أن قال: الحمد لله رب العالمين، فكان ذلك أول ما جرى على لسانه، فأجابه ربّه ﷻ فقال: يرحمك ربّك، يا آدم للرحمة خلقتك... ثم انتشرت الروح في جسده كله فصار لحمًا ودمًا وعظامًا وعروقًا وعصبًا...

وانظر: تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس: ٣٩/١.

إن لبعض هذا السياق شاهد من الأحايث، وإن كان كثير منه متلقًى من الإسرائيليات، قاله ابن كثير في البداية والنهاية: ٨٦/١.

فقد روى ابن حبان في صحيحه من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «لما نفخ في آدم فبلغ الروح رأسه عطس، فقال: الحمد لله رب العالمين، فقال له تبارك وتعالى: يرحمك الله». صحيح ابن حبان، لم أهد إلى تخريج الحديث، وهذا نقل عن البداية والنهاية: ٨٦/١.

(٣) قال ابن عباس: هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان، ودابة، وأرض، وسهل، وبحر، وجبل، وجمل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها. انظر: البداية والنهاية: ٧٧/١، وتفسير ابن كثير: ٧٣/١.

ويؤيد ما رواه البخاري من حديث أنس بن مالك، قال رسول الله ﷺ: «يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلي ربنا، فيأتون آدم، فيقولون: أنت أبو الناس، خلقتك بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلّمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك...». الحديث. انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]: ١٢٢/٨.

ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴿البقرة: ٣١﴾، يعني مسميات الأشياء الموجودة ذلك الوقت، فلم يعرفوا تمييز الأشياء بعضها عن بعض، ﴿فَقَالَ أَنبِيُّونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَقَدَّمُ أُنْبِيُّهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة: ٣١ - ٣٣].

واعلم أيها الأخ أن تعليم الله ﷻ لآدم ليس من باب الإقراء، والبيان، والتمثيل، والتفهيم، إنما من باب أن ﷻ وضع في استعداده معرفة الأشياء وألهمه المعاني الدالة على تمييز الأشياء بعضها عن بعض^(١).

فإن قلت: يمكن أن يُقال من طرف الملائكة: إنك لو علمتنا كما علمت آدم الأسماء كما علم (آدم)^(٢) ولم يكن له علينا فضل.

فالجواب: إن الملائكة إنما لم يقولوا ذلك لكونهم علموا أنه ليس في استعدادهم ولا في قوابلهم^(٣)، ما هو في استعداد آدم ﷻ من السعة لسائر أسماء الأشياء، فإن الملائكة استعدادهم مقصور على معاني التقديس والטהارة، فلو سُئلوا عن معنى الغضب أو الشهوة لم يعلموا؛ لأنها ليست في قوابلهم، فهذا الاتساع فاق آدم عليهم، فإن آدم جامع فيه ما فيهم زيادة، فهو من حيث روحه ملك، ومن حيث جسده جماد، ومن حيث المجموع له معنى وهو الإنسانية.

ثم لما أوجده الله ﷻ بهذه^(٤) الوجوه، وأتقنه بهذا الإنقان، وزين شكله بالجوارح الحسان، وعلمه الأسماء كلها، وظهر تمييزه على العالم الإنسي فعرفت الملائكة قدره وفضله، فأمرهم ﷻ بالسجود له^(٥) على التعظيم

(١) وفي روح المعاني: ٢٠٦/١: اختلفت كيفية التعليم لآدم ﷻ، فقيل: بأن خلق فيه ﷻ بموجب استعداده علماً ضرورياً تفصيلياً بتلك الأسماء وبمدلولاتها، وبدلالاتها، ووجه دلالتها. وقيل: . . . والقول الذي تميل إليه النفس القول الأول.

(٢) ساقط من (ح).

(٣) قال أبو السعود في تفسيره: ٦٨/١: في قوله تعالى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾: اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه؛ إذ معناه لا علم لنا إلا ما علمتنا بحسب قابليتنا من العلوم المناسبة لعالمنا، ولا قدرة بنا على ما هو خارج عن دائرة استعدادنا.

(٤) في (هـ) و(ح): «بهذا».

(٥) السجود في اللغة: الخضوع والتطامن. وفي الشرع: وضع الجبهة على الأرض على

قصد العبادة.

والخضوع، والامتثال لأمر الله ﷻ، فبادروا إلى طاعة الله ﷻ، فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين، قال: أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين^(١)، فهو أول من امتنع وخالف أمر الله ﷻ، وتكبر وطعن في حكمة الله ﷻ، واستدل على الله ﷻ بالدليل الفاسد^(٢)، فهو مبدأ الشر، والعناد، والكفر، والشك، والشقاق، والنفاق؛ نسأل الله العافية.

ثم إن الله ﷻ أسكن آدم ﷺ جنة الفردوس^(٣)، فاستوحش لعدم الإلف، فألقى الله جل شأنه عليه النوم وانتزع من إحدى جنبه حواء ليأنس إليها، فلما

= واختلف في المراد بالسجود هنا على أقوال: قيل: إنه تكريم لآدم، وطاعة لله، ولم يكن عبادة لآدم. وقيل: السجود لله، وآدم قبلة. وقيل: السجود لآدم عبادة بأمر الله، وفرضه عليهم، وقيل غير ذلك.

قلت: والذي تميل إليه النفس من أن المراد بالسجود هنا أنه سجود تعظيم وتكريم وتحية لآدم، فسجود الملائكة كان لآدم بأمر الله تعالى وفرضه عليهم، وهو عبادة لله وطاعة وقربة يتقربون بها إليه.

وفي محاسن التأويل للقاسمي: ١٠١/٢: قال أهل العلم: السجود كان لآدم بأمر الله وفرضه، وعلى هذا إجماع كل من يسمع قوله.

(١) انظر: سورة الأعراف: ١٢، وسورة الإسراء: ٦١، وسورة ص: ٧٦.

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٧٢/١: قال محمد بن سيرين: أول من قاس إبليس، وما عُبدت الشمس ولا القمر إلا بالمقاييس. ومعنى هذا أنه نظر نفسه بطريق المقايسة بينه وبين آدم، فرأى نفسه أشرف فامتنع من السجود له مع وجود الأمر ولسائر الملائكة بالسجود، والقياس إذا كان مقابلاً بالنص كان فاسد الاعتبار.

(٣) وقيل غيرها، وهو الراجح، وهو أن الجنة التي أسكن الله فيها آدم كانت في الأرض لأنه ﷻ خلق آدم في الأرض حيث يقول في القرآن الكريم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، ولم يذكر الله أنه نقله إلى السماء، وجنة الفردوس هي في السماء حيث إن الفردوس مكان من الجنة من أفضلها، وقد وصف الله الجنة الموعودة في السماء (جنة الخلد)، ولو كانت كذلك لما تجرأ إبليس أن يقول لآدم: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠]، وجنة الفردوس دار نعيم وليست بدار تكليف، وقد كلف الله آدم وحواء بأن لا يأكلا من الشجرة. ولا يمنع أن تكون الجنة التي أسكنها الله لآدم مرتفعة عن سائر بقاع الأرض ذات أشجار وثمار وظلال ونعيم، وهي التي وصفها الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ لَكَ الْأَجْمَعُ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١٧١﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴿١٧٢﴾﴾ [طه].

انظر: فتح الباري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار: ٤٢٣/١٠، وكتاب مع

الأنبياء: ٣٩.

أفاق مِنْ نومه رآها عنده فاستأنس إليها واستأنست به^(١)، وأقاما يمجِّدان الله ﷻ ويُعظِّمانه برهة من الزَّمن، وأمرهما الله سبحانه جلَّ شأنه أن يأكلا من سائر ثمار الجنَّة خلا شجرة واحدة، فجاءهما إبليس اللَّعين، فوسوس لهما^(٢) في الأكل مِنْ هذه الشجرة وحلف لهما بالله وأظهر النَّصح والشفقة والمحبة، فظنَّا صدقه واعتقدا أنه لا يحلف أحد بالله كاذباً، فأول مَنْ أكل من الشجرة حوَّاء^(٣)، ثم أشارت إلى آدم ﷺ قائلة: إني أكلت من هذه الشجرة فلم يُصِبنني شيء، فكلُّ أنت، فأكل، فلما أكلا انتزع عنهما اللباس، وتنكر لهما المكان والزَّمان، وبدت سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنَّة، يريدان ستر عورتها من الأشجار، فتمتنع^(٤) الأشجار قائلة: لا نطيع مَنْ

(١) وذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: ٧٤/١ بتصرّف قليل عن ابن عباس، وعن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة أنهم قالوا: أخرج إبليس من الجنَّة وأسكن آدم الجنَّة، فكان يمشي فيها وحشي ليس له فيها زوج يسكن إليها، فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة، خلقها الله من ضلعه - وفي رواية ابن إسحاق: أنها خلقت من ضلعه الأقصر الأيسر - ليسكن إليها واسمها حوَّاء لأنها خلقت من شيء حيّ.

ومصدق هذا في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ انْتَفُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهب تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً».

صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذريته: ١٠١/٤، وصحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء: ١٧٨/٤.

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءِئِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأعراف]. كما قال تعالى: ﴿فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَذَكَّرُ أَلَيْسَ لَكَ عَلَى شَجَرَةِ الْجَنَّةِ وَمَلِكٌ لَا يُبَلِّغُكَ ﴿٢٦﴾﴾ [طه].

(٣) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٧٨/١ بعد ذكره قوله تعالى: ﴿فَدَلَّهُمَا بِمُرُوْرٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]: كانت حوَّاء قبل آدم، وهي التي حثته على أكلها، والله أعلم. وعليه يحمل الحديث الذي رواه البخاري من حديث أبي هريرة: قال ﷺ: «لولا بنو إسرائيل لم يختر - أي لم يتبن - اللحم، ولولا حوَّاء لم تخن أثنى زوجها». صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذريته: ١٠١/٤.

(٤) وفي تاريخ الخميس في أحوال أنفس نقيس: ٥٠/١: ذكر ما حصل لآدم وحوَّاء =

عصى الله سبحانه، ثم تناولا من شجرة التين أوراقاً فاستترا بها، فناداهما جلّ شأنه: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢]، اخرجنا عن جوارحي؛ فإنه لا يجاورني من عصاني، فأهبطا إلى الأرض متفرقين، وأهبط إبليس معهما^(١)، ونُودي عليهما: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الأعراف: ٢٤]، وأخبرا ببغض إبليس لهما والحذر منه، فنزل آدم بأرض سرانديب^(٢)، وحواء بجدة^(٣)، فبكى آدم على فراق الجنة وحضرة العالم العلوي كثيراً، وأسف على ما فاته من العزم، فألهمه الله جلّ شأنه كلمات وهي قوله عزّ من قائل: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ٣٧]^(٤)، فعفا الله ﷻ، وأقبل عليه، وأوحى إليه، وعلمه أسباب صلاح معاشه ومعاذه.

= بعد أكلهما الشجرة المنهية وانتزاع اللباس عنهما، فقال: ومدّ يده ليتناول ورقة من أوراقها ليستر بها عورته، فارتفعت الورقة فبكى، فما قصدا شجرة ليأخذا من أوراقها إلا امتنعت عنهما، وقالت: ما كنت لأستر من كشفه الله، ودعتهما شجرة التين إلى نفسها ترحماً على حالهما، فأخذا من ورقها وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة...

قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٧٨/١: عن ابن عباس: وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة. ورق التين، وهذا إسناد صحيح إليه، وكأنه مأخوذ من أهل الكتاب، وظاهر الآية يقتضي أعم من ذلك.

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمُ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾. قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٧٩/١: وهذا خطاب لآدم وحواء وإبليس.

(٢) هي: جزيرة عظيمة في بحر هرkend بأقصى بلاد الهند. معجم البلدان: ٣/٢١٦.

(٣) قال ابن كثير في تفسيره: ٢٠٦/٣ تعليقا على ما ذكره المفسرون من الأماكن التي هبط فيها آدم وزوجته: ويرجع حاصل تلك الأخبار إلى الإسرائيليات - والله أعلم بصحتها - ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلفين في أمر دينهم أو دنياهم؛ لذكرها الله تعالى في كتابه أو رسوله ﷺ.

(٤) المراد بالكلمات هي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّا تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، قاله ابن عباس والحسن وابن جبير ومجاهد وأبي بن كعب والبخاري وغيرهم.

وقيل: هي ما رواه الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس: فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه، قال: قال أم: يا رب ألم تخلقني بيدك؟ قيل له: بلى، وكتبت عليّ أن أعمل هذا؟ قيل له: بلى، قال: أفرأيت إن ثبت هل أنت راجعي إلى الجنة؟ قال: نعم؛ قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قلت: المراد كلا القولين.

انظر: تفسير ابن كثير: ٨١/١، وفتح الباري، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذريته:

ثم إن آدم ﷺ لما نزل بسرنديب جاءه جبريل ﷺ فأمره بالحج، وسار معه، حتى أتيا المزدلفة اجتمع بحوآء، فلهذا سمي جمعا، وتعارفا بعرفة؛ فلهذا سمي عرفة^(١)، فوقفا بها إلى أن غربت الشمس من اليوم التاسع ثم أفاضوا إلى مزدلفة فباتا بها، ثم أتيا منى فرميا الجمار وحلقا ونفرا، ثم أتيا البيت الشريف وطافا به.

ثم إن آدم ﷺ بعد أن أهبط إلى الأرض أفضى إلى حوآء ﷺ فأولدها، وكان جملة ما ولدت حوآء لآدم أربعين بطناً^(٢)، في كل بطن ولد وبنت، أولهم قابيل وتوأمته قليما، وآخرهم عبد المغيث وأخته أمة المغيث.

وكان آدم ﷺ يزوج ولد البطن الثاني البنت الأولى، وولد البطن الأول لبنت البطن الثاني؛ لأنه لم يكن من البشر سوى أولاد آدم.

فأمر آدم ﷺ^(٣) قابيل أن يزوج ليود، وأن يتزوج هابيل من أخته قليما، فأبى قابيل لكون توأمته كانت أجمل من توامة هابيل، أو لكونه على أحد الأقوال ولدا في الجنة^(٤) قبل أن يهبط آدم ﷺ إلى الأرض، فقال: أختي أجمل من أخته ونحن من أولاد الجنة، وهو من أولاد الأرض، فلا أقبل

(١) قلت: لم أجد دليلاً من الكتاب ولا السنة يؤيد على هذا.

(٢) والأولى بنا أن لا نحدّد عدد أولاد آدم، حيث إننا لم نجد من الكتاب والسنة ما يؤيد على ذلك.

وذكر ابن جرير في تاريخه: ١٤٥/١ عن بعضهم: أن حواء ولدت لآدم عشرين ومائة بطن أولهم قابيل وتوأمته قليما، وآخرهم عبد المغيث، وقال ابن إسحاق: إنهم أربعون ولداً في عشرين بطناً، وذكر أسمائهم.

(٣) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية: ٩٢/١: عن ابن عباس وعن ناس من الصحابة أن آدم كان يزوج ذكر كل بطن بأنثى الأخرى، وأن هابيل أراد أن يتزوج بأخت قابيل وكان أكبر من هابيل، وأخت قابيل أحسن، فأراد قابيل أن يستأثر بها على أخيه، وأمره آدم ﷺ أن يزوجه إياها فأبى، فأمرهما أن يقربا قرباناً، وذهب آدم ليحج إلى مكة، واستحفظ السماوات على بنيه فأبى، والأراضين والجبال فأبى، فقبل هابيل بحفظ ذلك؛ فلما ذهب قربا قربانهما، فقرب هابيل جذعة سمينية وكان صاحب غنم، وقرب قابيل حزمة من زرع من رديء زرع فنزلت نار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل، فغضب وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي، فقال: إنما يتقبل الله من المتقين. وانظر: تفسير ابن جرير: ١٢٠/٦.

(٤) وهو قول أهل الكتاب رواه ابن إسحاق، ينظر عن: ابن كثير ٤٢/١، وتاريخ الطبري: ١٣٩/١.

ذلك؛ فجاءه إبليس - نَسَأَ اللهُ السَّلَامَةَ - وهو الكبر والعجب الذي أخرجه من حضرة الله تعالى، فقال آدم ﷺ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ أَمَرَنِي لَذَلِكَ فَأَبَى، وقال: هذا من رأيك^(١)، فأمرهما آدم ﷻ أن يقرب كل منهما - أي من هايل وقابيل - قرباناً لله تعالى، وكان في الأمم السالفة توضع القرابين على جبل عالٍ فتنزل نارٌ من السماء فتُحرق المُتَقَبَّلُ وتُبقي الغير المتقبَّل، فقرب قابيل من خبيث زرعهِ، وكان زارعاً، وقرب هايل من طيب غنمه، وكان صاحب غنم، فنزلت النار فأحرقت قربان هايل وتركت الآخر، فحسده عند ذلك^(٢).

وتأكدت عداوته له، وأضمر أن يقتل أخاه، فانتظر خلوة وفراغاً، فلما وجد والده توجه إلى الحجّ أتى إلى أخيه، واغتاله، ووضع رأسه بين حجرين فشدخه ورضّ دماغه فمات، فهو أول من سنّ القتل^(٣) في بني آدم، فحزن آدم ﷻ على قتل هايل كثيراً، وفرّ قابيل بأخته وتزوج بها وأولد منها أولاداً كثيراً، وبعُد من مساكن أبيه من الأرض. ثم إن آدم ﷻ أفضى إلى حواء، فحملت بشيث^(٤)، وعاش آدم ﷻ من العمر قريباً من ألف عام^(٥)،

(١) وفي تفسير ابن كثير ٤٢/٢: يقول بعض أهل العلم بالكتاب الأول: كانت أخت قابيل من أحسن الناس فضنّ بها على أخيه وأرادها لنفسه - والله أعلم أيّ ذلك كان - فقال له أبوه: يا بني إنها لا تحلّ لك. فأبى قابيل أن يقبل ذلك من قول أبيه، قال له أبوه: يا بني قرب قرباناً، ويقرب أخوك هايل قرباناً فأيكما يقبل قربانه فهو أحقّ بها، وكان قابيل على بذر الأرض، وكان هايل على رعاية الماشية، فقرب قابيل قمحاً، وقرب هايل أبكاراً من أبكار غنمه، فأرسل الله ناراً بيضاء فأكلت قربان هايل وتركت قربان قابيل، وبذلك كان يقبل القربان إذا قبله. رواه ابن جرير في تفسيره: ١٨٨/٦.

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة].

(٣) روى البخاري من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «لا تقتل نفس إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ منها». صحيح البخاري، كتاب الديّات، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ [المائدة: ٣٢]: ٣٥/٨.

(٤) هو: شيث بن آدم لصلبه وهو نبيّ ووصيّ أبيه آدم ﷻ، ويقال: إن أنساب بني آدم اليوم كلها تنتهي إلى شيث، وسائر أولاد آدم غيره انقرضوا وبادوا. انظر: تاريخ الطبري: ١٦٥/١، والبداية والنهاية: ١٠٧/١.

(٥) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٩٩/١: واختلف في مقدار عمره ﷻ؛ ففي الحديث عن ابن عباس وأبي هريرة مرفوعاً: أن عمره اكتب في اللوح المحفوظ ألف سنة، وهذا لا يعارضه ما في التوراة من أنه عاش تسعمائة وثلاثين سنة؛ لأن قولهم مطعون فيه =

واستخلف ابنه شيث عليه السلام، وأنزل عليه في هذه المدة خمسون صحيفة^(١) من حضرة الله تعالى - عليه سلام الله تعالى ورحمته ورضوانه آمين - .

[قصة نبي الله شيث عليه السلام]

ومعناه في العربية هبة الله وعطيته^(٢)، وهو خليفة آدم ووصيه، عمل بوصايا الحق عليه السلام، وعاش من العمر تسعمائة واثنتي عشرة سنة^(٣)، وأنزل عليه عشرون صحيفة^(٤)، وتزوج ليود أخت هابيل، وكان النور الإلهي الرباني ظاهراً في وجهه عليه السلام [٥].

[واستخلفه إدريس^(٦) - عليه الصلاة والسلام -، وهو المسمى بخنون في لسان الأمم السالفة، وهو أول من أُعطي السعة، والبراعة في العلوم، والتكلم في حقائق الأشياء^(٧)، ومسير الأفلاك، ومنازل الكواكب، وتقسيم البروج،

= ومردود إذا خالف النص، ويمكن الجمع بينهما، فإن ما في التوراة محمول على مدة مقامه في الأرض بعد الإهباط، وذلك تسعمائة وثلاثون سنة شمسية، وهي بالقمرية تسعمائة وسبع وخمسون سنة فيكون الجميع ألف سنة. وانظر: تهذيب الأسماء: ٩٥/١.

(١) وفي البداية والنهاية: ٩٩/١: فلما مات آدم عليه السلام قام بأعباء الأمر بعده ولده شيث عليه السلام، وكان نبياً بنص الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر مرفوعاً: أنه أنزل عليه خمسون صحيفة.

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٩٨/١: ومعنى شيث هبة الله، وسمّياه ذلك لأنهما رزقاه بعد أن قتل هابيل.

(٣) وفي تاريخ الطبري: ١٦٣/١: وكانت وفاته عليه السلام وقد أتت وله تسعمائة سنة واثنان عشرة سنة.

(٤) وقيل: أنزل عليه خمسون صحيفة كما في حديث أبي ذر مرفوعاً: «إن الله أنزل مائة صحيفة وأربع صحف، على شيث خمسون صحيفة»، رواه ابن حبان في صحيحه نقلاً عن قصص الأنبياء لابن كثير: ٦٧/١.

لم أعثر على الحديث.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ح)، وهو من بداية القصة.

(٦) قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم].

(٧) وفي البداية والنهاية: ٩٩/١: فإدريس عليه السلام قد أثنى الله عليه ووصفه بالنبوة والصديقة، وهو حنون هذا...، ويزعم كثير من علماء التفسير أنه أول من تكلم في حقائق الأشياء، ويسمونه هرمس الهرامسة، ويكذبون عليه أشياء كثيرة، كما كذبوا على غيره من الأنبياء.

وهو أول مَنْ أحسن الخطَّ^(١)، ومنه استفيد علم الرمل والهيئة وإخراج ما في الضمائر، وأنزل عليه ثلاثون صحيفة^(٢) من حضرة الله تعالى.
وسمّي إدريساً لكثرة دراسته^(٣) كُتِبَ اللهُ تعالى، وهو المسمّى عند اليونان
ولسان الأمم السالفة هرمس.

وقد اختلف العلماء في إدريس، هل كان قبل نوح أو بعده؟ وسياق كثير من
الأخبار يقتضي أنه قبل نوح ﷺ^(٤).
[والذي يظهر]^(٥) - والله أعلم - أن مسمّى إدريس مِنَ الأنبياء ثلاثة:
[إدريس]^(٦) الأول، وهو الذي قبل الطوفان، وإدريس الثاني، وإدريس الثالث
وهو النبيّ إلياس^(٧).

ورفع إدريس ﷺ بعد أن بلغ من العمر ثلاثمائة وخمسة وستين عاماً^(٨)؛

(١) وقيل: إن إدريس ﷺ هو المشار إليه في حديث معاوية بن الحكم السلمي، قال:
قلت: يا رسول الله، ومثا رجال يخطون؟ قال: «كان نبيّ من الأنبياء يخط، فمن وافق خطّه
فذاك»، رواه أبو داود في سننه كتاب الطب، باب في الخط وزجر الطير: ١٦/٤، وانظر:
البداية والنهاية: ٩٩/١.

(٢) أخرج ابن جرير الطبري في تاريخه من حديث أبي ذرّ الغفاري، قال: قال لي
رسول الله ﷺ: «يا أبا ذرّ، أربعة - يعني من الرُّسل - سريانئون: آدم، وشيت، ونوح،
وأخنون؛ وهو أول من خطّ بالقلم، وأنزل الله تعالى على أخنون ثلاثين صحيفة».

(٣) وفي تفسير الخازن: ٢٤٩/٤: سمّي إدريس لكثرة دراسة الكتب، وكان خياطاً،
وهو أول مَنْ خطّ بالقلم....

قال أحمد الدينوري في الأخبار الطوال: ١: وسمّي إدريس، لكثرة دراسته.

(٤) ومما يؤيد أن إدريس قبل نوح ما قاله ابن كثير في قصص الأنبياء: ٧١/١: وكان - أي
إدريس - أول بني آدم أعطي النبوة بعد آدم وشيت ﷺ. وانظر: البداية والنهاية: ٩٩/١.

وفي الأخبار الطوال: ١: وكان أول نبيّ بعد شيت واسمه أخنون بن يرد بن مهليل.

(٥) في (هـ) غير واضح، وما أثبتناه في (ح).

(٦) في (هـ) غير واضح، وما أثبتناه في (ح).

(٧) عن ابن مسعود أنه قال: «إلياس هو إدريس»، قال ابن كثير تعليقاً على قول ابن
مسعود والصحيح أنه غيره. انظر: قصص الأنبياء: ٢٤٦/٢.

قلت: قد ذكرت أن إدريس من الأنبياء واحد، وليس كما ذكره المؤلف - رحمه الله
تعالى - . انظر: صفحة ٢١.

(٨) وفي تاريخ الطبري: ١٧٠/١: إن الله تبارك وتعالى رفع إدريس بعد ثلاثمائة سنة
وخمس وستين سنة مضت من عمره. وانظر: المختصر في أخبار البشر: ٩/١.

كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]، فرفع وهو حيّ بجسده، وأدخل الجنة، ثم وضع في السماء الرابعة^(١)، وبعد رفعه أسف عليه أتباعه فقدوا بركة وجوده، ورأوا أنه قد فات أهل الأرض خير عظيم في وجوده بها، فوضعوا على هيئته وشكله [تماثيل]^(٢) يضعونها في مواضع متعبّاداتهم ومحل استفاداتهم، يتواضعون لها، ويتذكّرون بها نبيّ الله إدريس عليه السلام.

ثم وضع من بعدهم شكل إدريس، وشكل نظرائه من أهل المعرفة، وكان مقصدهم التذكّر والتبرّك فقط.

ثم أتى من بعدهم، فاتّخذهم آلهة فعبدتهم، فشاغ وذاع عبادة الأصنام من ذلك الزمان إلى أن بعث الله نوحاً - عليه وعلى نبيّنا أفضل الصّلاة والسلام^(٣).

قصة نبيّ الله نوح

- عليه الصّلاة والسلام -^(٤)

وسمّي نوحاً لكثرة نياحته^(٥)، وكان قد كثر الفساد، والفسوق، والعصيان لله جلّ شأنه في زمانه، واختلط بأولاد آدم عليه السلام أولاد ابنه قابيل، وكانوا هم أوّل

(١) وقيل: رفعه معنوي - يعني الرفعة بعلو المرتبة في الدنيا -، والأصح أن رفعه بجسده حيّاً إلى السماء؛ لأن الرفعة المقترنة بالمكان لا تكون معنوية غالباً، ويؤيده ما روى الشيخان من حديث أنس بن مالك بن صعصعة عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه رأى إدريس في السماء الرابعة ليلة المعراج.

انظر: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج: ٢٤٨/٤، وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب الإسراء: ٢٠٩/٢.

(٢) في (هـ): «مثالاً»، وما أثبتته من (ح).

(٣) ما بين المعقوفين - وهو من أوّل قصة شيث عليه السلام من قوله: «واستخلفه إدريس» ص (١٧٢) - ساقط من (ح).

(٤) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١٠٠/١: وقد ذكر قصة نوح صلى الله عليه وآله وما أنزل بمن كفر به من العذاب بالطوفان، وكيف أنجاه وأصحاب السفينة في غير موضع من كتابه العزيز: الأعراف: ٥٩ - ٦٤، يونس: ٧١ - ٧٣، هود: ٢٥ - ٤٩، الأنبياء: ٧٦ - ٧٧، المؤمنون: ٢٣ - ٣٠، الشعراء: ١٠٥ - ١٢٢، العنكبوت: ١٤ - ١٥، الصافات: ٧٥ - ٨٢، القمر: ٩ - ١٧، نوح: ١ - ٢٨ سورة كاملة.

(٥) وفي تفسير الخازن: ٢٢٩/١: «وإنما سمي نوحاً لكثرة نوحه على نفسه».

مَنْ اتَّخَذَ آلَاتِ الطَّرَبِ^(١) والغناء، وأباح الخمر والمعازف وسائر المنكرات، وكانت الأمم طوائف؛ فمنهم عبدة النار، ومنهم عبدة الكواكب، ومنهم عبدة الأصنام، فنبأ الله - جلَّ شأنه - نوحًا عليه السلام^(٢)، فدعاهم إلى الله تعالى وأرشدهم وحذَّره عقاب الله وغضبه وسخطه^(٣)، وأقام يدعوهم إلى الله تعالى ألف سنة إلا خمسين عاماً^(٤)، فلم يسمعوا ولم يجيبوا ولم يمتثلوا وأمر الله تعالى جلَّ شأنه، بل أصرَّوا على عبادة المخلوقات من دون الله تعالى، فأوحى الله تعالى إليه باتخاذ السفينة، فغرس شجر الساج^(٥) بأمر الله تعالى، ثم صنع منه سفينة عظيمة كبيرة، فحمل فيها نفسه وأولاده ومن آمن به، وكانوا نحو السبعين أو الثمانين وأزواجهم^(٦) ومن سائر الحيوانات، وجميع ما يحتاج إليه، ودعا إليه

(١) ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره: ٤٨٣/٣: أن بطنين من ولد آدم، كان أحدهما يسكن السهل، والآخر يسكن الجبل... وأن إبليس - لعنه الله - أتى رجلاً من أهل السهل في صورة غلام، فأجر نفسه منه فكان يخدمه فاتخذ إبليس شيئاً من مثل الذي يزمز فيه الرعاء، فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله، فبلغ ذلك من حوله، فأتوهم يسمعون إليه واتخذوا عيداً يجتمعوا إليه في السنة، فيتبرج النساء للرجال ويتزين الرجال لهن، وأن رجلاً من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك، فرأى النساء وصباحتهن، فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا إليهن فنزلوا معهن وظهرت الفاحشة فيهن... ورواه الحاكم في المستدرک: ٥٤٨/٢ بنحوه.

(٢) وفي البداية والنهاية: ١٠٦/١: إن الفساد لما انتشر في الأرض وعمَّ البلاء بعبادة الأصنام فيها، بعث الله عبده ورسوله نوحاً عليه السلام يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه.

(٣) كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥١﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٥١﴾﴾ [هود]، وغيرها من الآيات.

(٤) فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [العنكبوت].

(٥) وذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره: ٤٤٤/٢: وذكر محمد بن إسحاق عن التوراة: أن الله أمره أن يصنعها من خشب الساج وأن يجعل طولها ثمانين ذراعاً وعرضها خمسين ذراعاً.

(٦) وفي البداية والنهاية: ١١١/١: واختلف العلماء في عدَّة مَنْ كان معه في السفينة؛ فعن ابن عباس: كانوا ثمانين نفساً ومعهم نساؤهم، وعن كعب الأحبار: كانوا اثنين وسبعين نفساً،....

عليهم قائلاً: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوْا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوْا إِلَّا فَاِجْرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح: ٢٦ - ٢٧]، كشف الله - جلّ شأنه - له ﷺ عن حقائقهم وحقائق ذراريهم، فلم يجد فيهم قبولاً للخير والإيمان، فدعا إلى الله سبحانه وتعالى، وركب في السفينة، وكان طولها ستمائة ذراع^(١)؛ فأنزل الله - جلّ شأنه - الأمطار وفجّر الأرض بالأنهار، فأغرقت الأرض^(٢)، وارتفع الماء عن أعلى جبل شاهق في الأرض أربعين ذراعاً^(٣)، وأهلك الله - جلّ شأنه - تلك الأمم جميعاً، وبقي النّسل من نوح ﷺ ومنّ معه^(٤)، ولم يتصل عقب الذين كانوا معه من آدم الثاني^(٥)،

= قلت: الأسلم تفويض علم ذلك إلى الله تعالى: لأن الله أبهمه في كتابه؛ كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أُمَّرُنَا وَقَارَ الِثُّوْرُ قُلْنَا لَا نَجِدُ فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيْلٌ ﴿٥١﴾﴾ [هود].

(١) وهو قول الحسن البصري، كما ذكر ابن كثير في تفسيره: ٤٤٤/٢: وعن الحسن: طولها ستمائة ذراع، وعرضها ثلاثمائة، وعنه عن ابن عباس: طولها ألف ومائتا ذراع في عرض ستمائة، وقيل: طولها ألفا ذراع وعرضها مائة ذراع، فالله أعلم.

أقول: الأسلم تفويض علم ذلك إلى الله تعالى.

(٢) كما قال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوْبٌ فَانصُرْ ﴿٥١﴾﴾ فَنَحْنَا أَتُوْبَ السَّمَآءِ بِمَاؤُ مُنْمِرٍ ﴿٥٢﴾﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوْبًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ فُدِرَ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر].

(٣) وقيل غير ذلك كما ذكر ابن كثير في البداية والنهاية: ١/١١١: قال جماعة من المفسرين: ارتفع الماء على أعلى جبل بالأرض خمسة عشر ذراعاً، وهو الذي عند أهل الكتاب. وقيل: ثمانين ذراعاً وعمّ جميع الأرض طولها والعرض سهلها وحزنها وجبالها وقفارها ورمالها، ولم يبق على وجه الأرض ممّن كان بها من الأحياء عين تطرف، ولا صغير ولا كبير.

(٤) القرآن يذكر أن النّسل من ذرية نوح فقط، ولم يذكر ذرية من آمن معه؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرَّ الْبَاقِيْنَ ﴿٥١﴾﴾ [الصفات].

وذكر ابن كثير في تفسيره: ١٢/٤ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرَّ الْبَاقِيْنَ ﴿٥١﴾﴾: قال ابن عباس رضي الله عنه: لم تبق إلا ذرية نوح رضي الله عنه، وقال قتادة: الناس كلّهم من ذرية نوح رضي الله عنه. وروى الترمذي وغيره من حديث سمرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرَّ الْبَاقِيْنَ ﴿٥١﴾﴾ قال سام، وحام، ويافت، قال الترمذي: حديث حسن غريب.

سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة الصفات: ٣٦٤/٥، ورواه الحاكم وصحح نحوه في المستدرک، كتاب التاريخ، باب ذكر نوح: ٥٤٦/٢.

(٥) آدم الثاني هو: شيث بن آدم رضي الله عنه، سمّي بذلك لأن أنساب بني آدم اليوم كلّها تنتهي =

وبين الطوفان وخلق آدم ألفا عام ومائتان واثنان وأربعون عاماً - عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة وأزكى التسليم - .

قِصَّة نَبِيِّ اللَّهِ هُودَ عليه السلام (١)

وكان مرسلًا إلى قومه (٢)، وهم أولاد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح (٣). وكانوا قبائل عظيمة وأمماً جليلة، وكانت مساكنهم أحقاف (٤)

= إلى شيث عليه السلام، وسائر أولاد آدم غيره انقرضوا وبادوا. انظر: البداية والنهاية: ١٠٧/١.

(١) ذكر الله تعالى قصة هود عليه السلام في عدة مواضع من القرآن؛ ففي سورة (الأعراف) قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ فِي سَفَاهَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ أُيْلَيْتُمْ رَسُولِي وَأَنَا لَكُم نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْتُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَادْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٩﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَّعِبِدَ اللَّهَ وَحَدِيثُ وَالَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ ءَابَاءَنَا فَأَنبَأْنَا بِمَا تَمَدَّنَا إِن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصْبٌ أَنزَلْنَاهُ فِي آسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظِرِينَ ﴿٢١﴾ فَأَجْبَيْنَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

وانظر قصته أيضاً في: سورة هود: ٥٠ - ٦٠، وسورة المؤمنون: ٢١ - ٤١، وسورة الشعراء: ١٢٢ - ١٤٠، وسورة حم السجدة (فصلت): ١٥ - ١٦، وسورة الأحقاف: ٢١ - ٢٥، وسورة الذاريات: ٤١ - ٤٢، وسورة النجم: ٥٠ - ٥٥، وسورة القمر: ١٨ - ٢٢، وسورة الحاقة: ٦ - ٨، وسورة الفجر: ٦ - ١٤.

(٢) وفي البداية والنهاية: ١٢١/١: أن عاد الأولى كانوا أول من عبد الأوثان بعد الطوفان... فبعث الله فيهم أخاهم هوداً عليه السلام، فدعاهم إلى الله تعالى، كما قال تعالى بعد ذكر قوم نوح في سورة (الأعراف): ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٥﴾...﴾.

(٣) ذكره ابن جرير في تفسيره: ١٧/٢٧.

وفي (هـ) و(ح) تقديم عوص على إرم هكذا: «عاد بن عوص بن إرم بن سام»، وما أثبتته من تفسير ابن جرير، وتفسير القرطبي: ١٢٠/٩، وتفسير ابن كثير: ٢٥٩/٤.

(٤) كما قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٥﴾ وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْذَرْنَا قَوْمَكَ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذِيرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِن خَلْفَيْهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [الأحقاف].

والأحقاف جمع حقف، وهو من الرمل ما استطال، ولم يبلغ أن يكون جبلاً.

وانظر: تفسير ابن جرير: ١٦/٢، وتفسير ابن كثير: ١٦٠/٤.

حضر موت^(١) ممتدة إلى أرض عُمان، وكانت أرضهم أخصب أرض الله وأحسنها، وفيهم الملوك الجبابرة، وبعض ملوكهم ملك الأرض جميعها، فدعاهم إلى الله ﷻ وعرفهم وحدانيته وعظمته وكبريائه، فلم يستجب له فيهم إلا القليل، فأهلك الله طغاتهم بالريح العقيم؛ فأرسل الله - جلّ شأنه - عليهم ريحاً حارة شديدة، فأهلكت كل جبار عنيد وباغ متمرّد، ولم تبق منهم أحداً؛ كما قال عزّ من قائل: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَمْعَ لَيْلٍ وَتَمَنِينَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَحَلٍ حَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [الحاقة]، بعد أن ابتلاهم الله ﷻ بإمساك الغيث عنهم ثلاث سنين^(٢)، حتى أجهدهم ذلك، وقد أهلك بدعاء هود ﷺ عاداً الأولى السابق ذكر أيهم، وهو عاد بن إرم بن عوص^(٣)، وهو أبو قبائل عاد جميعها.

وعاد الثانية^(٤)، وهو من أولاد عاد الأكبر، ويقال له: عاد الأصغر، وهو

(١) حضر موت: ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر، وحولها رمال كثيرة تُعرف بالأحقاف. معجم البلدان: ٢٧٠/٢.

(٢) وذكر ابن كثير في البداية والنهاية: ١٢٦/١: قال ابن إسحاق: فلما أبوا - أي قوم هود - إلا الكفر بالله ﷻ أمسك عنهم المطر ثلاث سنين حتى أجهدهم ذلك....

(٣) هو: إرم بن عوص بن سام بن نوح ﷺ، كانوا عرباً يسكنون الأحقاف، ويسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ يَتْلُهَا فِي الْيَلْدِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر]، وهم أول من عبد الأصنام بعد الطوفان، فبعث الله فيهم هوداً ﷺ فكذبوه وخالفوه، فأهلكهم الله بريح صرصر. انظر: تفسير ابن جرير: ٧٧/٢٧، وتفسير القرطبي: ١٢٠/٩، والبداية والنهاية: ١٣٧/١، وتفسير ابن كثير: ٢٥٩/٤.

(٤) قلت: ما ذكره المؤلف - رحمه الله تعالى - أن عاداً اثنتان عاد الأولى وعاد الثانية، هذا الكلام خطأ؛ فإن عاداً واحدة وهو قوم هود ﷺ وليس هناك عاد ثانية. فلعل الذي جعل المؤلف يفهم أن هناك عادين اثنتين نتج من خطأ الفهم عن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥﴾﴾ [النجم]، حيث ذكرت الآية عاداً الأولى، فعلى ذلك هناك عاد ثانية، وهذا خطأ؛ فإن معنى الأولى أي الأولى في الإهلاك بعد قوم نوح ﷺ، وبعدها ثمود. قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥﴾ وَثَمُودًا ﴿٦﴾ مَا أَتَقَن ﴿٥﴾﴾ [النجم].

قال البيضاوي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥﴾﴾: القدام؛ لأنهم أولى الأمم هلاكاً بعد قوم نوح ﷺ.

انظر: تفسير البيضاوي في هامش حاشية الشهاب: ١١٨/٨، وتفسير الشوكاني: ٥/٥

١١٧

عاد بن صدا بن عاد الأكبر، ومن أولاد الأصغر لقمان بن عاد، وكان في زمن هود عليه السلام .

وبعد أن أهلك الله - جلّ شأنه - عاداً توجّه هود إلى مكة لزيارة البيت الشريف^(١)، وأقام يعبد الله ﷻ، ويطوف ببقعة البيت الشريف، كانت روبة خضراء عالية؛ لأنه بعد الطوفان لم يعمر البيت أحد إلى عهد إبراهيم^(٢) - عليه وعلى سائر الأنبياء وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - .

قصة نبيّ الله صالح - عليه الصلاة والسلام -^(٣)

أرسله الله إلى قومه، وهم ثمود^(٤)، ومسكنه الحجر^(٥) وما والاها، ممتدة

(١) ذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: ١١٩/١: عن ابن عباس قال: حجّ رسول الله ﷺ فلما أتى وادي عسفان قال: «يا أبا بكر، أي وادٍ هذا؟» قال: هذا وادي عسفان، قال: «لقد مرّ بهذا الوادي نوح وهود وإبراهيم على بكرات لهم حُمر خطمهم اللّيف أزرقهم العباء وأرديتهم النمار يحجّون البيت العتيق». قال ابن كثير: فيه غرابة.

(٢) روى ابن أبي حاتم من حديث عمرو بن العاص قال: لما كان زمن الطوفان رفع البيت، وكان الأنبياء يحجّونه ولا يعلمون مكانه حتى بوّأه الله لإبراهيم وأعلم مكانه. وروى البخاري من حديث ابن عباس الطويل، وفيه: وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالراية تأتيه السيول. . . .

انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]: ٢٨٤/٦.

(٣) وقد ذكر الله تعالى قصة صالح عليه السلام في مواضع من القرآن: هود ٦١ - ٦٨، الحجر: ٨ - ٨٤، الإسراء: ٥٩، الشعراء: ١٤١ - ١٥٩، النمل: ٤٥ - ٥٣، فصلت: ١٧ - ١٨، القمر: ٢٣ - ٣٢، الشمس: ١١ - ١٥.

وكثيراً ما يقرن الله في كتابه بين ذكر عاد وثمود، كما في: التوبة: ٧٠، إبراهيم: ٩، الحج: ٤٢، الفرقان: ٣٨، غافر: ٣١، النجم: ٥١، الحاقة: ٤.

(٤) وفي البداية والنهاية: ١٣٠/١: وهم قبيلة مشهورة يقال: ثمود، باسم جدهم ثمود أخي جديس، وهما ابنا عابر بن إرم بن سام بن نوح؛ وكانوا عرباً من العاربة يسكنون الحجر.

(٥) هو: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام. انظر: معجم البلدان: ٢/

٢١٩.

إلى طرف الشام، وكانوا أمماً عظيمة وقبائل فخيمة، فدعاهم إلى الله ﷻ، وأمرهم بتوحيد الصانع، وترك عبادة ما سواه، ونهاهم عن المعاصي، والفسوق، والجور، والبغي، والعدوان. وندبهم إلى الصدقة والبرّ والإحسان، فكذبوه وبالغوا في إنكار ما جاء به، وطلبوا علامة على صدق ما جاء به^(١)؛ فخلق الله ﷻ ناقة عظيمة ولها فصيل صغير.

وكانت تحلب اللبن^(٢) الكثير المقيت لجمع كبير منهم، بحيث يتعذّر ولا يمكن في المعتاد أن تحلب ناقة من نياق الخلق، وكانت هذه معجزة وكرامة من الله ﷻ لنبيه صالح ﷺ، وأخرج الله - جلّ شأنه - تلك الناقة من صخرة صماء^(٣)، وكانت في غاية الكبر والعظم، واستخرج منها فصيلها، وكانت ترد بثر الحجر يوماً وقبائل ثمود يوماً^(٤)، وتشرب جميع ما في البئر وتحلب^(٥) كما تقدّم، وتكفيهم جميعهم، فلم يفدهم ذلك، بل أصروا على الإنكار والعناد، وينسبون ذلك إلى السحر والخيال، وعقروا ناقته، وذبحوا فصيلها؛ فغضب الله - جلّ شأنه - لذلك، وأمر ملكاً^(٦) من ملائكته، فصاح بهم صيحة عظيمة، فهلكوا عن أمرهم غير صالح ﷺ ومن آمن به، ورفع المدائن وقلبها على وجهها، وكانوا أقوى الأمم أجساداً وأعظمهم أجساماً، كذلك قوم عاد، حتى كانت بيوت ثمود [وهؤلاء]^(٧) كلّها من الصخر المنقور، فأهلكهم الله ﷻ.

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ﴾ ﴿١٤١﴾ [الشعراء].

(٢) في (ح) زيادة كلمة: «والعسل»، وهذه الزيادة لم يقل بها أحد.

(٣) قال ابن كثير في تفسيره: ٣/٣٤٤: إنهم - أي قوم ثمود - اقترحوا عليه آية يأتيهم بها ليعلموا صدقه بما جاءهم به من ربهم، وقد اجتمع ملؤهم وطلبوا منه أن يخرج لهم الآن من هذه الصخرة ناقة عشراء، من صفتها كذا وكذا، فعند ذلك أخذ عليهم نبي الله صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم إلى ما سألوا ليؤمنن به وليتبعنه، فأعطوه ذلك، فقام نبي الله صالح ﷺ فصلى ثم دعا الله ﷻ أن يجيبهم إلى سؤالهم، فانفطرت تلك الصخرة التي أشاروا إليها عن ناقة عشراء على الصفة التي وصفوها....

(٤) وذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ هٰذِهِ نَاقَةٌ لِّمَا شِئْتُمْ وَلَكُمْ نِعْمٌ يَوْمَ تَعْلَمُوْنَ﴾ ﴿١٤٠﴾ [الشعراء].

(٥) قال ابن كثير في تفسيره: ٣/٣٤٤: فمكثت الناقة بين أظهرهم حيناً من الدهر ترد الماء... ويتفنون بلبنها يحلبون منها ما يكفيهم شرباً ورياً....

(٦) وفي روح المعاني: ٢٧/٩٠ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾

[القمر: ٣١]: هي صيحة جبريل ﷺ.

(٧) ساقط من (ه).

وتوجه صالح ﷺ إلى البيت الشريف^(١) (هو)^(٢) ومن آمن به، وكانوا نحواً من أربعة آلاف رجل بعد هلاك قومه، فأقام يعبد الله ﷻ ويمجده إلى أن توفي، ودُفن عند البيت الشريف - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام -.

قصة نبي الله إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -^(٣)

بعثه الله رسولاً إلى الأمم الطاغية من قوم نمروذ بن كنعان^(٤)، فدعا إلى الله ﷻ

(١) وفي البداية والنهاية: ١٣٨/١: أن صالحاً ﷺ انتقل إلى حرم الله، فأقام به حتى مات. وعن ابن عباس قال: لما مرّ النبي ﷺ بوادي عسفان حين حجّ، قال: «يا أبا بكر أيّ وادٍ هذا؟» قال: وادي عسفان، قال: «لقد مرّ به هود وصالح ﷺ على بكرات خطمها الليف أزهم العباء وأرديتهم النمار يلبّون يحجّون البيت العتيق». إسناده حسن. وفي أخبار الدول: ٢٩: ولحق صالح ﷺ ومن آمن من قومه بمكة، وكان آمن بصالح من قوم ثمود أربعة آلاف نفس... وتوفي بمكة ودُفن بالحجر. (٢) ساقط من (ح).

(٣) وذكرت قصة إبراهيم في عدة مواضع من القرآن، تارة باختصار، وتارة بالتطويل، وتارة بذكر شأن من شؤونه في سورة، ثم شأن آخر من شؤونه في سورة أخرى. قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار: ٧٩.

دعوة إبراهيم لأبيه وقومه. انظر: سورة الأنبياء: (٥١ - ٥٦).
تبيت إبراهيم الإضرار للأصنام. انظر: سورة الأنبياء: (٥٧ - ٦٠).
المحاكمة. انظر: سورة الأنبياء: (٦١ - ٧٢).
احتجاج إبراهيم لدينه وتزييف دين قومه، انظر: سورة الأنعام: (٧٤ - ٨٣).
محاجة إبراهيم للملك نمروذ. انظر: سورة البقرة: (٢٥٨).
تعدّد مواقف إبراهيم. انظر: سورة الصافات: (٨٤ - ٩٩)، وسورة الشعراء: (٦٩ - ٨٩)، وسورة مريم: (٤١ - ٤٨).

حب الاستطلاع في إبراهيم. انظر: سورة البقرة: (٢٦٠) وغير ذلك.

(٤) هو: نمروذ بن كنعان ملك كوش ملك بابل، كان أحد ملوك الدنيا واستمرّ في ملكه أربعمائة عام، وأدعى الربوبية، وهو الذي حجّ الخليل ﷺ في ربه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُعْبَدُ وَيُعْبَدُ قَالَ أَنَا أُخِي - وَأُمِّيْتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّكَ اللَّهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. انظر: تاريخ الطبري: ٢٨٧/١، والبداية والنهاية: ١٤٨/١.

وجاهد في الله حق جهاده فأوذي كثيراً، ثم نصره الله تعالى، فدعا قومه إلى الله ﷻ، وترك ما هم عليه من عبادة الأصنام، وحاجهم في ذلك، وبكت عليهم، وبين لهم فساد ما هم عليه، وأرشدهم إلى أن الذي يستحق العبادة هو من ينفع ويضر^(١)، فلم يجد ذلك فيهم، فتركهم إلى أن ذهبوا لمجتمع لهم وعيد من أعيادهم، فعمد إلى أصنامهم فكسرها جميعاً إلا صنماً واحداً كبيراً^(٢).

فلما جاؤوا ووجدوا آلهتهم على^(٣) تلك الحالة حزنوا لذلك كثيراً، وتشاوروا فيما بينهم: ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا﴾ [الأنبياء: ٥٩]، فقال: إبراهيم ﷺ تبكيّاً عليهم: ﴿فَعَلَهُمْ كَيْدُهُمْ هَذَا فَتَوَلَّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطُقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، ثم قالوا فيما بينهم وتحققوا أن الفاعل لذلك إبراهيم ﷺ لما سبق منه من الطعن في آلهتهم وتقبيح ما هم عليه^(٤)، فعرضوا^(٥) أمرهم على ملكهم، وكان ملكهم نمروذ بن كنعان، وكان من طغاة الملوك وجباريهم، قد مدّ الله ﷻ له في العمر وبسط له في الرزق وأعطاه من القوة والشوكة أمراً عظيماً وحالاً فخيماً، فطغى بذلك، وبغى وتكبر، وكان قد ملك من الأرض جانباً عظيماً^(٦)، فأخبر بفعل إبراهيم ﷺ بآلهتهم، فبعث إليه وهدهد وخوفه،

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَائِلَ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ قَالُوا وَمِمَّا تَدَّبَّرْنَا نَبَاءَنَا مَا عَدَبْتَ بِآلِهَتِنَا وَمَا جَاءَكَ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا سُخْرُوتٌ وَمَقَالٌ ﴿٥٨﴾ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْنَامِهِمْ تَلْفَاهُ فَجَاءَ مُوسَى بِذِكْرِ آلِهَتِهِمْ وَلِلَّهِ الْحُكْمُ وَالْأَرْضُ الَّتِي كَفَرْتُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذِكْرٍ مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٩﴾ [الأنبياء].

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ [الأنبياء].

وفي تفسير ابن كثير: ١٩١/٣: قال ابن إسحاق عن عبد الله قال: لما خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم مروا عليه، فقالوا: يا إبراهيم ألا تخرج معنا؟ قال: إني سقيم، وقد كان بالأمس قال: «تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين» فسمعه ناس منهم.

(٣) في (ح): «إلى».

(٤) وفي الكامل لابن الأثير: ٩٧/١: فلما رجع قومه ورأوا ما فعل بأصنامهم راعهم ذلك وأعظموه: ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَدُكُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِزْهِيمٌ ﴿٦٠﴾ [الأنبياء]، يعنون يسبها ويعيبها، ولم نسمع ذلك من غيره، وهو الذي نظنته صنع بها هذا، وبلغ ذلك نمروذ وأشراف وقومه. وانظر: تاريخ الطبري: ٣/١.

(٥) كذا في (ح).

(٦) يقال: لم يجتمع ملك الأرض إلا لثلاثة: نمروذ، وذو القرنين، وسليمان بن داود. تاريخ الطبري: ٢٣٣/١، والكامل لابن الأثير: ٩٤/١.

فلم يخف ولم يرجع، بل نوه حينئذ بشأن التوحيد وأعلن بصادق التفريد، وحقّر أهتهم التحقير العظيم، ونقض آراءهم وعقولهم، فأرهبه الملك ولم يفتك فيه لكون أبيه أزر كان من أتباعه، فلم يرجع إبراهيم ﷺ لما منحه الله ﷻ من قوّة اليقين، وما خصّه به من الوصول والتمكين، فلم يزل الملك يخوفه بالقتل، ويعرضه على السجن، فلم يزد ذلك إلا قوّة في توكله على الله ﷻ واعتماداً عليه، وطرح ما سواه^(١) لعلمه أنه إن نفعه الله فلا ضارّ له، وإن ضرّه^(٢) فلا مانع له، كل ذلك لقوّة إيمانه وخلوص يقينه، فإنّ التوكل ثمرة اليقين.

فلما رأى الملك أنه لا يرجع عمّا هو عليه^(٣)، جعل له منجنيقاً، والمنجنيق: عبارة عن أخشاب يربط أطرافها بالسلاسل والحبال ويُرْمى بها من محلّ شاهق، فهو الشيء الذي يُرمى بها إلى محل بعيد بغاية الشدّة والقوّة، فأمر الملك وهو نمروود بن كنعان^(٤) بجمع الحطب والأخشاب^(٥)، فجمعت وأوقدها في حفرة عظيمة بعد أن حفرت تلك الحفرة القامات الطويلة، فوضعت الأخشاب فيها والحطب الكثير، وأوقدت أياماً عديدة حتى صارت في أشدّ ما يكون من الحرارة، بحيث لا يمكن أن يمرّ بها ولو من البعد، فأمر بالمنجنيق من بعد، ووضع إبراهيم ﷺ فيه، وهتدّد بذلك فلم يرجع إلى تصميمه فرمي من بعد، فلما فارق المنجنيق وهو في الهواء نازلاً إلى مستوقد النار يعرض له ملك من ملائكة الله ﷻ^(٦)، فقال له: ألك حاجة يا إبراهيم الخليل؟ فقال أما إليك فلا^(٧)، فقال له: الآن تدعو الله ﷻ. فقال: علّمه

(١) في (ح): «وطرح سواه».

(٢) في (ح): «وإن خذله».

(٣) في (ح): «لما هو عليه».

(٤) في (ح): «فأمر الملك نمروود بن كنعان».

(٥) وفي البداية والنهاية: ١٤٦/١: أنهم شرعوا يجمعون حطباً من جميع ما يمكنهم من الأماكن فمكثوا مدة يجمعون له... ثم عمدوا إلى جوبة عظيمة فوضعوا فيها ذلك الحطب، وأطلقوا فيه النار... فالتهب وعلاها شرر لم يُر مثله قط، ثم وضعوا في كفة المنجنيق مقيداً مكتوباً ثم ألقوه منه إلى النار، قال ﷻ: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ». كما رواه البخاري، يأتي تخريجه: ١٨٤.

(٦) في (ح): «جلّ شأنه».

(٧) في البداية والنهاية: ١٤٦/١: وذكر بعض السلف: أن جبريل عرض له في الهواء =

بحالي يُعني عن سؤالي^(١)، فلمّا وصل إلى النار جعلها الله - جلّ شأنه - عليه برداً وسلاماً، فجلس فيها يقدّس الله ﷻ ويُعظّمه^(٢)، قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿قُلْنَا يَنَّاؤُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَّمًا عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، فأقام فيها سبعة أيام^(٣) يرزق من فضل الله ﷻ وإحسانه وجوده، وأنزل الله - جلّ شأنه - في تلك النار روضة من رياض لطفه وكرمه، فلمّا رأوا ذلك رجعوا إلى ملكهم وأخبروه بذلك وأخرجوا إبراهيم ﷺ وجاؤوا به إلى الملك، فتعجّب من ذلك، وقال لإبراهيم ﷺ: مَنْ أنجأك؟ فقال: أنجاني الله الذي لا إله إلا هو ربّنا وربّ كل شيء له السماوات والأرض، فترك حال إبراهيم (ﷺ)^(٤) ومَنْ آمَن به ممّن هدى الله قلبه بالإيمان.

= فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا.

وانظر: تاريخ الطبري: ٢٤٣/١، والكامل: ٩٩/١.

(١) في تاريخ الخميس: ٨٣/١: عن كعب الأحبار... ثم رموه بالمنجنيق في النار فاستقبله جبريل، فقال: يا إبراهيم هل لك حاجة؟ قال: أما إليك فلا. قال جبريل: فسأل ربك، قال إبراهيم: حسبي من سؤالي علمه بحالي. وأورده البغوي في تفسيره، قال ابن عراق الكناني: قال ابن تيمية: إنه حديث موضوع، وهو حديث ينافي الأمر بالدعاء، ولا يصدر من مسلم، فكيف يصدر ممن سمّانا المسلمين.

انظر: تفسير البغوي: ٣٠١/٤، وتنزيه الشريعة: ٢٥٠/١، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ٢٨/١.

(٢) روى البخاري من حديث ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قوله تعالى: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم ﷺ حين ألقى في النار. صحيح البخاري مع فتح الباري: ٢٢٩/٨، كتاب التفسير، باب ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ الآية [آل عمران: ١٧٣].

(٣) وفي تاريخ الخميس: ٨٣/١: قال كعب الأحبار... وكان ﷺ في ذلك الموضع سبعة أيام، قال إبراهيم: ما كنت في أيام قطّ أنعم من الأيام التي كنت في النار. وفي البداية والنهاية: ١٤٦/١: عن المنهال بن عمرو أنه قال: أخبرت أن إبراهيم مكث هناك إمّا أربعين وإمّا خمسين يوماً، وآته قال: ما كنت أياماً وليالي أطيب عيشاً إذ كنت فيها، وودت أن عيشي وحياتي كلّها مثل إذ كنت فيها.

قلت: القول إن مكث إبراهيم ﷺ سبعة أيام، أو أربعين أو خمسين، لم أجد ما يؤيده من المعصوم حتى نعتمد عليه، والأحرى بنا أن لا نجزم حيث لم يذكر الله ﷻ في كتابه، وما ذكره المؤلف هو من الإسرائيليات، قاله كعب الأحبار.

(٤) ساقط من (ح).

وأما الملك، فلم يزد هو ومن تابعه من أهل الشقاء^(١) رؤية هذه الآية إلا إصراراً على العناد والكُفر، وأما نبي الله إبراهيم ﷺ فإنه بعد أن يئس من إيمانهم خرج هو ومن تبعه على التوحيد لله والإيمان من أرض بابل^(٢)، وكانت هي مسكنه، وأمر بقصد الشام واتخاذها وطناً وداراً والسكن بأوريشليم^(٣)، وهي بيت المقدس، (فسار)^(٤) قاصداً نحوها، وكان ممن صحبه ابن أخيه لوط ﷺ وزوجته سارة، فمر في طريقه بجبار^(٥) من الملوك، فأعجبه سارة زوجة إبراهيم ﷺ وأراد أخذها وغصبها، وكان إذا أعجبه امرأة أخذها، فإن كان لها زوج قتلها، فلما فهم إبراهيم ﷺ منه ذلك قال لها: إن سألك عني فقولي: هو أخي؛ فإني أخوك في الإسلام والإيمان بالله تعالى، فأرسل الملك إلى إبراهيم ﷺ وقال له: ما هذه منك؟ فقال: أختي، فطلبها الملك وخلق بها، فلما أراد أن يمد يده إليها، سألت الله ﷻ قائلة: اللهم^(٦) إن كنت تعلم أنني آمنت بنبيك ﷺ وحصنت فرجي إلا على زوجي فامنعه عني، فأرسل الله - جل شأنه - شيئاً فغظه^(٧)، حتى كاد يموت، فدعت الله بأن يطلقه، فإنه إن

(١) في (ح): «من الشقاء».

(٢) بابل: اسم ناحية منها الكوفة والحلة، ينسب إليها السحر والخمر. انظر: معجم البلدان: ٣٠٩/١، واللسان مادة: (ببل).

(٣) أوريشليم: اسم للبيت المقدس، بالعبرانية. انظر: معجم البلدان: ٢٧٩/١.

(٤) ساقط من (ح).

(٥) في الكامل لابن الأثير: ١٠٠/١: ثم إن إبراهيم والذين أتبعوا أمره أجمعوا على فراق قومهم فخرج مهاجراً إلى الله وكان معه لوطاً وزوجته سارة تطلب الأمان على عبادة الله تعالى حتى نزل حران، فمكث بها ما شاء الله تعالى، ثم خرج مهاجراً حتى قدم مصر، وبها فرعون من الفراعنة الأولى، كان اسمه سنان... وكانت سارة من أحسن النساء وجهاً... إلى آخر القصة يأتي ذكرها قريباً فيما رواه الإمام أحمد.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١٥٠/١: ذكر أهل الكتاب أنه لما قدم الشام... ثم انطلق مرتحلاً إلى التيمن وأنه كان جوع - أي قحط وشدة وغلاء - فارتحلوا إلى مصر، وذكروا قصة سارة مع ملكها، وأن إبراهيم قال لها: قولي: أنا أختي، ثم أخرجهم منها، فرجعوا إلى بلاد التيمن، يعني أرض بيت المقدس وما والاها ومعه دواب وعبيد وأموال.

(٦) في (هـ) و(ح): «إليهم» وهو تصحيف، وما أثبتته من مسند الإمام أحمد: ٤٠٣/٢.

(٧) غظ الشيء: كبسه أي ضغطه، وعصره عصراً شديداً. انظر: القاموس المحيط: ٢/٣٩٠.

٣٩٠، والمعجم الوسيط: ٦٦٢/٢.

هلك قالوا: قتلته، ففرّج الله تعالى عنه، فعاد إلى حاله، وعادت هي إلى الدعاء أيضاً، فعاد كحالهِ الأولى ثلاث مرات، فلما رأى ذلك أطلقها وأمر بإخراجها، ووهب لها هاجر أمّ النبيّ إسماعيل ﷺ^(١)، وكانت من القبط، فسار إبراهيم - عليه الصّلاة والسلام - هو وسارة وهاجر إلى بيت المقدس، وكان ممّن سار معه كما تقدّم لوط ﷺ، فنزل إبراهيم ﷺ بأرض فلسطين ونزل لوط بأرض الأردن^(٢).

قصة نبيّ الله لوط - عليه الصّلاة والسلام -^(٣)

أرسله الله - جلّ شأنه - إلى أهل سدوم، وهي بلدة عظيمة بالأردن، ويقال: كان المُرسَل إليهم سبع مدائن كبار^(٤)، فدعاهم إلى توحيد الله وتعظيمه،

(١) انظر: تاريخ الطبري: ٢٤٥/١، والكمال: ١٠٠/١. روى أحمد من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات: قوله حين دعني إلى آلهتهم، فقال: «إني سقيم»، وقوله: «بل فعله كبيرهم هذا»، وقوله لسارة: «إنها أختي»، قال: ودخل إبراهيم قرية فيها ملك من الملوك، أو جبار من الجبابرة، فقيل: دخل إبراهيم الليلة بامرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه الملك أو الجبار: مَنْ هذه معك؟ قال: أختي، قال: فأرسل بها، قال: فأرسل بها إليه، وقال: لا تكذبي قولي، فإني قد أخبرته أنك أختي؛ ليس على الأرض مؤمن غيري وغيرك، فلما دخلت عليه قام إليها فأقبلت تنوضاً وتصلي وتقول: اللّهُم إن كنت تعلم أنّي آمنت بك وبرسولك، وأحصنت فرجي إلا على زوجي، فلا تسلّ عليّ الكافر، قال: فغطّ حتى ركض برجله. قالت: اللّهُم إن يمت يقل: هي قتلته، قال: فأرسل. فقال في الثالثة أو الرابعة: ... أرجعوها إلى إبراهيم، وأعطوها هاجر...». قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١٥١/١: تفردّ به أحمد من هذا الوجه، وهو على شرط الصحيح. مسند أحمد: ٤٠٣/٢. وقد رواه البخاري مختصراً.. انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب الأنبياء، باب «وَأَخَذَ اللَّهُ إِبرَاهِيمَ خَلِيلًا» [النساء: ١٢٥]: ٣٨٨/٦.

(٢) وفي تاريخ الطبري: ٢٩٣/١: وذكر أن إبراهيم - بعد رجوعه ومّن آمن معه وفي مقدمتهم لوط من مصر - نزل فلسطين، وأنزل ابن أخيه لوطاً بالأردن....

(٣) ذكر الله تعالى قصّته ﷺ في مواضع من القرآن الكريم: الأعراف: ٨٠ - ٨٤، هود: ٦٩ - ٨٣، الحجر: ٥١ - ٧٧، الشعراء: ١٦٠ - ١٧٥، النمل: ٥٤ - ٥٨، العنكبوت: ٢٨ - ٣٥، الصافات: ١٣٣ - ١٣٨، الذاريات: ٣١ - ٣٧، القمر: ٣٣ - ٤٠.

(٤) قلت: ولم أعرّ على ما قاله المؤلف من أن مدائن قوم لوط سبع، فقد روى الحاكم في المستدرک، كتاب التاريخ، باب أحوال قوم لوط ﷺ: ٥٦٢/٢: قال الواقدي: =

وأمرهم باجتنب المناكر والفواحش، وكان قد فشي في أهل هذه الأرض اللواط، فنهاهم لوط عليه السلام عن ذلك، وحذّره غضب الله وسخطه عليهم، فلم ينتهوا عمّا هم عليه^(١)، وكانوا يتجاهرون^(٢) بذلك في مجالسهم ونواديبهم، ويفعلون الفاحشة بمن وصل إليهم من غريب أو ابن سبيل، وكان لوط عليه السلام على سنة إبراهيم عليه السلام في الكرم وإيواء الغريب والضيف، وكان من سنة إبراهيم الخليل عليه السلام^(٣) أن لا يأكل إلا مع ضيف ولو جلس طاوياً، وكان يتطلّب الضيف الفراسخ البعيدة عن منزله، فإذا وجده أتى به وأكل معه، فلما لم ينتبه الأمم^(٤) التي أرسل الله عليه السلام إليهم لوطاً عليه السلام ولم يقبلوا نصيحته وأرادوا إيذاءه وإخراجه من أرضهم لنصحه لهم، أرسل الله عليه السلام ملائكة في صورة البشر، فنزلوا على إبراهيم عليه السلام فنحر لهم عجلاً سميناً، فقرّب إليه فلم يأكلوا لأن ذوات الملائكة وقوا بلهم لا تقبل ذلك، لما رأى ذلك منهم استوحش وخشي منهم^(٥)، فلما علموا ذلك منه بيّنوا له أنهم رُسل من حضرة الله، وأنهم مأمورون بإهلاك الأمم التي أرسل إليهم لوطاً، فراجعهم

= وبلغني أن إبراهيم عليه السلام لما هاجر إلى الشام وأخرجوه منها طريداً فانطلق ومعه سارة - فذكر قصة طويلة - منها أن لوطاً نبأه الله وبعثه إلى المؤتفكات رسولاً وداعياً إلى الله وهي خمس مدائن أعظمها سدوم ثم عمود ثم أروم ثم صعور ثم صابور... فنزل لوط سدوم، فليث فيهم بضعاً وعشرين سنة يأمرهم وينهاهم ويدعوهم إلى الله وإلى عبادته وترك ما هم عليه من الفواحش والخبائث... الحديث.

وذكر الطبري في تاريخه: ٣٠٧/١، وابن الأثير في الكامل: ١٢٢/١: أن مدائن قوم لوط خمس.

(١) في الكامل لابن الأثير: ١١٨/١: أقام لوط عليه السلام بسدوم، أرسله الله إلى أهلها، وكانوا أهل كفر بالله تعالى وركوب الفواحش وإتيان الذكور في الأدبار وقطع السبيل، وكان لوط يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عن الأمور التي يكرهها الله منهم، ويتوعدهم على إصرارهم وترك التوبة بالعذاب الأليم. بتصرف قليل.

(٢) في (ح): «وكانوا يتظاهرون».

(٣) في (ح): «إبراهيم عليه السلام».

(٤) في (هـ): «فلما لم ينتبهوا الأمم»، وهو خطأ نحوي.

(٥) وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَّمَ فَمَا لِي بِأَنْ جَاءَ يَعْجَلَ حَيْدِي ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوَّجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٦٧﴾﴾ [هود]، وانظر: سورة الذاريات: ٢٤ - ٢٨.

إبراهيم ﷺ قائلاً: إن فيهم لوطاً وأهله، فكيف يكون الإهلاك؟ فقالوا: قد أمرنا الله ﷻ بذلك، و لوط وأهله محفوظون من الهلاك مُبعدون عنه، فلما علم أن الأمر من الله - جلّ شأنه - مُبرم سكت ولم يراجع^(١).

وكانت سارة قائمة، فضحكت من مراجعة إبراهيم ﷺ ومخاطبته لهم، وعجبت من ذلك^(٢)، ثم ذهب أولئك المرسلون من عند الله، فلما رآهم لوط ﷺ خشي عليهم من فساد أهل المدينة، فذهب بهم إلى منزله وأخفاهم في داره، وكانت امرأته ممن يميل إلى صنيع أهل المدينة، ولم تكن من المخلصين [مع لوط]^(٣)، ويقال: إنها أشارت إلى أهل المدينة بالأضياف، فأقبلوا يهرعون إليه يريدون الأضياف^(٤)، فمنعهم عن ذلك وعرض عليهم بناته

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَهُ الْبَشْرَىٰ مُجْدِلًا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَكَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ أَيَبْرَاهِيمُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَابْتِهِمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَاتِبُونَ ﴿٧٣﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [العنكبوت].

وفي البداية والنهاية: ١٩٤/١: وذكر سعيد بن جبير والسدي وقتادة ومحمد بن إسحاق: أن إبراهيم ﷺ جعل يقول: أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: فأربعة عشر مؤمناً؟ قالوا: لا. قال ابن إسحاق: إلى أن قال: أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا: لا، قال: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا...﴾ الآية. وانظر: تاريخ الطبري: ٢٩٧/١، والكامل لابن الأثير: ١١٩/١.

(٢) قلت: إن إعجاب سارة ليس من مراجعة إبراهيم ضيوفه في شأن لوط، وإنما هو من عدم تناولهم الطعام وبشارة الولد وهما على هذه الحالة كبر سارة وشيخوخة إبراهيم.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَبْرَاهِيمُ لَأَ صِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٦﴾ وَأَمْرُهُمْ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِهِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧٧﴾ قَالَتْ يَتُوبَلَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا أَنْتَجِيبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٩﴾﴾ [هود].

(٣) ساقط من (ح).

(٤) في الكامل لابن الأثير: ١٢٠/١: ثم مضت الملائكة نحو سدوم قرية لوط، فلما انتهوا إليها لقوا ابنته.. فقالوا: يا جارية هل من منزل؟ قالت: نعم، مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم... فأنت أباهما، فقالت: يا أبتاه أدرك فتياً على باب المدينة ما رأيت أصبح وجوهاً منهم لثلاً يأخذهم قوماً فيفضحوهم. فجاء بهم فلم يعلم إلا أهل بيت لوط، فخرجت امرأته فأخبرت قومها، وقالت لهم: قد نزل بنا قوم ما رأيت أحسن وجوهاً =

فلم يقبلوا، وألحوا^(١) في طلبهم، فلما رأى ذلك منهم وعجزه عن مقاومتهم قال كما قال الله تعالى في كتابه العزيز حاكياً عنه: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِيَةٌ إِلَىٰ رُكْنِي شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠]، يعني قبيلة ومنعة ناصرين. وأما قوله^(٢): ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ...﴾ إلى آخره، فلعله قصد بذلك استنزاهم واستعطفهم والإشارة إليهم، بأنني^(٣) رجل ضعيف مسكين...^(٤)، وإلا فأنبأ الله معترفون في جناب الالتجاء إلى الله تعالى، فلم يُعِد ذلك^(٥)؛ فلما رأت الملائكة ما يُقاسيه لوط عليه السلام مع قومه أفصحوا له بالمقصود، وأبدوا له حقيقة الحال، وأخبروه أنهم مُرسَلون مِنْ جناب الحقّ - جلّ شأنه - لإهلاك هؤلاء القوم^(٦)، وأرسل الله

= منهم... فجاءه قومه يهرعون فقال: يا قوم: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِ آلِيسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨]. فنهاهم ورغبهم وقال: ﴿يَقُولُ هَذَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [٧٨] مما تريدون. ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعَاكُمَا نُزِيدُ﴾ (٧).

أخرج الحاكم في المستدرک: ٥٦٣/٢ وصححه على شرط مسلم ولم يخرجاه: عن ابن مسعود: أن الملائكة خرجت من عند إبراهيم نحو قرية لوط وأتوها نصف النهار، فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقي.. الحديث.

(١) في (هـ): «ولحوا»، وما أثبتته من (ح).

(٢) في (ح): «وأن قوله».

(٣) في (ح): «فإني».

(٤) أسقطت بعض الكلمات هنا، لأنها غير واضحة في النسختين وغير مفهومة.

(٥) قال ابن حزم في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل»: ٩/٤: ظن بعض الفرق أن ما جاء في الحديث الصحيح من قوله ﷺ: «رحم الله لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركن شديد» أخرجه مسلم... وقد أخرج البخاري نحوه في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ...﴾. إنكار على لوط عليه السلام ولا تخالف بين القولين، بل كلاهما حق، لأن لوطاً عليه السلام أراد منعة عاجلة يمنع بها قومه مما هم عليه من الفواحش، من قرابة أو عشيرة أو أتباع مؤمنين. وما جهل قط لوط عليه السلام أنه يأوي من ربه تعالى إلى أمنع قوة، وأشد ركن. ولا جناح على لوط عليه السلام في طلب قوة من الناس، فقد قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، فهذا الذي طلب لوط عليه السلام، وقد طلب رسول الله ﷺ من الأنصار والمهاجرين منعة، حتى يبلغ كلام ربه تعالى، كيف ينكر على لوط أمراً هو فعله ﷺ تالله ما أنكر ذلك رسول الله ﷺ وإنما أخبر أن لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد، يعني من نصر الله بالملائكة...

(٦) وذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود].

- جلّ شأنه - عليهم العمى وطُمِست أبصارهم فلم يروا لوطاً ولا أضيافهم^(١)، فاشتغلوا بأنفسهم عنه، وقالوا: سحرنا لوط، ولم يرجعوا لله ولا أنابوا إليه^(٢)، وأقاموا على ذلك ثلاثة أيام، وأمرت الملائكة لوطاً أن يتحمّل بأهله ويخرج عن أرضهم، وأمروه أن لا يلتفت أحد إلى ورائه، فساروا، واحتملت الملائكة مدائنهم حتى بلغت (بها)^(٣) إلى الجوّ، فقلبت عاليها سافلها وحصبوا بالحجارة من السماء، فلم يبق أحد منهم، فالتفتت امرأة لوط، فرأت ما أصابهم، فأصابها حجر فأهلكها - نعوذ بالله من غضبه -^(٤).

قصة نبيّ الله إسماعيل

- عليه الصلاة والسلام -^(٥)

لَمَّا حَمَلَتْ بِهِ هَاجِرَ [غَارَت سَارَةَ]^(٦) مِنْهَا غَيْرَةَ عَظِيمَةَ، وَأَمَرَتْ

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَودُوهُ عَنْ صَيْفِيهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣٧﴾﴾ [القمر].
أخرج الحاكم في المستدرک: ٥٦٣/٢ وصححه على شرط مسلم ولم يخرجاه من حديث ابن مسعود الطويل وفيه: ... ولما قال لوط: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنِي شَدِيدٍ﴾، بسط حينئذ جبريل جناحيه، ففأعينهم وخرجوا يدوس بعضهم في آثار بعض عمياناً، يقولون: ... إن في لوط أسحر قوم في الأرض، فذلك قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَودُوهُ عَنْ صَيْفِيهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ...﴾.
(٢) كلمة «إليه» ساقطة من (ح).
(٣) في (هـ): «بهم».

(٤) وذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنِي شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَبُلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبْنَا بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْفُتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَّكَرًا إِنَّهُ مُبِيبٌ بِمَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سَجِيلٍ مُّنْضُورٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود].
(٥) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١٩٢/١: وقد أثنى الله تعالى عليه، ووصفه بالحلم والصبر وصدق الوعد والمحافظة على الصلاة والأمر بها لأهله ليقبهم العذاب مع ما كان يدعو إليه من عبادة رب الأرباب. انظر: سورة مريم: (٥٤، ٥٥)، وسورة ص: (٤٨)، وسورة الأنبياء: (٨٥). وغير ذلك.

وأما قصة الذبيح فقد ذكرها الله تعالى في سورة (الصافات): (٩٩ - ١١٣).

وقصة بناء البيت العتيق فمذكورة في سورة (البقرة): (١٢٥ - ١٢٩).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح) والسياق يقتضي إثباته.

إبراهيم عليه السلام أن يُخرجها عنها هي وابنها، فذهب بهما، وأمره الله تعالى أن يجعلهما بمكة - شرفها الله -، فذهب بهما فوضعهما بمكة، وكانت أرضاً قفراً ليس فيها ماء ولا كلاً، ثم ذهب راجعاً عنهما، فقالت له هاجر: أتركنا حيث لأن الله أمرك [بذلك] ^(١)؟ قال: نعم. قالت: هو حَسْبُنَا وكفى ^(٢)، فأقامت هي

(١) ساقط من (ح).

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١٥٤/١: إن هاجر عليه السلام لما ولد لها إسماعيل اشتدت غيرة سارة منها، وطلبت من الخليل أن يغيب عنها، فذهب بها وبولدها فصار بهما حتى وضعها حيث مكة اليوم.

وقد روى البخاري هذه القصة في صحيحه من حديث ابن عباس قال: أول ما اتخذ النساء المنطق - هو ما يشد به الوسط - من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقاً لتخفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبناتها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعها عند البيت عند دوحة - أي شجرة كبيرة فوق زمزم في أعلى المسجد - وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ثم قفى - أي ولّى راجعاً - إبراهيم منطلقاً فبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا في هذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء، فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذا لا يضيّعنا، ثم رجعت. فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية - أي الموضع الذي دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة منه وهو بأسفل مكة عند قعيقان - حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ...﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يلتوي.. فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا... فقامت عليه ثم استقبلت الوادي... فلم تر أحداً فهبطت من الصفا...، ثم أتت المروة، فقامت عليها... فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات... فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً... فقالت: قد أسمعت صوتاً إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه - أو قال: بجناحه - حتى ظهر الماء فجعلت تحوض وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها... قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم» أو قال: «لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً»، فشربت وأرضعت ولدها... وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول... حتى مرت بهم رفقة من جرحهم... فقالوا: تأذنين لنا أن ننزل عندك، قالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم....

صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ حَلِيلًا﴾:

.١١٠/٤

وابنها حتى لحقها الظمأ، واشتدّ بها العطش، فخرجت تلتمس لابنها ماء، فذهبت إلى الصفا ثم إلى المروة فلم تجد، فترددت في المحلات سبع مرات، وفي غيبتها أمر الله ﷻ جبريل ﷺ، فضرب بجناحه تحت قدم إسماعيل ﷺ، فنبع الماء، فحصى إسماعيل ﷺ الماء برجله، وأقبلت (أمه)^(١) وعندها أنه قد مات من الظمأ، فوجدت الماء يسيل تحت قدمه (فجمعت)^(٢) وقالت: زمزم^(٣)، أي: اجتمع، فلذلك سُمي زمزماً، وأقامت هاجر وإسماعيل ﷺ يشربان من ذلك الماء، حتى وفد عليها ناس من جرهم، فلما رأوا الماء ولم يكونوا يعهدونه في ذلك الوقت استأذنوا (هاجر)^(٤) أن ينزلوا معها على الماء، فأذنت لهم وأقاموا معها واستأنست بهم.

وكان إبراهيم ﷺ يزورهما في كل شهر مرة على البراق^(٥)، فلما رأى ما حصل لهم فرح بذلك ودعا لهم^(٦) قائلاً: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، ودعا أيضاً بوجود محمد ﷺ قائلاً: ﴿رَبَّنَا وَأَنْعِمْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وكان إبراهيم ﷺ يتردد عليهم، وشبّ إسماعيل ﷺ وكبر، فأمر إبراهيم ﷺ بذبحه في منامه مراراً، فامتثل أمر الله ﷻ، وأتى إليه وشاوره في

(١) ساقط من (ح).

(٢) ساقط من (ح).

(٣) روى البخاري من حديث ابن عباس ضمن حديث طويل: ... فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه - أو قال بجناحه - حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه - أي تجعله مثل الحوض - وتقول بيدها هكذا...

صحيح البخاري: ١١٠/٤.

(٤) ساقط من (ح).

(٥) وفي أخبار الدول للقرماني: ٣٥: إن إبراهيم كان يزور إسماعيل وهاجر في كل شهر على البراق يأتي مكة غدوة ثم يرجع فيقبل في منزله بالشام. انظر: البداية والنهاية: ١٥٩/١.

(٦) قلت: بل كان دعاء إبراهيم بهذا الدعاء بعد وضعهما في الوادي وقبل حصول هاجر على الماء للحديث الذي ذكرته قريباً نقلاً عن البخاري.

ذلك، فقال: يا أبتِ افعل ما تُؤمر ولا تتوقف في أمر الله، فأصبحه إبراهيم عليه السلام وحدّ الشفرة واستسلم إسماعيل عليه السلام لمُراد الله تعالى وقضائه، ومرّ بها على حنجرة إسماعيل مراراً، وهي تنقلب في يده، ثم نُودي من خلفه، وأهبط الله تعالى ملائكة، وأنزل معهم كبشاً عظيماً فداءً لإسماعيل عليه السلام، وقيل له: اذبح هذا مكان ابنك، وإنما أراد الله تعالى ابتلائك وامتحانك، وقد ظهر كمال امتثالك لأمر الله تعالى ^(١)، ثم أقام إسماعيل عليه السلام بمكة، وماتت (أمه) ^(٢) هاجر ودُفنت بالحطيم ^(٣) أو الحجر - رحمها الله -، وكَبُرَ إسماعيل عليه السلام، فتزوج امرأة من جرهم، فأتى أبوه إبراهيم عليه السلام وإسماعيل غائب ^(٤)، فسألها عن حالهم ومعاشهم، فذكرت شراً ولم تُجبه بخير، فقال لها: إذا جاء بعلك فسلمني عليه، وقولي له: حوّل عتبة بابك، فلما جاء إسماعيل عليه السلام أخبرته، فقال لها: أنت عتبة الباب وأنت طالق. ثم تزوج امرأة أخرى، فأتى إبراهيم عليه السلام، فسألها عن حالهم ومعاشهم، فذكرت خيراً وأثنت على الله بما هو أهله، فقال لها: إذا أتى بعلك فقولي له: ثبتت عتبة بابك، فأخبرته بذلك ^(٥)، وأولد إسماعيل عليه السلام أولاداً

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿فَنَشَرْنَاهُ يُغْلِمُ حَلِيمٍ ﴿١١١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّنَى قَالَ يُبْنِيَ لِي أَنَّى أَرَى فِي الْمَنَارِ آتِيَ أَدْبُحَكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١١٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنِ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١١٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْعَزُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُو الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١١٦﴾ وَوَدَّعْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١١٧﴾ وَوَكَّنَّا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١١٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾﴾ [الصفافات].

قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١٥٨/١ تعليقا على قصة الذبيح: ثم غالب ما ههنا من الآثار مأخوذ من الإسرائيليات، وفي القرآن كفاية عما جرى من الأمر العظيم والاختبار الباهر...

(٢) ساقط من (ح).

(٣) هو الذي فيه الميزاب، وإنما سمي حطيماً لأن البيت ربع وترك محطوماً. معجم البلدان: ٢٧٣/٢.

(٤) في (هـ): «غائباً» وما أثبتته من (ح).

(٥) روى البخاري من حديث ابن عباس الطويل وفيه: قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فألقى - أي وجد - ذلك أم إسماعيل، وهي تحب الأنس فنزلوا... وشب الغلام وتعلم العربية منهم، وأنفسهم وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجته امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج بيتغي لنا، ثم سألتها عن عيشهم وصياتهم، فقالت: نحن بشر، نحن في =

كثيرين^(١)، منهم: نابت بن إسماعيل، وكان إسماعيل ﷺ قد نبغ في العربية لمخالطته جرهم، ففاق عليهم، من ذريته القبائل العدنانية جميعهم.

قصة نبي الله إسحاق

- عليه الصلاة والسلام -

ولما بلغ إبراهيم ﷺ من العمر ما بلغ^(٢)، حملت زوجته سارة بإسحاق نبي الله ﷺ، وهو أبو الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - من بني إسرائيل، نبأه الله جلّ شأنه واصطفاه فخلف هو وإسماعيل^(٣) أباهما إبراهيم ﷺ، وكان إسماعيل ﷺ مُرسلاً إلى قبائل العرب من جرهم والعمالقة^(٤)، وإسحاق إلى

= ضيق وشدة، فشكت إليه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرني ﷺ، وقولي له يغير عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل كأنه آتس شيئاً فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنا في جهد وشدة. قال: أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، يقول: غير عتبة بابك. قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك، فطلقها، وتزوج منهم أخرى، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل على امرأته فسألها عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا. قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله. فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم. قال: فما شربكم؟ قالت: الماء. قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء». قال النبي ﷺ: «ولم يكن يومئذ حب، ولو كان لهم دعا لهم فيه». . . . قال: «إذا جاء زوجك فاقرني عليه السلام، ومريه يثبت عتبة بابه». فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة - وأثنت عليه - فسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنا بخير. قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، وهو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك. قال: ذاك أبي، وأنت العتبية، أمرني أن أمسك. . . . صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَنذَرْتُكَ إِبْرَاهِيمَ حَلِيلًا﴾: ١١٠/٤.

(١) في تاريخ الطبري: ٣١٤/١: عن ابن إسحاق قال: ولد لإسماعيل بن إبراهيم اثنا عشر رجلاً. وانظر: الكامل: ١٢٥/١.

(٢) في البداية والنهاية: ٢١٠/١: أن إسحاق ﷺ ولد ولأبيه مائة سنة، بعد أخيه إسماعيل بأربع عشر سنة، وكان عمر أمه سارة حين بشرت به تسعين سنة.

(٣) في (هـ) و(ح): «وإسحاق»، والصواب ما أثبتته.

(٤) «نبأ الله ﷺ إسماعيل، فبعثه إلى العمالق - فيما قيل - وقبائل اليمن». انظر: تاريخ الطبري: ٣١٤/١، والكامل: ١٢٥١/١.

أهل فلسطين وبيت المقدس (١).

وقد اختلف أهل العلم في الذبح من أولاد إبراهيم ﷺ، فذهب أهل الكتاب وجمع من أهل الإسلام إلى أنه نبي الله إسحاق ﷺ، والمشهور الصحيح عند المحدثين أنه إسماعيل ﷺ (٢). ويمكن الجمع، بأن إبراهيم ﷺ بعد أن أمر بذبح إسماعيل، واتفق له ما اتفق، ففعل ذلك بإسحاق تيمناً وتبركاً، ثم فدا من عنده، فصار يطلق على كل منهما الذبيح (٣)، والله أعلم.

قصة نبي الله يعقوب

- عليه الصلاة والسلام -

وهو مسمّى بإسرائيل (٤)، خلف أباه إسحاق ﷺ، ودعا الناس إلى توحيد الله ﷻ وتعظيمه والتمسك بسنة الخليل إبراهيم ﷺ، وأوصى بذلك بنيه وأتباعه (٥)، وله من الولد اثنا عشر ولداً، وهم الأسباط (٦)، ومن هؤلاء

(١) في أنس الجليل: ٦٥/١: ثم إن إسحاق ﷺ تزوج بنت عمه وولد له العيص ويعقوب، ولم يمت إبراهيم ﷺ حتى بعث الله إسحاق ﷺ إلى أرض الشام، وبعث يعقوب إلى أرض كنعان، وإسماعيل إلى جرم، ولوطاً إلى سدوم، فكانوا كلهم أنبياء على عهد إبراهيم - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -.

(٢) سبقت مناقشة هذه القضية في النوع الثاني والثلاثين: علم تاريخ الأنبياء المذكورين في القرآن: انظر: صفحة ٣٢.

(٣) هذا الجمع قيم غير أنه لم يرد فيه حديث صحيح عن المعصوم حتى نعتمد عليه.

(٤) في الأنس الجليل: ٦٥/١: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النبي ابن النبي ابن أبي الأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين -، وهو الذي يسمى إسرائيل. قيل: معناه: صفوة الله. أخرج الحاكم في المستدرک: ٢/٢٦٩، كتاب التاريخ، باب ذكر يعقوب من حديث ابن عباس رضی اللہ عنہما قال: يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم هو إسرائيل ﷺ. وسمي إسرائيل، لأنه كان يسري بالليل ويكمن بالنهار هرباً من أخيه العيص إلى خاله. انظر: الكامل: ١/١٢٧.

(٥) وذلك قوله تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الَّذِينَ فَلَا تُمُونُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَايَكَ إِذْ رَأَيْنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًُا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة].

(٦) ذكرت معنى الأسباط في النوع (١٣٢) علم تاريخ الأنبياء.

الاثنا عشر الولد سائر قبائل بني إسرائيل، وأسماءهم: يوسف عليه السلام، بنيامين، يهوذا، أشير، لاوي، دان، نفتالي، أيشاخر، روبائيل، شمعون، زابلون، جاد^(١).

قصة نبي الله يوسف عليه السلام (٢)

ولمّا وُلِدَ يوسف أحبّه والده يعقوب عليه السلام وشغف به، وكان يقرب منه ويُدنيه إليه، فلمّا ترعرع رأى رؤيا كأنه غرس عصاه في الأرض فتنبت وأورقت وأثمرت، وغرس إخوتهم^(٣) عصيهم فلم تنبت ولم تُورق، ثم مالت عصاه على عصيهم فابتلعتها جميعاً^(٤)، فأخبر والده بالرؤيا، فحمد الله تعالى، وأثنى عليه وبشّره بالكرامة والرقيّ إلى مقامات (آبائه)^(٥) الكرام، وبلغ إخوته ذلك

(١) وقد أخرج الحاكم في المستدرک: ٥٧٠/٢، كتاب التاريخ، باب ذكر يعقوب عليه السلام من حديث عبد الله بن مسعود قال: وأما الأسباط فهم بنو يعقوب: يوسف، وبنيامين، وروبي، ويهوذا، وشمعون، ولاوي، ودان، وفهات (وبقيتهم: نفتالي، وكاد، وأشير، وأيساجر) فكانوا اثني عشر رجلاً...

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢١٤/١: وقد أنزل الله تعالى في شأنه عليه السلام وما كان من أمره سورة من القرآن؛ ليتدبر ما فيها من الحكم والمواعظ والآداب والأمر الحكيم.

(٣) في (هـ): «وغرسوا إخوتهم» وهو خطأ نحوي، وما أثبتته من (ح).

(٤) في العرائس: ٨٦: كان بدء محبة يعقوب ليوسف وإيثاره على سائر ولده... رأى يوسف فيما يرى النائم... كأن قضيبه - أي غصنه - غرس في الأرض فعلق وتدلت أغصانه وأثمرت من كل ثمرة، ثم أتى بأغصان إخوته فغرست حوله فلم تعلق، ولم تفرع، ولم تثمر، وإذا بغصن يوسف... يطوف حتى طال أغصان إخوته، ثم هبت الريح فاقتلعت أغصان إخوته من أصولها... وثبت غصن يوسف في الأرض قائماً. فانتبه فزعاً مرعوباً؟ فقال له أبوه: ما الذي دهاك يا بني؟ فقص عليه رؤياه، فبلغ إخوته... فشق عليهم رؤياه وحسدوه بعض الحسد.

قال وهب: رأى يوسف هذه الرؤيا؛ يعني الغصن وهو ابن سبع سنين.

قلت: هذه القصة من الإسرائيليات كما صرح بذلك الثعلبي أنها عن وهب بن منبه، وذكرت ما في العرائس استثناساً لا اعتماداً، وليعرف أن المؤلف ينقل منه.

(٥) في (ح): «آياته».

فحسدوه وأضمرؤا له السوء، وبلغ من العمر اثنتي عشرة سنة^(١) رأى في منامه كأن السماء قد انفتحت، فنزلت الشمس في أحسن هيئتها^(٢)، وكذلك القمر، وأحد عشر كوكباً (من الكواكب)^(٣) نزلوا وسجدوا جميعهم له، وعظّموه (بأحسن تعظيم)^(٤)، فلما أخبر يوسف بذلك أباه حمد الله تعالى، وأثنى عليه، وأمره أن لا يفشي هذا السرّ ولا يُخبر به إخوته، وذلك قول الله ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف: ٤] إلى آخر الآيات. فبلغت أيضاً هذه الرؤيا إخوته، فازداد حسدهم وتأكدت عداوتهم ليوسف ﷻ، وطلبوا له الغوائل والمُهلكات، ورأوا أنهم إذا تخلّصوا من نصب الغيرة والحسد أن يستريحوا ويسلم لهم دينهم ودنياهم، فلمّا جنحوا إلى ما جنحوا إليه وطلبوا منه أن يذهب معهم إلى المرعى فيلعب ويستريح، فمال إلى ذلك واستأذنوا أباه، وقالوا له: ليذهب معنا يرتع وليس عليه خلاف ولا بأس، فقال: إني أخشى عليه أن يأكله الذئب، وذلك قول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلسَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢١٦/١: قال المفسرون وغيرهم: رأى يوسف ﷻ وهو صغير قبل أن يحتلم، كأن أحد عشر كوكباً وهم إشارة إلى بقية إخوته، والشمس والقمر وهما عبارة عن أبويه قد سجدوا له، فهاله ذلك.

فلما استيقظ قصها على أبيها، فعرف أبوه أنه سينال منزلة عالية ورفعة عظيمة في الدنيا والآخرة، بحيث يخضع له أبوه وإخوته فيها. فأمره بكتمانها وأن لا يقصها على إخوته؛ كيلا يحسدوه ويكيدوه بأنواع الحيل والمكر. وانظر: تفسير ابن جرير: ٩١/١٢.

أما ما ذكره المؤلف من تحديد عمر يوسف ﷻ باثنتي عشرة سنة عندما رأى هذه الرؤيا لم أجد مرجعاً معتمداً، إلا أنني وجدت ذلك في العرائس للثعلبي: ٧٨، وتفسير الخازن: ٢١٤/٣، وتفسير البغوي بهامش الخازن: ٢١٤/٣، وتفسير الخطيب الشربيني: ٨٩/٢. ومعلوم أن هذه الكتب مدارها على الثعلبي وهو يذكر كل شيء صحيحه وضعيفه. وليس هنا ما يؤيده من الكتاب ولا من السنّة حتى نعتمد عليه.

(٢) في (هـ) و(ح): «هيئته».

(٣) ساقط من (ح).

(٤) في (هـ): «أحسن هيئته» وما أثبتته من (ح).

(٥) وباقى الآيتين: ﴿قَالَ يَبْنَؤُ لَا تَقْضُ رَهْ يَأْكُ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾.

أَقْبَلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَيِّكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿١٤﴾
 قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيِّبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ
 فَاعِلِينَ ﴿١٥﴾ قَالُوا يَتَّابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَمُ لَنَصْحُونِ ﴿١٦﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا
 غَدًا بَرْتَعٍ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ
 يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٨﴾ قَالُوا لَيْنِ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا
 إِذَا لَخْشِرُونَ ﴿١٩﴾ [يوسف: ٧ - ١٤].

فتوجهوا بيوسف ﷺ، فلما توسطوا في الطريق طلب الماء، فلم يسقوه^(١)،
 وطلب الطعام فلم يعطوه وأجمعوا حينئذ على قتله، واستغاث بهم فلم يعيئوه،
 فاستغاث بأخيه يهودا، ورمى بنفسه عليه، فقالوا: لئن لم تذهب عنه، وإلا
 قتلناك وإياه، فطلب منهم يهودا أن يلقيه في بئر ولا تقتلوه، فأجابوه إلى ذلك
 فدلّوه بحبل ورموه في بئر، فبكى يوسف ﷺ، فأنزل الله - جلّ شأنه - عليه
 سكينه ونوراً ولطفاً من عنده، وخاطبه إخوته من أعلى البئر قائلين له: أين
 رؤياك الكاذبة، فقد مكر الله منك، وقد بغيت علينا وأردت وأنت أصغرنا أن
 (تكون)^(٢) أكبرنا وأراسنا، وحقيق لمن بغى أن يصير إلى ما صرت إليه.

فقال لهم: لم أكذب في رؤياي، ولكن أصبر لما قضى الله ﷻ عليّ. ثم
 تركوه وذبحوا شاة وأكلوا لحمها وألطحوا بدمها قميصه، ورجعوا بالقميص إلى
 أبيهم، وأقبلوا يبكون وزعموا أن الذئب أكل يوسف، فبكى يعقوب ﷺ بكاءً
 شديداً وحزن حزيناً عظيماً، ولما أفاق من بكائه نظر إلى القميص، وقال اتنوني
 بالذئب الآكل له، فخرجوا فاصطادوا ذئباً وجاؤوا به إليه، فقال له: سألتك
 بالذي لا إله إلا هو إله إبراهيم وإسحاق إلا ما نطقت هل أكلت ابني؟
 فأنطقه الله ﷻ فقال: لا والله يا نبيّ الله لم أكله، وإن لحوم الأنبياء وأبناءهم
 محرمة علينا، وإني ذئب غريب أتيت لزيارة أخ لي، ولست من أهل هذه

(١) في العرائس: ٨٩: عن كعب الأحبار وعن سعيد بن أبي عروبة وعن الحسن دخل
 كلام بعضهم في بعض قالوا: أرسل يعقوب يوسف مع إخوته فأخرجوه مظهرين له الكرامة،
 فلما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة، وضربوه فجعل يستغيث بهم واحداً بعد
 واحد... وعطش عطشاً شديداً فقال لهم: اسقوني... فلم يسقوه... فلما هموا بقتله،
 قال لهم يهودا: أليس أنكم قد أعطيتموني موثقاً أن لا تقتلوه.
 (٢) في (ج): «يكون».

البلدة، فأمر به يعقوب عليه السلام ففكّ وذهب^(١)، ومرّت قافلة فأرسلوا شخصاً منهم يأتيهم بماء، فلما ألقى الدلو فعلق يوسف عليه السلام بالدلو، فلما رأى الرجل ثقل الدلو نادى، أعينوني، فأعانوه، فلما طلع رأوا غلاماً ذا بهاء وحسن لم ير الناظرون أبهى ولا أجمل منه، وكان الله تعالى قد أعطاه من حُسن الصورة والشكل ما لم يكن في أحدٍ غيره، وكان أخوه بنيامين الذي هو أصغر منه بعده في الحسن والجمال، فذهبوا به في القافلة، وكان كبير القافلة شخصاً يقال له: مالك بن دعر الخزاعي^(٢).

وجاء أولاد يعقوب، فرأوا يوسف في القافلة فادّعوا أنه^(٣) عبدهم فاشتراه منهم مالك بعشرين درهماً^(٤)، وكتب بذلك كتاباً: هذا ما اشتراه (مالك بن دعر الخزاعي من أولاد يعقوب، وهم يهودا ولاوي وشمعون غلاماً عبرانياً بكذا وكذا. فلما أراد المسير به، قال له: دعني أودع أسيادي، فجاء يودّعهم ويبكي ثم انصرف به مالك، فلما كان في أثناء الطريق رأى قبر أمّه، وكان

(١) في العرائس: ٦٥، وتفسير القرطبي: ١٥١/٢: فقال لهم يعقوب: إن كنتم صادقين أن الذئب أكله فأين الذئب: ائتوني به، فعمدوا إلى حبالهم وعصيتهم فأخذوها... فاصطادوا ذئباً... ثم حملوه إلى يعقوب.. فقال له يعقوب: أيها الذئب أكلت ولدي وقرّة عيني.. فتكلم الذئب قال: لا وحق شيبك يا نبي الله ما أكلت لك ولداً، وإن لحومكم ودماءكم معشر الأنبياء لمحرمة علينا، وإني لمظلوم مكذوب عليّ وإني لذئب غريب.. جئت لأجل قرابة لي من الذئب أزورهم. قلت: ولم أجد لرواية الذئب الذي جاءوا به سنداً مطلقاً، يعول عليه ولا حاجة بنا إلى اعتبارها لتكلف الكلام فيها. وما في القرآن فيه كفاية وذلك قول الله تعالى: ﴿لَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْبَيْتِ وَأَرْحَبْنَا إِلَيْهِ لُنُبَيِّنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَهُمْ آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَرَكَّعْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّنْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿٥٩﴾ وَجَاءَهُمْ عَلَى قَيْصِيهِ يَدِرُ كَذِبٌ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [يوسف].

(٢) في روح البيان: ٢٢٨/٤: الذي يرد الماء ليستقي لهم وكان ذلك مالك بن دعر الخزاعي.

(٣) في (هـ) و(ح): «أنهم».

(٤) في البداية والنهاية: ٢١٠/١: قاله ابن مسعود وابن عباس، وقال مجاهد: اثنان وعشرون درهماً، وقال عكرمة ومحمد بن إسحاق: أربعون درهماً - والله أعلم.. قلت: والتعبير القرآني: ﴿وَسَرَّوْهُ بِشَمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَأَنَّهُ مِنْ الزَّهْدِيكَ ﴿٦٠﴾﴾ [يوسف] حسبنا عن غيره.

على الطريق فوقع من فوق الجمل، ومضى إليها، وبكى عندها كثيراً، ففقدته مالك فرجع إليه فوجده يبكي، فأنهره ولطمه على وجهه، وساقه سوقاً عنيفاً، فانكسر خاطر يوسف ﷺ لذلك ودعا قائلاً: اللَّهُمَّ إِنْ وَقَعَ مِنِّي ذَنْبٌ فَأَلْحِقْنِي بِآبَائِي، فَأَصَابَتِ الْقَافِلَةَ ظَلْمَةٌ وَزَلْزَلَةٌ وَوَقَفَ الرَّكْبُ وَقَالُوا: مَنْ مَنَا أَذْنِبَ ذَنْبًا، فليرجع إلى الله ﷻ وليُتَّب إليه، فعلم مالك أنما أصيبوا منه، فرجع إلى يوسف ﷻ فقال له: أيُّها الغلام أنا قد لطمتك، فها وجهي فالطمني، فقال له: إني لا أقتصر منك بل أعفو عنك، ولكن تعاهد الله ﷻ أن لا تلطم مملوكاً، ودعا الله ﷻ فارتفعت الظلمة والزلزلة^(١).

فانظر - رحمك الله - إلى رحمة هذا السيد الجليل وقوله لمالك: عاهد الله أن لا تلطم مملوكاً، لا جرم أن الله ﷻ اصطفاه واجتباه ورفع شأنه وأعزّه بعد أن سار به ووصل به إلى أرض مصر، وكانت في ذلك الوقت أجذب أرض الله وأحطمها، فلما دخل يوسف عليه ﷻ أنزل الله - جلّ شأنه - الأمطار وأرخص الأسعار ورحم البلاد والعباد ببركته ﷻ.

(١) في روح المعاني: ٢٠٥/١٢: ... فلما جاء وقت ارتحالهم بكى ﷻ فقال له التاجر: ما لك تبكي؟ فقال: أريد أن أصل إلى الذين باعوني لأودعهم... فقال: جئت لأودعكم وأسلم عليكم... ثم طلب القافلة، فبينما هو على الراحلة إذا مر بقبر أمه راحيل فلما أبصر القبر لم يتمالك أن رمى بنفسه عليه... فالتفت العبد فلم يره، فرجع فرأه على القبر... ثم لطمه فغشي عليه، ثم أفاق... فقال: اللهم إن كانت لي خطيئة أخلفت وجهي عندك فبحرمة آبائي الكرام إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب أن تعفو عني وترحمني يا أرحم الراحمين... فهبت ريح حمراء وكسفت الشمس وأظلمت الغبراء فلم ير أهل القافلة بعضهم بعضاً...

فقال التاجر: فمن أصاب منكم ذنباً فليتب منه، فما أصابنا إلا بذنب اقترفناه، فأخبره العبد بما فعل مع يوسف، فتقدم إليه التاجر وقال: يا غلام إنا ظلمناك حين ضربناك فإن شئت أن تقتص منا فها نحن بيدك. فقال يوسف: ما أنا من قوم إذا ظلموا يقتصون، ولكنني من أهل بيت إذا ظلموا عفوا ولقد عفوت عنكم رجاء أن يعفو الله تعالى عني، فانحلت الظلمة وسكنت الريح وأسفرت الشمس... فساروا حتى دخلوا مصر آمنين وكان هذا التاجر فيما قيل: مالك بن دعر الذي أخرج من الحب.

قلت: هذه القصة فيها ركافة ولم أجد حديثاً واحداً يؤيدها، ومع هذا فإنه ذكر فيها موت أم يوسف راحيل وهذا يخالف النص القرآني فإنها على قيد الحياة حتى لقيه أبوه وأمه في بلاد مصر فقال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠]. قال ابن جرير: بل ظاهر القرآن يقتضي بقاء حياة أمه يومئذ، فلا يعول على نقل أهل الكتاب فيما خالفه - وهذا قوي - والله أعلم.

انظر: تفسير ابن جرير: ٦٧/١٣، والبداية والنهاية: ٢٣٧/١.

ولما اشتهر حال ما أعطاه الله - جلّ شأنه - من البهاء والجمال بأرض مصر اشتراه عزيز مصر بأفضل القيمة وأعظمها بإشارة امرأته زليخا، لما رآه أعجب الإعجاب الكامل واستحسن رؤيته وربّاه واتّخذهُ ولدًا^(١).

فلما بلغ الحلم أفاض الله - جلّ شأنه - عليه من المعارف الإلهية والأنوار الربانية، وعلمه (وفهمه)^(٢) وفتح عليه، وأوحى إليه (وزين)^(٣) باطنه بالأنوار والأسرار، كما زين ظاهره بالمحاسن والكمال، وكانت زليخا زوجة العزيز، قد تعلقت به وأحبتّه لما رأت من حُسنه وجماله، وكانت تراوده عن نفسه^(٤)، وتريد منه ما لا يليق به، وكان يمتنع من ذلك، فهيأت محلاً وزينة بأفضل الزينة، وتزيّنت هي كلك بأحسن الزينة وحلت به في ذلك الموضع، فعصمه الله ﷻ عن ذلك، فلما أكثرت عليه همّ بالفتك بها ووقعت في الدار ضجة ففرّ هارباً متوجّهاً، (ففتح الباب)^(٥) فأدرسته فشقت قميصه من خلفه، وورد الملك في ذلك الحال، فزعمت أنه راودها (عن نفسها)^(٦)، وأنه يريد الفاحشة بها، فغضب الملك لذلك، وأراد الفتك به، فاستشهد يوسف ﷻ (بطفل رضيع)^(٧)، فأنطق الله - جلّ شأنه - الطفل، فقال: انظروا في قميصه إن

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يوسف].

(٢) في (ح): «ونعمه».

(٣) في (هـ) و(ج): «وزن».

(٤) وذلك قوله تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الْمَاءُ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأَتْرَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣﴾﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَمًا بُرْهَنَ رَبِّيَ كَذَلِكَ لِيَصْرَفَ عَنْهُ الشَّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُتَّخِصِينَ ﴿١٤﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَْا سِدِّهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ قَبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٧﴾ فَلَمَّا رَمَى قَمِيصَهُ قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿١٨﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿١٩﴾﴾ [يوسف].

(٥) في (هـ): «ففتح الأبواب» وما أثبتته من (ح).

(٦) كذا في (هـ): «عن نفسها».

(٧) في (هـ): «بطفل صغير»، وما أثبتته من (ح) وهو الأنسب للسياق.

كان مشقوقاً من وجهه فهي الصادقة، وإن كان القميص مشقوقاً من خلفه فهو الصادق وهي الكاذبة، فلما رأى الملك هذه المعجزة انتهرها وأعرض عن يوسف عليه السلام، ولم يتعرض له بأذى^(١). وأما زليخا، فلم تزل (مغرية)^(٢) مولعة بيوسف عليه السلام ولم تترك محبتها وولوعها به، وبلغ نساء الأكابر من قومها^(٣) وحاشيتها وولوعها به، فأنكروا ذلك عليها فجمعتهن^(٤) في بيتٍ عظيم، وأعطت كل واحدة سكيناً وأترجة ليقطعوها، ودعت يوسف عليه السلام فأقبل، فلما رآته النسوة اشتغلن بالنظر إليه وصرن يقطعن أيديهن وليس لهن شعور بذلك، وقالوا جميعهم: حاشا لله ما هذا نوع البشر، وما هذا إلا ملك عظيم، وروح فخيم، فأقامت الحجّة عليهم في لومهم إياها في محبته أو اشتغالها به تعذرهما، ولما لم يوافقها على مرادها أوغرت صدر العزيز عليه، ولقيت في نفسه منه أشياء، وكان ذلك تيمّن من يوسف عليه السلام كما قال عزّ من قائل: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا نَصْرَفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف: ٣٣ - ٣٤].

ولما دخل السجن ضاق ذرعاً، فقال له الملك: أنت اخترت ذلك، هلا سألت الله العافية من كيدهنّ ومن جميع البلاء، فحُيس في السجن، وحُيس في تلك المدة معه غلامان من غلمان الملك، أحدهما شرّاب الملك، وهو الذي

(١) قال ابن كثير: وأكثر أقوال المفسرين هاهنا ملتقى من كتب أهل الكتاب فالإعراض عنه أولى بنا والذي يجب أن يعتقد: أن الله تعالى عصمه وبرّاه، ونزّهه عن الفاحشة وحماه عنها وصانه منها، ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِيَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُتْلِينَ﴾. قصص الأنبياء: ١/٣٢١.

(٢) في (ح): «مغرة».

(٣) وذلك قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْلَهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَأَتَتْ كُلَّ وَجْدَةٍ وَنَهَنَ بَيْكِيَتَهُنَّ وَقَالَتْ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣٦﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودُونَهُ عَنْ نَفْسِهِ فَأَسْتَعْصِمُ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَكْسِبَنَّهُ وَلَلْنَحْكُمَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا نَصْرَفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٨﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف].

(٤) في (هـ) و(ح): «فجمعتهن»، والصواب ما أثبتته.

يصنع الشرّب للملك، والآخر خباز، فقال له الشرّاب: إني رأيت البارحة رؤيا أحبّ (أن أقصّها) (١) عليك وتعبّرها لي: إني رأيت أن الملك قد أطلقني من السجن، فبينما أنا دور في بيته إذ رأيت شجرة عنب مُثمرة وإلى جنبها نخلاً، قد اختلطت بها، فأخذت ثلاثة عناقيد من العنب وثلاثة شماريخ من الرطب وعصرتها في كأس، فدعاني الملك، فقال: اسقني، فسقيته من ذلك الشراب، فقال يوسف ﷺ: نعم الرؤيا رؤياك، وسيخرجك الملك غداً، ويُعيدك إلى ما كنت عليه من الكرامة والمنزلة، فإذا عدت إلى ذلك فلا تنس وخاطبه في شأني.

وقال له الغلام الآخر: إني رأيت أن الملك أعطاني طبق خبز فحملته على رأسي ومشيت به إلى محل عالٍ من الأرض، فنزلت طيور سود فنقيت الخبز وأكلت منه؟ فقال له يوسف ﷺ: سيخرجك الملك ويصلبك على محل عال (فتنزل) (٢) طيور، فتأكل من رأسك. فقال له: لم أصدق في الرؤيا ولكن كذبتُ عليك، فقال له: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١]، فتمّ الأمر، فكان الحال كما قال يوسف ﷺ، أخرج الملك الشرّاب وأعادته إلى حاله، وصلب الخباز (٣)، وأقام يوسف في السجن؛ كما قال تعالى: ﴿يَضَعُ سِنِينَ﴾، وأكثر أهل الأخبار على أنها سبعة أعوام، وكانت تلك المدة من الله ﷻ رياضة وجلوة وكرامة له، وتكريماً لبشريته وتطهيراً لروحانيته، وقد جرت عادة الله تعالى شأنه، أنما يختصّ أنبياءه وأوليائه بعد الابتلاء

(١) في (ح): «أن أفقها».

(٢) في (ح): «فنزلت».

(٣) وذلك قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسُجْنَهُ حَتَّىٰ جِئَ (٣٥) وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتَنَا يَا بُولِيَاءَ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦) قَالَ لَا يَا بُدِيكُمَا طَعَامٌ تُزْفَقَانِيهِ إِلَّا نَبَاتُكُمَا يَا بُولِيَاءَ قَبْلَ أَنْ يَا بُدِيكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَأَتَيْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُنْشِرَكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَصْنَعِي السِّجْنَ مَازِيَابٌ مُتَفَرِّقَاتٌ حَيْرٌ أَرَى اللَّهِ أَلَوْحِدَ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَائِمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) يَصْنَعِي السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَيْتَ فِي السِّجْنِ يَضَعُ سِنِينَ (٤٢)﴾ [يوسف: ٤١].

والامتحان، ولما أتى أوان خروجه من السجن رأى الملك في منامه^(١): سبع بقرات عجاف ضعاف، وسبع بقرات سمان، فابتلعت كل واحدة من الضعاف واحدة من السمان، ورأى سبع سنابل عظام حسان (قد انعقد حبها)^(٢)، ورأى قريباً منهم سبع سنبلات يابسات ففرك واحدة منهم فلم يجد فيها شيئاً، فهب من منامه فزعاً، وطلب المعبرين للرؤيا، فأخفى الله - جل شأنه - عنهم معرفتها، ولم يهتدوا إلى تعبيرها، ونسبوا رؤياه إلى أنها أضغاث أحلام؛ فأقبل الشراب وقبل الأرض بين يدي الملك، فأخبره أنه قادر على تأويل هذه الرؤيا، وأن بالسجن غلاماً حاذقاً في تعبير الرؤيا^(٣)، فأرسل الملك الغلام إلى يوسف عليه السلام فأخبره بما رأى الملك، فقال يوسف: هذه الرؤيا تدلّ على خصب ورخاء سبع سنين، ثم يكون بعدها سبع سنين قحط وجهد، فأخبر الغلام الملك بقول يوسف عليه السلام، فاعتقد صحة ما قال، وألقى الله في قلبه استحسان ما أشار إليه يوسف عليه السلام، فأرسل إليه يطلب ويريد أن يستخلصه لنفسه^(٤) ويجعل محلّ نظره ومرجع أمره، فثبت يوسف عليه السلام ولم يجرء إليه لقصده أن تنكشف التهمة، وترتفع إشاعة امرأة العزيز^(٥)، فطلب منه أن يسأل النسوة اللاتي قطعن أيديهن، هل رأيت من يوسف ربة؟ فأجابوه قائلين:

(١) قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ الْأَقْتَبِيُّ فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف].

(٢) في (هـ) و(ح) بياض، وما أثبتته من تفسير الخازن: ٣/٣٣٤.

(٣) وذلك قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهَا وَادَّكَّرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِي ﴿٣٤﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ قَالَ تَزْعُمُونَ سَبْعَ سِنِينَ ذَاكًا فَآ حَصْدَ تُمْ فَذَرُونِي فِي سُؤْلِيهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٣٦﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [يوسف].

(٤) يستخلصه لنفسه: أي يجعله من خاصته ومن أكابر دولته.

(٥) قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهَذَا فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَأْسُ النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَوَدْتُمُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُمْ حَسْبُ لِلَّهِ مَا عَلَّمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتْ أَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَنَّ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٦﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٧﴾ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ [يوسف].

حاش لله ما علمنا عليه مِنْ سوء، وألقى الله - جلّ شأنه - في قلب امرأة العزيز الرجوع والإنابة عن ما اتهمت به يوسف عليه السلام، وأذعنت بأنها هي التي راودته عن نفسه، وذلك كله بتقدير الله تعالى حيث أراد ليوسف عليه السلام زوال الغم وكشف الكربة ودفع المصيبة، فلما تمّ الوقت السابق في العلم والمدة المختومة في الإرادة، وأمر الملك بتهيئة الجنود والأتباع، وأرسل إليه بأفضل الكرامة وأعظم الأبهة، وزينت مصر بأشرف الزينة يوم خروجه، وأجلسه معه على سرير ملكه وتحت عزّه^(١)، وأخبره أنه عزيز لديه، مكين عنده، مقبول الكلمة مسموع الإشارة، فطلب^(٢) يوسف عليه السلام من الملك أن يفوض أمر السياسة وتدبير الأرض والبلاد، فأعطاه ذلك، وأقام يوسف عليه السلام على ذلك مدة، وأمر بأن تزرع الأرض في سنين الخصب جميعها، وجمع هو مِنْ الحبوب الزائدة عن الحاجة قدرًا كبيرًا، فلَمَّا مضت سبعة أعوام قلّ التَّيْلُ وامتنعت الأمطار، فأكل الناس ما خزنوه جميعه في ثلاثة أعوام، ثم رجعوا يسألون أن يشتروا طعاماً فلم يجدوه إلاّ عند يوسف عليه السلام، فاشتروه منه بالنقد والعقار والدواب والحلي والنساء حتى باعوا منه أولادهم وأنفسهم^(٣)، ومات

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢١٠/١: وعند أهل الكتاب أن فرعون عظم يوسف عليه السلام جداً، وسلطه على جميع أرض مصر، وألبسه خاتمه، وألبسه الحرير، وطوقه الذهب، وحمله على مركبه الثاني، ونودي بين يديه: أنت رب ومسلط، وقال له: لست أعظم منك إلا بالكرسي.

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهَذِهِ أَسْتَخْلُصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينَا مِكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُفِثَ بِرَحْمَتِنَا مِنْ نَشَاءٍ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا أَجْرَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يوسف].

(٣) وفي تاريخ الخميس: ١٣٧/١، والعرائس: ١٠١: ... وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام بالدرهم والدنانير، ثم بالحلي، ثم بالدواب، ثم بالعبيد والإماء، ثم بالدور والعقار، بأولادهم، ثم برقابهم... ثم أعتق أهل مصر جميعاً ورد عليهم عقارهم وعبيدهم وأولادهم.

قال ابن كثير في تفسيره: ٥٠٠/٢ تعليقاً على هذا الكلام: وما ذكره بعض المفسرين من أنه باعهم بالأموال وبالمتاع حتى باعهم بأنفسهم وأولادهم بعدما تملك عليهم جميع ما يملكون، ثم أعتقهم ورد عليهم أموالهم كلها؛ الله أعلم بصحة ذلك، وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب.

عزيز مصر واستولى ابنه، وكان الملك ليوسف عليه السلام حقيقة ولابن العزيز صورة.

وممن احتاج في هذا الزمن وافتقر زليخا امرأة العزيز، وكانت قد أسنت، وكان يوسف عليه السلام يطوف في مملكته ويتفقد أحوال رعيتيه، ويسأل عن أسباب المصالح فيفيضها، وأسباب المفاسد فيدرؤها، وكان يطوف بمدينة مصر، فنادته امرأة مظلومة، فأمر بحملها إليه، فلما وصلت إلى داره دعا بإرسالها، فقالت له: أما عرفتنني؟ فلم يعرفها، فقالت: أنا زليخا امرأة العزيز، فاسترجع!! ثم قال: أنت لم تزالي تتبعيني أبداً، فكشفت إليه ما تجده من الشدة والفاقة، وسألته أن يسأل الله تعالى لها أن يُعيد عليها شبابها وجمالها، وأن يتزوج بها، فأمر الله - جلّ شأنه - أن يدعو بذلك لها، فدعا لها، فأعادها الله تعالى على ما كانت عليه، فتزوج بها، (وهيأ لها موضعاً) ^(١) وزينة بأحسن الزينة مقابلاً للموضع الذي هيأت له هي للمعصية، وأولدها ولدين عظيمين اسمهما: أفرم وأفريتم ^(٢).

وفي هذه المدة وقع غلاء عظيم وقحط بالشام وأرض كنعان، فأمر يعقوب عليه السلام بنيه أن يذهبوا إلى أرض مصر فيمتارون لهم طعاماً يقتاتون به، فراجعوه قائلين له: كيف نذهب إلى مصر وهي أرض الفراعنة وموضع الجبابرة؟ فقال لهم: قد بلغني أن ملكها الآن عدل حسن السيرة، فتوجهوا إلى

(١) في (هـ): «وهيأ له موضعاً» والصواب ما أثبتته..

(٢) فقد ذكر القرطبي في تفسيره: ٢١٤/٩ بنحو ما ذكره المؤلف، وهذا الكلام من الإسرائيليات كما صرح بذلك ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٢٨/١. وعند أهل الكتاب: أن فرعون عظم يوسف عليه السلام جداً، وسلطه على جميع أرض مصر، وألبسه الحرير وطوقه الذهب، وحمله على مركبه الثاني...

وقيل: إنه لما مات قطفير زوج الملك يوسف امرأته زليخا فوجدها عذراء؛ لأن زوجها لا يأتي النساء، فولدت ليوسف عليه السلام رجلين وهما أفرام ومنشا. واستوثق ليوسف ملك مصر وعمل فيهم بالعدل فأحبه الرجال والنساء.

قلت: وما دام هذا الكلام من الإسرائيليات فالأولى بنا الاعتماد على ما حكاه القرآن لنا، فقد قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهِ؟ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهُ ﴿٥٧﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا نُجْرُ الْأَخْرَجَ حَتَّىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يوسف].

أرض مصر، فلما وصلوا أبواب المدينة أرسل صاحب الدرب يخبر الملك أنه قدم (علي) ^(١) أناس من الشام نيرة وجوههم وذواتهم وأشكالهم يزعمون أنهم أولاد يعقوب بن إسحاق، فما يأذن الملك في شأنهم، فأرسل يوسف عليه السلام وهو يأمره أن يأذن لهم قائلاً له: ما أتى عليّ وفد أكرم من هؤلاء، وأمر صاحب المضيف بضيافتهم ^(٢) ثلاثة أيام وإكرامهم غاية الإكرام، ثم اجتمعوا بالملك بعد ذلك، فأكرمهم وتلطف بهم، وسألهم عن حالهم وحال أبيهم فأخبروه أنهم أحد عشر ولداً وأن واحداً منهم عند والده، فسألهم وأكد عليهم أن يعودوا ويستصبحوا أخاهم معهم أيضاً ليراه (كما رأيهم) ^(٣)، وأكرمه كما أكرمهم، ثم كال لهم الطعام، وأمر الخازن أن يضع ما استلمه منهم من الدراهم في وسط الحبوب، كل واحد دراهمه في حمله ^(٤)، فلما رجعوا إلى أبيهم أخبروه بإكرام العزيز إياهم وطلبه أن يأتوا بأخيهم بنيامين، فاعتذر يعقوب عليه السلام وقال: أخشى عليه أن يقع عليه ما وقع على يوسف ولا أستطيع مفارقتة ^(٥).

(١) ساقط من (ح).

(٢) في (ح): «بإضافتهم».

(٣) في (ح): «كما يراهم».

(٤) وذلك قول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَرَهُمْ بِجَهَارِهِمْ قَالَ أَتَأْتُونَ بِيَأْخُ لَكُمْ مِنْ أَيْكُمُ الْآلَا تَرَوْنَ أَنِّي أَرْوِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَوْ تَأْتَوْنِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَتَرُوهُ عَنْهُ آبَاءَهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَمَنْهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يوسف]. قال ابن كثير في تفسيره: ٥٠٠/٢: ذكر السدي ومحمد بن إسحاق وغيرهما من المفسرين: أن السبب الذي أقدم إخوة يوسف بلاد مصر أن يوسف عليه السلام لما باشر الوزارة بمصر ومضت السبع السنين المخضبة ثم تلتها السبع السنين المجذبة وعمّ القحط بلاد مصر بكاملها ووصل إلى بلاد كنعان... وحينئذ احتاط يوسف عليه السلام للناس في غلاتهم وجمعها أحسن جمع فحصل من ذلك مبلغ عظيم وهدايا متعددة وورد عليه الناس من سائر الأقاليم، يمتارون لأنفسهم وعيالهم، فكان لا يعطي الرجل أكثر من حمل بعير في السنة، وكان عليه السلام لا يشبع نفسه ولا يأكل هو والملك وجنودهما إلا أكلة واحدة في وسط النهار حتى يتكفأ الناس بما في أيديهم مدة السبع سنين، وكان رحمة من الله على أهل مصر.

(٥) وذلك قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَحْمَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَأَلْفَهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف].

ثم لما فتحوا حمولهم وجدوا الدراهم قد أعيدت عليهم، فأخبروا (إياهم)^(١) بذلك، وألزموا (بأن يرسل معهم أخاهم)^(٢) لكون العزيز قد بالغ في كرامتهم وأعاد عليهم دراهمهم، وقالوا له: إن في رجوعنا إليه فوائد: منها: أن نشترى لأهلنا وأقاربنا ما يكفيهم من الطعام، ويزيد معنا وقد بعير بمراح بنيامين معنا، فتوثق منهم فأقسموا له بالله أن يعودوا به معهم، فودعهم وأمرهم أن لا يدخلوا من باب مصر جميعاً خشية عليهم من العين^(٣).

فلما وفدوا على يوسف عليه السلام أكرمهم غاية الإكرام وأضافهم وباسطهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة، وجلس هو مع بنيامين^(٤)، فحسدوه لذلك وغاروا (وتكلموا)^(٥) بالعبرائية بكلام يفهم منه الغيرة والحسد، فخشي عليه من وقوع الكيدة منهم، فأمر لهم بالكيل، فكيل لهم جميعاً، وأمر خادمه أن يضع الصاع في رحل بنيامين، وكان قد أخبره بأنه هو أخوه وكشف له عن حقيقة الحال. فلما توجهوا إلى خارج المدينة، أرسل يوسف عليه السلام جماعة فأدركهم ونادوا فيهم: قد سرقت صاع الملك فارجعوا أيها الركب^(٦)، فرجعوا ففتشت رحالهم جميعاً، فوجدوا الصاع في رحل بنيامين، فقال يوسف عليه السلام: هذا سرق صاعي فأنا آخذه وأتخذه عبداً وخادماً، فطلبوا منه أن يعيده عليهم ويرحم غربتهم وضعف والدهم، فامتنع من ذلك، فسأله أن يأخذ أحدهم بدله فلم يرض أيضاً، فتعبوا لذلك كثيراً، ورجعوا على بنيامين يوبخونه ويشتمونه

(١) في (ح): «إياهم».

(٢) في (ح): «بأن يرسل أخاهم معهم».

(٣) وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِصَنَعَتِهِمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ هَٰذَا هِيَ بَيْعُ الَّذِينَ كَفَرُوا بَصُرْنَا هَٰذَا وَصَبَعْنَا رُءُوسَنَا فِي نَبْعِهِمْ وَأَنْتُمْ تُبْغُونَ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَبْنَئِ لَمْ يَدْخُلُوا مِنْ بَابِ وَجِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُمْ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يوسف].

(٤) وذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَوْا إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

(٥) في (ح): «ويكلموا».

(٦) وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا الْغَيْرُ لِأَنَّكُمْ لَسَرِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يوسف].

ويقولون: يا لِرِصِّ يا أِخَا اللِّصِّ^(١)، وكان يوسف عليه السلام إذا جلس في صغره معهم على السفرة يأخذ شيئاً من الخبز خفية لأجل أن يتصدق به على المساكين به، فهذا سموه يا سرقة^(٢).

ولما صمم يوسف عليه السلام على عدم إعطائه إياهم، قال يهودا: أما أنا فلا يمكنني العود إلى أبي إلا أن يأذن منه أو فكاك أخي، فرجعوا إلى أبيهم، وأخبروا بما صار عليهم، فحزن لذلك كثيراً، وتجدد له الحزن على يوسف عليه السلام فبكى عليهما كثيراً، وكان قد بكى على يوسف عليه السلام أولاً حتى ضعف بصره، وتقرّحت أجفانه، وابيضت عيناه من الحزن والتعب على يوسف عليه السلام^(٣)، ولما

(١) قال سبحانه:

﴿قَالُوا وَقِيلُوا لَهُمْ مَاذَا تَقْعُدُونَ ﴿٧٦﴾ قَالُوا نَقْعِدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ جُمْلٌ بَعِيرٌ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٧﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٨﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٩﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَهُمْ قَبْلَ وَعَاءِ أُجْيُوبَ ثُمَّ اسْتَخْرِجَهَا مِنْ وَعَاءِ أُجْيُوبَ كَذَلِكَ كَذَّبَ لِيُوسُفَ مَا كَانَ يَأْخُذُ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن تَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٨١﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُّوسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ قَالُوا يَا أَبَتِئْتَنَا الْعَزِيزُ إِنْ لَكُ أَبَا سَيِّئًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ مَكَادُ اللَّهُ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعًا عِنْدَهُ إِذَا إِذَا لَفَلِيلُ مُوسَى ﴿٨٤﴾﴾ [يوسف].

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٣١/١:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ .. يعنون يوسف. قيل: كان قد سرق صنم جده أبي أمه فكسره، وقيل: كانت عمته قد علقت عليه بين ثيابه - وهو صغير - منطقة كانت لإسحاق، ثم استخرجوها من بين ثيابه، وهو لا يشعر بما صنعت، وإنما أرادت أن يكون عندها وفي حضانتها لحينها له. وقيل: كان يأخذ الطعام من البيت فيطعمه الفقراء.

قلت: إن هذه الأقوال لا تنقص درجته عليه السلام وتسميتهم إياه بـ«سرقة» تجاوزاً.

(٣) وذلك قول الله تعالى:

﴿فَلَمَّا اسْتَمْتَسُوا مِنْهُ خَصَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمَنْ قَبْلَ مَا قَرَأْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٤﴾ أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيْبُكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَتَانَا إِنَّا نَبَأُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْعَجَبِ حَافِظِينَ ﴿٨٥﴾ وَسُئِلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَجِيرَ الَّتِي أَقْلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٦﴾ قَالَ بَلْ سَأَلْتُكُمْ أَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمَّا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٧﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَعْدِيُّ عَلَيَّ يُّوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَاطِمٌ سِرَّهُ﴾ =

مضت بعد ذلك مدة من الزمن ألقى الله في روعه عود يوسف وأخيه بنيامين، وقرب مدة الاجتماع بهما، فأمر بنيه أن يرجعوا ويتعطفوا بالعزير ويأخذوا بخاطره، ويطلبوا منه فكاك أخيههم، وأن يتفحصوا ويتحسسوا عن يوسف عليه السلام فأجابوه أن يوسف قد أكله الذئب مدة، فأين نجد يوسف عليه السلام وأتى له أن يعود؟ فقال لهم: لا تياسوا من روح الله ^(١)، وحسنوا الظن بالله وكتب معهم كتاباً إلى العزيز، يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من العبد الكروب الحزين يعقوب (إسرائيل بن إسحاق) ^(٢) صفي الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر، أيها العزيز إنا قوم موكل بنا البلاد وما صفت لنا الدنيا، ولا تزال أبداً ولا نزال مغمورين، أما جدي إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - فإنه ابتلاه بنار نمرود، وأما أبي إسحاق فابتلاه الله بالذبح ^(٣) فصبر وفداه الله بذبح

= قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُونَ تَذَكَّرْ يُوْسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِيِّ وَحَزْبِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ [يوسف].

(١) وذلك قوله تعالى:

﴿يَبْنَئِي أَدْهَبُوا فَتَحَسَّبُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِئُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

(٢) في (هـ): «إسرائيل الله بن إسحاق»، والصواب ما أثبتته كما في (ح).

(٣) إن هذا الكلام من الإسرائيليات، حيث إن أهل الكتاب حسدوا العرب لأنهم من ذرية إسماعيل عليه السلام وحرفوا ما في كتبهم وقال: إن الذبيح هو إسحاق عليه السلام لأنه أبوهم. وقد قدمنا الكلام في قصة الذبيح فليراجع ص(٤٢٨).

وعلى هذا ذكر ابن كثير الرواية التي وردت في هذا الشأن وعلق عليه في تفسيره: ٤٨٧/٢ من حديث الأحنف بن قيس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن داود عليه السلام قال: يا رب إن بني إسرائيل يسألونك بإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، فاجعلني لهم رابعاً فأوحى الله تعالى إليه أن يا داود إن إبراهيم ألقى في النار بسببي فصبر وتلك بلية لم تنلك، وإن إسحاق بذل مهجة دمه بسببي فصبر وتلك بلية لم تنلك، وإن يعقوب أخذت منه حبيبه فابيضت عيناه من الحزن فصبر وتلك بلية لم تنلك».

قال ابن كثير: وهذا مرسل وفيه نكارة؛ فإن الصحيح أن إسماعيل هو الذبيح. وفي سننه علي بن زيد بن جدعان له مناكير وغرائب كثيرة، والله أعلم.

وأقرب ما في هذا أن الأحنف بن قيس حكاه عن بعض بني إسرائيل ككعب وهوب ونحوهما - والله أعلم - فإن بني إسرائيل ينقلون أن يعقوب كتب إلى يوسف لما احتبس أخاه بسبب السرقة يتلطف له في رد ابنه، ويذكر له أنهم أهل بيت مصابون بالبلاء، فإبراهيم ابتلي بالنار، وإسحاق بالذبح، ويعقوب بفراق يوسف، في حديث طويل لا يصح، والله أعلم.

وانظر نحو هذه القصة في: الدر المنثور: ٢٩/٤.

عظيم، وأما أنا فابتلاني الله - جلّ شأنه - بفقد يوسف فبكيت حتى ذهب بصري ونحل جسمي، وكنت أتسلى بهذا الغلام الذي حبسته عندك، فزعمت أنه سارق، وإن الله تعالى قد طهرنا من جميع الرذائل، فالله منّ عليّ به ولا تفقدني إياه، واتفق دعوة المظلوم فإنها لا تحجب عن الله، فإن لم ترسل إليّ ابني دعوت عليك دعوة تلحقك وتلحق السابع من ابنك.

فلما وصل الكتاب إلى يوسف وعدهم^(١) في غد أن يعيد لهم الجواب. ثم خرج في اليوم الثاني في أحسن الهيئة^(٢) وأعظم الزينة، ودعا أولاد يعقوب عليه السلام فسألهم هل تعرفون شيئاً من اللغات، وقراءة الكتب؟ وكان روبائيل وهو أكبرهم يعرف من اللغات سبعين لغة، فقال له: أنا أعرف سبعين لغة، فأمر فأتي بحقّ ففتحته، فاستخرج منه كتاباً فدفعه إلى روبائيل، فلما نظر روبائيل الكتاب وتأمله تغير لونه وسقط من يده، فنظر فيه يهودا ودار الكلام بينهم، فقالوا: هذا الكتاب الذي كتبناه يوم بيع يوسف. فقال لهم العزيز: ما لكم تتشاورون؟ فأجاب شمعون: بأن الكتاب قد تقادم عهده، وقد امتحى الخط. فقال لهم: كذبتُم ليس الشأن كذلك، وإنما هذا كتاب بيعكم أحاكم، وقد استحققتُم بفعلكم غاية التأديب والعقوبة، فلما رأوا تشديده وتصميمه عليهم، وكانت لهم هم عظيمة وأحوال فخيمة، قال شمعون: أنا أكفيه هو وجنوده وأهل بلده، وكان إذا صاح صيحة الغضب وقع على وجهه كل من يسمعه، ولا يسكن غضبه إلا إذا وضع أحد من أولاد يعقوب عليه السلام يده عليه أو لمسه، فلما توجه ليفعل ذلك وعلم يوسف عليه السلام منه ما أراده أرسل ابنه أفرايم^(٣)، وقال: اذهب إلى هذا الشيخ المبارك وأدخل يدك فيه إلى أن تمس

(١) في (ح): «أودعهم».

(٢) في (ح): «التهنئة».

(٣) في الدر المنثور: ٢٩/٤.

قال وهب بن منبه: إن شمعون كان أشد بني يعقوب بأساً وإنه كان إذا غضب قام شعره وانتفخ فلا يطفئ غضبه شيء إلا أن يمسه أحد من آل يعقوب، وإنه كان قد أغار مرة على أهل قرية قد مرهم، وإنه غضب يوم أخذ بنو يعقوب بالصواع غضباً شديداً حتى انتفخ، فأمر يوسف عليه السلام ابنه أن يمسه فسكن غضبه قال: قد مسني يد من آل يعقوب.

قلت: لم أجد حديثاً صحيحاً يؤدي هذه القصة حتى نعتد عليه وقد عرفنا أن بعض هذا الكلام من كلام وهب بن منبه، فإذا هذه القصة من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب.

بدنه وقل: بسم الله إله إبراهيم الخليل، فلما أراد أن يصيح وضع أفرائيم يده عليه، فوقع مغشياً عليه، فلما أفاق من (غشيه)^(١)، قال لإخوته: (من مسني منكم)^(٢) ولأي شيء مسستموني؟. ثم أمر يوسف بالأخشاب، فوضعت وأمر بهم أن يصلبوا عليها، فبكوا لذلك وحزنوا، فعطف عليهم ودعاهم وكشف لهم عن حقيقة الحال، وبيّن لهم الأمر والشأن^(٣)، ثم أمرهم أن يتوجهوا بقميصه إلى يعقوب عليه السلام، فلما أقبلوا بالقميص شمّ يعقوب عليه السلام ريح يوسف عليه السلام من عشرة مراحل، فأخبر من عنده بأنه شم ريح يوسف عليه السلام فاستبعد الحاضرون ذلك.

فلما وصلوا بالقميص بشّروه بوجود يوسف وسلامة أخيه بنيامين، وشمّ القميص ووضعه على بصره عاد بصره ونشطت قواه^(٤). وطلب يوسف عليه السلام من إخوته أن يتوجهوا جميعاً، وأن يتحملوا بأهلهم وأتباعهم، فلما وصلوا إلى أرض مصر تلقاهم يوسف عليه السلام^(٥) وكان يوماً عظيماً، ورفع أباه وخالته^(٦) على سرير عظيم، وحمد الله تعالى قائلاً: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ

(١) في (ح): «تخشونه».

(٢) في (ح): «من شيء منكم».

(٣) وذلك قول الله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ (٨١) قَالُوا أَوْيَلَكُ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَحِيٌّ قَدْ مَرَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ بَنِي وَيَسَّى وَنَصِيرٌ فَإِنَّكَ اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٨٢) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاتَاكَ اللَّهُ عَلِيمًا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيطِينَ (٨٣) قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٤) ﴿[يوسف].

(٤) ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُوا بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٣) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُقِنْدُونِي (٩٤) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ (٩٥) فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَازْتَدَّ بِصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٦) ﴿[يوسف].

(٥) وذلك قوله تعالى: ﴿... وَأْتُوا بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٣) ... فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ (٩٤) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا... ﴿[يوسف: ٩٣ - ١٠٠].

(٦) القول: بأن خالته جاءت مع أبيه، لأن أمه ماتت، هو قول علماء التوراة. وظاهر القرآن يقتضي بقاء حياة أمه يومئذٍ، فلا يعول على نقل أهل الكتاب، فيما خالفه وهو قول ابن جرير وغيره، وقواه ابن كثير. انظر: تفسير ابن جرير: ٣٥٤/١٣، والبداية والنهاية: ٢١٨/١. وقد ناقشت هذه القضية ص(٢٠٤).

الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠١﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَكَأَنَّكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠٢﴾ [يوسف: ١٠٠، ١٠١].

قصة نبي الله أيوب

- عليه الصلاة والسلام -

هو أيوب بن موسى بن زراح بن روم بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم - عليهما الصلاة والسلام - وجده العيص هذا أخ يعقوب عليه السلام ولدا في بطن واحد، فخرج العيص متقدماً، وتعقبه يعقوب عليه السلام فلذا سمي يعقوب^(١)، وكان الله ﷻ قد اصطفى أيوب عليه، ونباه^(٢) ورزقه دنيا عريضة وسعة الرزق عظيمة وأرغد له في العيش، وكان له من الأموال ما لا يعد ولا يحد، ومن المواشي والمزارع والدور كذلك^(٣)، كان في ذلك شاكراً لأنعم الله ﷻ معترفاً بفضل الله مثنياً على الله، يبذل ما أعطاه الله لأسباب الخير، يؤي الغريب ويكرم الضيف ويحسن إلى السائل، لم تغره الدنيا ولم تطغه ولم تفرد. وكانت الملائكة والعالم الإنسي يثنون عليه ويذكرون فضله، وكان قد سبق في علم الله ﷻ أن يبتليه ويمتحنه ليكون قدوة للصابرين، وإماماً للمريضين، وتسلياً لأهل البلاء، وتعزية لأهل القضاء، فابتلاه الله - جلّ شأنه -^(٤) وسلط عليه الصوارف والمهلكات، فذهب ماله ومواشيه وزرعه وهو في كل ذلك مثنياً

(١) وفي البداية والنهاية: ٢١٠/١: وذكر أهل الكتاب: إن إسحاق لما تزوج «رفقا» بنت بتوابيل في حياة أبيه... فكانت عاقراً، فدعا الله لها فحملت، فولدت غلامين توأمين: أولهما سموه «عيسو» وهو الذي تسميه العرب «العيص»، وهو والد الروم. والثاني خرج وهو أخذ يعقب أخيه فسموه «يعقوب».

(٢) ونبوته بنص القرآن الكريم قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ﴾ [النساء: ١٦٣].

(٣) وفي البداية والنهاية: ٢٤٠/١:

قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم: كان أيوب رجلاً كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه، من الأنعام، والعييد، والمواشي والأراضي المتسعة...

(٤) في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمتل فالأمتل»، وقال: «يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في =

على الله راضياً بمواقع قضائه وقدره، ثم ابتلي بفقد أولاده وأهل بيته فحزن لذلك عند تفقد أولاده، ثم آب إلى الله تعالى وأسرع في الرجوع، ثم ابتلي في جسده بأنواع الأمراض والأسقام، ولم يكن يخدمه غير امرأته^(١)، وهي رحمة بنت أفريشم بن يوسف عليه السلام وكانت ذات جاه وجمال، وكانت من الأخيار الصابرات الراضيات، وكانت هي التي تسعى في خدمته ومعاشه وتقدم ذلك إليه، فلما طال مرضه واشتد بها الحال عرضت عليه التداوي، وطلبت منه أن يستعمل شيئاً من الأدوية ليزول ما به من الأمراض، فغضب لذلك^(٢) لعلمه أن الذي هو فيه، ليس من قبيل الأمراض الطبيعية، وإنما هو ابتلاء إلهي، وامتحان رباني لا تنفع فيه الأدوية، ولا يفيد فيه الطب، فقال عند ذلك: لئن شفاني الله وَعَلَى لأجلدتها مائة جلدة، فلما شفاه الله تعالى أمره أن يأخذ قضيباً من نخل فيه مائة عرجون فيضربه ضربة واحدة، وذلك قول الله وَعَلَى: ﴿وَحَذِّبْكَ ضَعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص: ٤٤].

ولما طال البلاء وهو في كل ذلك راض من الله تعالى صابراً على ما أولاه المولى مستغرقاً متلذذاً، فلما قارب أن يتصل إلى غلبة شيء من الاشتغال عن التعظيم والتفكير في الآلاء، فإن القلب هو الطريق إلى ذلك، فإذا وصله الألم

= بلائه». رواه الترمذي في سنن كتاب الزهد: ٥٧.

(١) وعندما نراجع كتب التفسير نجد فيها قصة ابتلاء أيوب ما يتنافى مع منصب النبوة وهذا يجب علينا الحذر منها لأن الأنبياء منزهون على الأمراض المنفرة، ولهذا رد المراغي قول بعض المفسرين الذين ينسبون المرض إلى أيوب إلى حد النفرة منه.

فيقول: وما روي من مقدار ما لحقه من الضر في نفسه حتى وصل إلى حد النفرة منه، وأن الناس جميعاً تحاموه وطرده من مقامه إلى ظاهر المدينة في موضع الكناسة ولم يكن يتصل به إلا امرأته التي تذهب إليه بالزاد والقوت، فكل ذلك من الإسرائيليات التي يجب الاعتقاد بكذبها؛ لأنه ليس من سند صحيح يؤيدها، ولأن من شروط النبوة ألا يكون في النبي من الأمراض والأسقام ما ينفر الناس منه، ولأنه متى كان كذلك لا يستطيع الاتصال بهم وتبليغ الشرائع والأحكام. تفسير المراغي: ٦١/١٧.

(٢) قال الألوسي في تفسيره: ٢٠٨/٢٣: ذهبت - زوجة أيوب - لحاجة فأبطأت أو بلغت أيوب عن الشيطان أن يقول كلمة محذورة فيبرأ، أو أشارت عليه بذلك، فقالت له: إلى متى هذا البلاء كلمة واحدة، ثم استغفر ربك فيغفر لك، أو جاءت به زيادة على ما كانت تأتي به من الخبز، فظن أنها ارتكبت في ذلك محرماً فحلف ليضربنها إن برئ مائة ضربة....

اشتغل عن هذا المعنى، فلم يطق أيوب عليه السلام هذه البلية، لكونه سبياً إلى إفساد المشاهدة والمعاينة والمكالمة، فحينئذ قال عليه السلام: ﴿رَبِّهِ أَتَى مَسْنَى الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِ﴾ [الأنبياء: ٨٣] (١) فاستجاب الله - جلّ شأنه - دعاءه وشفاه، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَتَى مَسْنَى الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِ﴾ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَعَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ عليه السلام﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤] (٢).

قصة نبي الله موسى

- عليه الصلاة والسلام -

ولما قرب ظهور موسى - عليه الصلاة والسلام - أخبر المنجمون والكهّان فرعون (٣) بأنه سيولد مولود في بني إسرائيل يكون زوال ملكه على يده، فحشي

(١) وفي سبب سؤاله العافية أقوال:

أ - أنه اشتهى إداماً فلم تصبه امرأته حتى باعت قرناً من شعرها.

ب - أن الله تعالى أنساه الدعاء مع كثرة ذكره تعالى، فلما انتهى أجل البلاء، يسر له الدعاء فاستجاب له.

ج - أن نفرأ من بني إسرائيل مروا به، فقال بعضهم لبعض: ما أصابه هذا إلا بذنّب عظيم، فعند ذلك قال: ﴿مَسْنَى الضُّرِّ﴾. انظر: زاد المسير: ٣٧٧/٥. قلت: إن هذه الأقوال ليس لها من سند صحيح يؤيدها حتى نعتد عليها.

(٢) قال المراغي في تفسيره: ٦١/١٧: وخلاصة ما سلف - من قصة امتحان أيوب - أن أيوب ابتلي في نفسه وولده وماله، فابتلي بالمرض، وهلاك الأولاد، وضياع الأموال امتحاناً منه تعالى، واختباراً له، ثم كشف عنه ما به من ضر فشفى من أمراضه التي أصيب بها، وأنجب من الأولاد ضعف ما كان، وحسن حاله في ماله فزال ما به من عدم وإقتار.

(٣) وفي الكامل لابن الأثير: ١٧/١: أنه لما تقارب زمان موسى أتى منجمو فرعون إليه فقالوا: اعلم أنا نجد في علمنا أن مولوداً من بني إسرائيل قد أظلك زمانه الذي يولد فيه يسلبك ملكك، ويغلبك على سلطانك ويبدل دينك. فأمر بقتل كل مولود يولد في بني إسرائيل.

قال الرازي في تفسيره: ٢٢٤/٢٤ رداً على هذا الكلام:

اعلم أن هذا الوجه ضعيف لأن إسناد مثل هذا الخبر إلى الكاهن اعتراف بأنه قد يخبر عن الغيب على سبيل التفصيل، ولو جوزناه لبطلت دلالة الإخبار عن الغيب على صدق الرسل وهو بإجماع المسلمين باطل.

من ذلك كثيراً، وأمر أن تذبح الأطفال التي تولد في ذلك الزمن، فذبح أطفالاً كثيراً. ولما آن أوان ولادة أم موسى صنعت تابوتاً^(١) من خشب؛ لأن العامل لهذا التابوت رجل اسمه حبيب النجار، وقد كان سأل أم موسى ما تصنع بالتابوت، فأخبرته أنها تريد وضع ابن لها فيه كيلا يقتله فرعون، فتوجه يريد أن يخبر فرعون لذلك، فعقد الله لسانه عن النطق ثلاث مرات، فلما رأى ذلك؛ علم أنها كرامة من الله ﷻ، فتاب إلى الله - جلّ شأنه -، وأتاب وعزم على موالاته هذا العبد الصالح وأتباعه، فهو أول من آمن بموسى ﷺ^(٢).

= قلت: والقول الذي تميل إليه النفس ما حكاه الرازي في تفسيره في الموضوع السابق: أن الأنبياء كانوا قبل موسى ﷺ بشروا بمجيئه، وفرعون كان قد سمع ذلك فهذا كان يذبح أبناء بني إسرائيل، وهذا الوجه هو الأول بالقبول. تفسير الرازي: ٢٢٤/٢٤.

(١) وذلك بإرشاد وإلهام من الله تعالى كما قال:
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمْرًا مَوْسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص].

والتابوت: الصندوق يحفظ فيه المتاع، ومنه صندوق الميت. وهو فعلوت من التوب وهو الرجوع لما أنه لا يزال يرجع إليه ما يخرج منه، وصاحبه يرجع إليه فيما يحتاجه من مودعاته، فتاؤه مزيدة كثناء ملكوت وأصله توبوت فقلبت الواو ألفاً. انظر: تفسير الشوكاني: ١/٢٦٥، وتفسير الآكوسي: ٢/١٦٨.

(٢) قصة التابوت مأخوذة من العرائس: ٩٦. وانظر: تفسير الرازي: ٢٢٧/٢٤.
قال إسحاق بن بشر: إن أم موسى لما رأت إلحاح فرعون طلب الولدان خافت على ولدها فاشترت تابوتاً من نجار، فقال لها النجار: ما تصنعين بهذا التابوت؟ قالت: أخبئ فيه ابنا لي أخشى كيد فرعون، فلما اشترت التابوت وانطلقت، انطلق النجار إلى الذبّاحين ليخبرهم بأمرها، فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم ينطق، فلما انتهى النجار إلى موضعه ردّ الله عليه لسانه فتكلم - هكذا ثلاث مرات -، وعلم أن ذلك من الله تعالى فأمن به وصدّقه.

قلت: إن القرآن يقرر هنا حقيقة ما حدث في قصة التابوت الذي وضع فيه موسى ﷺ، ولا يثبت من المعصوم ﷺ حديث يجب الاعتماد عليه، فعلياً أن نكتفي بما جاء في القرآن الكريم في هذه القصة. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٧٨﴾ أَنْ أَتِدْفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاتِدْفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيَلْقِهِ الْيَوْمَ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُمْ وَالْفَيِّتُ عَلَيْكَ مِحْبَةً مِنِّي وَلِصْنَعِ عَلَيَّ عَيْتٍ ﴿٧٩﴾﴾ [طه]. وأيضاً قد صرح الحاكم في المستدرک کتاب التاريخ باب ذکر ولادة موسى: ٥٧٤/٢ أن هذه القصة عن وهب بن منه، ومعلوم أنه من رجال أهل الكتاب الذين دخلوا في الإسلام. ومع ذلك فإن الحاكم والذهبي سكتا عن هذا الحديث.

ثم لما وضعت موسى، وضعت في التابوت وألقته في البحر وذلك بالإلهام^(١) الإلهي وقع في نفسها، فألقته الأمواج في البحر إلى موضع كان فيه بنات فرعون ونسائه يغتسلن، ففتحوا التابوت، فأروه، فألقى الله - جلّ شأنه - في قلوبهم محبته، فذهبوا به إلى دار فرعون^(٢)، وعرضوا عليه المراضع فأبى، فجاءت أخته مستخفية فعرفته وأخبرت أمه، ثم جاءت إليهم أمه فأرضعته على أنها مرضعة، فلم يزل يربي في دار فرعون ولم يشعر به^(٣).

فلما علم به أراد قتله فمنعوه من ذلك، وألقى الله ﷻ عليه الشفقة^(٤)، وتربى وأحبته ابنة فرعون^(٥) وامراته آسية، وهي آسية بنت مزاحم^(٦)، وقد

(١) في (ح): «بالهام».

(٢) وفي البداية والنهاية: ٢٥٩/١: وذكر المفسرون: أن الجواري التقطنه من البحر في تابوت مغلق عليه، فلم يتجاسرن على فتحه، حتى وضعنه بين يدي امرأة فرعون... وذلك قوله تعالى: ﴿فَالْقَظَّةُ مَالٌ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴿٨﴾﴾ [القصص].

(٣) وذلك قوله تعالى: ﴿فَالْقَظَّةُ مَالٌ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴿٨﴾﴾ وَقَالَتْ أُمُّرَأْتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنَ لِي وَلَكَ لَا نَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَدَرًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَظَّتْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لَنُكَرْتَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أَبِيهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِنَعْلَمَ أَنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [القصص].

(٤) فلما رآه فرعون همّ بقتله لأنه خاف أن يكون من بني إسرائيل الذين كان يتوقع هلاكه على أيديهم، فتدافعه امرأته لحبها إليها. قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ أُمُّرَأْتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنَ لِي وَلَكَ لَا نَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [القصص]. قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٤٠/١: فلما فتحت الباب وكشفت الحجاب رأت وجهه يتلألأ بتلك الأنوار النبوية.. فلما رأته، ووقع نظرها عليه أحبته حباً شديداً جداً. فلما جاء فرعون قال: ما هذا وأمر بذبحة، فاستوهبته منه ودفعت عنه «وقالت قرة عين لي ولك» فقال لها فرعون: أما لك فعنم، وأما لي فلا، أي لا حاجة لي به والبلاء موكل بالمنطق.

(٥) ما ذكره المؤلف - رحمه الله تعالى - من أن لفرعون بنت تحب موسى ﷺ مستبعد مع قول آسية امرأة فرعون كما حكى القرآن: ﴿أَوْ نَتَّخِذُهُ وَلَدًا﴾.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٤٠/١ عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ نَتَّخِذُهُ وَلَدًا﴾ وذلك أنهما تبنياه؛ لأنه لم يكن يولد لهما ولد.

(٦) هي: آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن =

آمنت بموسى - عليه الصلاة والسلام - لما رأته (مع وقع له مع السحرة)^(١).

ثم لما شَبَّ وترعرع أسلمته امرأة فرعون وابنته إلى من يعلمه، فتعلم العلم والحكمة، وكانت مصر دار العلم والحكمة، فأحرق جميع العلوم، وكان بمصر حكيمان أحدهما يسمى ياسين والآخر عرائس، فأسلمته ابنة فرعون إليهما، وتعلم منهما الحكمة، وبعد أن كبر رأى رجلين يختصمان أحدهما قبطي والآخر إسرائيلي، والقبطي يتجراً على الإسرائيلي، فالتفت موسى ﷺ فلم يرَ أحداً فقتل القبطي^(٢)، ثم بعد أيام رأى رجلين يختصمان أيضاً، فأنكر عليهما فقالا: من ولّاك علينا أتريد أن تقتلنا كما قتلت بالأمس رجلاً، فخشي أن يبلغ فرعون ذلك، فخرج فاراً من مصر متوجهاً إلى أرض مدين^(٣)، وهو مدين بن إبراهيم^(٤) ﷺ وهم قبائل عظيمة، فتوجه نحو أرضهم فوصل إلى بئر

= يوسف وهي من الصديقات المشهورات وإحدى سيدات أهل الجنة. انظر: البداية والنهاية: ١/ ٢٣٩.

(١) في (ح): «ما وقع مع السحرة».

(٢) وذلك قوله تعالى:

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ أَبِيهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاذَ الَّذِي مِنْ شِيعَةِ أَبِيهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿٥٧﴾﴾ [القصص].

وموسى ﷺ لم يرد قتله بالكلية وإنما أراد زجره وردعه فطعنه بجمع كفه - كما قاله مجاهد - أو بعضا كانت معه - قاله قتادة - فمات منها.

ومع هذا قال موسى: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿٥٧﴾﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٨﴾﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [القصص].

(٣) وذلك قوله تعالى:

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصِرُّهُ قَالَ لِمَ لَمْ تُؤَمِّرْ بِنَاكَ لَعَوَى مُبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنَّ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٦١﴾﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتِירוُنَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاهْرُبْ إِنَّي لَأَمِّنٌ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٦٢﴾﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [القصص].

(٤) هو: مدين بن إبراهيم وأمه قنطورا بنت يقطن الكنعانية وإليه تنسب قبيلة قوم شعيب، وهي على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل وهي أكبر من تبوك، وبها البئر التي استقى منها موسى ﷺ لبنات شيخ مدين. انظر: معجم البلدان: ٥/ ٧٧، والبداية والنهاية: ١/ ١٧٥.

يردها قبيلة من أولاد مدين بعد أن مشى سبعة أيام ليس له^(١) فيها زاد^(٢)، فجلس قريباً من البئر، فرأى امرأتين ولهما ماشية تنتظران خلو البئر عن الواردين، فتقدم إليهما^(٣) موسى ﷺ قائلاً لهما: ما لكما لا تسقيان؟ فقلتا: إنا ضعاف ووالدنا شيخ كبير، فسقي لهما ماشيتهما، وكان موسى ﷺ صاحب قوة وجلادة، ثم رجع إلى فيء شجرة فنام تحتها^(٤)، وسأل الله تعالى أن يرزقه قوتاً، فعادت إليه إحدى المرأتين قائلة: إن والدي يدعوك إلى الضيافة^(٥) فأجابها^(٦)، فكان الشيخ هو^(٧) نبي الله شعيب^(٨) ﷺ.

(١) كلمة «له» ساقطة من (ح).

(٢) قال ابن عباس رضى الله عنهما سار موسى ﷺ من مصر إلى مدين لم يأكل إلا البقل وورق الشجر، وكان حافياً فسقطت نعلا قدميه من الحفاء وجلس في الظل وهو صفوة الله من خلقه، وأن بطنه لاصق بظهره من الجوع؛ وأن خضرة البقل لترى من داخل جوفه، وأنه لمحتاج إلى شق تمره. ذكره ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٤٣/١.

(٣) في (هـ): «عليهما» وما أثبتته من (ح).

(٤) كلمة «تحتها» ساقطة من (ح).

(٥) وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا نَزَّ مَاءٌ مَدِينًا وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدَرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَتَمَشَّى عَلَى اسْتِخْيَافٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ النَّوْمِ أَتُطْلَمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص].

(٦) في (ح): «فأجابها».

(٧) كلمة «هو» ساقطة من (ح).

(٨) في البداية والنهاية: ٢٤٤/١.

وقد اختلفوا في هذا الشيخ من هو؟، فقيل: هو شعيب ﷺ وهذا هو المشهور عند كثيرين، وممن نص عليه الحسن البصري ومالك بن أنس.

وقيل: إن صاحب موسى ﷺ هذا اسمه شعيب وكان سيد الماء ولكن ليس بالنبي صاحب مدين. وقيل: رجل اسمه يثرون ابن أخي شعيب صاحب مدين.

قلت: والقول الذي تظمن إليه النفس ما يميل إليه سيد قطب حيث يقول: في حاشية تفسيره: ٢٦٨٧/٥.

قلت: إن هذا الرجل هو شعيب. وقلت مرة: إنه قد يكون النبي شعيباً أو لا يكون... وأنا الآن أميل إلى ترجيح أنه ليس هو، وإنما هو شيخ آخر من مدين، والذي يحمل على هذا الترجيح أن هذا الرجل شيخ كبير، وشعيب شهد مهلك قومه، المكذبين له، ولم يبق =

ثم إن شعيباً لما جاء موسى اتّخذهُ ابناً، واستأجره لرعي ماشية، وأن يزوجه ابنته، فلما مضت سبعة أعوام^(١) زوجه ابنته، فحصل لموسى العلوم الكسبية من مصر والعلوم الوهية من صحبته شعيب.

ثم توجه موسى من عند شعيب بزوجه، فلما كان قريباً من طور سيناء خرج يلتمس لأهله ناراً، فرأى نوراً عظيماً قد شعشع الوادي، فلما رآه^(٢) ظنه ناراً^(٣) فخطب: اخلع نعليك، كما قال الله تعالى ذلك في كتابه العزيز بقوله: ﴿يَمْسُقُ ﴿١٦﴾ إِيَّيْنَا أَنْتَ لَنْ نَكُونَ لَكَ مِنَ الْوَالِدِ الْمَقْدَسِ طَوًى ﴿١٧﴾ وَأَنَا أَخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٨﴾ إِنَّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٩﴾﴾ [طه].

وخاطبه الله - جلّ شأنه - قائلاً: ما هذه التي بيمينك؟ قال: عصاي، فأمر الله - جلّ شأنه - أن يلقياها، فألقاها، فانقلبت حية عظيمة، فقال: خذها، فأخذها فانقلبت عصاه في يده^(٤)، فأمره الله ﷻ أن يذهب إلى فرعون، فيعظه

= معه إلا المؤمنون به، فلو كان هو شعيب - النبي - بين بقية قومه المؤمنين، ما سقوا قبل بنتي نبهم الشيخ الكبير، فليس هذا سلوك قوم مؤمنين، ولا معاملتهم لنبهم وبناته من أول جيل! يضاف إلى هذا أن القرآن لم يذكر شيئاً عن تعليمه لموسى صهره، ولو كان شعيباً النبي لسمعنا صوت النبوة في شيء من هذا مع موسى وقد عاش معه عشر سنوات.

(١) والصواب عشر سنين لما رواه البخاري من حديث سعيد بن جبير قال: سألتني يهودي من أهل الحيرة: أي الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله، فقدمت فسألت ابن عباس فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما؛ إن رسول الله إذا قال فعل. صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد: ١٦٢/٣.

قال تعالى: ﴿قَالَ إِيَّيْ أُرِيدُ أَنْ أَنْكَحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجِجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا تَقُولُ وَكَيْلٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ...﴾ [القصص].

(٢) في (ح): «فلما يراه».

(٣) وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [القصص].

(٤) وذلك قوله تعالى:

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْسُقُ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِلُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَمْسُقُ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ سَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْفَ سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾﴾ [طه].

وينصحه وينهاه عن الطغيان والكفر والعناد واستعباده بني إسرائيل، فقال موسى ﷺ: إن لساني ألتغ^(١) وبي لكنة^(٢)، وأحتاج إلى مُعين، فأعانه الله بهارون ﷺ ونبأه^(٣) وأمرهما أن يذهبا إلى فرعون، وأن يشتغلا بذكره ولا يتيا في ذلك، ولا يقصرا، وأن يكون الله - جلّ شأنه - منهما على بال، وأن يستشعرا معينه لهما وحفظه ويعلما أنه ناظرٌ إليهما، فامتثلا أمره، وقصدا فرعون ودخلا عليه، وأخبراه أن الله أوحى إليهما بما أوحى، وألانا له في القول بأمر الله تعالى بذلك^(٤)، فطغى وتمرد ولم يقبل وطلب منهما برهاناً

(١) وفي البداية والنهاية: ٢٤٩/١:

قيل: إنه أصابه ﷺ لثغة بسبب تلك الجمرة التي وضعها على لسانه التي كان فرعون أراد اختبار عقله حين أخذ بلحيته وهو صغير فهم بقتله، فخافت عليه آسية وقالت: إنه طفل، فاخبره بوضع تمرة وجمرة بين يديه، فهم أن يأخذ التمرة، فصرف الملك يده إلى الجمرة، فأخذها فوضعها على لسانه فأصابه لثغة بسببها فسأل زوال بعضها بمقدار ما يفهمون قوله، ولم يسأل زوالها بالكلية. وانظر: المستدرک کتاب التاريخ، باب ذکر ولادة موسى ﷺ: ٥٧٤/٢، وسكت عنه الحاكم والذهبي، وصرح الحاكم أن هذه الرواية عن وهب بن منبه.

والأرجح ما ذكره سيد قطب في ظلال القرآن: ٤٧٠/٥ قال: وطلب موسى إلى ربه أن يحل عقدة لسانه فيفقهوا قوله، وقد روي أنه كانت بلسانه حبسة، والأرجح أن هذا هو الذي عناه، ويؤيده ما ورد في سورة أخرى من قوله: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص: ٣٤]. وقد دعا ربه في أول الأمر دعاءً شاملاً بشرح الصدر وتيسير الأمر، ثم أخذ يحدد ويفصل بعض ما يعينه على أمره ويسر له تمامه.

(٢) اللكنة: هي عجمة في اللسان وعي، يقال: رجل ألكن بين اللكن. انظر: مختار الصحاح مادة: (ل ك ن) ص(٦٠٣).

(٣) وذلك قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَخْلَلْ عَقْدَةَ بَيْنِ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ بِقَهْرِي قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ سَمِعَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَتَذَكَّرَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه].

وقوله تعالى:

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلتَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾ قَالَ سَدَّدْتُ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ... ﴿الآية [القصص].

(٤) وذلك قوله تعالى:

﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نَبِيًّا فِي دِكْرِي ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٨﴾ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلَا لِنَا لَعَلَّه يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْفِنَا ﴿٣٥﴾ قَالَ لَا نَخَافَا إِنَّنِي =

وعلامه على صدقهما، فألقى موسى العصا فصارت حية عظيمة تمشي، وأخرج يده من كفه فإذا هي بيضاء تلمع، ثم أدخلها ثانياً فإذا هي عليه^(١). فلما رأى ذلك استشار أصحابه وجلساءه في أمرهما، فقالوا له: إن هذا سحر، فأرسل السحرة في كل أرض وأجمعهم فسيعلوه، فأرسل فرعون فجمعهم، فكانوا أكثر من الصعيد، فاجتمع عنده نحواً من أربعين ألف ساحر^(٢)، فخرجوا هم وموسى ﷺ وألقى كل منهم ما بيده من الحبال والعصا، فانقلبت ثعابين وحيات، وأقبلت نحو موسى ﷺ فارتاع لذلك^(٣).

مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾ فَأَيُّهَا فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعْذِيبَهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتَبَعِ الْهُدَى ﴿٤٧﴾ [طه].

(١) وذلك قوله تعالى:

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْنَاكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَاتٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف].

وقوله تعالى:

﴿قَالَ لِيْنِ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِجَعَلْنَاكَ مِنَ الْمُسْجُوتِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٢٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٢٣﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأعراف].

(٢) وفي البداية والنهاية: ٢٥٤/١: يخبر تعالى عن فرعون أنه ذهب فجمع من كان ببلاده من السحرة، وكانت بلاد مصر في ذلك الزمان مملوءة سحرة فضلاء في فهم غاية، فجمعوا له من كل بلد ومن كل مكان، فاجتمع منهم خلق كثير وجم غفير. فقيل: كانوا ثمانين ألفاً. قاله محمد بن كعب. وقيل: سبعين ألفاً. قاله القاسم بن أبي بردة. وقال السدي: بضعة وثلاثين ألفاً...

(٣) وذلك قوله تعالى:

﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَا تُوتَكَ بِكُلِّ سَلْحٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ وَرَعَوْا قَالُوا إِنَّا لَنَّا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَمْؤُوسَ إِمَّا أَنْ تُلْفَىٰ وَإِمَّا أَنْ تُكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [الأعراف].

وقوله تعالى:

﴿قَالُوا يَمْؤُوسَ إِمَّا أَنْ تُلْفَىٰ وَإِمَّا أَنْ تُكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْفَىٰ ﴿١١٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِئْتُمْ وَعَصِيْبُهُمْ يُجِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ إِنَّهَا سَمْعِي ﴿١١٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ ﴿١١٧﴾﴾ [طه].

قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٥٥/١ عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ﴾ [طه]: أي خاف الناس أن يفتتنوا بسحرهم ومحالهم قيل أن يلقي ما في يده، فإنه لا يضع شيئاً قبل أن يؤمر.

فأوحى الله - جلّ شأنه - إليه في سرّه ألق عصاك فألقاها، فانقلبت حية عظيمة وابتلعت جميع تلك الحيات المموهة، فلما رأى السحرة ذلك علموا أن مثل هذا الشأن لا يكون إلا المؤيد بتأييد إلهي، فأذعنوا حينئذ وآمنوا به وعلموا أنه مرسل من عند الله ﷻ، وأنكر^(١) فرعون عليهم ما صنعوا من الإيمان بموسى واتباعه، وقال لهم: إن هذا هو الذي علمكم السحر فلماذا أطعمتموه وآمنتكم به، وهددهم وخوفهم فلم يرجعوا؛ بل أصروا على الإيمان وصرحوا بالتوحيد، وقالوا: افعَل ما شئت فلا نرجع من ذلك أبداً^(٢).

فلما رأى ذلك فرعون منهم، ورأى إيمان كثير من بني إسرائيل واتباعهم لموسى، استشار فرعون أصحابه في قتل موسى هو ومن اتبعه، فأشاروا عليه بالفعل إلا رجل مؤمن يخفي الإيمان، واسمه خرقيل، وهو الذي قال الله - جلّ شأنه - فيه: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ إلى آخر الآية [غافر: ٢٨]^(٣)، فإنه قال له: قد جاءه هذا الرجل بهذه الآيات الواضحات فلا ينبغي الفتك فيه؛ فإنه إن يكن كاذباً فما

(١) في (ح): «وانكسر».

(٢) وذلك قوله تعالى:

﴿وَأَرْحَبْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ إِذْآ هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١٧٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَادِرِينَ ﴿١٧٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهُمْ ﴿١٨٠﴾ قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ الْمَلَائِكَةِ ﴿١٨١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٨٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمْسَمُ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومُهُ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنهَا ءَأَهْلَهَا فَسَوْفَ نَعْمَؤُونَ ﴿١٨٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ ءَأَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا نُنْفِئُ مِنَّا إِلَّا ءَأَنْ ءَأَمَّا يَأْتِيَتِ رَبِّنَا لَمَّا ءَأَجَاءَتْنَا رَبِّنَا أَفْرَغَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٨٦﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى:

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْءَأَعْلَىٰ ﴿١٨٧﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٌ وَلَا يُغْنِي السَّحْرُ حَيْثُ أَنْفَىٰ ﴿١٨٨﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ جُؤَدًا قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿١٨٩﴾ قَالَ ءَأَمْسَمُ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّهُمْ لَكَبِيرٌمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ ءَأَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا تُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُؤَدِ السَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ إِنَّمَا أَشَدُّ ءَأَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿١٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْذِرَكَ عَلَيَّا مَا ءَأَجَاءَنَا مِنَ الْبَيْنَتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيوةَ الدُّنْيَا ﴿١٩١﴾﴾ [طه].

وانظر سورة الشعراء: (٤٥ - ٥١).

(٣) وتامم الآية: ﴿وَقَدْ ءَأَجَاءَكُمْ بِالْبَيْنَتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾.

يضرك كذبه، وإن يكن صادقاً يصبك أمر عظيم، ويخشى عليك من الخطر فوعظه كثيراً، فأعرض عن موسى ولم يتعرض له بسوء، وبقي مُصِراً على تجبره وادعائه الربوبية، واستضعافه بني إسرائيل. وكان المؤمنون بموسى ﷺ مستضعفين مستخفين في أرض مصر لقوة فرعون وجنوده، فدعا موسى لربه قائلاً كما قصَّ الله - جلَّ شأنه - خبره في كتابه (١) المكنون بقوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْتَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس].

ثم إن موسى ﷺ كان يدعو فرعون وقومه إلى توحيد الله تعالى وتعظيمه، ويطلب منهم أن يرسلوا معه بني إسرائيل ليذهب بهم إلى وطنهم الأصلي، ومسكن أبيهم الخليل ﷺ، فأبوا عن ذلك فدعا عليهم، فأرسل الله - جلَّ شأنه - عليهم طوفاناً عظيماً فأغرق بيوتهم ودخل الماء عليهم في كل موضع فالتجؤوا إلى موسى ﷺ وسألوه أن يسأل الله - جلَّ وعلا - أن يكشف ما بهم، إن كشف عنهم آمنوا به، وأرسلوا معه بني إسرائيل، فكشف الله - جلَّ شأنه - عنهم ذلك، وأنبت الأرض أضعاف ما تنبته من المعتاد فطغوا بذلك، وقالوا: هذه كانت علينا نعمة، فدعا عليهم بالجراد فأتاهم من كل موضع وأكل زروعهم، فسألوا موسى ﷺ أن يدعو لهم ويؤمنوا ويرسلوا معه بني إسرائيل، فلما كشف ما بهم عادوا إلى ما هم عليه.

فدعا عليهم بالقمل فكثُرَ فيهم، وأهلكهم وأتبعهم، فسألوا موسى ﷺ فكشف ذلك وأن يؤمنوا، فدعا لهم فكشف عنهم فلم يرجعوا عما هم عليه. فدعا عليهم بالضفادع فامتلأت منازلهم وأماكنهم بها، فسألوه فكشف ذلك ويؤمنوا، فكشف الله - جلَّ شأنه - عنهم فلم يرجعوا. فدعا عليهم بالدم فامتلأت منازلهم ومواطنهم دماً، فسألوا فكشف ذلك، وأن يؤمنوا، فدعا لهم، فكشف الله عنهم فلم يرجعوا (٢).

(١) في (ح): «كتاب».

(٢) وذكره ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٦٥/١ بنحو ما ذكره المؤلف:

فرجع عدو الله فرعون حين آمنت السحرة مغلوباً مفلولاً، ثم أبى إلا الإقامة على الكفر والتمادي في الشر، وتتابع الله عليه بالآيات، فأخذه بالسنين، فأرسل عليه الطوفان ثم =

ثم إن موسى ﷺ طلب منهم أن يصنع عيداً لله تعالى ويخرج هو وبنو إسرائيل إلى خارج مصر، فاستعار بنو إسرائيل من القبط مصاعاً وحلياً لعرس لهم^(١) على أنهم يصنعوه ويعودوا إلى مصر، فتوجه موسى ﷺ بهم وكانوا ستمائة ألف رجل والنساء والأطفال، وتوجهوا إلى خارج مصر وقصد المسير إلى الأرض المقدسة، وكانت ليلة خروجهم ألقى الله - جلّ شأنه - الموت على أبكار القبط فماتوا جميعهم^(٢)، فاشتغل القبط بدفنهم، وسار موسى ﷺ في ساقية بني إسرائيل، وسار هارون في مقدمتهم، فبلغ فرعون قصدهم، فخرج

= الجراد ثم القمل ثم الضفادع ثم الدم آيات مفصلات:

فأرسل الطوفان وهو الماء ففاض على الأرض ثم ركذ لا يقدرين على أن يخرجوا ولا يعلموا شيئاً فلما بلغهم ذلك ﴿قَالُوا يَمُوسَى اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يَمَا عَهْدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الْجَرَبَ كُتُومِنَّا لَكَ وَلَتَرْسِلَنَّا مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف: ١٣٤] فدعا موسى ربه فكشفه عنهم، فلما لم يفوا به بشيء فأرسل الله عليهم الجراد فأكل الشجر فيما بلغني حتى أن كان ليأكل مسامير الأبواب من الحديد فقالوا مثل ما قالوا: فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا. فأرسل الله عليهم القمل... حتى غلب على البيوت الأظعمة ومنعهم النوم والقرار، فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا له، فدعا ربه فكشف عنهم. فلما لم يفوا له بشيء مما قالوا أرسل الله عليهم الضفادع، فملأت البيوت الأظعمة والآنية...، فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا، فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دمماً لا يسقون من بئر ولا نهر يغترفون من إناء إلا عاد دمماً.

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الْجَرَبُ قَالُوا يَمُوسَى اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يَمَا عَهْدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الْجَرَبَ كُتُومِنَّا لَكَ وَلَتَرْسِلَنَّا مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿١٣٤﴾ ﴿لَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْجَرَبَ إِلَّا أَجَلٍ لَهُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ ﴿١٣٥﴾ [الأعراف].

(١) هذا الكلام مأخوذ من أهل الكتاب كما ذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٧٠/١

حيث يقول:

قال المفسرون وغيرهم من أهل الكتاب: استأذن بنو إسرائيل فرعون في الخروج إلى عيد لهم، فأذن لهم وهو كاره ولكنهم تجهزوا للخروج وتأهبوا له، وإنما كان في نفس الأمر مكيدة بفرعون وجنوده ليتخلصوا منهم ويخرج عنهم، وأمرهم الله تعالى - فيما ذكره أهل الكتاب - أن يستعبروا حلياً منهم فأعاروهم شيئاً كثيراً فخرجوا بليل فساروا مستمرين ذاهبين من فورهم طالبيين بلاد الشام.

(٢) وقد ذكره الثعلبي في العرائس: ١١١ بنحو ما ذكره المؤلف.

وقد قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٧٥/١ أنه عن أهل الكتاب:

وعند أهل الكتاب... قالوا: وقتل الله ﷻ في تلك الليلة أبكار القبط وأبكار دوابهم؛ ليشتغلوا عنهم... فخرجوا وهم ستمائة ألف رجل سوى الذراري بما معهم من الأنعام.

في طلبهم في ألف ألف وسبعمائة ألف، فلما رأى بنو إسرائيل قرب فرعون منهم وقدموا^(١) على موسى ﷺ قائلين: كنا راضين بعبودية القبط ولا يهلكونا، وكان البحر أمامهم وليس طريق غيره، فضرب موسى ﷺ البحر بعصاه فانفلق بإذن الله ﷻ، وصار لهم طريق فيه، فمروا فيه، وأتى فرعون وجنوده فمشوا في البحر، فلما خرج بنو إسرائيل من الطريق الآخر انطبق البحر على فرعون وجنوده فأغرقهم جميعاً، وورث بنو إسرائيل أموال القبط ودورهم ومساكنهم وصاروا ملوكاً بعد أن كانوا مملوكين^(٢).

وأوحى الله ﷻ إلى موسى ﷺ أن يتوجه إلى طور سيناء، فيأتي بني إسرائيل بكتاب من عند الله فيه جميع ما يحتاجون إليه من الأحكام والشرائع والنوامس، وهي التوراة، وهي أول كتاب أنزل من عند الله - جلّ شأنه - وما

(١) الواو ساقطة من (هـ).

(٢) هذا القول عن أهل الكتاب كما ذكر ابن كثير في قصص الأنبياء: ٩١/٢ وهو

موافق للقرآن:

قالوا: ولما خرج بنو إسرائيل من مصر خرجوا على طريق بحر فانتهى بهم الطريق إلى ساحل البحر فنزلوا هنالك وأدركهم فرعون وجنوده، فقلق كثير من بني إسرائيل حتى قال قائلهم: كان بقاؤنا بمصر أحب إلينا من الموت بهذه البرية، فقال لهم موسى: لا تخشوا فإن فرعون وجنوده لا يرجعون إلى بلدكم بعد هذا. وأمر الله موسى ﷺ أن يضرب البحر بعصاه وأن يقسمه ليدخل بنو إسرائيل في البحر واليبس، وصار الماء من هاهنا وهاهنا كالجبلين وصار وسطه ييساً؛ لأن الله سلط عليه ريح الجنوب والسموم، فجاز بنو إسرائيل البحر وأتبعهم فرعون وجنوده فلما توسطوه أمر الله موسى ﷺ بضرب البحر بعصاه، فرجع الماء كما كان.

وكفانا ما حكاه الله تعالى عنه لنا في كتابه العزيز.

فقال تعالى:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكَ مُتَّبِعُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَتَابَيْنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ هَذِهِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٨﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٦٠﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَابِرَ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتَوْهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَا الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَزِيلُهُ بِأَنفَالِهِمْ ﴿٦٢﴾ وَأَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ هَارُونَ ﴿٦٣﴾ وَجَعَلْنَا لِمِيسَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ آيَةً ﴿٦٤﴾ وَجَعَلْنَا مِثْلَهُ لِمُوسَىٰ إِذِ انبَغَضَ عَلَيْهِ أَهْلَ الْكُفْرِ الْأَكْثَرِ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَا لَمُوسَىٰ الْآيَةَ إِذِ انبَغَضَ عَلَيْهِ أَهْلَ الْكُفْرِ الْأَكْثَرِ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْءُونَ ﴿٦٨﴾ [الشعراء].

وانظر سورة طه: (٧٧ - ٧٨)، وسورة الدخان: (٢٣ - ٢٨).

قبلها من كتب الأنبياء تسمى صحفاً، وكانت التوراة وقر بعير، وهي سبعون سفرًا، يذكر في كل سفر منها نوعاً من الأنواع: مثل: المبدأ والمعاد والتوحيد والأحكام، فتوجه موسى ﷺ ووعدهم^(١) أن يغيب عنهم ثلاثين يوماً يناجي فيها ربّه ويأتيهم بكتاب من عنده، فتوجه إلى طور سيناء وأقام بجبل الطور تسعة وعشرين يوماً صائماً طاوياً، وفي اليوم التاسع والعشرين استاك بعود الحزون، فقال له الملائكة: قد تغيّر ربح فمك، وأمر بزيادة عشرة أيام، وكانت الثلاثين يوماً شهر ذي القعدة والعشر الزيادة هي العشر من ذي الحجة فتمم الأربعين يوماً على وجه الطي والسهر، وفي هذه العشرة اضطرب بنو إسرائيل: وقالوا: وعدنا موسى ﷺ بثلاثين يوماً فلم يجئ، وزعموا أنه مات، وكان السامري: واسمه موسى بن ظفر^(٢) رجلاً صائغاً، فمر به فارس لا يمر ببقعة من الأرض إلا اخضرت، فعلم أنه ليس من البشر، ووقع في نفسه أنه لا يوضع هذا التراب الذي وقع عليه حافر الفرس في شيء إلا حي، فأخذ منه قبضة واستعار من بني إسرائيل مصاعاً الذي أخذوه من القطب، وصيغه عجلًا ورصعه بالجواهر وألقى في جوفه شيئاً من ذلك التراب، فخار وتحرك، فدعى بني إسرائيل قائلاً: هذا إلهكم يا بني إسرائيل الذي ذهب موسى إليه، فعبدوا العجل في تلك المدة^(٣)، فلما عاد موسى ﷺ ومعه الألواح مكتوب فيها جميع ما يحتاج، وكانت اثني عشر لوحاً.

(١) في (هـ): «وأوعدهم».

(٢) هو: موسى بن ظفر السامري كان عظيماً من عظماء بني إسرائيل من قبيلة تعرف بالسامرة، وكان منافقاً يظهر الإيمان ويبطن الكفر. انظر: تفسير الآلوسي: ٢٤٤/١٦.

(٣) وفي ظلال القرآن للسيد قطب: ٤٩١/٥، ٤٩٣.

أخذ السامري الحلي فصاع منها عجلًا، وجعل له منافذ إذا دارت فيها الريح أخرجت صوتاً كصوت الخوار، ولا حياة فيه ولا روح فهو جسد، فما كادوا يرون عجلًا من ذهب يخور حتى نسوا ربهم الذي أنقذهم من أرض الذل وعكفوا على عجل الذهب قالوا: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾ [طه: ٨٨] راح عنه على الجبل، وهو هنا معنا، وقد نسي موسى الطريق إلى ربّه وضلّ عنه.

والذي يتردد كثيراً في هذه الروايات أنه رأى جبريل ﷺ فقبض قبضة من تحت حافر فرسه، فألقاها على عجل الذهب، فكان له هذا الخوار، أو أنها هي التي أحالت كوم الذهب عجلًا له خوار..

والقرآن لا يقرر هنا حقيقة ما حدث، إنما هو يحكي قول السامري مجرد حكاية، ونحن =

فلما رأى ما صار منهم غضب لذلك، وألقى الألواح فتكسرت^(١) وأقبل يوبخ أخاه، فاعتذر إليه بأنهم لم يقبلوا نصيحتي، وأمر موسى بالعجل فبرد^(٢) بالمياه وألقاه في النيل وأمرهم أن يشربوا منه^(٣)، فأوحى الله - جلّ شأنه - إليهم إن أرادوا قبول التوبة فليقتل بعضهم بعضاً فامتثلوا، وأنزل الله - جلّ شأنه - سحابة سوداء فصار لا يرى بعضهم قريبه أو أباه أو أخاه، فلما طال القتل فيهم تضرع موسى ﷺ وأخوه هارون لحضرة الأزل، فكشف السحابة ونهوا عن القتل، فكان المقتول منهم نحواً من سبعين ألف رجل^(٤).

= نميل إلى اعتبار هذا عذراً من السامري وتملصاً من تبعة ما حدث، وأنه هو صنع العجل من الذهب الذي قذفه بنو إسرائيل من زينة المصريين التي أخذوها معهم، وأنه صنعه بطريقة تجعل الريح تصوت في فراغه فتحدث صوتاً كالخوار، ثم قال حكاية أثر الرسول يبرر بها موقفه، ويرجع الأمر إلى فطنته إلى أثر الرسول. وفي آية حال، فقد أعلنه موسى ﷺ بالطرده من جماعة بني إسرائيل مدة حياته، ووكّل أمره بعد ذلك إلى الله، وواجهه بعنف في أمر إلهه الذي صنعه بيده، ليرى قومه بالدليل المادي أنه ليس إلهاً، فهو لا يحمي صانعه، ولا يدفع عن نفسه.

قال تعالى: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ يُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِمًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٧٧﴾﴾ [طه]، وعلى مشهد الإله المزيف يحرق وينسف، يعلن موسى ﷺ حقيقة العقيدة: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٧٨﴾﴾ [طه].

(١) ذهب المؤلف إلى أن الألواح موسى ﷺ انكسرت حين ألقاها غضباً لقومه عندما رأى ما هم عليه من عبادة العجل، هذا القول هو ما قاله أهل الكتاب. واستدل بعضهم بقوله تعالى: ﴿وَفِي شَجَاجَتِهَا﴾ [الأعراف: ١٥٤] على أنها تكسرت وفي هذا الاستدلال نظر، وليس في اللفظ القرآني ما يدل على أنها تكسرت. انظر: البداية والنهاية: ٢٧٧/١، ٢٧٨.

(٢) وهو قول علي وابن عباس وغيرهما ﷺ وهو نص أهل الكتاب. انظر: قصص الأنبياء لابن كثير: ١٢٣/٢.

(٣) في (ح): «يشربون منه».

(٤) فقد ذكر الله تعالى قصة العجل في القرآن الكريم، فقال تعالى:

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ لِمَ بَعَدَكُمْ رَبِّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَظُنَّ عَلَيْكُمْ الْمَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يُمَلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرْفًا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْكَ عَاكِفِينَ حَتَّى

ورجع موسى ﷺ إلى طور سيناء ثانياً واختار كبار بني إسرائيل^(١) سبعين رجلاً^(٢)، فجلسوا في آخر الجبل، وصعد موسى ﷺ إلى أعلاه، فطلبوا من موسى ﷺ أن يرى الله هو وإياهم، فلما حصل التجلي الإلهي صار الجبل هباء^(٣) ومات السبعون جميعهم وغشي على موسى ﷺ، فلما أفاق من

= رَجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (٤١) قَالَ يَهْدُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٤٢) أَلَا تَتَّبِعُنَّ أَفْعَصَيْتُ أَمْرِي (٤٣) قَالَ يَنْتَوُكُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (٤٤) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِعُنِي (٤٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (٤٦) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ نُغْلِقَهُ وَأَنْظُرَ إِلَيْكَ إِلَهَكَ الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاقِبًا لَنْ نُحَرِّقَهُ ثُمَّ لَنْ نَسْفَعَهُ فِي أَلْبَسِهِ (٤٧) إِنَّكَ إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (٤٨) [طه].

وانظر سورة الأعراف: (١٤٨ - ١٥٣)، وسورة البقرة: (٥١ - ٥٢).

(١) في (ح): «واختار بني إسرائيل».

(٢) وذلك قوله تعالى: «وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِنِّي لَأَتَّبِعُكَ بِمَا فَعَلْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مَتَى إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تُشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥)» [الأعراف]. وقوله تعالى: «وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى إِلَهَكَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٩٥)» [البقرة].

وفي تفسير ابن كثير: ١/١٦٣، ٣/٢٢٦: قال محمد بن إسحاق: اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلاً الخير فالخير، وقال: انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم، صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم، فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم، فقال له السبعون حين صنعوا ما أمرهم به، وخرجوا معه للقاء ربه: اطلب لنا نسمع كلام ربنا، فقال: أعمل، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله، ودنا موسى فدخل فيه، وقال للقوم: ادنوا وكان موسى إذا كلمه الله وقع على جبهة موسى نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه، فضرب دونه بالحجاب، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه أفعَل ولا تفعل، فلما فرغ إليه من أمره وانكشف عن موسى الغمام فأقبل إليهم فقالوا: يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة، وهي الصاعقة فالتقت أرواحهم فماتوا جميعاً، فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ويقول: رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإيائي قد سفهوا أفتهلك من ورائي من بني إسرائيل.

(٣) حصول التجلي الإلهي ليس في ذهاب موسى إلى طور سيناء الثاني، بل ذهابه الأول. وذلك قوله تعالى: «وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (٢٤)» [الأعراف]. =

غشوته، سأل الله - جلّ شأنه - إحياء السبعين فأحياهم الله - تبارك وتعالى - (١)، ورجع موسى ﷺ بالمواعظ والأحكام إلى بني إسرائيل، فأظهر فيهم أحكام الله - جلّ شأنه -، ودعاهم إلى عبادته، فامتنع من ذلك قومه ولم يمتثلوا، فرجع الله ﷻ بدعاء موسى ﷺ جبلاً عظيماً حتى أظلمهم وعلا عليهم فحينئذ امتثلوا وانقادوا (٢).

ووقع لموسى ﷺ بمصر قصص جلييلة:

منها: قصة البقرة (٣): وكان سبب هذه القصة أن رجلاً من بني إسرائيل كان غنياً، وكان له ابن عم فقير وليس له وارث غيره، فطال عمر الغني، واستبطأ وارثه ذلك فقتله ليلاً ورماه في محلة أخرى، وأصبح يدّعي أهل ذلك المنزل الذي وجد القتيل عندهم إلى موسى ﷺ، واختلفوا بنو إسرائيل في ذلك،

= أما قصة موت السبعين فذلك عندما طلبوا من موسى أن يروا الله تعالى جبهة فأخذتهم الصاعقة قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تُنظَرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥].

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَمَلَكِكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٥١) [البقرة]. وفي تفسير ابن كثير: ١/١٦٢: وقال السدي: فأخذتكم الصاعقة، فمات السبعون، فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول: رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِنِّي أَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ إِذْ مَا﴾، فأوحى الله إلى موسى: إن هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجل، ثم إن الله أحياهم فقاموا وعاشوا رجلاً رجلاً ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَمَلَكِكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٥١).
(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَفَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٧١) [الأعراف].
وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٣) [البقرة].

(٣) ذكر الله تعالى قصة البقرة في كتابه العزيز فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْتِيكُمْ أَنْ تُدْبِحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَلْجِدُنَا هَرُودًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٧١) قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ وَلَا يَكْرُ عَوَائِي بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ (٧٢) قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْتُهَا سَسْرُ الْأَنْطِرِيِّ﴾ (٧٣) قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ (٧٤) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْتَمِي الْمَرْتُ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا لَنْ نَجِدَ بِالْحَقِّ فَدْبِحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧٥) وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرَيْنَا فِيهَا وَاللَّهُ خَرَجَ مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٧٦) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقِينَ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذِيقَهُمْ نِعْمَةً مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧٧) [البقرة].

فأوحى الله - جلّ شأنه - إلى موسى ﷺ أن اذبحوا بقرة، وخذوا قطعة منها واضربوا به قبر الميت؛ فإنه يخبركم من قتله، فلما أخبرهم موسى ﷺ بذلك استبعدوا قوله، فسألوه عن صفة البقرة، فأخبرهم أنها بقرة لا كبيرة ولا صغيرة. فسألوه عن لونها، فأخبرهم أنها صفراء، وسألوه سائمة أم عاملة فأخبرهم أنها سائمة. وكان سؤالهم لحكمة إلهية؛ وهو أن هذه البقرة الموصوفة بهذه الصفة كانت لغلام يتيم لما قربت وفاة والده أخذ هذه البقرة، وذهب بها إلى غيضة^(١) فاستودعها الله تعالى لابنه حتى يكبر، وكان ذلك الغلام شاباً باراً^(٢) بوالدته، فقالت له يوماً: إن أباك استودع لك في غيضة كذا البقرة فنادها، فذهب فنادها فأتت إليه، فسار بها إلى أمه، فقالت له^(٣): بعها بثلاثة دنانير بشورتي، فبعث الله - جلّ شأنه - ملكاً فقال له: بكم تبيع البقرة؟ فقال: بثلاثة دنانير وأستامر والدتي، فقال له الملك: بستة دنانير ولا تستأمرها، فقال له: لو أعطيتني وزنها ذهباً لم آخذ إلا برضا والدتي، فردها إلى والدته، وأخبرها، فقالت: بعها بستة دنانير مع الاستثمار، فراوده الملك بزيادة ضعف الثمن، فلم يفعل إلا باستثمار والدته، فقالت له أمه: إن الذي يأتيك هذا ملك، فاسأله: أبيعها أم أبقئها، فسأله فقال له: أبقئها؛ فإن بني إسرائيل يحتاجون إليها فستبيعها بملء مسكها^(٤) ذهباً. فلما رآها بنو إسرائيل دفعوا إليه فيها ثمناً، فأبى أن يبيعها إلا بملء جلدها ذهباً، ووسع الله - جلّ شأنه - الجلد حتى حمل أضعاف ما هو حامل، ثم ذبحوها وضربوا ببعضها قبر الميت، واسمه عاميل، فأحياه الله - جلّ شأنه -، وقال: قاتلي فلان، ثم رجع ميتاً فعرفوا القاتل واقتصوا منه^(٥).

(١) غيضة: أي غابة ذات شجر كثير. انظر: اللسان، مادة: (غيض): ٢٠٢/٧.

(٢) في (ح): «البر».

(٣) كلمة «له» ساقطة من (ح).

(٤) المسك: بالفتح وسكون السين الجلد. انظر: اللسان مادة: (مسك): ٤٨٦/١٠.

(٥) إن قصة البقرة وردت فيها روايات ذكرها المفسرون في تفاسيرهم، وقد بسط ابن كثير في تفسيره: ١٨٨/١ روايات عن عبدة وأبي العالية والسدي وغيرهم، وقد ذكر في البداية والنهاية: ٢٩٣/١، ٢٩٤ هذه القصة بنحو ما ذكره المؤلف.

وقال ابن كثير في تفسيره بعد ذكر روايات عن عبدة، وأبي العالية والسدي وغيره: =

ووقع لموسى ﷺ أيضاً بمصر أنه قام خطيباً في بني إسرائيل^(١)، فوعظهم وذكر علوماً عظيمة ومعارف جليلة، فقالوا له: يا نبي الله من أعلم الناس؟ فقال: «أنا»، ولم يرد العلم إلى الله - جلّ شأنه -، فأوحى الله إليه، أنك ما أعدت العلم إليّ، وإن لي عبداً من عبادي هو أعلم منك يقال له: الخضر. فلما قال الله - جلّ شأنه - له ما قال طلب من الحق أن يجتمع به، فقال له الحق - جلّ وعلا -: اطلبه عند مجمع البحرين^(٢)، فعلامة اجتماعك بأن تأخذ حوتاً فتسناه.

= هذه السياقات عن عبيدة وأبي العالية والسدي وغيره فيها اختلاف ما، والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل، وهي مما يجوز نقلها ولكن لا تصدق ولا تكذب فهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا، الله أعلم.

(١) قصة موسى والخضر ﷺ ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم.

فقال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ أَبْرِحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿١٦﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿١٧﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاةَا لَقَيْنَا مِنْ سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿١٨﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا السَّفِيطُنُ أَن أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿١٩﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْتَدَّا عَنْ ءَآثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٢٠﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَأْتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٢١﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَن تَعْلَمَ مِنِّي وَمَا عَلَّمْتَنِي رُشْدًا ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٢٣﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا ﴿٢٤﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْخِفْ عَنِّي حَتَّىٰ أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٢٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقُوهَا قَالَ أَرْقُبْهَا لِغُرُقِ أَهْلِهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٢٧﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٢٨﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُثْرًا ﴿٢٩﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٣٠﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٣١﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٣٢﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَنَّىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلِهَا فَأَبَوا أَن يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنْقُضَ فَاقْسَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٣٣﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٣٤﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَن أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٣٥﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِيتَا أَن يَرْفُوهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٣٦﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبَدِّلَهُمَا رُحْمًا حَرًّا مِنْهُ زَكَاةٌ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٣٧﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٣٨﴾ [الكهف].

(٢) أصل هذه القصة في البخاري إلا أن المؤلف زاد بعض الأسماء التي لا توجد في القرآن ولا في الحديث.

فتوجه موسى ﷺ واستتبع معه تلميذه يوشع بن نون^(١)، وقال له: أنا طالب الاجتماع بهذا الشخص، ولو مضى عليّ حقباً من السنين، فلما وصلا إلى مجمع البحرين نام موسى ﷺ عند صخرة، وكان معهما حوت في مكنت^(٢)، ثم قام من نومه فتوجه وتوجه معه يوشع، ونسيا الحوت في محله فسارا، وكان موسى قد تعب وجاع فطلب الحوت، فأخبر يوشع بنسيانه وخشي من ذلك، فقال موسى ﷺ: هذا مطلوبنا، ورجعا فوجدا رجلاً عند مجمع البحرين، فسلم موسى ﷺ وقال له: إني أريد أتبعك وأتعلم منك،

= وهذه رواية صحيح البخاري:

قال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا عمرو قال أخبرني سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوقاً البكالي يزعم أن موسى ليس بموسى بني إسرائيل، إنما هو موسى آخر.

فقال: كذب عدو الله، حدثنا أبي بن كعب عن النبي ﷺ: «قام موسى النبي خطيباً في بني إسرائيل، فستل: أي الناس أعلم، فقال: أنا أعلم، فعتب الله عليه إذ لم يرّد العلم إليه، فأوحى الله إليه: أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال: يا رب وكيف به؟ فقيل له: احمل حوتاً في مكنت، فإذا فقدته فهو ثمّ. فانطلق وانطلق بفتاه يوشع بن نون، وحملا حوتاً في مكنت، حتى كانا عند الصخرة وضعا رؤوسهما وناما، فانسل الحوت من المكنت فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وكان لموسى وقتاه عجباً، فانطلقا بقية ليلتهما ويومهما، فلما أصبح قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً. ولم يجد موسى مساً من النصب حتى جاوز المكان الذي أمر به. فقال له فتاه: أرايت إذ أويانا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت. قال موسى: ذلك ما كنا نبغي، فارتدأ على آثارهما قصصاً، فلما انتهيا إلى الصخرة إذا رجل مسجى بثوب - أو قال: تسجى بثوب - فسلم موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى، فقال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم. قال: هل أتبعك على أن تعلمني بما علمت رشداً. قال: إنك لن تستطيع معي صبراً، يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمك لا أعلمه. قال: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ليس لهما سفينة، فمرت بهما سفينة، فكلموهم. . انظر: صحيح البخاري، كتاب العلم باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله: ٣٨/١.

(١) هو: يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ﷺ. ذكره ابن كثير في البداية والنهاية: ٣١٩/١.

(٢) المكنت والمكنتلة: الزنبيل الذي يحمل فيه التمر أو العنب إلى الجرين. انظر: اللسان مادة: (كنت): ٥٨٣/١١.

فقال له: إنك لا تقدر على متابعتي وصحبتني. فقال له موسى ﷺ: ستراني إن شاء الله قادراً على صحبتك، فمرت بهم سفينة عظيمة فطلبوا أهلها أن يحملوهم^(١)، فلما استقروا فيها أخذ الخضر ﷺ قدوماً فكسر لوحاً من ألواح السفينة وأخرجه، فأنكر عليه موسى ﷺ قائلاً له: قوم حملونا وأكرمونا تعيب سفينتهم! فقال له: ما قلت لك: إنك ما تقدر على مرافقتي، فاستغفر موسى ﷺ له، وقال: قد نسيت فلا تؤاخذني، ثم خرجا من السفينة ومشيا في مدينة، فرأيا غلاماً حسن الصورة بديع الشكل، واسمه حيسون، فجذب الخضر عنقه فاقتلعها من جسده فرماه ميتاً، فأنكر عليه موسى ﷺ قائلاً: أتقتل غلاماً بلا سبب؟ فقال له: ألم أخبر أنك لا تقدر على مرافقتي. فقال له موسى ﷺ: لا أعود، وإن عدت فلا تصحبني أبداً.

فخرجوا مشياً وانتقلا من موضع إلى موضع حتى وصلا إلى مدينة أنطاكية وهما جياع، فطلب أن يضيفوهما فلم يضيفوهما، فخرجوا منها فوجد الخضر ﷺ جداراً مائلاً يكاد^(٢) أن يقع، فمسح بيده عليه فاستقام كأحسن ما يكون، فقال له موسى ﷺ: لو أخذت أجره منهم فأكلنا بها فكان خيراً، فقال له الخضر: هذا فراق بيني وبينك، ولكن اجلس فسأخبرك عما صنعت معك.

أما السفينة فهي لمساكين يعملون في البحر، وأن ملكاً جباراً يغضب السفائن التي تعجبه، فخرقي لها حتى أعياها فلا تعجبه ولا يأخذها.

وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين صالحين، وكان هو في علم الله شقياً كافراً، فعلم الله - جلّ شأنه - أنه يتعب أبويه ويؤذيهما، فأرحتهما منه بأمر الله تعالى، ويعوضهما الله - جلّ شأنه - خيراً منه.

قيل: إنه عوضهما الله - جلّ شأنه - بنتاً تزوجت بنبي من الأنبياء، فأنت بنبي عظيم هدى الله - جلّ شأنه - به أمماً عظيمة.

وأما الحكمة في عمارة الجدار؛ فإنه كان ليتيمين: واسمهما أصرم وصريم^(٣)، وكان تحته كنز لهما من ذهب، وكان أبو الغلامين رجلاً صالحاً،

(١) في (ح): «أن يحملو لهم».

(٢) في (ح): «لا يكاد».

(٣) ذكرهما السهيلي في التعريف والإعلام: ١٠٥. وانظر: قصص الأنبياء لابن كثير: ١٤٩/٢.

واسمه كاشخ^(١)، قيل: كان بينهما وبين الأب الذي حُفظا به سبعة آباء^(٢)، فعمرت الجدار كيلا ينكشف الكنز، وإذا بقي على حاله، كبر الغلامان فيأخذه، ثم قال له الخضر عليه السلام: كل هذه الأشياء ما فعلتها إلا بأمر الله تعالى.

وقد كان الخضر عليه السلام أعدّ لموسى عليه السلام مائة مسألة من هذه المسائل، ولكن استحيى موسى فقال: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ [الكهف: ٧٦] يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يرحم الله أخي موسى استحيى، فقال ذلك: لو لبث مع صاحبه لبصر عجب الأعاجب»^(٣).

ووقع لموسى عليه السلام في هذه المدة قضية قارون^(٤)، وكان موسى عليه السلام أمر بني إسرائيل بأمر فقبلوا ولم يقبل قارون. وقال: إنما أردت أن تتميز على بني

(١) انظر: التعريف والإعلام: ١٠٥، وقصص الأنبياء: ١٤٩/٢.

(٢) وقيل: الأب العاشر. قال ابن كثير: وعلى كل تقدير: فيه دلالة على أن الرجل، الصالح يحفظ في ذريته والله المستعان. انظر: قصص الأنبياء لابن كثير: ١٤٩/٢.

(٣) أخرجه البخاري بمعناه في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليه السلام: ١٢٩/٤.

(٤) هو: قارون بن بصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب، كان من عشيرة موسى بن عمران عليه السلام وهو ابن عمه لأبيه وأمه، وموسى: هو ابن عمران بن قاهث، كذا نسبه ابن جريج. وقال: وهذا قول أكثر أهل العلم. انظر: تفسير ابن جرير: ١٠٥/٢٠، والبداية والنهاية: ٣٠٩/١.

وقصة قارون مع موسى عليه السلام ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز. قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مِصْرَ فَبَعِيَ عَلَيْهِمْ وَآيَاتِهِ مِنَ الْكُؤُوبِ مَا إِنَّ مَفَاحِمَهُ لَسَوَاءٌ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغَى فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمًّا وَلَا يُنْقَلُ عَنْ دُونِهِمْ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلِّغْنَا لَنَا مَا نَحْنُ بِرَأْيِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا نَحْنُ بَلَغْنَا عَلَيْكُمْ وَأَنْشِئْ لَنَا بِنَاءً يُصَلِّهِمْ ﴿٧٩﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ فَأَخْرَجْنَا لَهُ مِنْ دُونِهَا دَارًا فَدَارَ فِيهَا بِطِينٍ لَمْ يَصْلُحْ إِلَّا لِبَنَاتِهِ لَمَّا نَسُوا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَأَصْحَابُ الدُّنْيَا سَمِعُوا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ وَأَنْبَأَهُمْ اللَّهُ بِقَوْلِهِمْ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيُنَادِي السَّمَاءَ بِنُحْبَاتِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ يَجْمَعُنَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف].

إسرائيل بهذه الشارة، فتركه موسى ﷺ ولم يتعرض له لقربته .

ولما قطع موسى ﷺ ببني إسرائيل البحر، فعاد إلى أرض مصر، أمره الله - جلّ شأنه - أن يتخذ الله بيتاً وهو المسجد^(١)، وأن يفرش بالفرش العظيمة وتوقد فيه السراج، وأن يكون أمر خدمته وأمر القرايين التي تهدي إليه راجعاً إلى أخيه هارون وبنيه، وتسمى هذه الخدمة الحبور، فازداد بغى قارون عند ذلك، وخاطب موسى ﷺ قائلاً له^(٢): لك الرسالة والنبوة ولأخيك الحبور

(١) قلت: إن القول بأن موسى رجع إلى مصر بعد قطعه هو وبنو إسرائيل البحر واتخذه المسجد، كلام غير صحيح ومخالف لظاهر القرآن.

أولاً: إن قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَ لِقَوْمِكَ مِعْرَ بَيْتًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس] هذا الإيحاء قبل قطع موسى البحر حيث إن فرعون لم يزل جباراً متكبراً في الأرض بسبب كثرة زهرة الدنيا وحطامها حتى طلب موسى الله ﷻ أن يطمس على أموالهم وأن يشدد على قلوبهم. وذلك قوله تعالى بعد ذلك الإيحاء مباشرة: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ مَأْتِيَتِ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس].

وقد أجاب الله دعاءهما أي موسى وهارون ﷺ وجاوز بهما وبني إسرائيل البحر، وأغرق فرعون وجنوده. قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَجِيبَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٨٨] ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ مَا مَتَّ أَنْتُمْ لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٩٠].

ثانياً: وفي البداية والنهاية: ٣٠١/١: إن موسى ﷺ لما انفصل من بلاد مصر وواجه بلاد بيت المقدس، وجد فيها قوماً من الجبارين، فأمرهم موسى ﷺ بالدخول عليهم ومقاتلتهم وإجلانهم إياهم عن بيت المقدس، فأبوا واكلوا عن الجهاد، فسلط الله عليهم الخوف، وألقاهم في التيه يسرون ويحلون ويرتحلون ويذهبون ويجيئون أربعون سنة ﴿فَأَنهَآ حَرَمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦].

ويقال: إنه لم يخرج أحد من التيه ممن دخله، بل ماتوا كلهم في مدة أربعين سنة، ولم يبق إلا ذراريهم، سوى يوشع وكالب ﷺ.

(٢) وفي روح المعاني: ١١٠/٢٠:

كان قارون أحفظ بني إسرائيل للتوراة وأقرأهم، لكنه نافق كما نافق السامري؛ وقال - أي قارون -: إذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان لهارون فما لي؟

وروي أنه لما جاوز بهم موسى ﷺ البحر، وصارت الرسالة والحبور لهارون يقرب القربان ويكون رأساً فيهم، وكان القربان إلى موسى ﷺ فجعله لأخيه هارون ﷺ وجد قارون في نفسه فحسدهما، فقال لموسى: الأمر لكما ولست على شيء إلى متى أصبر؟ =

وليس لي شيء؟! لا صبر لي. فقال له موسى ﷺ: ليس ذلك مني إنما هو بأمر الله تعالى واختياره. فطلب من موسى علامة على ذلك، فطلب موسى ﷺ عصا هارون وعصا قارون عصياً كثيراً من كبراء بني إسرائيل فحزمتها وياتت جميعها عنده، فأصبح قضيب هارون معتزلاً مورقاً خضراً فرآه الحاضرون فنسب قارون ذلك إلى السحر، وازداد حقه وحسده وبغيه، وأقبل على جمع الدنيا والغرور بها والامثال إليها، فنصحه موسى ﷺ والعاملون من قومه، وأخبروه أن هذه نعمة من الله ﷻ. ثم لما فرض الله - جلّ شأنه - الزكاة على بني إسرائيل^(١) وطلبه موسى بذلك ازداد بغى قارون ولم تطاوعه نفسه على إعطاء

= قال موسى ﷺ: هذا صنع الله تعالى، قال: والله لا أصدقك حتى تأتي بآية، فأمر رؤساء بني إسرائيل أن يجيء كل واحد بعصاه، فحزمتها وألقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها، وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فأصبحوا، وإذا بعصا هارون تهتز ولها ورق أخضر، وكانت من شجر اللوز. فقال قارون: ما هو أعجب مما تصنع من السحر.

(١) وفي تفسير الآلوسي: ١٢٢/٢٠: عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما -: إن قارون كان ابن عم موسى ﷺ، وكان يتبع العلم حتى جمع علماً، فلم يزل في ذلك حتى بغى على موسى ﷺ وحسده، فقال موسى: إن الله تعالى أمرني أن آخذ الزكاة. فأبى، فقال: إن موسى ﷺ يريد أن يأكل أموالكم؛ جاءكم بالصلاة وجاءكم بأشياء فاحتملتموها فتحتملون أن تعطوه أموالكم، قالوا: لا نحتمل، فما ترى؟ فقال لهم: أرى أن أرسل إلى بغى ما بغيا بني إسرائيل فنرسلها إليه فترميه بأنه أرادها على نفسها، فأرسلوا إليها فقالوا لها: نعطيك حكمك على أن تشهدي على موسى أنه فجر بك. قالت: نعم. فجاء قارون إلى موسى ﷺ قال: اجمع بني إسرائيل فأخبرهم بما أمرك ربك؟ قال: نعم، فجمعهم. فقالوا له: بما أمر ربك. قال: أمرني أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تصلوا الرحم وكذا وكذا، وقد أمرني في الزاني إذا زنى وقد أحصن أن يرحم. قالوا: وإن كنت أنت؟ قال: نعم. قالوا: فإنك قد زنت. قال: أنا! فأرسلوا إلى المرأة فجاءت. فقالوا: ما تشهدين على موسى ﷺ، فقال لها موسى ﷺ: أنشدك بالله تعالى إلا ما صدقت، فقالت: أما إذ أنشدتني بالله تعالى، فإنهم دعوني وجعلوا لي جعلاً على أن أقذفك بنفسي، وأنا أشهد أنك بريء وأنت رسول الله، فخر موسى ﷺ ساجداً يبكي، فأوحى الله تعالى إليه ما يبكيك؟ قد سلطناك على الأرض، فمرها تطعك، فرفع رأسه، فقال: خذيتهم فأخذتهم إلى أعقابهم، فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى، فقال: خذيتهم فأخذتهم إلى ركبهم، فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى، فقال: خذيتهم فغيبتهم، فأوحى الله تعالى: يا موسى سألك عبادي وتضرعوا إليك فلم تجبهم، وعزتي لو أنهم دعوني لأجبتهم.

رواه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الفضائل، باب ما ذكر في موسى ﷺ من

الفضل: ٥٣٢/١١.

حقوق الله ﷻ فجمع أصحابه وإخوانه واستشارهم قائلاً: إن موسى لم يكفه ما كلفكم به من الأوامر فأراد الآن أن يشارككم في أموالكم، قالوا له: الرأي ما ترى. فأحضر قارون امرأة بغياً وأوعدها أن يوسع لها في العيش، وأن يعطيها جانباً عظيماً من حطام الدنيا وأن تقذف موسى بنفسها، فامتثلت ما أشار به عليها قارون، فلما خرج موسى ﷺ في مشهد من مشاهد بني إسرائيل، وقد اجتمع الناس في ذلك الموضع، فخطبهم موسى ﷺ، وأمرهم ونهاهم وأخبرهم بحدود، فقال: من سرق قطعت يده، ومن زنى وهو محصن رجم، وإن لم يكن محصناً جلد مائة جلدة، ومن قذف مسلماً جلد ثمانين جلدة.

فقام إليه قارون قائلاً: وإن كان أنت يا نبي الله؟ فقال: نعم. فقال: إن قوماً يزعمون أنك فجرت بفلاة البغي. فقال: ادعوها، فإن قالت ذلك فهو كما تقول، فلما أقبلت عزم موسى ﷺ عليها القسم، وقال لها: أسألك بالذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر لبني إسرائيل فأنجاهم من فرعون وجنوده إلا ما صدقتني، فأوقع الله - جلّ شأنه - في قلبها التوبة والإنابة وسبقت لها العناية، فقالت: لا والله يا نبي الله لم يكن شيء من ذلك، وإنما قارون هو الذي أشار علي بالافتراء والبهتان، فغضب موسى ﷺ من ذلك، ودعا عليه أن تأخذه الأرض، فأخذته الأرض، فاستغاث بموسى ﷺ فلم يغثه لشدة الغضب، ودعا أن تأخذه فلم يزل يناشده الله والرحم، وموسى لا يصغي إلى قوله إلى أن ذهب به الأرض. وأصبح الملاء من بني إسرائيل يتحدثون أن موسى إنما دعا على قارون ليرث ماله ويأخذ ما عنده، فدعا موسى ﷺ أن يخسف الله بما عنده وبما تحتوي به دوره من الأموال. وذلك قول الله - جلّ شأنه - في كتابه المبين: ﴿فَحَسَبْنَا بِهِ وَيَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصاص: ٨١].

= والحاكم في المستدرک، کتاب التفسیر، باب تحریض قارون قومه علی منع الزکاة: ٢/ ٤٠٨ وصححه ووافقه الذهبي. وانظر: تفسیر ابن جریر: ١١٦/٢٠، وقصص الأنبياء لابن كثير: ١٧٨/٢.

قصة الخضر ﷺ

واسمه بليا بن ملكان^(١) وهو نبي من أنبياء الله تعالى وهو الصحيح^(٢)، وقيل: إنه ولي، وكان في زمن ذي القرنين الأول، وبقي إلى زمن موسى ﷺ، والصحيح أنه حي يرزق إلى أن يذهب الله بالدنيا^(٣)؛ لأن الله - جلّ شأنه - أعطاه ذلك،

(١) هو: بليا بن ملكان بن فالغ بن عابرين شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح ﷺ ذكره ابن قتيبة في المعارف: ٤٢. وانظر: البداية والنهاية: ٣٢٦/١.

(٢) وتؤيد ما رجحه المؤلف الوجوه الآتية:

أولاً: قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]. فإن المراد بالرحمة - على ما قيل - هي النبوة، وقد علمه الله تعالى من علم الغيب الذي استأثر به. انظر: فتح القدير: ٢٩٩/٣.

ثانياً: قول موسى له: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا [الكهف: ٦٧] وَكَيْفَ نَصَبُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا [الكهف: ٦٨] قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا [الكهف: ٦٩] قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلِنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا [الكهف: ٧٠].

فلو كان ولياً وليس بنبي لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة ولم يرد على موسى هذا الرد. فلو كان غير نبي لم يكن معصوماً، ولم تكن لموسى - وهو نبي عظيم ورسول كريم واجب العصمة - كبير رغبة ولا عظيم طلب في علم ولي غير واجب العصمة.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿فَأَطْلَقْنَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ..﴾ [الكهف: ٧١]. إن الخضر أقدم على قتل ذلك الغلام، وما ذاك إلا للوحي إليه من الملك العلام. وهذا دليل مستقل على نبوته، وبرهان ظاهر على صمته، لأن الولي لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقي في خلد؛ لأن خطره ليس بواجب العصمة، إذ يجوز عليه الخطأ بالاتفاق.

رابعاً: قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨ - ٨٢]. إنه لما فسر الخضر تأويل تلك الأفاعيل لموسى، ووضح له عن حقيقة أمره قال بعد ذلك كله: ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢]، يعني ما فعلته من تلقاء نفسي، بل أمرت به وأوحي إلي فيه. فدلّت هذه الوجوه على نبوته ولا يتنافى ذلك حصول ولايته. انظر: البداية والنهاية: ٣٢٨/١.

(٣) هذا القول يرده ما رواه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: صلى بنا النبي ﷺ العشاء في آخر حياته، فلما سلم قام فقال: «أرأيتم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد». صحيح البخاري، كتاب العلم، باب السمر في العلم: ٣٧/١.

ويرده قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَيْءٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وهو من جنود الله تعالى الذي ينفع به عباده وبلادهم ويخرج عنهم الشدائد. وقد ثبت عن رسول الله ﷺ فيه أحاديث كثيرة^(١) أنه موجود مع عمر. وقد أخبر عنه جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب أنهم رأوه واجتمعوا به. وقد مرت قصته في قصة نبي الله موسى بالتفصيل^(٢).

قصة نبي الله هارون عليه السلام

هو هارون بن عمران أخو موسى^(٣) وشقيقه، أكبر منه بعام، نبأه الله - جلّ

= فالخضر إن كان بشراً فقد دخل في هذا العموم لا محالة، ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل صحيح، والأصل عدمه حتى يثبت، ولم يذكر فيه دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله. انظر: البداية والنهاية: ٣٣٦/١، وزاد المسير لابن الجوزي: ١٦٨/٥. (١) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية: ٣٢٩/١ - ٣٣٤ الأخبار والروايات التي استشهد بها من قال: إن الخضر باقٍ إلى اليوم. وبين إسنادها بياناً وافيةً على ضعف الروايات؛ بل بعضها من الموضوعات. ثم قال بعد ذكره الروايات:

وهذه الروايات والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم، وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً لا يقوم بمثلها حجة في الدين، والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف في الإسناد.

وقصارها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره؛ لأنه يجوز عليه الخطأ، والله أعلم.

ومن هذه الروايات: قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو بكر بن بالويه، حدثنا محمد بن بشر بن مطر، حدثنا كامل بن طلحة، حدثنا عباد بن عبد الصمد عن أنس بن مالك قال: لما قبض رسول الله ﷺ أحدق به أصحابه فبكوا حوله واجتمعوا، فدخل رجل أشهب اللحية جسيم صبيح فتخطى رقابهم فبكى، ثم التفت إلى أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: إن في الله عزاء من كل مصيبة وعضاً من كل فائت وخلفاً من كل هالك فألى الله فأنبيوا وإليه فارغبوا ونظر إليكم في البلاء فانظروا؛ فإن المصاب من لم يجبر. وانصرف. فقال بعضهم لبعض: تعرفون الرجل: فقال أبو بكر وعلي: نعم، هو أخو رسول الله ﷺ - الخضر - عليه السلام.

ثم قال البيهقي: عباد بن عبد الصمد ضعيف.

قال ابن كثير: عباد بن عبد الصمد هذا هو ابن معمر البصري، روى عن أنس نسخة، قال ابن حبان والعقيلي: أكثرها موضوع. انظر: البداية والنهاية: ٣٣٢/١. (٢) انظر: صفحة (٢٣٢) فما بعدها.

(٣) هو: هارون بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن =

شأنه - واصطفاه وأرسله إلى فرعون والقبط وبني إسرائيل معيناً لموسى (١). وكان مع موسى مدة حياته إلى أن توفاه الله - جلّ شأنه -، وقصة وفاته (٢) أن الله - جلّ شأنه - أوحى إلى موسى ﷺ: إني متوفي هارون، فذهب هو وإياه إلى جبل عال فوجد هارون موضعاً حسناً، فنام فيه، فتوفاه الله تعالى، وتولت (٣) الملائكة غسله، ورفعته في سرير إلى حيث شاء الله. فلما رجع موسى ﷺ إلى بني إسرائيل سألوهم عن هارون، فأخبرهم بوفاته، فنسبوه إلى قتله، فقالوا: حسدته إذ كان محبباً فينا، فدعا الله موسى فجاءت الملائكة بالسرير حتى وضعته بين أيديهم فعرفوا صحة قوله.

= إبراهيم ﷺ وهو أخو موسى الشقيق. انظر: البداية والنهاية: ٢٣٧/١.

(١) قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لِيِزْرًا مِّنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي أَشَدُّ بِذِي أَزْرَىٰ ﴿٣١﴾ وَأَشْرَكَ فِي أُمِّي ﴿٣٢﴾ كَيْ سَخِمَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَتَذَكَّرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْنَاهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنْ أَحَافُ أَنْ يَكْذِبُونَ ﴿٣٥﴾ قَالَ سَنُنْذِرُ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَمَّا سُلْطَنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أُنْتُمْ وَمِنْ أُنْبَعَاكُمْ أَلْفَلِيلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القصص].

(٢) روى الحاكم من حديث ابن عباس وابن مسعود وأناس من أصحاب النبي ﷺ قالوا: إن الله أوحى إلى موسى بن عمران أني متوفي هارون فأت به جبل كذا وكذا، فانطلق موسى وهارون إلى ذلك الجبل، فإذا هم فيه بشجرة لم تر شجرة مثلها وإذا هم بيت مبني، وإذا هم بسيرير عليه فرش، وإذا فيه ریح طيبة. فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه. قال: يا موسى إني أحب أن أنام على هذا السرير، قال له موسى: فتم عليه. قال: إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي. قال له: لا ترهب أنا أكفيك رب هذا البيت فتم. قال: يا موسى نم معي، فإن جاء رب هذا البيت غضب علي وعليك جميعاً. فلما ناما أخذ هارون الموت. فلما وجد حسه قال: يا موسى خدعتني، فلما قبض رفع ذلك وزهبت تلك الشجرة ورفع السرير به إلى السماء، فلما رجع موسى إلى قومه وليس معه هارون قالوا: فإن موسى قتل هارون وحسده حب بني إسرائيل له، وكان هارون أكف عنهم وألين لهم من موسى، وكان في موسى بعض الغلظة عليهم، فلما بلغه ذلك قال لهم ويحكم كان أخي أفتروني أقتله. فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين، ثم دعا الله فنزل السرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدقوه. قال الحاكم: هذا الحديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. المستدرک، کتاب التاريخ، باب ذکر وفاة هارون: ٥٧٩/٢. وانظر: البداية والنهاية: ٣١٨/١.

(٣) في (ح): «توالت».

قصة نبي الله يوشع بن نون

- عليه الصلاة والسلام -

وهو تلميذ موسى عليه السلام ^(١) نبأه الله - جلّ شأنه - وأرسله إلى بني إسرائيل، وأمره بقتال الجبابرة والطغاة من العمالقة ^(٢) والكنعانيين، فقتلهم وفتح سائر الشام واستباح من ملوكهم أحداً وثلاثين ملكاً ^(٣)، وخرب إحدى وثلاثين مدينة. وقسم الأرض الذي أخذها بين الأسباط وصارت الشام كلها لبني إسرائيل، ودبر أمر بني إسرائيل سبعاً وعشرين سنة بعد موسى عليه السلام ^(٤).

وكان موسى قد وضع يده عليه فامتلاً بالنبوة والحكمة، وتوفي يوشع وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة - عليه سلام ورضوان -.

قصة نبي الله حزقيل ^(٥)

- عليه الصلاة والسلام -

وهو ذو الكفل، وقد ذكر في القرآن صريحاً ^(٦)، وبالإشارة، وهو المعني في

(١) هو: يوشع بن نون بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وقد ذكره الله تعالى في القرآن، غير مصرح باسمه في قصة الخضر من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنَةٍ﴾ وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنَةٍ﴾. انظر: قصص الأنبياء لابن كثير: ١٩٩/٢.

(٢) هم أمم كثيرة، ويرجع نسبهم إلى عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، وكانت منازلهم من حدود مصر فطور سيناء إلى فلسطين، ثم تفرقت في البلاد، فكان منهم أهل عمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر، ومنهم فراعنة مصر والجبابرة، ومنهم ملوك فارس وأهل خراسان. انظر: المعارف لابن قتيبة: ٢٧، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٣٤٥/١.

(٣) وفي قصص الأنبياء لابن كثير: ٢٠٧/٢.

يقال: إن يوشع بن نون ظهر على أحد وثلاثين ملكاً من ملوك الشام.

(٤) قال ابن كثير في قصص الأنبياء: ٢١٣/٢: ولما استقرت يد بني إسرائيل على بيت المقدس استمروا فيه، وبين أظهرهم نبي الله يوشع يحكم بينهم بكتاب الله التوراة حتى قبضه الله إليه، وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة، فكانت مدة حياته بعد موسى سبعاً وعشرين سنة.

(٥) هو: حزقيل بن بوذي، وهو ابن العجوز وهو الذي دعا للقوم الذين ذكرهم الله في كتابه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾. انظر: البداية والنهاية: ٣/٢.

(٦) ذكر الله «ذا الكفل» في القرآن مرتين في قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ =

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (١١) [البقرة]. ومساق القصة أنه وقع طاعون بأرضهم فخرج طائفة منهم وبقيت الأخرى، فسلم الذين خرجوا ووقع الطاعون في كثير ممن بقي، فأضمرُوا في نفوسهم إذا جاء طاعون آخر أن يخرجوا جميعهم، فوقع الطاعون ثانياً فخرجوا جميعهم، فلما كانوا بوادي أفيح ناداهم ملك من أعلى الوادي وملك من أسفله: موتوا فماتوا، فخرج حزقيل عليه السلام في حليهم بعد ثمانية أيام، فوجدهم موتى فبكى، وقال: يا رب كنت في قوم يسبحونك ويهللونك فبقيت وحدي، فأوحى الله - جلّ شأنه - إليه إني قد جعلت حياتهم

= كُفُّ مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٨٥﴾ [الأنبياء]. وقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ (٨٦) [ص] والتحقيق أن ذا الكفل ليس حزقيلاً كما ذهب إليه المؤلف، وإنما هو ابن نبي الله أيوب عليه السلام واسمه: بشر بن أيوب بن أموص بن زارح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام بعثه نبياً بعد أبيه وكان مقيماً بالشام. انظر: روح المعاني: ٨٢/١٧.

(١) أما ما ذكره المؤلف من أن حزقيلاً هو المعني في الآية [٢٤٣] من سورة البقرة فوافقته عليه كثير من العلماء. فقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية: ٣/٢ قصته: عن ابن عباس وابن مسعود وأناس من الصحابة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾. قالوا: كانت قرية يقال لها: داوردان قبل واسط وقع بها الطاعون، فهرب عامة أهلها فنزلوا ناحية منها، فهلك من بقي في القرية وسلم الآخرون، فلم يمت منهم كثير، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين، فقال الذين بقوا: أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا بقينا، ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن معهم فوقع في قابل فهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفاً حتى نزلوا ذلك المكان وهو وادٍ أفيح، فناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه: أن موتوا، فماتوا، حتى إذا هلكوا وبقيت أجسادهم مر بهم نبي يقال له: حزقيلاً، فلما رآهم وقف عليهم، فجعل يتفكر فيهم ويلوي شذقيه وأصابعه. فأوحى الله إليه: تريد أن أريك كيف أحْيَاهُمْ؟ قال: نعم. إنما كان تفكره أنه تعجب من قدرة الله عليهم، فقيل له: ناد، فنادى: يا أيها العظام، إن الله يأمرك أن تجتمعي، فجعلت العظام يطير بعضها إلى بعض حتى كانت أجساداً من عظام، ثم أوحى الله إليه أن: ناد: يا أيها العظام، إن الله يأمرك أن تكتسي لحماً، فاكنتس لحماً ودماً وثيابها التي مات فيها... إلى آخر القصة.

على يدك، فقال: احيوا بإذن الله تعالى فعاشوا^(١).

قصة نبي الله شمويل^(٢) ﷺ

وهو مذكور في كتاب الله تعالى بالإشارة^(٣)، ومساق القصة؛ إنه لما بلغ شمويل ﷺ من العمر تسعاً وسبعين سنة قال^(٤) له بنو إسرائيل: انصب لنا

(١) وقد ذكر الثعلبي نحو ما ذكره المؤلف في هذه القصة:

قال مقاتل والكلبي: كانوا قوم حزقيل، وقال: يا رب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيداً لا قوم لي، فلو شئت أحييت هؤلاء فيعمرون بلادك ويعبدونك. قال الله تعالى: أتحب أن أفعل؟ قال: نعم يا رب، قال الله تعالى: قد جعلت حياتهم إليك، فقال لهم حزقيل: احيوا بإذن الله تعالى فعاشوا.

(٢) هو شمويل ويقال له: أشمويل بن بالي بن علقمة بن يرخام بن اليهو بن تهو بن صوف بن علقمة بن ماث بن عموصا بن عزريا وهو من ورثة هارون. انظر: تفسير ابن جرير: ٢٩١/٥، وتفسير القرطبي: ٢٤٣/٢، والبداية والنهاية: ٥/٢.

(٣) وذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ آتِنَا مِلْكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَهَالُ كَهْنُوتَ تَحْمِيلُهُ الْمَلَكُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ [البقرة].

قال ابن جرير في تفسيره: ١٩١/٥، ٣٠٦:

﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ آتِنَا مِلْكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إن النبي الذي قال لهم ذلك «شمويل»، وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ...﴾ الآية يعني تعالى ذكره بذلك: وقال للملاء من بني إسرائيل نبينهم - شمويل - إن الله قد أعطاكم ما سألتهم، وبعث لكم طالوتاً ملكاً..

وانظر: تفسير القرطبي: ٢٤٣/٢، وتفسير أبي حيان: ٢٥٤/٢، وتفسير الآلوسي: ٢/

١٦٤. بل قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٦/٢.

قال أكثر المفسرين: كان نبي هؤلاء القوم المذكورين في هذه القصة هو «شمويل».

(٤) في (ح): «قالوا» وهو خطأ.

ملكاً، فرفع الأمر إلى الله - جلّ شأنه - بقولهم، فأوحى الله ﷻ إليه: ما لهم وللملك؟ إن الملك يستعبد أولادهم ويستحيي بناتهم ويأكل زروعهم، فأخبر شمويل ﷻ بقول الله ﷻ، فأبوا وألحوا في طلب الملك، وذلك قول الله - جلّ شأنه -: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالَوا لِنَبِيِّ لَهُمْ اأبعث لنا ملكاً نُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦] إلى آخر الآية.

وكان طالوت^(١) قد ضل لوالده حماراً فذهب يتطلبه، وكان معه غلام آخر فمروا بدار نبي الله شمويل ﷻ^(٢) فقال طالوت: دعنا ندخل فنسأل نبي الله شمويل عن حمارنا، فلما دخل عليه قربه شمويل ﷻ ومسح على رأسه، وأفاض عليه قرن دهن، وقال له: أنت ملك بني إسرائيل، فقال له: كيف لي بذلك وأنا من سبط بنيامين أضعف الأسباب وبيتي أدنى بيوت بني إسرائيل، فقال له: إن الله قد اصطفاك وأعطاك وأنت ملكهم، فملكه الله - جلّ شأنه - عليهم، فلما أخبرهم شمويل قالوا له كما قال الله ﷻ: ﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه...﴾ [البقرة: ٢٤٧] إلى آخر الآية.

(١) كان اسم «طالوت» بالسريانية: شاول بن أبيال بن ضرار بن يحرب بن أفيح بن آيس بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﷻ.
قاله ابن جرير في تفسيره: ٣٠٧/٥. وانظر: تاريخ الطبري: ٢٤٧/١، والدر المنثور: ٣٠٥/١.

(٢) أخرج ابن جرير في تفسيره: ٣٠٨/٥ عن وهب بن منبه قال: قالت بنو إسرائيل لشمويل: ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل! قال: قد كفاكم الله القتال، قالوا: إنا نتخوف من حولنا، فيكون لنا ملك نفرع إليه، فأوحى الله إلى شمويل: أن ابعث لهم طالوتاً ملكاً، وادهنه بدهن القدس.

فضلت حمر لأبي طالوت، فأرسله وغلاماً له بطلباتها، فجاء إلى شمويل يسألانه عنها، فقال: إن الله قد بعثك ملكاً على بني إسرائيل. قال: أنا؟ قال: نعم، قال: أما علمت أن سبطي أدنى أسباط بني إسرائيل؟ قال: بلى، قال: أما علمت أن قبيلتي أدنى قبائل سبطي؟ قال: بلى، قال: أما علمت أن بيتي أدنى بيوت قبيلتي؟ قال: بلى، قال: فبأية آية؟ قال: بأية أنك ترجع وقد وجد أبوك حمرة، وإذا كنت بمكان كذا وكذا نزل عليك الوحي، فدهنه بدهن القدس. فقال لبني إسرائيل: ﴿إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزادُه بسطةً في أولمِه والجرمِه﴾.

ثم أخبرهم شمويل عليه السلام أن علامة اختيار الله ﷻ لطالوت أن يكون ملكاً عليهم أن يجيئهم التابوت^(١) ويعود عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، وكانت إعادته بعد مدة طويلة على بني إسرائيل في الوقت الذي قال لهم شمويل عليه السلام: إن الله اصطفى لكم طالوت ملكاً وأخبرهم أن اختيار الله ﷻ له مجيء التابوت.

قصة نبي الله داود^(٢) - عليه الصلاة والسلام -

نبي الله ورسوله - صلوات الله وسلامه عليه - نبأه الله ﷻ واصطفاه، وملك

(١) مجيء التابوت الذي جعل الله آية لصدق شمويل على قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ هو التابوت كان عند عدو لبني إسرائيل كان سلبهموه. وذلك أن الله تعالى قال مخبراً عن نبيه في ذلك الزمان قوله لقومه بني إسرائيل: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ و«الألف واللام» لا تدخلان في مثل هذا من الأسماء إلا في معروف عند المخاطبين به.

فمعنى الكلام أن آية ملكه أن يأتيكم التابوت الذي قد عرفتموه، الذي كنتم تستنصرون به، فيه سكينه من ربكم. قاله ابن جرير في تفسيره: ٣٢٤/٥ واختياره. وذكر الآلوسي في تفسيره: ١٦٨/٢ أقوالاً في المراد بالتابوت هنا، ثم رجح بعض الأقوال، فقال: وأقرب الأقوال التي رأيتها أنه صندوق التوراة تغلبت عليه العمالة حتى رده الله تعالى.

وانظر: تفسير الشوكاني: ٢٦٥/١.

والتابوت في أصل اللغة: هو الصندوق الذيب يحفظ فيه المتاع، ومنه صندوق الميت. وهو فعلوت من التوب وهو الرجوع لما أنه لا يزال يرجع إليه ما يخرج منه، وصاحبه يرجع إليه فيما يحتاجه من مودعاته، فتأؤه مزيدة كناء ملكوت، وأصله توبوت فقلبت الواو ألفاً.

انظر: تفسير الشوكاني: ٢٦٥/١، وتفسير الآلوسي: ١٦٨/٢.

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٩/٢:

هو: داود بن إيشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نخشون بن عمينا بن داب بن أرم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عبد الله ونبيه وخليفته في أرض بيت المقدس.

بني إسرائيل سبعين سنة، واجتمعت كلمة بني إسرائيل عليه، وأعطاه الله الملك والحكمة والنبوة، ورفع شأنه، وأعزّ بني إسرائيل به، وأنزل الله - جلّ شأنه - عليه الزبور^(١) وقد اشتمل على مواعظ وحكم ومعارف.

وكان داود ﷺ إذا قرأ الزبور عكف عليه الطير والوحش والأوادم، ويركد الماء، ويسكن الريح، ويحمل من مجلسه جماعة كثيرون أمواتاً من رقة قوله وحسن صوته، وكانت الجبال والطير تسبح الله معه إذا سبح^(٢). وكان الله ﷻ قد أعطاه ملكاً عظيماً وسلطاناً فخيماً، وكان الذين يحرسون محرابه من الجن ستة وثلاثين ألفاً^(٣).

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ إِزْهِيمَ وَالسَّمْعِيلَ وَالسَّحْقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا﴾ [النساء]. وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَكْبَرُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا﴾ [الإسراء].

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١١/٢:

قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد في تفسير هذه الآية ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُنُقِ وَالْإِشْرَاقِ﴾ وَالطَّيْرَ تَحْسِرُهُ كُلُّ لَهْ أَوَّابٍ ﴿ص﴾: أي عند آخر النهار وأوله، وذلك أنه كان الله تعالى قد وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه أحداً، بحيث إنه كان إذا ترنم بقراءة كتابه يقف الطير في الهواء يرجع بترجيعه ويُسَبِّحُ بتسبيحه، وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشياً - صلوات الله وسلامه عليه -.

(٣) لم أجد مرجعاً يذكر فيه هذا القول إلا في العرائس للثعلبي ومعروف أنه يروي كل شيء صحيحه وضعيفه بل وموضوعه. انظر: العرائس: ١٥٩.

ويكفي ما ذكره القرآن الكريم من تشريف الله ﷻ إياه ﷺ حيث إن الله أعطاه النبوة والملك، وهذان الأمران لم يجتمعا لأحد قبل داود ﷺ.

قال تعالى: ﴿فَهَرَمُوهُمْ يَازُنِبَ اللَّهُ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَمَا آتَيْنَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة].

وفي تفسير الجمل عند تفسير هذه الآية: ٢٠٤/١.

﴿وَمَا آتَيْنَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾: الملك على بني إسرائيل والحكمة أي النبوة، ولم تجتمع النبوة والملك لأحد قبل داود ﷺ، فقد كانت عادة بني إسرائيل أن نظام أمرهم لا يقوم إلا بملك ونبي، وكانت النبوة في سبط منهم لا توجد في غيره، والملك في سبط آخر كذلك، وكان داود من سبط المملكة ومع ذلك جمع الله تعالى له ولابنه سليمان بين الملك والنبوة.

ومن عجائب قصصه ﷺ أن رجلاً من بني إسرائيل ادّعى على رجل عظيم كبير أنه غصب بقرته، فطلب من الرجل المدعي بيّنة، فلم يأت بها ولم يعترف الغاصب، فقال لهما داود ﷺ: قوما حتى أنظر في أمركما فذهبا، فأوحى الله - جلّ شأنه - إليه في المنام أن يقتل الرجل الذي ادّعى على صاحبه أنه غاصب البقرة، فقال داود ﷺ: هذه رؤية ولا أعمل. فلم يزل يؤمر بقتله ثلاثاً، فعلم أنه حق. فدعا الرجل: وقال له: إني قاتلك وقد أمرتُ بذلك. فقال: كيف تقتلني بلا بيّنة ولا دليل، فقال له: لا بد أن أنفذ فيك أمر الله تعالى، فعلم أنه لا بدّ من ذلك، قال: لا تعجل عليّ حتى أخبرك، والله ما أخذت بهذا الذنب، ولكنني قتلت أبا هذا الرجل خفية وغيلة، فأخذت بذلك، فأمر به داود ﷺ فقتل.

فاشتدت هية داود ﷺ وقوي ملكه. وقد أشار الله ﷻ إلى ذلك بقوله - عزّ من قائل -: ﴿وَأَيِّنَّا أَلْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠]. وهي الإصابة في الرأي، ومعرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه، وفصل الخطاب يعني البيّنة على المدعي واليمين على المنكر؛ لأنه يفصل الحكم، وهو فصل عظيم^(١).

ومن القصص العجيبة الواقعة له قصة امرأة أرويا وهي مشهورة معروفة مذكورة في الكتاب العزيز، وذلك أن داود ﷺ كان صاحب مقام عظيم في الوجه، ومحل جليل في الشوق (غابت الإحساس بسكر الحال في كثير من الأهوال)^(٢)، وكان لسان حاله يقول: وليس لي في سواك قصد، فكيف مما شئت فأخبرني!، فأراد الحق أن يبتليه لما سبق في علمه أن يبتلي أحابيه وأصفياه وليكونوا قدوة للعارفين وتسليّة للمحسنين وعزاء للمتأخرين، فرأى

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١٢/٢ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَيِّنَّا أَلْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ﴾: قال ابن عباس ﷺ: إن رجلين تداعيا إلى داود ﷺ في بقر ادّعى أحدهما على الآخر أنه اغتصبها منه، فأنكر المدعي عليه فأرجأ أمرهما إلى الليل، فلما كان الليل أوحى الله إليه أن يقتل المدعي، فلما أصبح قال له داود: إن الله قد أوحى إلي أن أقتلك فأنا قاتلك لا محالة، فما خبرك فيما ادعيتك على هذا؟ قال: والله يا نبي الله إني لمحق فيما ادعيت عليه ولكنني كنت اغتلت أباه قبل هذا، فأمر به داود فقتل، فعظم أمر داود في بني إسرائيل جداً وخضعوا له خضوعاً عظيماً. والمؤلف نقل هذه القصة عن العرائس للثعلبي: ١٥٦.

(٢) هذه من عبارات الصوفية.

في بعض الأحيان امرأة ذات حسن فائق وجمال رائق فأعجب بها كثيراً، فسأل عنها، فقيل له: هي سابع بنت شائع امرأة أرويا بن حنان، وهو في غزاة البلقاء مع أيوب بن سوريا ابن أخت داود، فتمنى داود ﷺ أن تكون له، ومال خاطره لو كان زوجها مات عنها، أو قتل لأجل أن تحل له، فكان من قضاء الله وقدره أن قتل أرويا في تلك الغزاة. فلما مضت عدتها تزوج بها داود ﷺ فلم يلبث وهو في محرابه^(١) والحرس من الحجاب على أبوابه إلا ورجلين عنده، يدعي أحدهما أن لصاحبه وأخيه هذا تسعة وتسعين نعجة، ولي نعجة واحدة، فسأله أخوه، وطلب منه بوجه الغضب والقهر أن يأخذ نعجته ويضمها إلى نعاجه، فأنكر داود ﷺ ذلك عليه، ونهاه عن التعرض لأخيه، وإن هذا لا ينبغي ولا يليق. فخرجا من عنده، فاستشعر داود أنهما ليسا رجلين، وإنما هما ملكان بعثهما الله ﷻ لتبنيهما وتعريفه بأن ما صار منه هو عين ما نهى عنه، فندم واستغفر واعترف لله ﷻ، وكان يبكي من ذلك كثيراً، ويتضرع إلى الله تعالى يسبح في الفيافي والقفار، ويبكي على نفسه وخطيئته^(٢)، وذلك قول الله ﷻ:

﴿وَهَلْ أُنْتِكَ نَبُوءُ الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٦٦﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٦٧﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٦٨﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْيِكَ إِلَيْنَا إِعْجَابٌ وَإِنَّ تُكَلِّمُنَا لِنُعْيِبَهُمْ عَلَيْكَ وَبَعْضُ الْبَاطِلِ الَّذِي إِذْ يَبْغَى الْإِنْسَانُ أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ أَخَذَ خِطَابَهُ مِنْ طِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَحَمَاهُ لَدُنِّي وَسَوَّاهُ لِنَعْيِكَ وَتَخِيبُ الْإِنْسَانَ فِي بُدُوهِ فَمَا إِذَا خَفَا بِرَأْسِهِ وَابْتُدِيَ إِلَيْهِ الْأَذَى قَالَ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَمَا أَغْبَاهُ ﴿٦٩﴾﴾

(١) ساقط من (ج).

(٢) قلت: هذه القصة مكذوبة من الإسرائيليات، وإن كثيراً من المفسرين ذكروها في تفاسيرهم، منهم ابن جرير. - انظر: تفسيره: ٩٣ / ٢٣، - والقرطبي في تفسيره: ١٦٦ / ٧. وإن هذه القصة لا تتناسب مع عصمة الأنبياء، إذ لو جاز وقوعهم في شيء مثل هذه القصة لبطلت الشرائع.

وقد قال ابن كثير في تفسيره: ٥٣ / ٦: قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه... والصحيح والذي يتناسب مع عصمة الأنبياء هو ما دل عليه ظاهر الآيات. انظر: سورة ص: (٢١ - ٢٤)، وقد ذكرها المؤلف - رحمه الله تعالى - في آخر القصة لو اكتفى بها لكان حسناً.

(٣) المراد بالفتنة خطيئة داود ﷺ أنه ظن شراً بالخصمين حيث توقع أنهما يريدان قتله =

وَحَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ فَفَعَّرْنَا لَمْ ذَلِكَ وَإِنَّ لِمَ عِنْدَنَا لُزْفَنِي وَحُسْنَ مَتَابٍ ﴿٢٥﴾ [ص].

وروي أن داود عليه السلام لما تاب إلى الله - جلَّ شأنه - بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمه ليلاً ونهاراً، وكان قد أصاب الخطيئة ابن سبعين سنة^(١)، فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام: يوم للقضاء بين بني إسرائيل، ويوم يسبح في الفيافي والجبال والسواحل، ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب، فيجتمع إليه الرهبان فينوح معهم على نفسه فيساعدونه على ذلك، فلو

= وهي التي يدل عليها ظاهر الآية. قال أبو حيان في البحر المحيط: ٣٩٣/٧: قال قوم: خر؛ لمن ركع وإن لم ينته إلى الأرض والذي يذهب إليه ما دل عليه ظاهر الآية من أن المتسورين المحراب كانوا من الإنس، دخلوا عليه من غير المدخل وفي غير وقت جلوسه للحكم، وأنه فرغ منهم ظاناً أنهم يغتالونه إذ كان منفرداً في محرابه لعبادة ربه، فلما اتضح له أنهم جاؤوا في حكومة وبرز منهم اثنان للتحاكم كما قصَّ الله تعالى، وأن داود عليه السلام ظن دخولهم عليه في ذلك الوقت ومن تلك الجهة ابتلاء من الله له أن يغتالوه فلم يقع ما كان ظنه فاستغفر من ذلك الظن، حيث أخلف ولم يكن يقع مظنونه وخر ساجداً أو رجع إلى الله تعالى، فغفر له ذلك الظن ولذلك أشار بقوله تعالى: ﴿فَعَفَّرْنَا لَمْ ذَلِكَ﴾، ولم يتقدم سوى قوله: ﴿وَلَطَّنَ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ ويعلم أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا لا يمكن وقوعهم في شيء منها ضرورة أن لو جاوزنا عليهم شيئاً من ذلك بطلت الشرائع، ولم نتق بشيء مما يذكرون أنه أوحى الله به إليهم، فما حكم الله تعالى في كتابه يمر على ما أراه تعالى، وما حكى القصاص مما فيه نقص عن منصب النبوة طرحناه.

(١) هذا الكلام لا أساس له من الصحة، ونقل المؤلف - رحمه الله تعالى - هذا الكلام من العرائس للثعلبي: ١٥٩.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١٤/٢: وقد ذكر بعض المفسرين أنه عليه السلام مكث ساجداً أربعين يوماً، وقاله مجاهد والحسن وغيرهما، وورد في ذلك حديث مرفوع لكنه من رواية يزيد الرقاشي وهو ضعيف متروك الرواية...

وفي تفسير القاسمي: ١٥٨/١٤ نقلاً عن البقاعي:

وقوله تعالى: ﴿فَعَفَّرْنَا لَمْ ذَلِكَ﴾: أي الوقوع في الحديث عن إسناد الظلم إلى أحد بدون سماع لكلامه، وهذه الدعوى تدريب لداود عليه السلام، تدريب له في الأناة في جميع أموره على الدوام، ولما ذكر هذا، ربما أوهم شيئاً في مقامه عليه السلام فدفعه بقوله: ﴿وَإِنَّ لِمَ عِنْدَنَا لُزْفَنِي وَحُسْنَ مَتَابٍ﴾ فالقصة لم يجر ذكرها إلا للترقية في رتب الكمال. وأول دليل على ما ذكرته، أن هذه الفتنة إنما هي في الحكم، لا بامرأة ولا غيرها، وأن ما ذكروه من قصة المرأة باطل وإن اشتهر، فكم من باطل مشهور ومذكور، هو عين الزور. انتهى.

عدل بقاء داود ببقاء أهل الدنيا لعدله^(١).

قصة لقمان الحكيم^(٢)

وكان عبداً حبشياً^(٣) فسح الله عليه وعلمه وفهمه وأنطق بالمعرفة والحكمة، وكان يعين داود^(٤) ﷺ وينصت له ويعازره بحكمته ومعرفته. وناهيك ببناء الله - جل شأنه - عليه في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ﴿١١﴾ [لقمان: ١٢ - ١٩]^(٥) إلى آخر الآيات.

قصة نبي الله سليمان

- عليه الصلاة والسلام -

وهو ابن داود بن إيشا، أعطاه الله الملك والحكمة والنبوة وهو صغير^(٦)،

- (١) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١٣/٢: وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف هاهنا قصصاً وأخباراً أكثرها إسرائيليات ومنها ما هو مكذوب لا محالة.
- (٢) هو لقمان بن عتقاء بن سدون، وقيل: لقمان بن ثاران كان رجلاً صالحاً ذا عبادة وعبرة وحكمة عظيمة، ويقال: كان قاضياً في زمن داود ﷺ، وهو على المشهور عن الجمهور كان حكيماً ولياً ولم يكن نبياً، وقد ذكره الله تعالى في القرآن فأثنى عليه وحكى من كلامه فيما وعظ به ولده. انظر: البداية والنهاية: ١٢٣/٢ وما بعدها.
- (٣) في البداية والنهاية: ١٣٣/٢ قال ابن عباس ﷺ: كان - أي لقمان - عبداً حبشياً نجاراً.
- (٤) وفي البداية والنهاية: ١٢٣/٢: يقال: كان قاضياً في زمن داود ﷺ فالله أعلم.
- (٥) وبقية الآيات هي: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَىٰ وَهْنٍ فَأَصْبِلْهُ فِي عَمَلَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٢﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ تُرْ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ يَا بُنَيَّ إِنَّمَا إِنَّا بَرَأْنَاكَ مِن تَرْابٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٤﴾ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِرْ عَلَىٰ مَا أوصَاكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٥﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٦﴾ وَأَقْصِدْ فِي سَبْعِكَ وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٧﴾ [لقمان].

(٦) وفي الكامل لابن الأثير: ٢٢٩/١، ٢٤١:

وسأل الله ﷻ قائلاً: إن قومي تعجز عن التدبير ولا علم لي بالقضاء، فارزقني عقلاً رزياً، وقلباً فهماً، فأعطاه الله - جلّ شأنه - ذلك، وسأل الله تعالى شأنه أن يعطيه ملكاً لا يكون لأحد بعده، فأعطي ذلك.

وله في الحكومات العجيبة غرائب:

من ذلك قصة الحرث، وقد أشار الله ﷻ إلى ذلك في قوله - عزّ من قائل -: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّمْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴿ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩].

والقضية أن رجلين تحاكما إلى داود ﷺ أحدهما صاحب غنم، والآخر صاحب حرث، فدخلت الغنم ليلاً فرعته وأفسدته، فقاضى داود ﷺ لصاحب الحرث بالغنم في مقابلة زرعه، فمرّاً بسليمان ﷺ فسألها عن حكم أبيه، فأخبراه فقال: غير هذا كان أرفق بالرجلين. فأخبر داود ﷺ بقوله فقال له: بحق التوراة ما هو الرفق بالرجلين. فقال له: ارفع إلى صاحب الحرث الغنم ينتفع بديرها ونسلها وصوفها، ويبذر صاحب الغنم الأرض، فإذا صار الزرع كهيئته يوم أكل، دفع صاحب الحرث الغنم إلى صاحبها وأخذ زرعه، فقال داود ﷺ: القضاء ما قضيت به واستحسنه وحكم به (١).

ومن قصصه المشهورة المذكورة في الكتاب العزيز قصة الهدهد، وإسلام

= لما توفي داود ﷺ ملك بعده ابنه سليمان ﷺ على بني إسرائيل، وكان ابن ثلاث عشرة سنة، وأتاه الله مع الملك النبوة، وسأل الله أن يؤتبه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فاستجاب له، وسخر له الإنس والجن والشياطين والطيور والريح، فكان إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكف عليه الطير وقام له الإنس والجن حتى يجلس.

(١) أخرج ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس ﷺ: قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾... إلى قوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ فيقول: كنا لما حكما شاهدين. وذلك أن رجلين دخلا على داود، أحدهما صاحب حرث، والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الحرث: إن هذا أرسل غنمه في حرثي، فلم يبق من حرثي شيئاً، فقال له داود: اذهب فإن الغنم كلها لك، فقاضى بذلك داود. ومر صاحب الغنم بسليمان، فأخبره بالذي قضى به داود، فدخل سليمان على داود فقال: يا نبي الله، إن القضاء سوى الذي قضيت، فقال: كيف؟ قال سليمان: إن الحرث لا يخفى على صاحبه ما يخرج منه في كل عام، فله من صاحب الغنم أن يبيع من أولادها وأصوافها وأشعارها حتى يستوفي ثمن الحرث، فإن الغنم لها نسل في كل عام، فقال داود: قد أصبت القضاء كما قضيت، ففهمها الله سليمان. انظر: تفسير ابن جرير: ٥١/١٧، ٥٢.

بلقيس، وقصة النملة^(١).

وهو أنه مر في بعض مسيره بواد السدير^(٢) وهو واد قريب من الطائف، فأتى على واد النمل فسمع نملة وهو على بعد منها، تقول لأصحابها وجماعتها: ﴿أَدْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٨﴾ فَبَسَرَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴿النمل: ١٨، ١٩﴾.

وسأل الله تعالى أن يوقظه وينبهه^(٣) ويشعره لمعرفة آلائه ونعمائه^(٤)؛ وإنما سأل الله في هذا الموطن لوجهين عظيمين:

أحدهما: تفهيم الله - جلّ شأنه - إياه لغات الطير والحيوان الذي لا يفهمه أحد من البشر إلا من علمه.

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١٩/٢: يخبر تعالى عن عبده ونبيه سليمان بن داود عليه السلام أنه ركب يوماً في جيشه جميعه من الجن والإنس والطير، فالجن والإنس يسرون معه، والطير سائرة معه تظله بأجنحتها من الحر وغيره، وعلى كل من هذه الجيوش الثلاثة وزعة - أي نقيباً - يردون أوله على آخره فلا تتقدم أحد عن موضعه الذي يسير فيه ولا يتأخر عنه، قال الله تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا تَوَلَّىٰ وَرَاؤُا الَّذِي كَفَّٰرًا يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَسْرَابِهِ وَتَقُومُوا فِئَةً عَلَيْهِمْ ظُفُرُهَا مِثْلُ طُرُقِ الرَّجْلِ وَلَئِن يَسْمِعُوا نَادِيَ نَدَىٰ وَجْدَانٍ يَّحْتَفِلُونَ﴾ ﴿١٨﴾ فأمرت وحذرت واعتذرت عن سليمان وجنوده بعدم الشعور.

وقد ذكر وهب: أنه مر وهو على البساط بوادٍ بالطائف، وأن هذه النملة كان اسمها «جرسا» وكانت من قبيلة يقال لهم: بنو الشيصبا، وكانت عرجاء، وكانت بقدر الذئب. وفي هذا كله نظر، بل في هذا السياق دليل على أنه كان في موكبه راكباً في خيوله وفرسانه، لا كما زعم بعضهم من أنه كان إذ ذاك على البساط؛ لأنه لو كان كذلك لم ينل النمل منه شيء ولا وطء؛ لأن البساط كان عليه جميع ما يحتاجون إليه من الجيوش والخيول والجمال والأثقال والخيام والأنعام والطير من فوق ذلك كله.

(٢) قال كعب: هو وادي السدير من أرض الطائف. وقيل: وادٍ بأرض الشام كثير النمل على ما روي عن قتادة ومقاتل، وقيل وادٍ بأقصى اليمن. وقيل: غير ذلك. انظر: البحر المحيط: ٦٠/٧، وروح المعاني: ١٧٥/١٩.

(٣) في (ح): «بتنبه».

(٤) قال الرازي في تفسيره: ١٨٨/٢٣: أما قوله تعالى: ﴿فَبَسَرَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ يعني تبسم شارعاً في الضحك، بمعنى أنه قد تجاوز حد التبسم إلى الضحك، وإنما ضحك لأمرين: أحدهما: إعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده، وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى، وذلك قولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

والثاني: سروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحداً من سماعه لكلام النملة وإحاطته بمعناه.

ثانيهما: في معرفة الحيوانات والحشرات والبهائم التي لا تعقل بعظمة ما أعطاه الله ﷻ لسليمان، وما خصه به من الملك والرفعة، وذلك قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُم لَّا يَعْظُمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٨﴾ فَنَبَسَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَن أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَن أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾﴾ [النمل].

وأما قصة الهدهد^(١)، فذلك في سيره بعدما توجه من زيارة البيت الشريف

(١) ذكر الله ﷻ قصة سليمان مع الهدهد وبلقيس في القرآن الكريم فقال: ﴿وَتَقَدَّ الظِّيرُ فَقَالَ مَا لَكَ لَا أَرَىٰ الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْعَالِيَيْنِ ﴿١٦﴾ لِأَعَذَّبْتَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْحَمَّتُهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٧﴾ فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطْ بِهِ، وَحِثُّكَ مِنْ سَيِّئٍ بَلِيغٍ بَقِيحٍ ﴿١٨﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿١٩﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٠﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٢﴾ قَالَ سَتُنظرُ أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ يَكْتُمِي هَذَا فَالَيْقَهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّىٰ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أَتَىٰ إِلَيَّ كَذِبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٥﴾ إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢٦﴾ أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأُتُوْا مُسْلِمِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوْا قُوَّةٍ وَأَوْلُوْا بِأَيِّ شَيْدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمَلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاطِرَةٌ يَوْمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتِدُونَنِي بِمَالٍ مِّمَّا عَاتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَيْنَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ فَرَحُونَ ﴿٣٢﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُبُورٍ لَّا يَجِدُ لَهُمْ فِيهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَدْلَةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٣﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَيُّكُمْ يَأْتِيَنِي بِعَرِيضَةٍ قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٤﴾ قَالَ عِفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكِ بِهِ، قَبْلَ أَنْ تَقُومِي مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٥﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ غَفِيْرٌ كَرِيمٌ ﴿٣٦﴾ قَالَ نَكَرُوا لَمَّا عَرَسَهَا نَظَرُ أُنْهَدِيٍّ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٣٩﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل].

ذكرت هذه الآيات لأنها فصلت القصة كاملة، وعندما أجد ما يخالفها أتركه وأعتمد ما ذكرته الآيات لأنه هو الحق.

قاصداً صنعاء اليمن، تفقد الهدهد^(١)، وكان الهدهد^(٢) لما رأى نزول العسكر وارتفع في الهواء لينظر ماء للجنود، فرأى أرضاً عظيمة تهبط، وسأل هدهد آخر عنها وعن أهلها، فأخبره أن ملكة هذه الأرض تسمى بلقيس، وكانت ملكة عظيمة قد ملكت أرض اليمن جميعاً وهي بلقيس ابنة شراحيل من نسل يعرب بن قحطان^(٣)، فرأى الهدهد ما هم عليه من عبادة غير الله ﷻ، وكانوا يعبدون الشمس، فتفحص عن حالهم وأخبارهم، ففقد سليمان ﷺ فغضب لذلك فقال كما أخبر الله - جلّ شأنه - عنه في كتابه المبين: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل]، فأقبل إليه الهدهد وأخبره بأن غيبته كانت لفائدة عظيمة؛ وهو أنه أتى أرض سبأ وأخبره بصفة ما هم عليه من القوة والشوكة والعظمة.

(١) قال الألوسي في تفسيره: ١٨٣/١٩:

إن سليمان ﷺ حين تمّ له بناء بيت المقدس تجهز ليحج بحشره فوافى الحرم، وأقام به ما شاء.. ثم عزم على السير إلى اليمن، فخرج من مكة صباحاً يؤم سهيلاً فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر، فرأى أرضاً أعجبت خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء فكان ما كان.

وفي بعض الآثار ما يعارض حكاية الحج.

ولعل المقدار الذي يصح من الأخبار أنه ﷺ لما تمّ له بناء بيت المقدس حج وأكثر من تقرب القرابين، وبشر بالنبى ﷺ وقصد اليمن، وتفقد الطير فلم ير الهدهد فتوعده بقوله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾.

(٢) تفقد سليمان الهدهد، حيث إن وظيفته، أنهم كانوا إذا أعوزهم الماء في القفار في حال الأسفار يجيء فينتظر لهم بهذه البقاع من ماء؟ وفيه من القوة التي أودعها الله تعالى فيه، أن ينظر إلى الماء تحت تخوم الأرض. فإذا دلهم عليه، حفروا عنه واستنبطوه وأخرجوه، واستعملوه لحاجتهم. فلما طلبه سليمان ﷺ ذات يوم ففده، ولم يجده في موضعه من محل خدمته، ﴿فَقَالَ مَا لَكَ لَأَ أَرَى الْهَدَّهْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَكَايِينِ لِأَعْدِيَّتِهِ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ تتوعده بنوع من العذاب، اختلف المفسرون فيه، والمقصود حاصل على كل تقدير... نقلاً عن البداية والنهاية: ٢٢/٢.

(٣) وفي البداية والنهاية: ٢٠/٢: هي بلقيس بنت السيرح وهو الهدهاد، وقيل: شراحيل بن ذي جدن بن السيرح بن الحرث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وكان أبوها من أكابر الملوك وكان يابى أن يتزوج من أهل اليمن، فيقال: إنه تزوج بامرأة من الجن اسمها ريحانة بنت السكن، فولدت له هذه المرأة واسمها تلقمة ويقال لها: بلقيس.

وسبأ^(١) هذه اسم رجل كان ملكاً من ملوكهم، واسمه عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن شادخ بن غابر بن قحطان، وكان كثير الغزو والسبي؛ فلهذا سمي سبأ، وولد له أولاد كثيراً سُمُوا باسمه، وبنى مدينة أيضاً سميت باسمه. فسبأ اسم الملك أصالة وللأولاد والقبيلة تبعاً.

ثم قال الهدهد لسليمان ﷺ: إن مرجع قبائل سبأ وأرضهم ومدار أحوالهم وإن التي تملكهم امرأة ومن معها يعبدون الشمس، فعفى سليمان ﷺ^(٢) لذلك وكتب له كتاباً إلى بلقيس، وفيه:

بسم الله الرحمن الرحيم. من سليمان بن داود إلى بلقيس وقومها ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين.

فذهب الهدهد بالكتاب حتى ألقاه على صدر بلقيس، فقرأت الكتاب ورأت الخاتم، فألقى الله الرعب والتعظيم في قلبها لسليمان، فخرجت وجلست على سرير ملكها فاستشارت قومها في الحال وما يكون الأمر، فأشاروا عليها

(١) في البداية والنهاية: ١٥٨/٢: قال علماء النسب منهم محمد بن إسحاق: اسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان، قالوا: وكان أول من سبي من العرب، فسمي سبأ لذلك. قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا ابن لهيعة، عن عبد الله بن دعدة، سمعت عبد الله بن عباس يقول: إن رجلاً سأل النبي ﷺ عن سبأ: ما هو؟ أرجل أم امرأة أم أرض؟ قال: بل هو رجل ولد عشرة، فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم أربعة، فأما اليمانيون فمدحج وكنده والأزد والأشعريون وأنمار وحمير... الحديث.

قال ابن كثير: والمقصود أن سبأ يجمع هذه القبائل كلها.. وقد كان من جملة ملوك حمير بأرض اليمن بلقيس - صاحبة سليمان - ﷺ.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: ٢٢٩/٥:

غاب الهدهد زماناً يسيراً ثم جاء فقال لسليمان: اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك، وجئتك من سبأ بخبر صدق حق يقين، ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ﴾ كانت من بيت مملكة وكان أولو مشورتها ثلثمائة واثنى عشر رجلاً، كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل، وكانت بأرض يقال لها: مأرب، على ثلاثة أميال من صنعاء.

﴿وَأَوْتَيْتَ مِنْ كُلِّ نَفْسٍ وَهَاءَ عَرْشٍ عَظِيمٍ﴾ وكان هذا العرش - أي السرير - في قصر عظيم، وكان فيه ثلثمائة وستون طاقة من مشرقه ومثلها من مغربه، قد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم من طاقة، وتغرب من مقابلتها فيسجدون لها صباحاً ومساءً، ولهذا قال: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾^(٣) ثم قال سليمان للهدهد: سننظر أصدقت في أخبارك هذا أم كنت من الكاذبين.

قائلين: إن لنا قوةً ومنعةً وشوكةً، وإن أراد سليمان الحرب فنحن أولو قوة وأولو بأس شديد، والأمرُ إليك فانظري ماذا تأمرين، فردت إليهم بأن الرأي الملائمة والمحاسنة ودفع الضرر، فإن الملوك إذا دخلوا محلاً أفسدوه وأفسدوا برعاياه والضعفة من أهله، ولكن الرأي أن أرسل إليه هدية، وأنظر ماذا يأتي به المرسلون، وأتحقق بذلك حقيقة ما هو عليه وما هو فيه من القوة والمنعة، وهل هو ملك أو نبي مرسل؟ وألبست في جملة الهدية جوارى ألبستهم لباس الرجال، وغلماناً ألبستهم لباس النساء لتختبر هل يميز بينهم بمجرد النظر أو لا^(١).

ثم قالت للأمير المرسل إليه: انظر إلى الرجل إذا دخلت عليه، فإن نظر إليك نظر المغضب فاعلم أنه ملك، فلا يهولتك منظره فأنا أعز منه، وإن رأيت الرجل باشاً لطيفاً فاعلم أنه نبي مرسل فتفهم قوله وراء الأبواب^(٢).

فلما أقبلت الرسل أوحى إلى سليمان ﷺ بحقيقة ما جاؤوا به، فأمر الجن أن يجعلوا مجلساً عظيماً وزينوه بأعظم الزينة، وصف فيه الجنود والأتباع وحشر فيه العوالم، فلما رأى المرسلون ما احتوى عليه مجلس سليمان هابوه وارتاعوا لذلك كثيراً وعظموا شأن ملكه، فلما دخلوا عليه رأوا من البشاشة واللطف ولين الجانب ما لا يعهد عند غيره من الملوك، ثم لما قدموا له

(١) قال مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما: أرسلت جوارى في زي الغلمان وغلمان في زي الجوارى، فقالت: إن عرف هؤلاء من هؤلاء فهو نبي، قالوا: فأمرهم سليمان فتوضؤوا، فجعلت الجارية تفرغ على يدها من الماء، وجعل الغلام يغترف فميزهم بذلك... انظر: تفسير ابن كثير: ٢٣٣/٥.

وذكر ابن كثير أقوالاً في هذه القضية، ثم علق عليها فقال: وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات، والظاهر أن سليمان ﷺ لم ينظر إلى ما جاؤوا به بالكلية، ولا أعتنى به، بل أعرض عنه، وقال منكرأ عليه: ﴿أَتَيْدُونَ بِمَالٍ﴾: أي تصنعونني بمال لأترككم على شرككم ومللكم؟ ﴿فَمَا ءَاتَيْنِ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَيْنَاكُمْ﴾: أي الذي أعطاني الله من الملك، والمال، والجنود، خير مما أنتم فيه، ﴿بَلْ أَنْتُمْ حَدِيثِكُمْ نَفَرُونَ﴾: أي أنتم الذين تنقادون للهدايا والتحف، وأما أنا فلا أقبل منكم إلا الإسلام أو السيف.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: ٢٣٣/٥: قال ابن عباس وغير واحد: قالت لقومها: إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه، وإن لم يقبل فهو نبي فاتبعوه.

الهدية والوصائف^(١) والوصيفان، ميز بين الوصيفان بنور النبوة وفراسة الولاية، وأعاد الرسل ورد الهدية، وقال: لا حاجة لي بالدنيا فإن الله ﷻ أعطاني ما لم يعطه لأحد غيري، وإنما حاجتي أن يدخلوا في طاعة الله وعبادته، ويتركوا عبادة ما سواه ويطيعوا أمري، فإن لم يفعلوا ذلك أتيناهم بجنود لا يقدر على ملاقاتهم، وعساكر لا يستطيعون مدافعتهم.

فلما رجع الرسل إليها وأخبروها بما رأوا من جلالته وعظمته، وتمييزه بين الوصائف والوصيفان، وقوله لهم، أرسلت إليه قائلة: إني قادمة عليك، فتوجهت في قومها وأكابر رهطها، فلما أقبلت قريباً من سليمان، قال لجلسائه من الجن والإنس: أيكم يقدر أن يأتيني بسريرها وتخت ملكها التي تجلس عليه ليكون ذلك سبباً إلى إيمانها وطريقاً إلى تقوية إيقانها؛ لأنها جعلته في موضع بعيد وأقفلت عليه سبعة أبواب، فقال واحد من الجن: ﴿أَنَا ءَأَيْنِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٩]، فسكت سليمان ثم قال وزيره وصاحبه وهو آصف بن برخيا^(٢)، وكان من أولياء الله وخاصته وأهل التصريف التام والقول

(١) الوصائف جمع وصيفة وهي الخدمة، الوصيف: الخادم غلاماً كان أو جارية.

(٢) اختلف في تعيين هذا القائل، فالجمهور ومنهم ابن عباس على أنه آصف بن برخيا، كان وزير سليمان يعلم الاسم الأعظم. وقيل: جبريل ﷺ وقيل: ملك آخر أيد الله تعالى به سليمان ﷺ. وقيل: سليمان نفسه ﷺ. والقول الذي تميل إليه النفس هو القول الأخير على أنه هو سليمان نفسه ﷺ للقرائن الآتية:

أ - أن قوله: ﴿أَنَا ءَأَيْنِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ جملة استئنافية من كلام سليمان ﷺ حين قال العفريت: ﴿أَنَا ءَأَيْنِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ والخطاب في ﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ للعفريت، وتخصيص الخطاب بالعفريت لأنه الذي تصدى لدعوى القدرة بالإتيان به، وإنما لم يأت به أولاً بل استفهم القوم بقوله: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرِيضَةٍ﴾ ثم قال ما قال، وأتي به لأن يريهم أنه يتأتى له ما لا يتهاى لعفاريت الجن فضلاً عن غيرهم.

ب - ثم أن الموصول في قوله: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ موضوع في اللغة لشخص معين بضمون الصلة المعلومة عند المخاطب، والشخص المعلوم بأن عنده علم الكتاب هو سليمان ﷺ.

ج - إحضار العرش في تلك الساعة اللطيفة درجة عالية، فلو حصلت لأحد من أمته دونه لاقتضى تفضيل ذلك عليه ﷺ وأنه غير جائز.

د - أن ظاهر قوله: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ إلخ يقتضي أن الخارق قد أظهره الله تعالى بدعائه ﷺ. انظر: روح المعاني: ٢٠٣/١٩.

النافذ في الوجوه، وكان صاحب اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى فقال: ﴿أَنَا إِلَهِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠]. فلم يمض هذا القول إلا والسرير بين يدي سليمان ﷺ، فلما رآه سليمان أثنى على الله تعالى خيراً وشكر تفضلاً لله ونعمائه كما قال تعالى حاكياً عن شأنه: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

ولما دخلت بلقيس على سليمان ورأت ما خصه الله تعالى به ازدادت معرفتها به وإدعانها، وأمر سليمان ﷺ أن يغير في السرير ويبدل لتجهيله^(١) فلما رأت السرير، قيل لها: «أهكذا عرشك؟» قالت: «كأنه هو»، ولم تقل: هو؛ لكونها ترددت^(٢) في ذلك، وأخبر سليمان ﷺ بجمال بلقيس وبهائها، فأعجب بها، وأخبر أنها كثيرة شعر الساقين^(٣)، فأراد أن يختبر ذلك

(١) في (ح): «لتجهله».

(٢) في (ه): «ترددت»، وما أثبتته من (ح).

وفي روح المعاني: ٢٠٧/١٩.

﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ أجابت بما أنبأ عن كمال رجاحة عقلها، حيث لم تجزم بأنه هو، لاحتمال أن يكون مثله، بل أتت بكأن الدالة - كما قيل - على غلبة الظن في اتحاده معه مع الشك في خلافه، وليست «كأن» هنا للدلالة على التشبيه كما هو الغالب فيها.

(٣) فقد ذكر ابن جرير، والثعلبي، والخازن، وغيرهم:

أن سليمان أراد أن يتزوجها، فقيل له: إن رجلها كحافر الحمار، وهي شعراء الساقين، فأمرهم، فبنوا له هذا القصر على هذه الصفة، فلما رآته لجة، وكشف عن ساقها لتخوضه، فنظر سليمان، فإذا هي أحسن الناس قدماً وساقاً، إلا أنها كانت شعراء الساقين فكره ذلك، فسأل الإنس: ما يذهب هذا؟ قالوا: الموسى (هو الذي يزيل الشعر) فقالت بلقيس: لم تمسني حديدة قط، فكره سليمان ذلك، خشية أن تقطع ساقها، فسأل الجن، فقالوا: لا ندري، ثم سأل الشياطين، فقالوا: إنا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء، فاتخذوا لها النورة (هي مادة يزال بها الشعر) والحمام من يومئذ. انظر: تفسير ابن جرير: ١٠٦/١٩، والعرائس: ١٨٠، وتفسير الخازن: ١٢٥/٥.

قال ابن كثير في تفسيره: ٢٤٠/٥.

قال عطاء عن ابن عباس ؓ: وقالت الشياطين: إن سليمان يريد أن يتخذها لنفسه، فإن اتخذها لنفسه ثم ولد بينهما ولد لم تنفك من عبوديته، قال: فجعلوا صرحاً ممرداً من قوارير فيه السمك، قال: ف﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾ فإذا هي شعراء. فقال سليمان ﷺ: هذا قبيح فما يذبه؟.

بالنظر، فأمر أتباعه أن يجعلوا موضعاً واسعاً كله بالبلور المموج الأبيض الصافي بحيث يظن الرائي أنه ماء، فجلس هو في صدر الموضع، وطلب بلقيس، فلما رأت الصرح^(١) ظنته ماء فكشفت عن ساقها فرأى الشعر كما ذكر له، وكان ذلك سبباً في إيمانها وزيادة في يقينها، فأسلمت هي ومن تبعها وتزوج بها سليمان عليه السلام^(٢)، وذلك قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: ٤٤].

= قالوا: الموسى، فقال: أثر موسى قبيح، قال: فجعلت الشياطين النورة، قال: فهو أول من جعلت له النورة، ثم قال أبو بكر بن أبي شيبة: ما أحسنه من حديث. قلت: بل هو منكر غريب جداً، ولعله من أوهام عطاء بن السائب على ابن عباس عليهما السلام، والله أعلم.

قال الدكتور محمد أبو شهبه بعد أن ذكر ما ذكره ابن كثير في تفسيره من رواية عطاء بن السائب عن ابن عباس عليهما السلام وبعد ذكره تعليق ابن كثير القيم على هذه الرواية: التفسير الصحيح لبناء الصرح، والحق أن سليمان - عليه الصلاة والسلام - أراد بينائه الصرح أن يربها عظمة ملكه وسلطانه، وأن الله تعالى أعطاه من الملك ومن أسباب العمران والحضارة ما لم يعطها، فضلاً عن النبوة التي هي فوق الملك، والتي دونها أية نعمة، وحاشا لسليمان عليه السلام وهو الذي سأل الله أن يعطيه حكماً يوافق حكمه - أي الله - فأوتيته أن يتحايل هذا التحايل، حتى ينظر إلى ما حرم الله عليه، وهما ساقاها، وهو أجل من ذلك وأسمى. ولولا أنها رأت من سليمان ما كان من الدين المتين، والخلق الرفيع، لما أذعنت إليه لما دعاها إلى الله الواحد الحق، ولما ندمت على فرط منها من عبادة الكواكب والشمس، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين. انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: ٣٥٠.

(١) الصرح: هو القصر المشيد المحكم البناء، المرتفع في السماء.

(٢) وفي البداية والنهاية: ٢٤/٢: أن سليمان لما تزوجها أقرها على مملكة اليمن: وردها إليه، وكان يزورها في كل شهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام، ثم يعود على البساط، وأمر الجان فبنوا له ثلاثة قصور باليمن غمدان، وسالحين، وبيتون - فالله أعلم -. وقد روى ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه: أن سليمان لم يتزوجها بل زوجها بملك همدان وأقرها على ملك اليمن، وسخر زوبعة ملك جن اليمن فبنى لها القصور الثلاثة التي ذكرناها باليمن. قال ابن كثير: والأول أشهر وأظهر والله أعلم.

قصة نبي الله إلياس عليه السلام (١)

وهو إلياس بن ياسين من ولد هارون بن عمران (٢)، أرسل إلى لاجب ملك العشرة الأسباط وامراته أربيل (٣)، وكان لاجب وأتباعه يعبدون الأصنام، وكان قد صنع صنماً، وسماه بعلاً، ودعا قومه وأجبرهم على عبادته، فنهاهم

(١) إن القرآن الكريم لم يذكر قصة إلياس عليه السلام مفصلة ولم يذكر إلا اليسير عنه.
فقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ إِيَّاسَ لَمَّا أَنبَأَ الْبَنَاتُ وَأَبِيهَا كَتُمُودًا أَن تَضَعْنَ بَنَاتَهُنَّ لِغَيْرِهِنَّ فَأَبَا إِلَيْهَا أَن يَضَعَهُنَّ فَأَنْبَأَهُ اللَّهُ فَأَخَذَتُمُودًا فِي يَوْمِ ذُو الْقَعْدَةِ إِذْ قَالُوا لَا نَفْقَهُ هَٰؤُلَاءِ لِمَ تَعْمَلُ مَا تَعْمَلُ يَا إِيَّاسُ إِنَّكَ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الصافات].

وقد رأينا كتب التفسير وكتب التاريخ تذكر الكثير عن إلياس بما هو مشبع بالإسرائيليات.

وقد ذكر الثعلبي في العرائس: ١٤٢ - ١٤٧ قصة إلياس عليه السلام مطولة كلها من الإسرائيليات، والمؤلف نقل كثيراً عن الثعلبي في هذه القصة دون نقد ولا تنبيه، وقد ذكر ابن كثير في تفسيره نحو ما ذكره الثعلبي مختصراً فقال: وقال وهب بن منبه: بعث الله تعالى إلياس في بني إسرائيل بعد حزقيل عليه السلام، وكانوا قد عبدوا صنماً يقال له: بعل، فدعاهم إلى الله تعالى ونهاهم عن عبادة ما سواه، وكان قد آمن به ملكهم ثم ارتد، واستمروا على ضلالتهم ولم يؤمن به منهم أحد، فدعا الله عليهم فحبس عنهم القطر ثلاث سنين، ثم سألوهم أن يكشف ذلك عنهم ووعدوه الإيمان به إن هم أصابهم المطر، فدعا الله تعالى لهم، فجاءهم الغيث، فاستمروا على أحبب ما كانوا عليه من الكفر، فسأل الله أن يقبضه إليه، وكان قد نشأ على يديه اليسع بن أخطوب عليه السلام، فأمر إلياس أن يذهب إلى مكان كذا وكذا فمهما جاءه فليركبه ولا يهبه، فجاءته فرس من نار فركب وألبسه الله تعالى النور وكساه الريش، وكان يطير مع الملائكة فصار ملكاً إنسياً سماوياً أرضياً.
هكذا حكاه وهب بن منبه عن أهل الكتاب، والله أعلم بصحته.

(٢) قال ابن جرير: هو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون عليه السلام فهو إسرائيلي من سبط هارون. انظر: تفسير ابن جرير: ٩١/٢٣، وتفسير ابن كثير: ٣٣/٦.
(٣) وهذا منقول عن العرائس للثعلبي: ١٤٢ مختصراً، ففي العرائس:

لما قبض الله تعالى حزقيل عليه السلام، عظمت الأحداث في بني إسرائيل، وظهر فيهم الفساد، ونسوا عهد الله الذي عهد إليهم في التوراة حتى نصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله ﷻ فبعث الله تعالى إليهم إلياس نبياً، وفيهم يومئذ ملك يقال له: «لاجب» قد ضل وأضل قومه وجبرهم على عبادة الأصنام وكان هو وقومه يعبدون صنماً يقال له: «بعل»... وكان لللاجب امرأة يقال لها: «أربيل»، وكان يستخلفها على رعيته إذا غاب عنهم....

إلياس عليه السلام عن ذلك، وأكثر عليهم، فهُمُّوا بقتله^(١) ففرَّ هارباً إلى الفلاة والقفار، وأقام مدة شريداً وحيداً فريداً في الجبال الشوامخ يعبد الله تعالى، ويقتات من الأشجار، ولما اشتدت به الكرب^(٢) من عدم إيمان من أرسل إليهم وتفرده عنهم، أوحى الله إليه: ما هذا الحزن والجزع الذي أنت فيه، ألسنت أميني على وحيي، وحياتي على خلقي، ورحمتي في أرضي، فاسألني أعطك، فإنني ذو الرحمة الواسعة، فقال: تمتني وتلحقتني بأبائي؛ فإنني قد مللت هؤلاء القوم وملئوني، فأوحى الله - جلَّ شأنه - إليه ما هذا اليوم الذي أعري منك الأرض وأهلها، وإنما قوامها بك وأشباهك، ولكن سلني أعطك،

(١) منقول عن العرائس: ١٤٣ بتصرف، وهذا نص العرائس مختصراً:

... ثم هم - أي الملك لاجب - بتعذيب إلياس وقتله، فلما سمع إلياس ذلك، وأحس بالشر خرج عنه فلحق بشواهد الجبال... فارتقى إلياس إلى أصعب جبل وأشمخه، فدخل مغاراً، فيقال: إنه بقي فيه سبع سنين شريداً وحيداً خائفاً يأوى إلى الشعاب والكهوف ويأكل من نبات الأرض وثمار الأشجار، وهم في طلبه، وقد وضعوا عليه العيون يتوقعون أخباره....

(٢) وهذا أيضاً منقول من العرائس: ١٤٥. وهذا نصه:

فلما طال عصيان قومه ضاق إلياس بذلك ذرعاً، وأجهده البلاء، فأوحى الله إليه بعد سبع سنين، وهو خائف مذعور مجهد: يا إلياس ما هذا الحزن والجزع الذي أنت فيه، ألسنت أميني على وحيي، وحياتي في الأرض، وصفوتي من خلقي، فاسألني أعطك، فإنني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم.

قال إلياس عليه السلام: تمتني وتلحقتني بأبائي؛ فإنني قد مللت بني إسرائيل وملوني.

فأوحى الله إليه: يا إلياس ما هذا اليوم الذي أعري منك الأرض وأهلها، وإنما قوامها وصلاحتها بك... ولكن سلني أعطك.

قال إلياس: فإن لم تمتني يا إلهي، فأعطني ثأري من بني إسرائيل، فأوحى الله تعالى إليه، فأبى شيء تريد أن أعطيك تمكيني من خزائن السماء سبع سنين، فلا تنشئ عليهم سحابة إلا بدعوتي، ولا تمطر عليهم سبع سنين قطرة إلا بشفاعتي، فإنهم لا يذللهم إلا ذلك، قال تعالى: يا إلياس أنا أرحم بعبادي من ذلك وإن كانوا ظالمين... ولكنني أعطيتك ثأرك منهم ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك، ولا أنشر عليهم سحابة إلا بدعوتك، ولا أنشر عليهم قطرة إلا بشفاعتك... قال إلياس: قد رضيت، فأمسك الله المطر عنهم ثلاث سنين، حتى هلكت المواشي والدواب والهوام والشجر، وجهد الناس جهداً شديداً...

قلت: وفي بعض الرواية: «أن الله أوحى إلى إلياس: إني جعلت أرزاقهم بيدك». والرواية التي ذكرها الثعلبي: إن الله أبى عليه ذلك مرتين وأجابه في الثالثة. وهذه الاختلافات المضطربة تدل على بطلانها، وكل هذا من أخبار بني إسرائيل.

فقال إيلياس ﷺ أن تمنني فأعطني ثأري منهم بأن تمنع القطر عنهم سبع سنين، فلا تنزل قطرة إلا بدعوتي، فقال الله ﷻ: أنا أرحم بخلقى من ذلك، فلم يزل حتى أعطاه ثلاث سنين، فامتنعت الأمطار واشتد القحط وهلكت البهائم والدواب. وفي هذه المدة^(١) كان إيلياس ﷺ يأوي إلى بيت أم يونس بن متى، وكان قد مات، فدعا له فحيي بعد الموت ودعا له أيضاً بالبركة، فكان منه ما كان.

وفي هذه المدة^(٢) أيضاً كان يأوي إلى بيت أم اليسع ابن أخطوب وكان به ضرر، فدعا له فعفي واتبعه اليسع وآمن به وصدقه وكان لا يفارقه أبداً، وكان يذهب معه حيث ما ذهب. ثم أوحى الله ﷻ^(٣) - جلّ شأنه - إلى إيلياس ﷺ قد

(١) منقول عن العرائس: ١٤٥ بتصرف وهذا نصه:

فلما طال الأمر على إيلياس من المكث في الجبل والمقام به واشتاق إلى العمران والناس، فنزل من الجبل وانطلق حتى نزل بامرأة من بني إسرائيل، وهي أم يونس بن متى ذي النون فاستخفى عندها... ويونس ابنها يومئذ مولود رضيع، وكانت أم يونس تخدمه بنفسها.. فعاد إيلياس إلى مكانه في الجبال، ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى مات ابنها يونس حين فطمته... فخرجت في طلب إيلياس، فلم تزل ترقى الجبال حتى عثرت عليه، فسلمت عليه وقالت له: إني فجعت بعدك بموت ابني، واشتد لفقدته بلائي فارحمني وادع ربك تعالى أن يحيي لي ابني فانطلق إيلياس معها حتى أتى إلى منزلها فتوضأ إيلياس وصلى ودعا، فأحيا الله يونس بن متى.

(٢) منقول عن العرائس: ١٤٥ ١٤٦ بتصرف وهذا النص في العرائس:

ثم أن إيلياس أتى إلى بيت امرأة من بني إسرائيل، لها ابن يسمى اليسع بن أخطوب، وكان به ضرر، فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به، واتبع اليسع إيلياس وآمن به وصدقه، فكان يذهب معه حيثما ذهب.

(٣) منقول عن العرائس: ١٤٦:

ثم إن الله تعالى أوحى إلى إيلياس ﷺ أنك قد أهلكت كثيراً من الخلق ممن لم يعصوني من البهائم والدواب والشجر بحبس المطر عن بني إسرائيل، فجاء إيلياس إلى بني إسرائيل وقال لهم: ويلكم إنكم قد هلكتم جوعاً وجهداً، وقد هلكت البهائم والدواب والشجر بحبس المطر عنكم بخطاياكم وأنكم على باطل، فإن كنتم تحبون أن تعلموا أن أصنامكم التي تدعونها من دون الله لن تغني عنكم شيئاً فاخرجوا بأصنامكم هذه، فإن استجابت لكم فذلك كما تقولون، وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل، فنزعتم عنها، ودعوت الله تعالى لكم أن يفرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء قالوا: أنصفت، فخرجوا ومعه أوثانهم، فدعوا فلم تستجب لهم، فدعا الله إيلياس ومعه اليسع ﷺ بالفرج مما هم فيه =

هلكت كثير من الخلق بدعائك، ومن الحيوانات ممن لم يعص، فسأل الله ﷻ أن يكون الفرج لهؤلاء العصاة، فأتاهم إلياس عليه السلام، وقال لهم: إنكم قد هلكتم من الجوع والجهد؛ وذلك بدعائي، وإن كنتم تريدون الفرج فاخرجوا بأصنامكم واستسقوا بها فإن استجابت علمتم أنكم على حق، وإلا دعوت الله لكم يفرج عليكم وعلمتم أنني على حق، ففعلوا ذلك وخرجوا بأوثانهم فدعوا فلم يستجب لهم.

ودعا إلياس عليه السلام هو واليسع فأنزل الله - جلّ شأنه - الأمطار، فأمن به من شرح الله صدره للإيمان وكفر به (من) (١) لم يهده الله ﷻ.

ولما كبر إلياس (٢) استخلف اليسع عليه السلام ورفع الله عن أعين الناس، ونزع عنه لذة المطعم والمشرب، وصار إنسانياً ملكياً سماوياً وهو كالخضر موجود في هذا العالم (٣)، كما دلت على ذلك الأخبار النبوية والآثار عن خيار

= وأن يسقوا، فخرجت سحابة مثل الترس، ثم أرسل الله عليهم المطر، فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم...

(١) ما بين القوسين ساقط من (ح).

(٢) منقول من العرائس: ١٤٦ بتصرف.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٣٣٧/١ تعليقاً على هذه الرواية؛ وما ذكره وهب بن منبه وغيره أنه لما دعا ربه ﷻ أن يقضه إليه لما كذبه وآذوه فجاءته دابة لونها لون النار فركبها وجعل الله له ريشاً وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وصار ملكياً بشرياً سماوياً أرضياً، وأوصى إلى اليسع بن أخطوب. ففي هذا نظر وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب، بل الظاهر أن صحتها بعيدة، والله أعلم.

(٣) وأما القول: إن إلياس والخضر عليه السلام موجودان في هذا العالم حيان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهذا يردّه الحديث الذي رواه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: صلّى بنا النبي ﷺ العشاء في آخر حياته، فلما سلّم قام فقال: «أرأيتمكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد». صحيح البخاري، كتاب العلم، باب السمر في العلم: ٣٧/١.

ويرده قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مِن قَبْلِكَ الْخَلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، فإلياس والخضر عليه السلام إن كانا بشرين فقد دخلا في هذا العموم لا محالة، ولا يجوز تخصيصها منه إلا بدليل صحيح، والأصل عدمه حتى يثبت، ولم يذكر فيهما دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله. انظر: البداية والنهاية: ٣٣٦/١.

نعم هناك روايات تدل على أنهما حيان فمنها: قال مكحول عن كعب: أربعة أنبياء أحياء، اثنان في الأرض: إلياس والخضر، واثنان في السماء: إدريس وعيسى.

الأبرار، وقد قص الله - جلّ شأنه - في القرآن العظيم بقوله - جلّ شأنه -: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١١٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١١٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [الصفّات] إلى آخر الآية.

قصة نبي الله اليسع عليه السلام (١)

نبأه الله - جلّ شأنه - وبعثه إلى بني إسرائيل (٢) فأمنوا به، وكان رسولاً معظماً مهاباً مسموع الكلمة فيهم مقبول الإشارة، وقد تقدم أنه كان به مرض (٣)، فدعا له نبي الله إلياس عليه السلام فعوفي فاتبعه، وكان لا يفارقه أبداً،

= وعن ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس قال - ولا أعلمه إلا مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم - قال: «يلتقي الخضر وإلياس كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه...» الحديث.

وروى ابن عساكر عن ابن أبي رواد قال: إلياس والخضر يصومان شهر رمضان بيت المقدس ويحجان في كل سنة ويشربان من ماء زمزم شربة واحدة تكفيهما إلى مثلها من قابل. ذكر هذه الروايات ابن كثير في البداية والنهاية: ١/٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٨ ثم علق عليها فقال:

وهذه الروايات والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته أي الخضر، قلت: وهو وإلياس إلى اليوم وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً لا يقوم بمثلها حجة في الدين، والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف في الإسناد. وقصاراها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره؛ لأنه يجوز عليه الخطأ، والله أعلم. وقد تقدم عن وهب أنه سلبه - أي إلياس الله - لذة المطعم والمشرب، وعن بعضهم: أن الخضر وإلياس يشربان من زمزم كل سنة شربة تكفيهما إلى مثلها من الحول الآخر وهذه متعارضة وباطلة لا تصح.

(١) قال ابن جرير في تفسيره: ١٧٣/٧: (هو اليسع بن أخطوب ابن العجوز).

وهو من أنبياء بني إسرائيل، لم يذكر القرآن شيئاً من حياته إلا أن الله ذكره في القرآن. فقال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَهُدَّادًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٨١﴾﴾ [ص].

(٢) وفي البداية والنهاية: ٢/٤: عن الحسن قال: كان بعد إلياس اليسع عليه السلام، فمكث ما شاء الله أن يمكث يدعوهم إلى الله مستمسكاً بمنهاج إلياس وشريعته، حتى قبضه الله صلى الله عليه وسلم إليه، ثم خلف فيهم الخلف وعظمت فيهم الأحداث والخطايا وكثرت الجباية وقتلوا الأنبياء...

(٣) هذا القول منقول من العرائس: ١٤٥ في ضمن قصة إلياس، وفيها ما فيها من الزيادات والاضطرابات، وكل هذا من الإسرائيليات.

ويذهب معه حيثما ذهب، إلى أن استخلف في بني إسرائيل وحكم فيهم مدة إلى أن توفاه الله تعالى - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام - .

قصة نبي الله ذو الكفل عليه السلام (١)

وهو نبي على أصح الأقوال (٢)، واختلف في سبب تسميته ذو الكفل (٣)، والمشهور أنه تكفل أن لا يغضب. وقيل: تكفل بصيام النهار وقيام الليل. وقيل: تكفل بصلاة ألف ركعة في كل يوم. وكان نبياً عظيماً، وقد كان ذكره عليه السلام في الكتاب العزيز في عدة آيات (٤) منها قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء].

(١) ذو الكفل: هو بشر بن أيوب عليه السلام بن أموص بن زارح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام بعثه نبياً بعد أبيه وكان مقيماً بالشام. انظر: روح المعاني: ٨٢/١٧. (٢) قال ابن الجوزي في زاد المسير: ٣٧٩/٥. (٣) اختلف العلماء هل كان نبياً أو لا على قولين: أحدهما أنه لم يكن نبياً، ولكنه كان عبداً صالحاً، قاله أبو موسى الأشعري ومجاهد. والقول الثاني: أنه كان نبياً، قاله الحسن وعطاء، والراجح القول الثاني. كما قاله ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٤٤/١. فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقروناً مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي - عليه من ربه الصلاة والسلام - . وهذا هو المشهور.

(٣) روى ابن جرير في تفسيره عن مجاهد قال: لما كبر اليسع قال: لو أني استخلفت رجلاً على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يفعل، فجمع الناس فقال: من يتقبل مني بثلاث أستخلفه: فيصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب؟ قال: فقام رجل تزدرية الأعين فقال: أنا، فقال: أنت تصوم النهار، وتقوم الليل، ولا تغضب؟ قال: نعم... فاستخلفه... فسماه الله ذا الكفل؛ لأنه تكفل بأمر فوفى به. انظر: تفسير ابن جرير: ٥٩/١٧، وتفسير ابن كثير: ٥٨٤/٤.

قلت: والقول الذي تطمئن به النفس ما قاله الألوسي في تفسيره: ٨٢/١٧. والكفل: الكفالة والحظ والضعف، وإطلاق ذلك عليه إن لم يكن اسمه إما لأنه تكفل بأمر فوفى به، وإما لأنه كان ذا حظ من الله تعالى.

(٤) منها قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص].

قصة نبي الله يونس ﷺ

هو يونس بن متى^(١)، أرسله الله تعالى إلى أهل (يَنْبُؤَى)^(٢) وما والاها، وكانوا أمماً كثيرة وعوالم جليلة، فدعاهم إلى توحيد الله تعالى وتعظيمه فلم يستجب له منهم إلا القليل، فدعا عليهم وأوعدهم حصول العذاب في يوم معين، فلما علموا صدق قوله أنابوا إلى الله - جلّ شأنه - وتابوا وآمنوا به، فعلم الله صدقهم فتاب عليهم^(٣)، ولم يعلم يونس ﷺ بذلك، فلما رأى العذاب لم يأتهم خشي أن يعيروه، فخرج مغاضباً لله حيث لم ينجز له وعده^(٤)، وتوجه، فرأى سفينة فركب فيها فلم تسر السفينة، وتحيرت كثيراً، فقال أهل السفينة: فينا عبد آبق فاقترعوا حتى نعرفه، فظهرت القرعة^(٥) على

(١) هو: يونس بن متى، ونبئ وهو ابن ثمان وعشرين سنة، ويسمى عند أهل الكتاب «يونان بن أمّتي» وهو من بني إسرائيل. انظر: روح المعاني: ١٤٢/٢٣.

(٢) يَنْبُؤَى: قرية يونس بن متى ﷺ بالموصل. انظر: معجم البلدان: ٣٣٩/٥.

(٣) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٥١/١:

بعث الله يونس ﷺ إلى أهل «ينبؤى» من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله ﷻ، فكذبوه وتمردوا عليه بكفرهم وعنادهم، فلما طال ذلك عليه من أمرهم خرج من بين أظهرهم، ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث.

فلما خرج من بين ظهرانهم، وتحققوا نزول العذاب بهم كذبوا في قلوبهم التوبة والإجابة، وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم.

(٤) ليس خروج يونس ﷺ من قومه مغاضباً لله، فإن ذلك يتنافى مع عصمة الأنبياء. ولكن خروجه من مدينتهم مغاضباً لهم بسبب عصيانهم وإصرارهم على الكفر، وكان تركه للمدينة بدون إذن ربه اعتقاداً منه أن الله لن يؤاخذه على ما فعل. ثم إن يونس ﷺ وعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاثة وهو موقن بوقوعه. انظر: البداية والنهاية: ٢٥٢/١، وروح المعاني: ١٤٣/٢٣.

(٥) في البداية والنهاية: ٢٥٢/١: أن يونس ﷺ لما ذهب مغاضباً بسبب قومه، ركب سفينة في البحر فلجت بهم، واضطربت وماجت بهم وثقلت بما فيها... فتشاؤروا فيما بينهم على أن يقترعوا، فمن وقعت عليه القرعة ألقوه من السفينة ليتخففوا منه. فلما اقترعوا وقعت القرعة على نبي الله يونس، فلم يسمحوا به، فأعادوها ثانية فوقعت عليه أيضاً، لما يريد الله به من الأمر العظيم. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٤﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكَ الْمَشْحُونِ ﴿١٢٥﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٢٦﴾ فَالْقَمْعَةُ الْكَرُوحُ وَهُوَ مُيِّمٌ ﴿١٢٧﴾﴾ [الصافات]. وذلك أنه لما وقعت عليه القرعة ألقى في البحر وبعث الله ﷻ حوتاً عظيماً من البحر الأخضر =

نبي الله يونس عليه السلام فقال: نعم، أنا الآبق، ورمى بنفسه في البحر فابتلعه حوت عظيمة، فجلس في بطنها نحواً من ثلاثين يوماً^(١)، وكان يسبح الله تعالى في بطن الحوت، فلذلك أنجاه الله تعالى من تلك الشدة، وكان تسيحه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأعرف كلمة لا يقولها مكروب في بر ولا بحر إلا فرج الله عنه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾»، وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أهى ليونس خاصة أم للناس عامة؟ فقال: «ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُنشِئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾»^(٢)، فسبحان المتفضل على عباده بمزيد برّه وإحسانه وإمداده، فلما سأل الله الفرج^(٣) وتاب من مغاضبته لمولاه ألقاه الحوت إلى ساحل البحر،

= فالتقمه، وأمره الله تعالى أن لا يأكل له لحماً ولا يهشم له عظماً فليس له لك برزق.. ولما استقر في جوف الحوت حسب أنه قد مات، فحرك جوارحه فتحركت، فإذا هو حي، فخر الله ساجداً، وقال: يا رب اتخذت لك مسجداً في موضع لم يعبدك أحد في مثله.

(١) وفي البداية والنهاية: ٢٣٣/١: وقد اختلفوا في مقدار لبثه في بطنه، فقال مجالد عن الشعبي: التقمه ضحى ولفظه عشية. وقال قتادة: مكث فيه ثلاثاً. وقال جعفر الصادق: سبعة أيام. وقال سعيد بن أبي الحسن وأبو مالك: مكث في جوفه أربعين يوماً. ثم قال ابن كثير بعد ذكر هذه الأقوال: والله أعلمكم مقدار ما لبث فيه. والمقصود أنه لما جعل الحوت يطوف به في قرار البحار اللجية ويقتحم به لجاج الموج الأجاجي، فسمع تسيح الحيتان للرحمن... فعند ذلك وهنالك قال ما قال بلسان الحال والمقال، كما أخبر عنه ذو العزة والجلال الذي يعلم السر والنجوى.. حيث قال في كتابه المبين المنزل على رسوله الأمين: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْتَضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٧٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنْ الْغَنِيِّ وَكَذَلِكَ نُنشِئُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک بمعناه، كتاب التفسير، باب دعاء ذي النون في بطن الحوت: ٣٨٢/٢، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) وفي البداية والنهاية: ٢٣٤/١: أخرج ابن أبي حاتم من حديث أبي صخر: أن يزيد الرقاشي حدثه، سمعت أنس بن مالك، ولا أعلم إلا أن أنساً يرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن يونس النبي صلى الله عليه وسلم حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت قال: «اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إنني كنت من الظالمين» فانقبلت هذه الدعوة تحت العرش.. فأمر أي الله الحوت فطرحة في العراء. وفي حديث أبي هريرة أنه يقول: طرح بالعراء، وأنبت الله عليه اليقطينة، قلنا: يا أبا هريرة، وما اليقطينة؟ قال: شجرة الدباء. وقال أبو هريرة: وهياً الله له أروية وحشية تأكل من خشاش الأرض، قال: فتفسخ =

وأُنبِت اللهُ ﷻ عليه شجرة اليقطين، وهي شجرة الدباء، وكان حين لفظته الحوت كالطفل حين يخرج من بطن أمه في غاية الضعف.
 وأما قومه فإنهم أسفوا على نفسه كثيراً، فلما عاد إليهم فرحوا به فرحاً شديداً^(١)، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لَعِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٦﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٣٧﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الصفات]، إلى آخر ما قصَّ اللهُ - جلَّ شأنه - من الآية في شأنه - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام -.

قصة نبي الله عزير - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام -

هو من سبط هارون ﷺ، وهو عزير بن سروخا^(٢)، وكان فيمن أسره بخت نصر^(٣) لما أن دخل بيت المقدس ووصل معه إلى أرض بابل، وتخلص منهم

= عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت.

قال ابن كثير: وهذا غريب من هذا الوجه، ويزيد الرقاشي ضعيف، ولكن يتقوى بحديث أبي هريرة الذي أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٦٦/٢٣، كما يتقوى ذلك بهذا الأروية: بالضم والكسر: الأنثى من العول. انظر: مختار الصحاح مادة: (روى): ص(١٦٤).

الخشاش: حشرات الأرض والعصافير ونحوها. انظر: مختار الصحاح مادة: (خ ش ش) ص(١٧٦).

التفسيخ: إرخاء المفاصل.

(١) قال ابن كثير في تفسيره: ٣٧/٦ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِرُوحِنَا وَوَعَدْنَا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الصفات].

روى شهر بن حوشب عن ابن عباس ﷺ أنه قال: إنما كانت رسالة يونس - عليه الصلاة والسلام - بعدما نبذ الحوت، وعن مجاهد: أرسل إليهم قبل أن يلتقمه الحوت، قال ابن كثير: ولا مانع أن يكون الذين أرسل إليهم أولاً أمر بالعود إليهم بعد خروجه من الحوت فصدقوه كلهم وأمنوا به.

(٢) هو: عزير بن سروخا بن عدبا بن أيوب بن درزنا بن عري بن تقي بن إسبوع بن فحاض بن العازر بن هارون بن عمران ﷺ. انظر: البداية والنهاية: ٤٢/٢.

(٣) وفي البحر المحيط: ٢٩٢/٢ عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَنْظَرْنَا إِلَىٰ ظَلَمَاتِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَكُنْ لَكَ الْبَقْرَةَ﴾ [البقرة].

وأقبل راجعاً إلى الأرض المقدسة ومعه حماره، ودخل قرية من قرى الأرض المقدسة، فرآها خاوية خالية قد تهدمت بيوتها، فقال في نفسه: متى ترجع هذه البلدة وتعود على حالها؟^(١).

وكان معه عنب في سلة قد أخذه وعصر منه جانباً ووضع في زق فأكل من هذا وشرب من هذا ونام، فنزع الله منه الروح، وأبقاه حياً، ومنع منه الآفات مائة سنة. وكان نومه وقت الضحى وأفاق وقت الغروب، فلما أفاق قال له^(٢) الملك: كم لبثت؟ قال: ﴿لَيْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [البقرة] فنظر إلى حماره فوجده على حاله^(٣)، ونظر إلى العنب فوجده لم يتغير، وإلى العصير كذلك، ورأى البلاد قد عمرت بأحسن ما يكون^(٤)، فركب حماره^(٥) وذهب إلى داره،

= في قصة عزيز، أنه لما نجا من بابل ارتحل على حماره حتى نزل دير هرقل على شاطئ دجلة فطاف في القرية فلم ير فيها أحداً، وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العنب في زق، فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال: أنى يحيى - على سبيل التعجب لا شكاً في البعث - .
(١) وذلك قوله تعالى: ﴿أَنَّى يُحْيَى هَٰذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة].

فلم يشك أن الله يحييها، ولكن قالها تعجباً، فبعث الله ملك الموت فقبض روحه فأماته الله مائة عام. أخذاً من البداية والنهاية: ٩٤٤/٢.

(٢) في (ح): «قاله».

(٣) وفي البداية والنهاية: ٤٤/٢.

غير ما ذكره المؤلف من أن حماره على حاله، وما ذكره في البداية والنهاية يؤيده القرآن الكريم. . . فقال له الملك: انظر إلى حمارك - فنظر إلى حماره - قد بليت عظامه وصارت نخرة، فنادى الملك عظام الحمار فأجابت وأقبلت من كل ناحية حتى ركبها الملك وعزير ينظر إليه. . . ثم كساها اللحم. . . فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِئُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٩].

(٤) قال في البحر المحيط: ٢٩٠/٢: إنه لما مر له سبعون سنة من موته، وقد منعه الله تعالى من السباع والطير، ومنع العيون أن تراه، أرسل ملكاً إلى ملك عظيم من ملوك فارس يقال له: كوسك، فقال: إن الله تعالى يأمرك أن تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وإيليا وأرضها حتى تعود أحسن مما كانت، فانتدب الملك في ثلاثة آلاف قهرمان مع كل قهرمان ألف عامل، وجعلوا يعمرونها، وأهلك الله تعالى بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه، ونجى الله تعالى من بقي من بني إسرائيل، وردّهم إلى بيت المقدس، فعمروها ثلاثين سنة، وكثروا حتى كانوا كأحسن ما كانوا عليه فعند ذلك أحياه الله تعالى. وانظر: ظ روح المعاني: ٢٢/٣.

(٥) من هنا إلى آخر القصة مأخوذ من البداية والنهاية: ٤٤/٢. وانظر: روح المعاني: ٢٤/٣.

فقال: هذه دار نبي الله عزير؟ فقيل له: أين نبي الله عزير له مائة سنة فقدناه؟ فقال: أنا نبي الله عزير، وكان ابنه شيخاً كبيراً قد بلغ من العمر مائة وثمانية عشرة سنة. فقال: كانت لأبي شامة سوداء في كتفه، فكشفوا عنها فأوها. وكان بخت نصر أحرق كتب التوراة جميعها، فحزن لذلك عزير عليه السلام فألقاها الله ﷻ في سره فأملاها جميعها على بني إسرائيل، ولهذا المعنى تغالت طائفة من اليهود فيه ^(١).

وقصته في القرآن الشريف في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَأَلَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ إلى آخر الآية [البقرة: ٢٥٩] ^(٢).

قصة نبي الله زكريا

- عليه الصلاة والسلام - ^(٣)

هو زكريا بن دان بن مسلم بن صدوق، من ولد سليمان بن داود - عليهم الصلاة والسلام -، وكان رئيس الأحرار وكبير الرهبان، إليه مرجعهم، وهو أحد أنبياء بني إسرائيل - عليهم الصلاة والسلام -، وكان متزوجاً بخالة ^(٤) مريم بنت عمران أم عيسى - عليه الصلاة والسلام - واسمها أشياع بنت فاقد وهي أم يحيى عليه السلام.

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٤٦/٢:

عن ابن عباس أنه سأل عبد الله بن سلام عن قول الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

لما قالوا ذلك فذكر له ابن سلام قول بني إسرائيل: لم يستطع موسى أن يأتينا بالتوراة إلا في كتاب، وأن عزيراً قد جاءنا بها من غير كتاب، فرماه طوائف منهم وقالوا: عزير ابن الله.

(٢) في (هـ) و(ح): «إلى آخر الآيات» وهو خطأ؛ لأن الآية التي ذكرت القصة آية واحدة، والصواب ما أثبتته.

(٣) في البداية والنهاية: ٥١/٢: هو: زكريا بن لدن بن مسلم بن صدوق بن حشبان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن برخيا بن بلعاطة بن ناحور بن شلوم بن بهناشاط بن إينانم بن رحبعام بن سليمان بن داود - أبو يحيى النبي - ﷺ من بني إسرائيل.

(٤) وعند الجمهور أنه كان متزوجاً بأخت مريم بنت عمران واسمها «أشياع» أيضاً. انظر: البداية والنهاية: ٦١/٢.

وكان زكريا عليه السلام قد سنّ وكبر ولم يرزق ولداً، فحزن لذلك كثيراً، وسأل الله تعالى أن يرزقه ولداً يرث حاله وماله^(١)، وكانت امرأته عاقراً لم تلد، قد بلغت من العمر ثمان وتسعين سنة، وهو ابن مائة وعشرين سنة، فبشر بولد اسمه يحيى، وأنه كان نبياً وسيداً ووحيداً في صفاته وذاته^(٢)، فلما بشر بذلك حصل له اشتباه في كيفية وجود ذلك الولد، هل يكون مع بقاء الضعف والشيخوخة أو بإعادة القوى والشباب؟

فأجيب: بأن الله تعالى يفعل ما يشاء على أي صفة شاء^(٣)، وسأل الله تعالى أن يجعل له علامة على قرب وجود ذلك المولود المبشر به، فأوحى الله - جلّ شأنه - إليه بأن علامة ذلك أن يمتنع عنك الكلام ثلاثة أيام بلا سبب، ويكون كلامك إشارة، وأمر بالإكثار من ذكر الله تعالى والتسبيح والتقديس^(٤)، وكان

(١) المراد بالوراثة هنا النبوة والحكم في بني إسرائيل، وليست وراثة المال، كما زعم ذلك من زعمه من الشيعة، ووافقهم ابن جرير في تفسيره: ٣٧/١٦. ويؤيد ما قلنا:

أولاً: أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة» فهذا نص على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يورث ولهذا منع الصديق أن يعطي ما كان يختص به في حياته إلى أحد من ورائه، الذين لولا هذا النص لأعطاه لهم، وهم: ابنته فاطمة، وأزواجه التسع وعمه عباس رضي الله عنه، واحتج الصديق عليهم في منعه إياهم بهذا الحديث. ثانياً: أن الترمذي رواه بلفظ يعم سائر الأنبياء: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»، وصححه.

ثالثاً: أن الدنيا أحقر عند الأنبياء من أن يكتزوا لها أو يلتفتوا إليها أو يهتمهم أمرها حتى يسألوا الأولاد ليحوزوها بعدهم، فإن من لا يصل إلى قريب من منازلهم في الزهادة لا يهتم بهذا المقدار أن يسأل ولداً يكون وارثاً له فيها.

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿بِزَكَرِيَّا إِتْنَا نَبِيْرًا بِعَلْمٍ آسَمُوْا بِحَيِّ لَمْ يَجْعَلْ لَّهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ۗ﴾ [مريم]. وقوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ اَنَّ اللّٰهَ يُبَشِّرُكَ بِغُلٰمٍ يُصَلِّيْكَ مَصَدَقًا يَكْفِيْكَ مِنَ اللّٰهِ وَسَيِّدًا وَحَصُوْرًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصّٰلِحِيْنَ ۝﴾ [آل عمران]. (٣) وذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اِنَّيْ كُوْنُ لِيْ عِلْمًا وَّ قَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَاْمْرًا نِّيْ عَاقِرًا قَالَ كَذٰلِكَ اللّٰهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۝﴾ [آل عمران].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اِنَّيْ كُوْنُ لِيْ عِلْمًا وَّ كَانَتْ اْمْرًا نِّيْ عَاقِرًا وَّ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۝﴾ قَالَ كَذٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلٰى هٰٓئِن وَّ قَدْ خَلَقْتٰكَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ تَكُنْ شَيْئًا ۝﴾ [مريم].

(٤) وذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّيْ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ اَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلٰثَةَ اَيَّامٍ اِلَّا رَمَزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيْرًا وَسَبِّحْ بِاَلْحَمْدِ وَالْاِبْحٰرِ ۝﴾ [آل عمران].

ذلك من طريق الفكر والسر، ورزقه الله تعالى يحيى - عليه الصلاة والسلام - فورث حاله وماله كما تمنى وقتل ﷺ شهيداً منشوراً بالمنشار^(١).

قصة نبي الله يحيى

- عليه الصلاة والسلام -

نبأه الله ﷺ واصطفاه، وأيده بالحكمة والمعرفة، وعلمه التوراة، كل ذلك وهو طفل صغير^(٢)، ولما نبئ كان عمره ثلاث سنين، وأرسل إلى بني إسرائيل. وكان أكبر من عيسى ﷺ بنحو ثلاثة أعوام، فبشّر بعيسى ﷺ، وأخبرهم أنه سيوجد، ونصح الله وأرشد العباد، ودعا إلى توحيد الله تعالى وطاعته. وكان قد كثُر الفساد والطغيان في بني إسرائيل، فدعاهم إلى الله ﷺ.

وكان حصوراً لا يريد النساء ولا يشتهيهم^(٣)، وكان ذا مقام عظيم في التجرد عن الدنيا والعزوب عنها، وكان مقامه ﷺ إدمان الصوم وملازمة الجوع والسهر، وقد مدحه الله - جلّ شأنه - وأثنى عليه في قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران]^(٤)، قتل ﷺ شهيداً قطع رأسه

= وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١١﴾﴾ فخرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ [مريم].

(١) ففي البداية والنهاية: ٥٢/٢: عن وهب بن منبه أنه قال: هرب - أي زكريا - من قومه فدخل شجرة فجاؤوا فوضعوا المنشار عليه، فلما وصل المنشار إلى أضلاعه أن، فأوحى الله إليه لئن لم يسكن أبنك لأقلبن الأرض ومن عليها فسكن أئنه حتى قطع بانثنين.

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿٢٢﴾﴾ [مريم].

(٣) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٥١/٢، ٥٢: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾. فقيل: المراد بالحصور الذي لا يأتي النساء، وقيل غير ذلك، وهو أشبه لقوله: ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨]. وقال الألوسي في تفسيره: ١٥٢/٣: الحصور: الذي حصر ومنع عن جميع الشهوات وعصم بالعصمة الأزلية.

(٤) وبقية قصته ﷺ مذكورة في قوله تعالى: ﴿يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿٢٢﴾ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَرُكُوءًا وَكَانَتْ نَفْسًا ﴿٢٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿٢٤﴾ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُعْتَدُ حَيًّا ﴿٢٥﴾﴾ [مريم].

الشريف^(١) - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - .

قصة نبي الله عيسى - عليه الصلاة والسلام -

وقصة ولادة مريم عليها السلام به

أما صفة ولادة مريم عليها السلام به فهو أنها خرجت تغتسل في نهر في موضع خال مستور عن أعين الناس، فلما فرغت من غسلها أقبل نحوها شاب حسن الصورة والهيئة، فلما رآته قالت: قف أيها الشخص مكانك ولا تقرب نحوي إن كنت من أهل الإيمان والتقوى، فقال لها: لست بشراً إنما أنا ملك من ملائكة الله تعالى أرسلني الله تعالى إليك أبشرك بأنك تأتين بمولود هو كلمة من كلمات الله، يمسح الجليل عليه السلام على ناصيته بيد رحمته وإقباله، فلا يدع فيه شيئاً مما يكره، ويفيض عليه بمعرفته ما يحتوي عليه علم الكتاب المكنون والقلم المحزون، ويلهمه الحكمة والاقتصاد واللين والتواضع، ويعلمه التوراة المنزلة على موسى عليه السلام، وينزل عليه الإنجيل مشتملة على مواعظ وحكم، ويبعثه إلى بني إسرائيل، ويقوم على تحقيق نبوته براهين قاطعة ودلائل ساطعة، فيصور الطير من الطين وينفخ فيه فيكون حيواناً طائراً بإذن الله تعالى، ويحيي الموتى ويشفي الأكمه - وهو الذي ولد أعمى - فيصير بصيراً، ويداوي البرص والمجدوم وذوي العاهات المزمنة بنفسه ولمسه فيشفى بإذن الله تعالى، ويخبر بما كان وما يكون من الأمور المغيبة، وما دق وما خفي في البيوت والأسرار والضمائر.

فلما قال الملك لمريم عليها السلام ذلك، قالت له: كيف يكون لي ويولد لي ذلك المولود، وليس لي بعل ولا يحل لي الخيانة والبغي، وإنما يولد المولود من رجل؟

فأجابها الملك بأن الله تعالى قادر على إيجاد مولود بلا أب فإنه واضح الأسباب إن شاء أجرى آثار قدرته بواسطة الأسباب، وإن شاء أجرى آثار

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٥٣/٢: وذكروا في قتله أسباباً، من أشهرها: أن بعض ملوك ذلك الزمان بدمشق كان يريد أن يتزوج ببعض محارمه أو من لا يحل له تزويجها، فنهاه يحيى عليه السلام عن ذلك، فبقي في نفسها منه، فلما كان بينها وبين الملك ما يحب منها استوهبت منه دم يحيى، فوهبه لها، فبعث إليه من قتله وجاء برأسه ودمه في طشت إلى عندها، فيقال: إنها هلكت من فورها وساعتها.

قدرته بلا سبب، وأن الله موجود لك ذلك المولود فائتبي ثم نفخ بضمه إلى نحرها، فخرج من فيه نور روحاني^(١) فوصل إلى جسدها والتمس بها والجمع في جوفها فاستحال في جوفها بإذن الله تعالى لحماً ودماً وبشراً كاملاً فتحرك في بطنها وصار لها المخاض واستندت إلى نخلة، وكان ذلك في أيام الشتاء، والنخلة يابسة، فاخضرت وأثمرت في الحال، ووضعت نبي الله وصفوته عيسى ﷺ كل ذلك في ساعة^(٢)، فلما رأت ذلك حزنت وخشيت أن تعير به، فقالت: يا ليتني مت ولم أكن أذكر، فأنطق الله عيسى ﷺ، فقال لها^(٣): لا تحزني إن الله قد جعل تحتك سرياً^(٤)، فهزي النخلة وكلتي من ثمرها وقرّي عيناً وطبّي نفساً، وإن رأيت أحداً من البشر يسألك أو يجادلك في شأني فقولني: أنا صائمة فلا أتكلم مع أحد، فاسألوا الصبي هو يجيبكم، وذهبت بعيسى ﷺ

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٦٤/٢: ذكر غير واحد من السلف أن جبريل نفخ في جيب درعها فنزلت النفخة إلى فرجها فحملت من فورها كما تحمل المرأة عند جماع بعلمها.

(٢) القول في أن ذلك في ساعة واحدة هو رواية عن الباقر ﷺ كما حملته نبذته، واستدل ذلك بالتعقيب الآتي، وبأنه سبحانه قال في وصفه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران]. فإنه ظاهر في أنه ﷺ قال له: كن، فيكون، فلا يتصور فيه مدة الحمل. أخذاً من تفسير الألوسي: ٧٨/١٦.

وهناك أقوال أخرى:

ففي رواية عن ابن عباس أنها تسعة أشهر كما في سائر النساء، وهو المروي عن الباقر ﷺ (في رواية عنه)؛ لأنها لو كانت مخالفة لهن في هذه العادة لناسب ذكرها في أثناء هذه القصة الغريبة. وقيل غير ذلك.

والقول الذي تميل إليه النفس القول الأول، وهو ما اختاره ابن كثير. فقال ابن كثير في البداية والنهاية: ٦٤/٢، بعد ذكر الأقوال في هذه القصة:

ثم الظاهر أنها حملت به تسعة أشهر، كما تحمل النساء، ويضعن لميقات حملهن ووضعهن؛ إذ لو كان خلاف ذلك لذكر.

(٣) القائل هو جبريل ﷺ؛ لأن عيسى ﷺ لم يتكلم إلا بحضرة القوم، وهو الذي يوافق ما روي عنه أولاً. وجبريل ﷺ في مكان أسفل منها.

عن الحسن أنه قال: ناداها جبريل ﷺ وكان في بقعة من الأرض أخفض من البقعة التي كانت عليها، ولعله إنما كان موقفه ﷺ هناك إجلالاً لها وتحاشياً من حضوره بين يديها في تلك الحال. انظر: البداية والنهاية: ٦٦/٢، وروح المعاني: ٨٢/١٦.

(٤) السري: الجدول أي النهر الصغير.

تحمله، فلما رآه أهلها أنكروا شأنه، وكانوا بيت خير وصلاح ويعلمون منها التقى والعفاف، وأكثروا عليها القول في شأنه، فقالت لهم: سلوه، فقالوا: كيف نكلمه وهو طفل صغير^(١)؟ فنطق عيسى ﷺ فقال: أشهد أن الله ربي وأني عبده وكلمته، أعطاني الكتاب والعلم والحكمة، وجعلني نبياً وجعلني مباركاً على من اتبعني وآمن بي، وأوصاني بطاعته وبالخضوع له وبذل الدنيا والزهد فيها، وألزمي بحسن الأخلاق وأنجاني من مساوئها والبر بوالدي والطاعة لها، وقد حفظني ﷻ مما لا يرضيه في حياتي ومماتي إن شاء الله^(٢).

فلما سمعوا منه هذا القول علموا أن ذلك لا يكون إلا ممن اجتبهه الله واصطفاه، وتحققوا براءة مريم ﷺ وطهارتها، ونشأ عيسى ﷺ بأحسن نشأة وأكملها، ولما شب ﷺ وكبر أسلمته أمه إلى المعلم فقال له المعلم: قل: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال عيسى: وما بسم الله الرحمن الرحيم؟ فقال المعلم: لا أدري، فقال عيسى ﷺ الباء: بهاء الله، والسين: سناؤه، والميم: مجده، والله: إله الآلهة، والرحمن: رحمن الدنيا والآخرة، والرحيم: رحيم الآخرة^(٣).

واتفق له ﷺ وهو في المكتب صغيراً أنه كان يخبر الصبيان بما في بيوتهم وما يأكلون وما يصنعه آبائهم في دورهم، فتعب أبو الصبيان فمنعوه عنهم وحبسوه في بيوتهم. فجاء عيسى ﷺ يسأل عنهم فقيل له: ليس هنا أحد. فقال: من في هذا الموضوع؟ فقالوا له: خنازير، فقال: كذلك يكون إن شاء الله فمسخوا خنازير^(٤).

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿فَكَلِمَةٌ أَشْرَقَ وَقْرَىٰ عَيْنًا فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿١٦٦﴾ فَأَنْتَ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤُا لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿١٦٧﴾ يَتَأَخَذُ هَتُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيًّا ﴿١٦٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَرْحَامِ صَيِّتًا ﴿١٦٩﴾﴾ [مريم].

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٢١٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٢١١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٢١٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٢١٣﴾﴾ [مريم].

(٣) لم أعثر له على مرجع إلا في العرائس: ٢١٨.

(٤) وفي البداية والنهاية: ٧٧/٢: عن عبد الله بن عمر أنه قال: كان عيسى ابن مريم وهو غلام يلعب مع الصبيان، فكان يقول لأحدهم: تريد أن أخبرك ما خبأت لك أمك؟ =

ومن قصته العجيبة ﷺ أن أمه ﷺ أسلمته إلى صباغ ليتعلم حرفة الصباغة، فقال له المعلم في بعض الأيام: إني أريد السفر، وعلم له كل ثوب بخيط من النوع الذي يريده، فجمع عيسى ﷺ جميع الأثواب ووضعهم في حب^(١) واحد في آن واحد، فلما جاء الصباغ قال له: أين الثياب فأراهم إياه وقد جعلهم في حُبِّ واحد، فقال له: لقد أفسدت علي. فقال له: تعال أريك، فجعل يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، ويخرج كل ثوب باللون الذي أراده الصباغ، فلما رأى ذلك آمن به وأحبه واعترف بكرامة الله تعالى له^(٢).

ولما بلغ من العمر ثلاثين عاماً أمره الله ﷻ بإظهار الدعوة والحث على نشر سنن الفضائل وتهذيب الأخلاق، فدعا إلى الله ﷻ.

فلما أظهر ذلك آذاه اليهود، فخرج هو وأمّه فارّين ممن آذاهم، فمرّاً ببلدة فأضافهم رجل وأكرمهم، وأقاما عنده، فلما كان في بعض الأيام رأت مريم ﷺ امرأة الرجل حزينة، فسألته من ذلك فأخبرتها أن لهم ملكاً جباراً، وأن له عادة على كل واحد من أهل البلد في كل سنة أن يضيفه هو وجنوده يوماً، فقالت لها مريم: لا تحزني، فإن لي ابناً لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه، وطلبت مريم من عيسى ﷺ أن يدعو لهم، فقال لها: ربما يصير من ذلك شراً، فقال: قد أكرمونا فلا بد أن ندعو لهم، فأمرهم أن يملؤوا القدور والخوابي ماء، فاستحالت القدور مرقاً ولحماً، واستحالت الخوابي خمراً، فأكل الملك هو وجنوده وشربوا، وأنكروا حسن الطعام والشراب ولذته، فتفحص الملك عن ذلك، فأخبره الرجل بدعوة عيسى لهم، وكان للملك ابناً قد مات قريباً، فقال: إن رجلاً أجاب الله دعاءه في الطعام ليجيب دعوته في إحياء ابني، فسأل من عيسى أن يسأل الله ﷻ في حياة ابنه، فقال له

= فيقول: نعم، فيقول: خبات لك كذا وكذا، فيذهب الغلام منهم إلى أمه فيقول لها: أطمعيني ما خبات لي! فتقول: وأي شيء خبات لك؟ فيقول: كذا وكذا. فتقول: من أخبرك؟ فيقول: عيسى ابن مريم. فقالوا: والله لئن تركتم هؤلاء الصبيان مع ابن مريم ليفسدنهم، فجمعوهم في بيت وأغلقوا عليهم، فخرج عيسى يلتمسهم فلم يجدهم، فسمع ضوضاءهم في بيت، فسأل عنهم. فقالوا: إنما هؤلاء قردة وخنازير. قال: اللهم كذلك، فكانوا كذلك.

(١) والحُبُّ: الجرة الضخم.

(٢) هذه القصة مأخوذة من العرائس للثعلبي: ٢١٩ بتصرف قليل.

عيسى عليه السلام بشرط أن تتركوني أتوجه عنكم، فدعا الله - جلّ شأنه -، فأحیی ابن الملك .

فلما رأى أهل البلد ذلك قالوا: قد ظلمنا الملك كثيراً، فلما أراد أن يموت يريد أن يظلمنا ابنه كذلك فاقتلوهم وإياه، فتركهم عيسى عليه السلام وخرج من البلدة^(١) .

وكانت هذه من معجزاته - عليه الصلاة والسلام - .

وهدى الله به أناساً كثيرين^(٢)، فمنهم الحواريون: وهم أنصاره وخاصته، فتوجه بهم راجعين إلى بني إسرائيل وأظهر الدعوة فأمن به من سبقت له السعادة، وكفر به من سبقت له الشقاوة، وبعث أتباعه وتلاميذه إلى الأقطار لإشاعة الخير وإفادة المعرفة بالله تعالى، وكان من أرسلهم رجلين من جماعته إلى أنطاكية^(٣)، وهما اللذان ذكرهما الله تعالى في كتابه العزيز. فلما وصلا خارج المدينة رأيا رجلاً يرعى فسألهما عن شأنهما، فأخبراه أنهما رسولان لتعليم الإيمان بالله تعالى ومعرفة جلاله وكبريائه، ويسألهما: هل لكما علامة على ذلك ودلالة؟ فقالا: نعم، نبرئ الأكمه والأبرص، ونشفي المرضى ونحيي الموتى بإذن الله تعالى، وكان عنده ابن مريض، فدعوا له فشفي فأمن بهم، وكان يقال له: حبيب النجار، وليس هذا حبيب الذي كان في زمن موسى عليه السلام .

ثم دخلا أنطاكية ودعوا إلى الله - جلّ شأنه -، وبرهنوا بشفاء الأمراض والأسقام، فهدى الله تعالى بهم أناساً وبلغ خبرهم الملك، فدعاهم وسألهم عن

(١) لم أعثر على مرجع إلا في العرائس: ٢١٩.

والقرآن لا يقرر تفصيل ما حدث، بل ذكر ما أغنانا عن ذلك من المعجزات التي أيدت على نبوة عيسى عليه السلام، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْصِي أَمْرًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَدْرِي الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتِ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠].

(٢) في (ح): «كثيرون».

(٣) علق ابن كثير على هذه القصة بأن القرية ليست أنطاكية، وسأذكر ما قاله في آخر القصة.

شأنهم وما يدعون إليه، فذكروا أنهم يدعون إلى تعظيم الله تعالى وتوحيده^(١)، وخلع عبادة ما سواه، وكانت الروم واليونان عبدة أصنام. فأعرض الملك عنهما وأمر بحبسهما حيناً، وقال: لعلني أنظر في شأنهما، فبلغ عيسى عليه السلام حبس أصحابه، فأرسل إليهم أكبر أصحابه وتلامذته وأعزهم وهو شمعون الصفا، وهو الذي قال عليه السلام في شأنه: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِكِ﴾ [يس: ١٤]، وكان شمعون صاحب فطنة ومعرفة وهو رئيس الحواريين، فدخل المدينة وتلطف وصحب حاشية الملك وصاحبهم بما حسن موقعه لديهم، فأعجبوا به كثيراً، فأوصلوا خبره إلى الملك فاستدناه وجالسه ونادمه فوجده غاية ونهاية في حسن المخاطبة ولطف المحادثة، وكان يظهر بهم أنه على دينهم وعلى ما هم عليه، فلما مضت مدة وعلم أن الملك قد استأنس به، فجرى ذكر الرجلين المحبوسين، فقال له شمعون: هل سألتهما عن حقيقتهما وما هما عليه، وهل طلبت منهما بينة على ما يدعون ودليلاً على ذلك، فقال: لا لأنني غلبني الغضب أن أستفسر عن هذا الشأن، فأشار إليه يدعوهم ويسألهم واستفسر عن شأنهم، فدعاهم وسألهم ما يدعون إليه، فقالوا: ندعو إلى الله عليه السلام إلهنا وإله كل شيء، فقال لهم شمعون: صفا إلهكما وأوجزا، فقالوا: إلهنا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فقال لهما: وهل لكما علامة على صدق ما ادعيتماه؟ فقالوا: نعم، نبرئ الأكمه، وهو الذي ولد لا أعين له بإذن الله عليه السلام، فأحضر الملك غلاماً ممسوح العينين فوضعا في عينه طيناً مقدار العينين، ثم نفخا فيهما بإذن الله تعالى، فصار له عيان وأبصر، فلما رأى الملك ذلك عجب منه، فخلى شمعون بالملك وقال له: هل يمكن لو دعونا هؤلاء الأصنام تفعل كما فعل رب هؤلاء؟ [٢] فقال له الملك: أنت منا لا خفاء عليك لا تقدر هذه الأصنام أن تفعل شيئاً، ثم قال للملك: سلهم أن يحيوا ميتاً قد مات، فسألهم الملك فقال لهم، فأحضر ابناً لدهقان^(٣) قد مات منذ سبعة أيام، فأحيوه بإذن الله تعالى، وقام صحيحاً وأخبرهم أن ما هم عليه باطل، وأن ما يدعو إليه هؤلاء حق، وأخبرهم أنه رأى شاباً حسن الوجه يدخل

(١) في (ح): «وتوحيد» بدون هاء الضمير.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح)، ويبدأ من هنا، وينتهي في قصة بخت نصر

ص ٢٩١.

(٣) الدهقان: التاجر.

هؤلاء الثلاثة معه العالم العلوي وأشار إلى شمعون أيضاً، فآمن حينئذ الملك هو وكثير من أتباعه، وكفر أهل المدينة وأرادوا إهلاك الرسل فخرجوا من بين أظهرهم، وأقبل حبيب النجار الذي آمن أولاً، وهو المذكور في قول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَالَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٠ - ٢٢]، فنصح أهل المدينة وعرفهم جلاله المرسلين وما هم عليه من الحق، فاجتمعوا عليه وقتلوه، ورفع الله روحه للعالم العلوي وحضائر التقدير، وذلك قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ [يس: ٢٦]. ثم أهلك الله بعد موته من كفر من أهل المدينة بصيحة واحدة^(١)، وذلك قوله ﷻ: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ [٢٨] إن كانت إلا صيحةً واحدةً فإذا هم حَكِيمُونَ ﴿٢٩﴾ [يس: ٢٨، ٢٩]^(٢).

(١) قال ابن كثير في تفسيره: ٦١٠/٥: وقد نقل عن كثير من السلف أن هذه القرية هي (أنطاكية)، وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلاً من عند المسيح عيسى ابن مريم - عليه الصلاة والسلام - . . . وفي ذلك نظر من وجوه.

أحدھا: أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله ﷻ، لا من جهة المسيح، كما قال تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [يس: ١٤ - ١٧].

ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح.

الثاني: أن أهل أنطاكية آمنوا برسول المسيح إليهم. وكانت أول مدينة آمنت بالمسيح. . . فإذا تقرر أن أنطاكية أول مدينة آمنت، فأهل هذه القرية ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسله وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخدمتهم - والله أعلم - .

الثالث: أن قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة، وقد ذكر أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وغير واحد من السلف: أن الله - تبارك وتعالى - بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين.

ذكروه عند قوله - تبارك وتعالى - : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ [القصص: ٤٣].

فعلى هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة في القرآن قرية أخرى غير أنطاكية. . . أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظاً في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة، فإن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملة النصرانية ولا قبل ذلك - والله سبحانه وتعالى أعلم - .

(٢) وذكر القرطبي القصة في تفسيره: ١٤/١٥ بنحو ما ذكره المؤلف.

ومن قصصه العجيبة - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - قصة (المائدة) التي ذكرها الله تعالى في القرآن العظيم، وذلك أنه سأل الحواريون قبل ثبوت قدمهم ورسوخهم في المعرفة من عيسى ﷺ أن يسأل الله ﷻ أن ينزل عليهم مائدة من السماء تكون لهم عيداً وسروراً وعلامة على صحة النبوة وتثبتاً وزيادة في الإيمان واليقين، فلما سأله ذلك لبس عيسى ﷺ صوفاً، وسأل الله ﷻ وقال: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: ١١٤]، فنزلت سفرة بين غمامتين غمامة فوقها وغمامة تحتها، وهم ينظرون إليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين أيديهم، وأكل منها المرضى فعوفوا بإذن الله تعالى، وكانت آية عظيمة ونعمة عليهم من الله جليلة، ثم رفعت وكانت تنزل أياماً يوم بعد يوم^(١)، وذلك قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ يُعِيسَى ابْنُ

(١) اختلف العلماء في (المائدة) هل أنزلت عليهم أم لا؟ وما كانت؟ فقال بعضهم: نزلت وكانت حوتاً وطعاماً فأكل القوم منها ولكنها رفعت بعدما نزلت بأحداث منهم أحدثوها فيما بينهم.

وقال وهب بن منبه: نزل عليهم قرصة من شعير وأحوات. وقال آخرون: كانت (المائدة) تنزل وعليها ثمر من ثمار الجنة، وقال آخرون: كان عليها من كل طعام إلا اللحم.

وقال آخرون: لم ينزل الله على بني إسرائيل مائدة، ثم اختلف قائلوا هذه المقالة: فقال بعضهم: إنما هذا مثل ضربه الله تعالى لخلقه نهاهم به عن مسألة نبي الله الآيات. وقال آخرون: إن القوم لما قيل لهم: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِيثَاقِهِمْ فَأَنْزَلْنَاهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥].

استعفوا منها فلم تنزل.

ذكر هذه الأقوال ابن جرير في تفسيره: ٨٦/٧.

قلت: والقول الذي تطمئن به النفس هو ما اختاره ابن جرير بعد ذكره هذه الأقوال، حيث يقول:

والصواب من القول عندنا في ذلك أن يقال: إن الله تعالى أنزل المائدة على الذين سألوا عيسى مسألته ذلك ربه؛ فإن الله تعالى لا يخلف وعده ولا يقع في خبره الخلف، وقد قال تعالى مخبراً في كتابه عن إجابة نبيه عيسى ﷺ حين سأله ما سأله من ذلك إني منزلها عليكم، ثم لا ينزلها؛ لأن ذلك منه تعالى خير، ولا يكون منه خلاف ما يخبر. ولو جاز أن يقول: إني منزلها عليكم، ثم لا ينزلها عليهم جاز أن يقول: فمن يكفر بعد منكم فأني معذبه عذاباً لا أعذبه أحدًا من العالمين، ثم يكفر منهم بعد ذلك فلا يعذبه، فلا يكون لوعده ولا لوعيده حقيقة ولا صحة، وغير جائز أن يوصف ربنا تعالى بذلك.

مَرِيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ... ﴿ إلى آخر الآيات [المائدة: ١٢ - ١٥].

ولما شك فيها بعض أهل البغي ونسب ذلك إلى السحر؛ قال الله تعالى مخاطباً لعيسى ﷺ: من كفر بعدما أنزلت عذبتة عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين^(١).

ولما بلغ عيسى من العمر ثلاثاً وثلاثين سنة^(٢) اجتمع اليهود على قتله، فأخبره الله ﷻ بذلك، وأخبره أنني رافعك إلى السماء وإلى العالم العلوي المقدس عن الأعراض والعلل، فلما هموا بقتله دخل بيتاً ليس فيه منفذ، فرفعه الله ﷻ من شقق ذلك البيت وأدخل اليهود رجلاً ينظر لهم أين هو؟ فلما أبطأ عليهم الرجل دخلوا لينظروا إليه، فإذا هو قد ألقى الله ﷻ عليه شبه عيسى ﷻ فأخذوه وصلبوه^(٣).

= وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة فإن يقال: كان عليها مأكول، وجائز أن يكون سمكاً وخبزاً، وجائز أن يكون كان ثمرأ من ثمار الجنة، وغير نافع العلم به، ولا ضار الجهل به إذا أقر تالي الآية بظاهر ما احتمله التنزيل.
(١) وذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنَزَلُهَا عَلَيْكُمْ مَمْنًا كَفَرْتُمْ بِئِنَّكُمْ قَاتِي أَعَذِبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ [المائدة].

قال ابن جرير في تفسيره: ٨/٧ عند تفسير هذه الآية:
وهذا جواب من الله تعالى القوم فيما سألوا نبهم عيسى مسألة ربهم من إنزاله مائدة عليهم فقال تعالى: إني منزلها عليكم أيها الحواريون فمطمعكموها فمن يجحد بعد إنزالها عليكم وإطعامكموها منكم رسالتي إليه، وينكر نبوة عيسى ﷺ، ويخالف طاعتي فيما أمرته ونهيته فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من عالمي زمانه، ففعل القوم، فجحدوا وكفروا بعدما أنزلت عليهم، فعذبوا بأن مسخوا قرودة وخنازير.

(٢) عن سعيد بن المسيب أنه قال: يرفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.

انظر: البداية والنهاية: ٩٥/٢، وزاد المسير: ٣٩٧/١.

(٣) وفي البداية والنهاية: ٩٢/٢: ... عن ابن عباس ﷺ قال: أراد الله أن رفع عيسى إلى السماء فخرج على أصحابه، وفي البيت اثنا عشر رجلاً منهم من الحواريين، يعني فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء، فقال: إن منكم من يكفر بي اثني عشرة مرة بعد أن أمن بي.

ثم قال: أيكم يلقي عليه شبيهي فيقتل مكاني فيكون معي في درجتي، فقام شاب من أحدثهم سناً، فقال: أنا - هكذا ثلاث مرات - فقال: أنت هو ذاك، فألقي عليه شبه عيسى، ورفع عيسى من روزنة، في البيت إلى السماء.

وقد اختلفوا هل مات عيسى عليه السلام ثم أحياه الله تعالى بعد الرفع أو رفعه حياً؟^(١)، الله أعلم بذلك.

وهذا آخر ما أوردناه من قصص الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - المذكورين في القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

= قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه، فقتلوه، ثم صلبوه، فكفر به بعضهم اثني عشرة مرة بعد أن آمن به، وافترقوا ثلاث فرق.

فقال طائفة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء، وهؤلاء اليعقوبية.

وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه. وهؤلاء النسطورية.

وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء، ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمون...

قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس على شرط مسلم... وهكذا ذكر غير واحد من السلف.

(١) اختلف العلماء في ذلك على أقوال، وسببه اختلافهم في معنى «التوفي» في قوله

تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ الآية [آل عمران: ٥٥].

أحدها: أنه بمعنى الرفع فمعنى «مُتَوَفِّيكَ» قابضك من الأرض ورافياً تماماً من غير أن نال منك اليهود شيئاً.

الثاني: أنه بمعنى الموت ففي الآية تقديم وتأخير تقديره: إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد ذلك.

الثالث: أن المراد بالوفاة هنا النوم، لأنها أخوان ويطلق كل منهما على الآخر.

الرابع: أن المراد بالوفاة موت القوى الشهوانية العائقة عن إيصاله بالملكوت.

الخامس: عن وهب أن الله تعالى توفي عيسى سبع ساعات ثم أحياه.

وقيل غير ذلك.

والقول الذي تميل إليه النفس القول الأول: أن «التوفي» بمعنى الرفع.

فقد قال القرطبي في تفسيره: إن الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم. وهو اختيار

الطبري حيث يقول: وأولى الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: معنى ذلك إني قابضك من

الأرض ورافعك لتواتر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن أبي هريرة قال: سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ليهبطن الله عيسى ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً، يكسر

الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية...» الحديث. رواه أحمد في مسنده: ٢/٢٩٠،

ورواه مسلم: ٣٥٦/١ - ٣٥٧.

انظر: تفسير الطبري: ٤٥٨/٦، وتفسير القرطبي: ١٠٠/٢، وتفسير ابن الجوزي: ١/

٣٩٦، وتفسير الألوسي: ١٧٩/٣.

النوع السابع والثلاثون بعد المائة

علم من ذكر في القرآن الكريم
من الملوك والأمم غير الأنبياء

- عليهم الصلاة والسلام -



النوع السابع والثلاثون بعد المائة

علم من ذكر في القرآن الكريم من الملوك والأمم غير الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -^(١)

وقد أوردنا ذلك في النوع المتقدم قبله^(٢)، ذكرنا فيه أخبار الأنبياء ﷺ على الاختصار. وهذا النوع يذكر فيه قصة الملوك والأمم السالفة.

قصة شداد بن عاد

وصفة المدينة التي بناها يريد أن يشابه الجنة التي ذكرها الله ﷻ على لسان أنبيائه ﷺ، لما بعثهم الله - جل شأنه - إليه وأخبروه بما أعد الله ﷻ لعباده المؤمنين، ووصفوا له الجنة، فقال شداد: أنا أصنع مثل هذه الجنة التي وصفت، فأمر أن يؤتى بالآلات الصنائع وأهل المعرفة بالبناء والنجارة وبصائر الحرف والأعمال العجيبة الغريبة، وحشروا إليه من سائر الأرض؛ لأنه كان قد ملك الأرض جميعاً، وعاش من العمر نحواً من ستمائة عام، فبنى هذه المدينة، وجعل فيها من القصور والغرف له ولأتباعه وأهل بلده منازل عظيمة، وأجرى فيها الأنهار، وحفها بالأشجار، وفرش أرضها بالزعفران والمسك، وفرش مقاعدها بالديباج والأرائك، فلما تمت توجه إليها هو وجنوده في مركب عظيم، فأرسل الله - جل شأنه - عليه الموت بعد أن عاينها وهلك في الهالكين، ورفعت المدينة. وذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَّ رَبُّكَ بِعَادِ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر: ٦ - ٨]^(٣).

(١) لم يذكره الحافظ السيوطي في الإتيان.

(٢) وانظر: النوع السادس والثلاثين بعد المائة علم قصص الأنبياء المذكورين في القرآن.

(٣) ذكر القرطبي في تفسيره: ٤٦/١٠ وما بعدها نحوه، وانظر: تفسير الصاوي: =

وقد قيل في تفسير الآية غير ذلك - والله تعالى أعلم - .

قصة أهل البئر المعطلة

وأهل القصر المشيد

وهي المذكورة في قول الله ﷻ: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَمِنْهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرُؤُا مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحج: ٤٥].

وأما أهل البئر المعطلة فإنهم أقاموا دهرًا يعبدون الله ﷻ وتناسلوا وتوالدوا، ثم حبيت إليهم عبادة الأصنام فعبدوا غير الله ﷻ، فنبأ الله رجلاً يقال له: حنظلة^(١) بن صفوان، فنهاهم عن عبادة الأصنام، وأخبرهم أنها لا تغني عنهم شيئاً، وأنهم إن لم يرجعوا أهلكتهم الله ﷻ، كما أهلك قبلهم عاداً وثمود، فلم يرجعوا وهموا بقتله، فنجاه الله ﷻ منهم^(٢)، وأخرب بئرهم التي كانوا يفتكبون بها، وصاحت فيهم ملائكة العذاب فهلكوا جميعاً^(٣).

= ٣١٦/٢ وما بعدها، وتفسير الجمل: ٥٢٢/٤ وما بعدها.

قال ابن كثير في تفسيره: ٢٨٤/٧ وما بعدها تعليقاً على ما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآيات من سورة (الفجر). من ذكر مدينة يقال لها: «إرم ذات العماد» مبنية بلبن الذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها... إلى آخرها.

قال: ... لا نغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها: «إرم ذات العماد» مبنية بلبن الذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها... فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين من وضع زنادقتهم ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك.

(١) (ح): «بياض».

(٢) لم أعثر على مرجع أن الله تعالى نجى نبيه حنظلة بن صفوان من قومه، بل المراجع التي اطلعت عليها ذكرت أن قومه قتلوه، فأهلكهم الله. انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر: ١١، وتفسير القرطبي: ٧٥/٦، والبداية والنهاية: ٢٤٦/١، وغيرها.

(٣) قلت: بعد البحث والاطلاع في كتب التاريخ وكتب التفاسير تبين لي أن أهل البئر المعطلة هم أصحاب الرس، وهم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي ﷺ، والله أعلم. قال الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق: ١١: إن أصحاب الرس كانوا يحضرون، فبعث الله إليهم نبياً يقال له: حنظلة بن صفوان فكذبوه وقتلوه.. فأهلك الله أصحاب الرس.. وانظر: البداية والنهاية: ٢٤٦/١. فقد ذكر المفسرون في تفاسيرهم: أن البئر الرس، وكانت باليمن، في بلدة يقال لها: حاضراء نزل بها أربعة آلاف ممن آمن بصالح ﷺ =

وأما أهل القصر المشيد، فأقاموا متمسكين بدين نبي الله صالح عليه السلام، وتوالدوا وتناسلوا على ذلك، ثم ظهر فيهم ملك جبار ذو شوكة وقوة فبنى قصرًا عظيمًا وأتقنه وشيد بنيانه؛ أي رفعها وأعلىها، وكان جباراً طاغياً سفاكاً للدماء، فبعث الله - جل شأنه - نبياً من أنبيائه، فنصحه ووعظه، فقتله ولم ينكر أهل بلده عليه صنيعه، فغضب الله تعالى، فأرسل إليهم ملكاً من ملائكته، فصاح بهم فهلكوا جميعهم، وبقي القصر المشيد خالياً خاوياً، وهو باقٍ عبرة للمعتبرين وتنبهاً للغافلين.

قصة أصحاب الرس^(١)

وهم الذين قال الله - جل شأنه - فيهم: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨].

وأما أصحاب الرس^(٢)، فمساكنهم أرض حضرموت، وكانت مدينتهم طولها أربعون ميلاً وعرضها كذلك، وسموها باسم ملكهم الرس، وكانوا متنعمين

= وأمروا العلس بن جلاس، وأقاموا بها زماناً، ثم كفروا وعبدوا صنماً، وأرسل الله تعالى إليهم حنظلة بن صفوان نبياً، فقتلوه، فأهلكهم الله تعالى وعطل بئرهم وحرّب قصورهم". انظر: تفسير القرطبي: ٧٥/٦، وتفسير الخازن: ١٧/٥، وحاشية الجمل: ١٧/٢.

(١) اختلف العلماء في المراد بأصحاب الرس: فقيل: هم أهل قرية من قرى ثمود. وقيل: هم أصحاب يس. وقيل: فلج من قرى اليمامة. وقيل: بئر رسوا فيها نبيهم؛ أي: دفنوه فيها. واختار ابن جرير أن المراد بأصحاب الرس هم أصحاب الأخدود الذين ذكروا في سورة (البروج). فقال في تفسيره: ١٤/١٩ بعد ذكر الأقوال في المراد بأصحاب الرس: والصواب من القول في ذلك قول من قال: هم قوم كانوا على بئر، وذلك أن الرس في كلام العرب: كل محفور، مثل البئر، والقبر ونحو ذلك.. ولا أعلم قوماً كانت لهم قصة بسبب حفرة، ذكرهم الله في كتابه، إلا أصحاب الأخدود. وعلق ابن كثير في البداية والنهاية بأن اختيار ابن جرير ضعيف؛ لأن الله صرح بهلاك أصحاب الرس وذكر: في قصة أصحاب الأخدود بالوعيد في الآخرة إن لم يتوبوا، ولم يذكر هلاكهم - والله أعلم -. انظر: البداية والنهاية: ٢٢٨/١.

(٢) وفي تاريخ دمشق لابن عساكر: ١١ إن أصحاب الرس كانوا بحضور - جبل، وبلد (باليمن) - فبعث الله إليهم نبياً يقال له: حنظلة بن صفوان، فكذبوه وقتلوه، فسار عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح بولده من الرس، فنزل الأحقاف، وأهلك الله أصحاب الرس وانتشروا في اليمن كلها، وفشوا مع ذلك في الأرض كلها..).

ومتمتعين، فعبدوا الأصنام، وفشت فيهم الفواحش، فأرسل الله - جل شأنه - نبياً من أنبيائه يقال له: صفوان^(١)، فدعاهم إلى الله ﷻ، ونهاهم عن المعاصي فلم يسمعوا، وأقام فيهم يدعوهم إلى الله ﷻ، فلم يقبلوا فغضب الله - جل شأنه - عليهم ومسحهم كلهم ومديتهم أحجاراً سوداً.

قصة السبت^(٢)

وهم المذكورون في قوله عز من قائل: ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعاً وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ بَلَّوْنَهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف].

وكان الله ﷻ قد أمر بني إسرائيل على لسان موسى ﷺ بتعظيم يوم السبت واتخاذة عيداً، وأن لا يحدثوا فيه شيئاً من الحركات، ولا يصاد فيه صيد البر ولا سمك البحر، فمضوا على ذلك مدة من الزمن وهم يعظمون هذا اليوم ويحتفلون به، وكان الله - جل شأنه - قد أوقع في قلوب الحيوانات مغرقة^(٣) إلا من يوم السبت، فكانوا يخرجون سارعين في البحر فلم يعترضهم أحد، وفي غير يوم السبت يبعدون ولا يظهرون^(٤)، وقد

(١) وقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٢٧/١ قول ابن عساكر وقول السهيلي بأن هذا النبي اسمه حنظلة بن صفوان، ولم أجد من العلماء من يقول: إنه صفوان، كما ذكره المؤلف.

(٢) هم أصحاب أيلة، كانوا متمسكين بدين التوراة في تحريم السبت، ثم اعتدى بعضهم في سبتهم، فلما فعل ذلك طائفة منهم افترق الذين لم يفعلوا فرقتين، فرقة أنكروا عليهم صنيعهم، وفرقة لم ينهوا بل أنكروا على الذين نهوا، فأنجى الله الفرقة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر، وأخذ الذين ظلموا فأصبحوا قردة.

انظر: البداية والنهاية: ١٢١/٢، ١٢٢.

(٣) مغرقة: البعد عنهم.

(٤) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١٢١/٢:

قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وغيرهم: هم - أي أصحاب السبت - هم أهل أيلة، زاد ابن عباس بين مدين والطور. قالوا: وكانوا متمسكين بدين التوراة في تحريم السبت في ذلك الزمان، فكانت الحيتان قد ألقت منهم السكينة في مثل هذا اليوم، وذلك أنه كان يحرم عليهم الاصطياد فيه، وكذلك جميع الصنائع والتجارات والمكاسب، فكانت الحيتان في مثل يوم السبت يكثر غثيانها لمحلتهن من البحر، فتأتي من ههنا وههنا ظاهرة آمنة مسترسلة فلا يهيجونها ولا يذعرونها.

ذكر الله ﷻ ذلك في كتابه العزيز^(١).

ثم إن جماعة من بني إسرائيل احتالوا في صيد السمك وأخذوه، وكانوا إذا كان عشية الجمعة فتحوا صنادق وأنهاراً، فتأتي الحيتان فتدخل فيها فيتركونها يوم السبت ولا تستطيع الخروج ويأخذونها في يوم الأحد، فنهاهم عن ذلك أنبيأؤهم وعلمأؤهم، وانقسم أهل المدينة قسمان؛ قسم كانوا يفعلون ذلك، وقسم كانوا لم يفعلوا.

فلما لم يقبلوا منهم اعتزلوا عنهم، وقسموا المدينة بينهم قسمين، فلما رأى المعتدون أنهم لم يصابوا تجرؤوا أيضاً في يوم السبت وارتكبوا المناهي والمنكرات، وأصروا على الاعتداء، فغضب الله ﷻ عليهم، فأصبحوا وقد مسخوا قرده وخنازير ثم هلكوا^(٢).

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ جِثَاتُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ يَبْهَوْنَهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ يَظُنُّونَ قَوْمًا أَنَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعْذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّاكَ رَبِّكَرُؤُا وَلَعَلَّهُمْ يَنْفِقُونَ ﴿١١٦﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجْبَنَّا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الشُّؤِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَیِّنٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١١٧﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [الأعراف].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٥﴾ جَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة].

وقوله: ﴿أَوْ تَلْعَنُهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧].

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١٢٢/٢:

فلما رأوا ذلك - أي كثرة الحيتان يوم السبت - احتالوا على اصطيادها في يوم السبت، بأن نصبوا الحبال والشباك والشصوص وحفروا الحفر التي يجري معها الماء إلى مصانع قد أعدوها إذا دخلها السمك لا يستطيع أن يخرج منها، ففعلوا ذلك في يوم الجمعة، فإذا جاءت الحيتان مسترسلة يوم السبت علققت بهذه المصايد، فإذا خرج سبتهم أخذوها، فغضب الله عليهم ولعنهم؛ لما احتالوا على خلاف أمره، وانتهكوا محارمه بالحيل التي هي ظاهرة للناظر وهي في الباطن مخالفة محضة، فلما فعل ذلك طائفة منهم افترق الذين لم يفعلوا فرقتين: فرقة أنكروا عليهم صنيعهم هذا واحتيالهم على مخالفة الله وشرعه في ذلك الزمان، وفرقة أخرى لم يفعلوا ولم ينهوا بل أنكروا على الذين نهوا وقالوا: ﴿لِمَ يَظُنُّونَ قَوْمًا أَنَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعْذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف: ١٦٤]، يقولون: ما الفائدة في نهيكهم هؤلاء وقد استحقوا العقوبة لا محالة، فأجابتهم الطائفة المنكرة بأن قالوا:

﴿مَعذِرَةٌ إِيَّاكَ رَبِّكَرُؤُا﴾؛ أي فيما أمرنا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنقوم به =

قصة بخت نصر^(١)

وهو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَقَصَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلَنَّ عَلْوًا كَبِيرًا﴾ (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ [٢] فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ [الإسراء].

فالفساد الأول هو قتل نبي الله أشعيا^(٣) ﷺ، وقد غضب الله ﷻ على بني إسرائيل بسبب ذلك، وبعث عليهم بخت نصر^(٤)، فأهلكهم وخرّب بيت المقدس.

= خوفاً من عذابه ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾؛ أي: ولعل هؤلاء يتركون ما هم عليه من هذا الصنيع فيقيمهم الله عذابه عن هذا الصنيع الفظيع. وإن الذين ارتكبوا هذا الصنيع اعتزلهم بقية أهل البلد ونهاهم من نهاهم منهم فلم يقبلوا فكانوا يبيتون وحدهم ويغلقون بينهم وبينهم أبواباً حاجزاً لما كانوا يترقبون من هلاكهم، فأصبحوا ذات يوم وأبواب ناحيتهم مغلقة لم يفتحوها وارتفع النهار واشتد الضحاء، فأمر بقية أهل البلد رجلاً أن يصعد على سلالم ويتشرف عليهم من فوقهم، فلما أشرف عليهم إذا هم قردة لها أذنان يتعاونون ويتعادون ففتحوا عليهم الأبواب، فجعلت القردة تعرف قراباتهم ولا يعرفهم قراباتهم، فجعلوا يلوذون بهم ويقول لهم الناهون: ألم نهكم عن صنيعكم، فتشير القردة برؤسها أن نعم.. وصار شباب القرية قردة وشيوخها خنازير.. وإنهم لم يعيشوا إلا فوقاً ثم هلكوا ما كان لهم نسل...

(١) بخت نصر هو: مجوسي من أهل بابل دخل بيت المقدس ووطئ الشام كلها، وقتل بني إسرائيل، وقذف الكنائس في بيت المقدس وذبح فيه الخنازير وأعانه على ذلك النصراني ططوس الرومي وأصحابه، وذلك من أجل أن اليهود قتلوا يحيى بن زكريا، وقد سلط أيضاً بخت نصر على العرب، فنال منهم من القتل والسبي نحو ما نال من بني إسرائيل. انظر: تفسير الخازن: ٩٨/١، والبداية والنهاية: ٣٨/٢، ٢١٢.

(٢) إلى هنا السقط من (ح) والذي بدأ من صفحة ٢٧٩ عند قوله: «فقال له الملك».

(٣) قاله ابن إسحاق، والسبب في قتلهم أشعيا ﷺ هو أنه قام فيهم برسالة من الله ينهاهم عن المعاصي.

انظر: زاد المسير: ٨/٥.

(٤) روى ابن جرير في تفسيره: ٢٩/١٥، ٣٠ عن سعيد بن المسيب يقول: ظهر بخت نصر على الشام، فخرّب بيت المقدس وقتلهم، ثم أتى دمشق فوجد بها دماً يغلي على كبا (في القاموس الكبا كإلى: الكناسة، وتثنيها كبوان والجمع أكباء) فسألهم ما هذا الدم؟ فقالوا: أدركنا آباءنا على هذا، وكلما ظهر عليه الكبا ظهر، قال: فقتل على ذلك الدم سبعين ألفاً من المسلمين وغيرهم فسكن.

وهذه القصة مساقاة بعضها في قصة نبي الله أرميا^(١)، وبعضها في قصة نبي الله دانيال^(٢) ﷺ.

قصة الإسكندر ذي القرنين

وهو إسكندر بن فيلسوف الملقب بذوي القرنين، وهو المذكور في قول الله ﷻ: ﴿وَسْتَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۗ إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَايَاتُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِّأً ۗ... حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ...﴾ إلى آخر الآيات [الكهف: ٨٣ - ٩٨].

وليس هو ذا القرنين القديم الأكبر؛ فإن ذلك ملك عظيم صالح، وكان في زمن الخليل ﷺ^(٣).

= قال ابن كثير في تفسيره: ٢٨٢/٤ بعد ذكر رواية ابن جرير: وهذا صحيح إلى سعيد بن المسيب، وهذا هو المشهور. وانظر: البداية والنهاية: ٤٢/٢.

(١) أما التي في قصة نبي الله أرميا ﷺ فهي كما يلي: قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٤٢/٢: قال هشام الكلبي: ثم قدم بخت نصر بيت المقدس فصالحه ملكها، وكان من آل داود، وصانعه عن بني إسرائيل، وأخذ منه بختنصر رهائن ورجع، فلما بلغ «طبرية» بلغه أن بني إسرائيل ثاروا على ملكهم فقتلوه لأجل أنه صالحه، فضرب رقاب من معه من الرهائن ورجع إليهم فأخذ المدينة عنوة، وقتل المقاتلة وسبى الذرية. قال: وبلغنا أنه وجد في السجن (أرميا) النبي فأخرجه، وقص عليه ما كان من أمره إياهم وتحذيره لهم عن ذلك فكذبوه وسجنوه، فقال بخت نصر: بشن القوم قوم عصوا رسول الله، وخلي سبيله وأحسن إليه..

(٢) وأما التي في قصة نبي الله دانيال ﷺ، فقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/٤٢: .. عن عبد الله بن أبي الهذيل قال: ضرا - أي عود وضرب - بخت نصر أسدين فألقاهما في جب، وجاء بدانيال فألقاه عليهما فلم يهيجاه - أي لم يثيراه ولم يقاتلاه - فمكث ما شاء الله، ثم اشتهى ما يشتهي الآدميون من الطعام والشراب، فأوحى الله إلى أرميا - وهو بالشام - أن أعد طعاماً وشراباً لدانيال... ففعل، وأرسل إليه من حملة وحمل ما أعده حتى وقف على رأس الجب، فقال دانيال: من هذا؟ قال: أنا أرميا، فقال: ما جاء بك؟ فقال: أرسلني إليك ربك، ... فقال دانيال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره...

(٣) وفي البداية والنهاية: ١٠٣/٢، ١٠٥، ١٠٨: قال إسحاق بن بشر عن سعيد بن بشر عن قتادة قال: إسكندر هو ذو القرنين، وأبوه أول القياصرة، وكان من ولد سام بن نوح ﷺ.. وقد روي عن عبيد بن عمير وابنه عبد الله وغيرهما من السلف: أن ذا القرنين =

وأما ذو القرنين المذكور في الكتاب العزيز فهو الأخير، وهو الذي سار في الأرض، وملك جميع المعمور منها، وبنى السد^(١).

وبداية أمره أن أباه فيلسوف كان ملكاً للروم واليونان فأسلمه من صباه إلى المعلم الحكيم أرسطو^(٢)، فأقام عنده خمس سنين، ولما استشعر أبوه الموت

= حج ماشياً، فلما سمع إبراهيم الخليل بقدمه تلقاه، فلما اجتمعا دعا له الخليل ووصاه بوصايا، ويقال: إنه جيء بفرس ليركبها فقال: لا أركب في بلد فيه الخليل، فسخر الله له السحاب، وبشره إبراهيم بذلك، فكانت تحمله إذا أراد.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان ذو القرنين ملكاً صالحاً - رضي الله عمله وأثنى عليه في كتابه، وكان منصوراً، وكان الخضر وزيره وكان على مقدمة جيشه، وكان عنده بمنزلة المشاور الذي هو من الملك بمنزلة الوزير في إصلاح الناس اليوم.. وسمي بذو القرنين لأنه - كما قيل - بلغ قرني الشمس غرباً وشرقاً، وملك بينهما من الأرض قاله الزهري... قلت: وهذا الذي في زمن الخليل هو المنطبق في القرآن الكريم - والله أعلم -.

(١) ما ذكره المؤلف من أن ذا القرنين المذكور في القرآن الكريم هو ذو القرنين الأخير الرومي خطأ جلي، حيث إنه كان مشركاً ووزيره أرسطاطاليس فيلسوفاً، والصحيح هو ذو القرنين الأول الذي في زمن الخليل رضي الله عنه فإنه كان عبداً مؤمناً صالحاً وملكاً عادلاً.

قال ابن كثير في تفسيره: ٤/٤١٨: وقد أورد ابن جرير هنا في تفسيره ٨/١٦ والأموي في مغازيه حديثاً أسنده، وهو ضعيف؛ عن عقبة بن عامر أن نقرأ من اليهود جاؤوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين، فأخبرهم بما جاؤوا له ابتداء، فكان فيما أخبرهم أنه كان شاباً من الروم وأنه بنى الإسكندرية وأنه علا به ملك إلى السماء وذهب به إلى السدور؛ أي أقواماً وجوههم مثل وجوه الكلاب؛ وفيه طول ونكارة، ورفع لا يصح وأكثر ما فيه أنه من أخبار بني إسرائيل. وفيه من النكارة أنه من الروم، وإنما كان الذي من الروم الإسكندر الثاني وهو ابن فيلبس المقدوني، فأما الأول.. أنه طاف بالبيت مع إبراهيم الخليل رضي الله عنه أول ما بناه، وأمن به واتبعه، وكان وزيره الخضر رضي الله عنه. وأما الثاني فهو إسكندر بن فيلبس المقدوني اليوناني، وكان وزيره أرسطاطاليس الفيلسوف المشهور - والله أعلم -.

وقال في البداية والنهاية: ٢/١٠٦ بعد ذكر نسبي ذي القرنين الأول والثاني: ... وإن المذكور في القرآن هو الذي كان أرسطاطاليس وزيره، فيقع بسبب ذلك خطأ كبير وفساد عريض طويل كثير، فإن الأول كان عبداً مؤمناً صالحاً وملكاً عادلاً، وكان وزيره الخضر.. وأما الثاني فكان مشركاً وكان وزيره فيلسوفاً، وقد كان بين زمانيهما أزيد من ألفي سنة، فأين هذا من هذا، لا يستويان ولا يشتبهان إلا على غبي لا يعرف حقائق الأمور.

(٢) أرسطو: هو الذي أشار على الإسكندر بن فيلبس ملك اليونان بعدم قتل الفرس، وأن يولي أكابره ومن يصلح للملك كل واحد برأسه مملكة ليحصل بينهم التباغض فقبل الإسكندر ذلك منه.

انظر: المختصر في أخبار البشر: ٤٥/١.

جدد له العهد وولي الملك بعد والده، وعمره يومئذٍ عشرون عاماً، وكانت ملوك الروم جميعها تحمل الخراج لملك الفرس، وكان أبوه يحمل أيضاً إلى دارا^(١) ملك الفرس.

فلما توفي والده منع هو الخراج عن ملك الفرس هده، فأجابه بما يشق عليه وجميع جنوده، فأقبل إليه دارا ملك الفرس بجنود، ووقع القتال فانكسر دارا وقتله الإسكندر^(٢)، واستولى على الملك في الأرض حتى بلغ أقصى أرض المغرب، ومكن الله - جل شأنه - له في البلاد والعباد، وأطاعته الجبابرة، وأذاعته الفراعنة، وقصد المشرف فدخل العراق والهند، وتوصل إلى الصين، ولما نزل بجنوده على ملك الصين أتاه ليلاً ملك العين مستخفياً، فدخل عليه وطلب منه أن يصالحه على أمر ويرجع عنه، فطلب منه الإسكندر أموراً عظيمة فامتنع من ذلك، وقال: لا يمكنني الوفاء بها، ثم اتفقا على أمر يحمله له في كل عام وذهب عنه.

فلما أصبح الإسكندر رأى جنود الصين محيطة به، وكانوا قدر جنده أضعافاً مضاعفة، فساء ظنه بهم وقال: لعله غدر بي ومكر علي، فلم يشعر إلا وملك الصين قد أقبل في مركب عظيم، وترحل عن مركبه وقبّل الأرض بين يدي الإسكندر. فقال: ما السبب فيما رأيت؟ فقال: أردت أيها الملك أريك أن ليس بي ضعف ولا قلة من الجنود عن مقاومتك، وإنما أنا رجل ذو معرفة وحكمة، وأرى إله العالم مؤيدك وناصرك، فلا أحب أن أعارض إله العالم أيده ونصره.

وسار الإسكندر حتى بلغ إلى أرض الترك ويأجوج ومأجوج، وهم أمم

(١) هو دارا بن دارا بن بهمن ملك الفرس، وكان حقوداً ظالماً، فنقّر منه قلوب الخاصة والعامّة، وفي زمان دارا تملك الإسكندر المشهور ابن فيلبس، فوقع القتال بينهما فقتل دارا، فصار ملك دارا إلى الإسكندر.

انظر: المختصر في أخبار البشر: ٤٤/١.

(٢) في البداية والنهاية: ١٠٥/٢.

المقدوني اليوناني المصري باني إسكندرية كان متأخراً عن الأول بدهر... وهو الذي قتل دارا بن دارا وأذل ملوك الفرس وأوطأ أرضهم.
قلت: والمذكور في القرآن هو الأول، كما ذكرناه.

عظيمة لا يحصيهم إلا الله ﷻ، وهم أولاد يافس بن نوح ﷺ، فطلب من إسكندر الأمم المجاورون ليأجوج ومأجوج أن يجعل بينهم سداً؛ لأن يأجوج ومأجوج لكثرتهم كانوا يفسدون كثيراً ويؤذون الأمم المجاورين لهم، فأمر ببناء السد، وكان هناك جبلان عظيمان بينهما الطريق، فوضع الحجارة العظيمة وصب الرصاص والنحاس، ورفع السد إلى أن ألحقه بعنان السماء، فامتنعت أذية يأجوج ومأجوج عن الأمم.

ورجع الإسكندر فتوفي بأرض بابل راجعاً مسموماً، وكان عمره اثنين وثلاثين عاماً^(١)، وقتل من الملوك خمسة وثلاثين ملكاً، وبنى اثنتي عشرة مدينة منها: هران، ومرة، وسمرقندي، والإسكندرية، ولما توفي وضع في تابوت من ذهب وحمل أكتاف الملوك، ودفن بالإسكندرية - رحمه الله تعالى -^(٢).

(١) وفي البداية والنهاية: ١٠٩/٢:

... قيل: كان عمره اثنتين وثلاثين سنة.. وكان ملكه ست عشرة سنة، وهذا.. إنما ينطبق على إسكندر الثاني لا الأول..

(٢) ما ذكره المؤلف في قصة ذي القرنين من أوله إلى آخره هو الإسكندر المقدوني الرومي، وهو الإسكندر الثاني، وهذا غلط من المؤلف - رحمه الله تعالى - لأن المذكور في القرآن ملك مؤمن صالح عادل، وهذا الذي ذكره المؤلف ملك كافر مشرك رومي - والله أعلم -.

وهناك رأي جديد لأبي الكلام أزداد قدمه أحمد حسن الباقوري في ذي القرنين وأجاد فيه في كتاب «ويسألونك عن ذي القرنين» وملخصه:

- خصائص ذي القرنين المذكورة في القرآن انظر: الآيات (٨٣ - ٩٨) من سورة (الكهف).

- ذو القرنين أعطاه الله الملك، وهياً له أسباب الحكم والغلبة.

- كانت مهمته الحربية الكبرى ثلاثاً - غربية: إلى مكان كان له المغرب، فوجد الشمس هناك كأنها تغرب في عين حمئة، وشرقية: حتى بلغ أرضاً لا عمران فيها، ومكان مضيق جبلي وراءه يأجوج ومأجوج.

- أقام الملك سداً في المضيق الجبلي لمنع غارات يأجوج ومأجوج.

- كان الملك مؤمناً بالله وبالآخرة.

- كان الملك ملكاً عادلاً رحيماً برعيته لا يبيح الفتك والقسوة بالمفتوحين.

- لم يكن حريصاً على المال.

فقد اختلف المفسرون في تعيين ذي القرنين ذي أوصاف كهذه. فقيل: هو ملك حميري

سمي بذي القرنين، حيث إنه بنى السد، ولكن هذا السد ليس لصد هجمات قوم، وليس =

= سداً حديدياً. وعلى هذا لا ينطبق بحال على ذي القرنين.

وقيل: هو الإسكندر المقدوني، حيث اشتهر بملكه وانتصاراته في الشرق والغرب، فيكون هو ذا القرنين، إلا أنه ما كان مؤمناً بالله، ولا شقيقاً عادلاً مع الشعوب المغلوبة، ولم بين سداً في حياته كلها.

ثم ذكر المؤلف الملك غوروش:

أنه كانت له انتصارات الأول في الغرب، والثانية في الشرق، والثالثة في الجنوب، وكان من متبعي الدين الزردشتي. ثم علق الشيخ أبو الكلام على الملك غوروش هذا أن شخصية الملك غوروش تطابق مطابقة تامة مع ما ذكره القرآن من شخصية ذي القرنين.

* ذو القرنين المذكور في القرآن وغوروش *

أولاً: إن أول ما وصف به القرآن ذا القرنين هو قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف]، وهذا مطابق تماماً بغوروش، فقد بدأ حياته في ظروف أحاطت بها الحوادث المحيرة للعقول، أنه ينشأ في الغابات والجبال، ويعيش عيشة الرعاة المجهولين، فبينما هو كذلك إذ تتغير الأحوال بغتة، وتقوده إلى ساحات المجد والعمل، فيخلو له عرش (مادا) بدون مزاحمة.

﴿وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾. انظر كيف تطابق هذه الكلمات من الآية الأمر الواقع، أن الشاب الذي كان بالأمس راعياً مجهولاً، قد استوى اليوم على عرش الملك.

ثانياً: ثم ذكر القرآن لذي القرنين ثلاث مهمات، كانت الأولى منها إلى مغرب الشمس؛ أي جهة الغرب، ولا ريب أنها كانت مهمة (ليديا)؛ لأنك إن مشيت من إيران الشمالية إلى آسيا الصغرى تكون قد مشيت نحو الغرب تماماً.

ثالثاً: كانت مهمته الثانية إلى مشرق الشمس؛ أي جهة الشرق، إنها كانت قبائل (بكتريا)؛ أي بلغ.

والظاهر أنها قبائل (غيدروسيا) الواقعة بين (إيران الجنوبية والسند)، وهي البلاد المسماة الآن بـ (مكران وبلوخرستان).

وهذا يطابق ما قاله القرآن: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سَبَبًا﴾ [الكهف].

أي أنه لما وصل إلى نهاية الشرق رأى الشمس تطلع على قوم ليس لديهم ما يسترون به؛ أي: أنهم كانوا من القبائل الراحلة التي لا تسكن المدن ولا تبني لها البيوت، وهي: (بلخ).

رابعاً: وقام بهجوم ثالث على بلاد جبلية، وفي ورائها يأجوج ومأجوج وهنالك بنى السد.

كانت مهمته الثالثة وصل بها تاركاً على يمينه بحر (الخزر) إلى جبال القوقاز، حيث وجد مضيقاً بين جبلين منها.

= ذكر القرآن هذا الخبر قائلاً: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف].

والمقصود بسدين مضيق في جبال القوقاز، إنك تجد على يمين القوقاز بحر (الخرزر) وعلى اليسار البحر الأسود، وفي الوسط سلسلة جبالها الشاهقة، فلم يكن هنالك منفذ للمهاجمين من الشمال إلا مضيق وسطي، فبنى غوروش في هذا المضيق سداً حديدياً.

* أوصاف ذي القرنين الأخلاقية في القرآن *

أولها: عدله ووجه لرعيته، لنرى إلى أي حد ينطبق هذا الوصف على حياة غوروش. إن الله تعالى قال له في شأن الذين وجدهم في الغرب: ﴿إِنَّمَا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِنَّمَا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦].

لا شك في أن هؤلاء كانوا الشعب اليوناني في (ليديا) هاجمه ملكهم بدون حق، والآن بعد أن خاب سعيه وعاد كيده في نحره، كان لغوروش أن يعاقبه على سوء عمله، لكن لا يعاقبهم بل يعفو عنهم.

أحل من يأتي بمنكر بعد هذا ينل جزاء عمله، ثم يرد إلى الله تعالى ليعاقبه عذاباً أشد. وأما من يعمل الخير ويطع أمري فأجزيه بالحسنى، وهكذا ما قاله القرآن: ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ (٨٧) وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف].

وقد اتفقت كلمة مؤرخي اليونان على أن ما فعله غوروش بعد فتحه (ليديا) لم يكن العدل فحسب، بل كان أكثر من ذلك، كان له سماحة ومرحمة كرمياً ونبلاً.

* معتقدات ذي القرنين في القرآن وغوروش *

من أوصاف ذي القرنين إخلاصه العبادة لله وحده، وإيمانه بالحياة الآخرة. وإن غوروش كان يدين بالدين الزردشتي، كان هذا الدين الذي أمر بالتوحيد، وإن زردشت كان نبياً من الأنبياء القدماء.

* سد يأجوج ومأجوج *

إن القرآن ذكر أمرين عن السد، وهما أنه بني في مكان ارتفعت الجبال كجدارين على جانبيه، وأن السد استخدمت فيه زبر الحديد وأفرغ عليه النحاس.

وعلى ذلك يجب أن نجد السد في مضيق جبلي، وأن يكون جدار حديدياً.

قال تعالى: ﴿قَالُوا يٰذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُّسَدَّدِينَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْبًا عَلَىٰ أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ (٩١) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ (٩٢) وَأَتُونِي زُريراً الْحَدِيدَ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ (٩٣) فَمَا اسْطَعْمَوْا أَنْ يَطَّهَّرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَقْبًا﴾ (٩٤) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف].

= توجد في البقعة الواقعة بين بحر الخزر والبحر الأسود سلسلة جبال قوقاز، كأنها جدار

قصة أهل سبأ

قال المفسرون: وكانت أرض سبأ المعينة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لِمَ بَلَدَهُ طَبِيبٌ وَرَبِّ عَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥] أخصب بلاد الله، ليس بها سباح ولا بعوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا عقرب ولا حية، ويمر الغريب بواديهم وفي ثيابه القمل فيموت^(١)، وتخرج المرأة وعلى رأسها بمكتلها، فتعمل بمعزلها وتسير بين الشجرة فيمتلئ مما يتساقط من الشجر^(٢)، وهي أكثر من شهرين للراكب المجد طولاً وعرضاً، وأهلها في غاية الكثرة مع إجماع الكلمة والقوة، تخرج المرأة تتردد تبيت في قرية وتقبل في أخرى حتى تأتي الشام، كما قال تعالى:

طبيعي، وقد سد هذا الجدار الطرق الموصلة بين الشمال والجنوب إلا مضيقاً في وسط سلسلة الجبال، ويسمى هذا المضيق في أيامنا هذه بمضيق (داريال) ويوجد إلى الآن جدار حديدي من قديم الأزمان، ولا ريب أن هذا هو الجدار الذي بناه غوروش، إذ تنطبق عليه الأوصاف التي وصف بها القرآن.

هذا ملخص ما ذكره الشيخ أبو الكلام الذي قدمه الشيخ أحمد حسن الباقوري، وبعد البحث يمكن أن نقول: إن ذا القرنين الملك غوروش، كما ذهب إليه الشيخ أبو الكلام، حيث إن شخصية ذي القرنين وأحواله تطابق أحوال شخصية الملك غوروش وأحواله. انظر: كتاب «ويسألونك عن ذي القرنين» تأليف مولانا أبو الكلام آزاد، تقديم أحمد حسن الباقوري: ٧٩ وما بعدها.

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١٧٥/٢:

«وذكروا أنه لم يكن في بلادهم شيء من البراغيث ولا الدواب المؤذية؛ لصحة هوائهم وطيب فنائهم كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لِمَ بَلَدَهُ طَبِيبٌ وَرَبِّ عَفُورٌ﴾ [سبأ]، وفي البحر المحيط: ٢٧٠/٧:

قال ابن زيد: لا يوجد فيها برغوث ولا بعوض ولا عقرب ولا تقمل ثيابهم ولا تعيا دوابهم.

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١٧٥/٢:

... ذكر قتادة وغيره: أن المرأة كانت تمر بالمكتل على رأسها فيمتلئ من الثمار مما يتساقط فيه من نضجه وكثرته.

وفي البحر المحيط: ٢٧٠/٧:

وكانت المرأة تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها المكتل فيمتلئ ثماراً من غير أن تتناول بيدها شيئاً.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ [سبأ: ١٨]؛ أي: قرى الشام قرى ظاهرة يرى بعضاً من بعض بمقربها^(١)، فبطروا النعمة ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩]؛ أي: بمفاوز بينهم وبين الشام يركبون الرواحل^(٢)، ففعل الله - جل شأنه - لهم الإجابة، كما قال عز من قائل: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩].

وكانوا يقتتلون^(٣) على ماء واديهم، فأمرت بلقيس^(٤) بواديهم فسد بالعرم وهو المستاه بلغة حمير، فسدت ما بين الجبلين بالصخر والقار وجعلت له أبواباً ثلاثة بعضها فوق بعض، وبنت من دونه بركة ضخمة، وجعلت فيها اثني عشر مخرجاً على عدة أنهارهم يفتحونها إذا احتاجوا إلى الماء، وإذا استغنوا سدوها، وإذا جاء المطر اجتمع إليه أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد، فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه في البركة، فكانوا يسقون من الباب الأعلى، ثم من الباب الثاني ثم من الباب الثالث، فلا ينفد الماء حتى يرجع الماء من السنة المقبلة، وكان السيل يأتيهم من مسيرة عشرة أيام حتى يستقر في واديهم فيجتمع الماء من تلك السيول والجبال في ذلك الوادي، وكان السد فرسخين في فرسخ.

(١) وعن زيد بن أسلم وفتادة وغيرهم: ويعنون أنهم كانوا يسيرون من اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة.

انظر: تفسير ابن كثير: ٥/٥٤٣.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: ٥/٥٤٤:

وذلك أنهم بطروا هذه النعمة.. وأحبوا مفاوز ومهامه يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في الحرور والمخاوف، كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما تنبت الأرض من بقلها وقنائثها وفومها وعدسها وبصلها، مع أنهم كانوا في عيش رغيد في من وسلوى وما يشتهون من مآكل ومشرب وملابس مرتفعة.

(٣) في (هـ) و(ج): «يقتلون»، والصواب ما أثبتته.

(٤) في البحر المحيط: ٧/٢٦٩:

اقتتل قوم بلقيس على ماء واديهم، فتركت ملكها وسكنت قصرها، وراودوها على أن ترجع فأبت، فقالوا: لترجعن أو لنقتلنك، فقالت لهم: لا عقول لكم ولا تطيعوني، فقالوا: نطيعك، فرجعت إلى واديهم، وكانوا إذا مطروا أتاهم السيل من مسيرة ثلاثة أيام، فأمرت به، فسد ما بين الجبلين بالصخر والقار، وحبت الماء من وراء السد، وجعلت له أبواباً بعضها فوق بعض، وبنت من دونه بركة فيها اثني عشر مخرجاً على عدد أنهارهم...

وقيل: بناه لقمان الأكبر العادي، وقيل: سبأ بن يستجب ومات قبل إكماله، فأكمله ملوك حمير وأولاد كهلان بن سبأ ملوك اليمن حينئذ. وهم: عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء، وكانت زوجة عمرو تسمى طريفة الحميرية كاهنة وولدت له^(١) ثلاثة عشر ولداً، ثعلبة أبو الأوس من الخزرج وحارثة والد خزاعة.

وقيل فيهم غير ذلك، وجفنة والد غسان وحارثة والحارث وعوفاً ولعباً ومالكاً وعمران هؤلاء أعقبوا والثلاثة الباقون لم يعقبوا، وكان لعمرو مزيقيا من القصور والأموال ما لم يكن لأحد فرأى أخوه عمران^(٢)، وكان كاهناً ولم يعقب أن قومه يتمزقون وتخرب بلادهم فذكر له.

ثم إن طريفة^(٣) الكاهنة سجعت له بما يدل على ذلك، فقال: وما علامته؟ قالوا: إذا رأيت جرذاً يكثر في السد الحفر ويقلب بيده الصخرة. فلما غضب الله - جل شأنه - عليهم^(٤)، وأذن في هلاكهم دخل عمرو

(١) أخرج ابن جرير في تفسيره: ٧٧/٢٢، ٧٧:

عن أبي سبرة النخعي عن فروة بن مسيك القطيعي رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أخبرني عن سبأ ما هو أرض أم امرأة؟ قال رسول الله: «ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد له عشرة من الولد، فتيا من ستة وتشاءم أربعة، فأما الذين تشاءموا فلخم، وجدام، وعاملة، وغسان، وأما الذين تيامنوا فكندة والأشعريون والأزد ومذحج وحمير وأنمار». ورواه الترمذي في سننه كتاب التفسير، باب ومن سورة (سبأ): ٣٦١/٥ أبسط من هذا، ثم قال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) وقال ابن جرير في تفسيره: ٨٦/٢٢:

حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: يزعمون أن عمران بن عامر، وهو عم القوم كان كاهناً، فرأى في كهانته أن قومه سيمزقون ويتباعدون...

(٣) قال ابن جرير في تفسيره: ٨٦/٢٢:

قال ابن إسحاق: سمعت بعض أهل العلم يقول: إنما قالت هذه المقالة طريفة امرأة عمرو بن عامر، وكانت كاهنة ورأت في كهانته ذلك - والله أعلم. وانظر: تفسير ابن كثير: ٥٤٤/٥.

(٤) هذه القصة التي ذكرها المؤلف قريبة مما ذكره ابن أبي حاتم عن عكرمة، غير أن المؤلف ذكر فأمر ابن أخيه مكان ابنه، والرواية: فأمر ابن أخيه؛ هي عن السدي.

كما قال ابن كثير في تفسيره:

وقد ذكر السدي قصة عمرو بن عامر بنحو ما ذكر محمد بن إسحاق، إلا أنه قال: فأمر

ابن أخيه مكان ابنه...

مزيقيا فنظر جرذاً تنقل أولادها من باطن الوادي إلى أعلى الجبل، فقال: ما نقلت هذه أولادها من ها هنا إلا وقد حضر أهل هذه البلاد عذاب، فخرقت ذلك العرم فنقبت نقباً، فسال الماء من ذلك النقب إلى جنبه، فأمر بذلك النقب فشد فأصيبوا وقد انفجر بأعظم مما كان، فلم يترك فرجة بين حجرين

= وانظر: سيرة ابن هشام: ١٣/١.

وما ذكره ابن أبي حاتم عن عكرمة فقد ذكره ابن كثير في تفسيره: ٥٤٤/٤.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان، حدثنا إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال: سمعت أبي يقول: سمعت عكرمة يحدث بحديث أهل سبأ قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرَمِ﴾ [سبأ: ١٥، ١٦].

وكانت فيهم كهنة وكانت الشياطين يسترقون السمع فأخبروا الكهنة بشيء من أخبار السماء، فكان فيهم رجل كاهن شريف كثير المال، وأنه خبر أن زوال أمرهم قد دنا وأن العذاب قد أظلمهم، فلم يدر كيف يصنع؛ لأنه كان له مال كثير من عقار، فقال لرجل من بنيهم، وهو أعزهم أخوالاً: يا بني إذا كان غداً وأمرتك بأمر فلا تفعله، فإذا انتهرتك فانتهرني، فإذا لطمتك فالطمني، قال: يا أبت لا تفعل، إن هذا أمر عظيم وأمر شديد، قال: يا بني، قد حدث أمر لا بد منه، فلم يزل به حتى وافاه على ذلك.

فلما أصبحوا واجتمع الناس قال: يا بني، افعل كذا وكذا فأبى، فانتهره أبوه، فأجابه فلم يزل ذلك بينهما حتى تناوله أبوه، فلطمه فوثب على أبيه فلطمه، فقال: ابني يلطمني، علي بالشفرة!، قالوا: ما تصنع بالشفرة؟ قال: أذبحه، قالوا: تريد أن تذبح ابنك؟ الطمه، أو اصنع ما بدا لك. قال: فأبى، قال: فأرسلوا إلى أخواله فأعلمهم ذلك، فجاء أخواله فقالوا: خذ منا ما بدا لك، فأبى إلا أن يذبحه، قالوا: فلتموتن قبل أن تذبحه.

قال: فإذا كان الحديث هكذا، فإني لا أرى أن أقيم ببلد يحال بيني وبين ابني فيه، اشتروا مني دوري، اشتروا مني أرضي، فلم يزل حتى باع دوره وأرضه وعقاره، فلما صار الثمن في يده وأحزره قال: أي قوم إن العذاب قد أظلمكم وزوال أمركم قد دنا، فمن أراد منكم داراً جديداً، وحمى شديداً، وسفراً بعيداً فليلحق بعمان. ومن أراد منكم الخمر والخمير والعصير. فليلحق ببصرى، ومن أراد الراسخات في الوحل المطعمات في المحل المغممات في القحل فليلحق بيثرب ذات نخل، فأطاعه قومه، فخرج أهل عمان إلى عمان، وخرجت غسان إلى بصرى، وخرجت الأوس والخزرج وبنو عثمان إلى يثرب ذات النخل، قال: فأتوا على بطن مر فقال بنو عثمان: هذا مكان صالح لا نبغي به بدلاً، فأقاموا به، فسموا لذلك خزاعة؛ لأنهم خزعوا من أصحابهم، واستقامت الأوس والخزرج حتى نزلوا المدينة، وتوجه أهل عمان إلى عمان، وتوجهت غسان إلى بصرى، قال ابن كثير: هذا أثر غريب عجيب، وهذا الكاهن هو عمرو بن عامر أحد رؤساء اليمن وكبار سبأ وكهانهم.

إلا وأمر بربط هرة عندها، فما زاد الأمر إلا شدة، وكان الجرذ^(١) يقلب صخرة ما يقلبها خمسون رجلاً.

فلما رأى ذلك دعا ابن أخيه، فقال له: إذا جلست العشية في نادي قومي، فأتني فقل لي: علام تحبس عليّ مالي، فإني سأقول لك: ليس لك عندي مال ولا ترك أبوك شيئاً، وإنك كاذب، فإذا كذبتك فكذبني، واردد علي مثل ما قلت لك. فإذا فعلت ذلك فإني أشتمك فاشتمني، فإذا شتمتني فإني ألطمك، فإذا أنا لطمتك فالطمني.

قال: ما كنت لأستقبلك بذلك يا عم، قال: بلى فافعل؛ فإني أريد بذلك صلاحك وصلاح أهل بيتك، فقال الفتى: نعم، حيث عرف رأي عمه، فجاء فقال ما أمره به حتى لطمه، فقال الشيخ: يا معشر بني فلان ألطم فيسلم، لا سكنت في بلد لطمني فيه فلان أبداً، من يبتاع مني، فلما عرف القوم منه الجدة أعطوه، فنظر إلى أفضلهم عطية، فأوجب له البيع ودعا بالمال. ويحمل هو وبنوه من ليلته.

وفي رواية^(٢): أن الثمن لما صار في يده قال: [أي قومي إن العذاب قد أظلمكم، وزوال أمركم قد دنا، فمن أراد منكم داراً جديداً وحماً شديداً وسفراً بعيداً^(٣) فليلحق بعمان، ومن أراد منكم الخمر والخمير والعصير^(٤) فليلحق ببصرى، ومن أراد منكم الراسخات في الوحل، المطاعم في المحل، المغيمات^(٥) في القحل، فليلحق بيثرب ذات النخل]، فأطاعه قوم فخرج أهل عمان إلى عمان، وخرجت غسان إلى بصرى، وخرجت الأوس والخزرج وبنو كعب إلى يثرب^(٦)، فلما كانوا

(١) الجرذ: الذكر من الفئران.

(٢) هي رواية عن عكرمة كما سبق، وهي منقولة عن تفسير ابن كثير: ٥٤٤/٥.

(٣) (ج): «فمن أراد منكم داراً جديداً وحماً شديداً وسفراً سعيداً»، وما أثبتته في تفسير ابن كثير: ٥٤٥/٥.

(٤) (ج): «والعصيري»، وما أثبتته في تفسير ابن كثير: ٥٤٥/٥.

(٥) في تفسير ابن كثير: ٥٤٥/٥: «المغمات».

(٦) يثرب: هي مدينة رسول الله ﷺ، سميت بذلك لأن أول من سكنها عند التفرقة يثرب بن قانية، فلما نزلها رسول الله ﷺ سماها طيبة وطابة كراهية للتثريب، وسميت مدينة الرسول لنزوله بها. وأصل التثريب: الإفساد.

انظر: معجم البلدان: ٤٣٠/٥.

بيطن مُرّ قال بنو كعب^(١): هذا مكان صالح لا نبغي به بدلاً، فأقاموا به، فلذلك سموا خزاعة؛ لأنهم انخزعوا عن أصحابهم، وأقبلت^(٢) الأوس والخزرج حتى نزلوا بيثرب^(٣)، ولما أراد الله - جل شأنه - ما أراد من تفريق من بقي وخراب بلادهم، أقبلت فأرة حموا إلى هرة من تلك الهرة فساررتها حتى استأخرت عنها الهرة قد دخلت في الفرجة التي كانت عندها فتغلغلت بالسد فحفرت فيه حتى أوهنته وهم لا يدرون، فلما جاء السيل وجد خلالاً فدخل فيه حتى قلع السد وخاض الماء على الأموال فاحتملها ولم يبق منها إلا ما ذكر الله تعالى. انتهى.

قصة صياطاس^(٤)

وهو الذي أخرج بيت المقدس بأمر أسفايوس، وقتل أكثر من سبعين ألفاً، وشتت الباقي، وأحرق التوراة، وأخرج بيت المقدس، وهذا هو الفساد الثاني الذي أشار الله - جل شأنه - في كتابه العزيز بقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَفْؤُا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّؤُا مَا عَلَوُا تَبَرُّرًا﴾ [الإسراء: ٧].

فالمرة الأولى كان بخت نصر، والثانية هذا الملك، وبسبب هاتين الواقعتين تشتت بنو إسرائيل وتفرقوا في سائر المعمور من الأرض. ومنهم من سكن المدينة بنو قريظة وبنو النضير.

(١) في تفسير ابن كثير: ٥٤٥/٥: «بنو عثمان».

(٢) في تفسير ابن كثير: ٥٤٥/٥: «واستقامت».

(٣) انتهى ما ذكره ابن كثير: ٥٤٤/٥، ٥٤٥.

(٤) وفي روح المعاني: ٢١/١٥.

ففي بعض التواريخ.. أن أسبيانوس قيصر الروم وجه وزيره طوطور إلى خرابه، فخر به سنة ثلاثة آلاف وثمانمائة وثمانية وعشرين، فيكون بين البعثين عندهم أربعمائة وتسعون سنة.

وتفصيل الكلام في ذلك في كتبهم، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال. ثم قال الألوسي: ونعم ما قيل إن معرفة الأقسام المبعوثين بأعيانهم وتاريخ البعث ونحوه مما لا يتعلق به كبير غرض، إذ المقصود أنه لما كثرت معاصيهم سلب الله تعالى عليهم من ينتقم منهم مرة بعد أخرى..

قصة أهل الكهف

وكانوا من جملة أهل الروم^(١) وأشرافهم، وبلدهم (دقسوس)، وهي التي يقال لها الآن: (طرسوس)، وكانوا ممن آمن بـعيسى^(٢) ﷺ، وكانوا على الطريقة المستحسنة، فأخبروا فيوس الملك عنهم، فهددهم بالقتل، فهربوا منه إلى جبل عظيم فيه مغارة، وجلسوا يعبدون الله تعالى، وفي مسيرهم إلى المغارة تبعهم كلب مؤلف لهم فطردوه فلم يرجع عنهم، وكان يجلس معهم على قريب من باب المغارة^(٣). وكانوا كلهم شباباً صغاراً، وكانوا يبعثون كل يوم شخصاً منهم يقال له: تمليخا يشتري لهم ما يحتاجون إليه، ويتجسس لهم

(١) قال ابن كثير في تفسيره: ٣٧٠/٤: وقد ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف: أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم، وأنهم خرجوا يوماً في بعض أعياد قومهم، وكان له مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد، وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت ويذبحون لها، وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له: دقيانوس، وكان يأمر الناس ويحثهم عليه ويدعوهم إليه، فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك، وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم ونظروا إلى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم، عرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينبغي إلا لله الذي خلق السماوات والأرض، فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه وينحاز منهم ويتبرز عنهم ناحية.. ولا يعرف كل واحد الآخر، وإنما جمعهم هناك الذي جمع قلوبهم على الإيمان كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف». وانظر: البداية والنهاية: ١١٤/٢.

(٢) قال ابن كثير: ٣٧٠/٤:

وقد ذكر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية، فإنهم لو كانوا على دين النصرانية لما اعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم لمباينتهم لهم. وعن ابن عباس^(٤) أن قريشاً بعثوا إلى أحبار اليهود بالمدينة يطلبون منهم أشياء يمتحنون بها رسول الله ﷺ فبعثوا إليهم أن يسألوه عن خبر هؤلاء، وعن خبر ذي القرنين وعن الروح.. فدل هذا على أن هذا أمر محفوظ في كتب أهل الكتاب، وأنه متقدم على دين النصرانية - والله أعلم -.

وانظر: البداية والنهاية: ١١٤/٢.

(٣) قال ابن كثير في تفسيره: ٣٧٤/٤:

قال ابن جريج؛ يحرس - أي الكلب - عليهم الباب، وهذا من سجيته وطبيعته، حيث يربض ببابهم كأنه يحرسهم، وكان جلوسه خارج الباب؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب..

ممن فيه ما يقال في شأنهم، سأل عنهم الملك فأخبر أنهم في كهف في جبل كذا وكذا، فأمرهم بالكهف أن يسد ويبنى^(١)، فيموتوا فيه، وكان الله ﷻ قد ألقى عليهم النوم فناموا في المغارة فسدت عليهم وكان محلاً مهياً لهم، كتب أسماءهم وجعلها في لوح من رصاص، وبناه في موضعهم عند باب المغارة، وصورة الكتابة أن مكسالمتا، ومخشالمتا، ويلبخا، ومرطوس، وكيسوطوس، وبيرونس، ودينوس، وينطوس، كانوا فئة هربوا من ملكهم راقبوس الجبار مخافة أن يفتنهم فدخلوا هذا الكهف، فلما أخبر أنهم في الكهف أمر به فسد عليهم بالحجارة، وإنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلم ذلك من عثر عليهم، وألقى الله - جل شأنه - عليهم النوم ومنع عنهم الآفات والعوارض ثلاثمائة عام، ومات ذلك الملك الجبار، وولي بعده ملوك إلى أن ولي ناودسبوس، وكان ملكاً عظيماً صالحاً، وكان متبعاً لعيسى ﷺ وأظهر ملة عيسى^(٢) ﷺ، وكان يسأل الله - جل شأنه - أن يظهر في أيامه بينة^(٣) في إثبات البعث والنشور لتكون آية للناظرين ومدفعاً للمعاندن.

وفي زمنه أتى راع إلى ذلك البناء المسدود فهدمه ورماه ليستكن في المغارة، ففي هذه المدة استيقظ الفتية النائمون في الكهف، وذلك بعد مضي ثلاثمائة عام، فظنوا أنهم ناموا يوماً أو بعض يوم. فبعثوا أحاهم^(٤) تملبخا

(١) قال ابن كثير في تفسيره: ٣٧٢/٤ بعد ذكر القول: إن الملك ظفر بهم ووقف على باب الغار الذي دخلوه، فأمر بردم بابه عليهم ليهلكوا مكانهم ففعل قومه ذلك: وفي هذا نظر - والله أعلم - فإن الله تعالى قد أخبر أن الشمس تدخل عليهم في الكهف بكرة وعشياً، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوَّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ لِيلاً مُرْشِداً ﴿٧١﴾﴾ [الكهف].

(٢) أوردت قريباً ما ذكره ابن كثير في تفسيره من أن هذه القصة قبل دين النصرانية.

(٣) قال ابن كثير في تفسيره: ٣٧٦/٤: قال عكرمة: كان منهم طائفة قد قالوا: تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد، فبعث الله أهل الكهف حجة دلالة وآية على ذلك. وذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٢١].

(٤) وفي تفسير ابن كثير: ٣٧٦/٤: وذكروا أنه لما أراد أحدهم الخروج ليذهب إلى المدينة في شراء شيء لهم ليأكلوه تنكر، وخرج يمشي في غير الجادة حتى انتهى إلى المدينة، وذكروا أن اسمها (دقسوس)، وهو يظن أنه قريب العهد، وكان الناس قد تبادلوا قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل.. فجعل لا يرى شيئاً من معالم البلاد التي يعرفها، ولا =

ليشتري لهم طعاماً يأكلونه وأن يكون حذراً لا يفتنون به ويتجسس عن أخبار الملك وما يقال في شأنهم، فلما وصل تملیخا إلى المدينة رأى أموراً وأشياء أنكرها، وتحير منها لظنه أنه إنما غاب عن المدينة يوماً واحداً، فرأى إشارات وعلامات تدل على أن الدين قد تغير بدين الحق وطريقة الإيمان، ونظر إلى الملاً فلم يعرف منهم أحداً، فظن أنه تخيل أو ذاهل أو أن بعقله جنون، فأراد أن يرجع ثم عزم على أن يشتري لإخوته طعاماً، فأتى إلى صاحب الطعام فأعطاه دراهم معه ورقاً وهي الفضة، فلما رأى صاحب الطعام تلك الدراهم لأن عليها طابع راقیوس، فقطع أنه قد ظفر بكنز فأعرضها على أصحاب دراهم إياها، فأنكروها جميعاً، ثم أقبلوا على تملیخا قائلين له: أرنا موضع الكنز ونحن لا نظهر عليك أحداً، فلم يدر ما يقول وتحير، فاجتمع الناس عليه ورأوا الدراهم ووضع بعضهم رداءه في عنقه، وذهب به إلى والي البلد وهو بيكي ويستغيث، وفي ظنه أنهم قد شعروا بحال إيمانه، وأنهم يذهبون به إلى الملك الجبار، فجعل يتحسر ويقول: أين إخوتي عني فإننا تعاهدنا أن نكون جميعاً حياتنا ومماتنا، ووقفنا بين يدي الجبار وإظهار كلمة الحق لديه. فدخلوا به على الأمير وأراه الدراهم فسألوه: فقال: أنا فلان بن فلان فلم يعرفه أحد، وقال له بعض الحاضرين: أظهر الكنز الذي وجدته، فإنك إن لم تظهره أوجعناك ضرباً وألماً، فقال بعض الحاضرين: إنه مجنون، وقال

= يعرف أحداً من أهلها. . فجعل يتحير في نفسه ويقول: لعل بي جنون أو أنا حالمة، ويقول: والله ما بي شيء من ذلك، وإن عهدي بهذه البلدة عشية أمس على غير هذه الصفة. . ثم عمد إلى رجل ممن يبيع الطعام، فدفع إليه ما معه من النفقة، وسأله أن يبيعه بها طعاماً، فلما رآها ذلك أنكرها وأنكر ضربها، فدفعها إلى جاره وجعلوا يتداولونها بينهم، ويقولون: لعل هذا وجد كنزاً، فسألوه عن أمره، ومن أين له هذه النفقة، لعله وجدها من كنز وممن أنت؟ فجعل يقول: أنا من أهل هذه البلدة وعهدي بها عشية أمس، وفيها دقيانوس، فنسوه إلى الجنون، فحملوه إلى ولي أمرهم، فسأله عن شأنه وخبره حتى أخبرهم بأمره وهو متحير في حاله وما هو فيه، فلما أعلمهم بذلك قاموا معه إلى الكهف - ملك البلد وأهلها - حتى انتهى بهم إلى الكهف، فقال لهم: دعوني حتى أتقدمكم في الدخول لأعلم أصحابي فدخل. . ودخلوا عليهم ورأوهم وسلم عليهم الملك واعتنقهم، وكان مسلماً - فيما قيل - واسمه بندوسيس، ففرحوا به وآسوه بالكلام، ثم ودعوه وسلموا عليه، وعادوا إلى مضاجعهم وتوفاهم الله ﷻ - فالله أعلم - .

آخرون: إنه ليس به جنون، وبين رأيه فظهر ذلك ليخلص، فاشتد الكرب بتخليخا، فقال لهم: إني أسألكم^(١) عن أمر فأجيئوني عنه: ماذا فعل الملك راقبوس؟ فقالوا له: قد مضى من ملك راقبوس مدة عظيمة طويلة. فقال لهم: أنا أخبركم عن شأني وحالي ورفقة لي أكرهنا الملك على الكفر بعد الإيمان، فهربنا منه خوفاً من الفتنة والتجأنا إلى مغارة، وبالأمس كنت أنا في هذه البلدة وأتيت اليوم ووقع لي ما ترون.

وكان الأمير موقفاً ذا رأي وعقل، فقال لجلسائه: أمهلوا على الرجل ولعلها أن تكون آية أظهرها الله ﷻ وأجاب دعوة ملكنا الصالح، فهلما نتوجه وننظر في شأن هذه الفتية، وكانوا بعد أن قاموا من نومهم على حالهم من الشباب وبهاء المنظر ونضارة الشباب.

فتوجه الأمير ومن معه جميعاً وتخليخا معهم حتى أتوا المغارة، وكان الفتية قد فقدوا أخاهم واستبطوه فحزنوا لذلك كثيراً فدخل عليهم قبل الجماعة، وأخبرهم بما صار له، ثم دخل الأمير ومن معه وتكلموا معهم، وأرسلوا إلى الملك وأخبروا بما صار، فأتى إليهم وجلس معهم ورأوا الأسماء المكتوبة في اللوح الرصاص بباب المغارة، فازداد بذلك إيمانهم ويقينهم، فشكر الله ﷻ الملك على هذه الآية العظيمة والنعمة الجزيلة.

ثم ودعهم الملك ومن معه وانصرفوا، وألقى الله - جل شأنه - عليهم النوم، وعمر الملك على باب المغارة مسجداً عظيماً^(٢)، وجعل في ذلك المكان عيداً في كل عام يأتي الناس إليه ويتبركون بذلك الموضع، وألقى الله - جل شأنه - هيبة وإجلالاً على ذلك الغار، فلا يستطيع الدخول ولا الوصول إليهم.

(١) (ج): «أسألك».

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَرَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَيْنَا أَنَّهُمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف].

حكى ابن جرير في تفسيره: ١٤٩/١٥: في القائلين ذلك قولين أحدهما أنهم المشركون منهم، والثاني المسلمون منهم. وقال ابن كثير في تفسيره: ٣٧٧/٤ بعد حكايته قول ابن جرير: والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ، ولكن هل هم محمودون أولاً؟ فيه نظر؛ لأن النبي ﷺ قال: «لعن اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصلحيهم مساجد».

قصة تُبَع الأخير^(١)

وهو تُبان أسعد أبو كرب، وهو ملك عظيم، رَوَّع الأرض وسار في البلدان وملك كثيراً من المعمور، وهو أحد الملوك الذي قهر الجبابرة وأعطاه^(٢) الله الشوكة والعزة. وقد قيل: إن التبابعة ثلاثة من حمير. الأول وهو في زمن سليمان عليه السلام، والثاني وهو قبل عيسى عليه السلام، والأخير بعده وهو هذا^(٣).
قيل: كان في بعض مسيره مر على المدينة^(٤) المشرفة على نينا - أفضل

(١) وفي روح المعاني: ١٢٨/٢٥:

وذكر أبو حاتم الرياشي أنه آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث بسبعائة سنة. وقيل: بينه وبين مولده صلى الله عليه وسلم ألف سنة، والقولان يدلان على أنه قبل مبعث عيسى صلى الله عليه وسلم.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: لا تقولوا في تبع الأخير، فإنه حج البيت وآمن بما جاء به عيسى ابن مريم، وهو يدل على أنه بعد مبعث عيسى صلى الله عليه وسلم، والأول أشهر. وقال ابن كثير في تفسيره: ١٤٤/٤:

وقد ساق قصته بطولها الحافظ ابن عساكر.. وقد اختلط عليهم في بعض السياقات ترجمة تبع هذا بترجمة آخر متأخر عنه بدهر طويل، فإن تبعاً هذا المشار إليه في القرآن أسلم قومه على يديه.. وقال سعيد بن جبير: كسا تبع الكعبة، وكان سعيد ينهى عن سبه. وتبع هذا هو تبع الأوسط واسمه أسعد أبو كرب بن ملكرب اليماني..
(٢) (ج): «أعطاهم».

(٣) وهذا غلط، فإن تبعاً الذي مر على المدينة هو تبع الأوسط، قال سعيد بن جبير: كسا تبع الكعبة.. وتبع هذا هو تبع الأوسط...
انظر: تفسير ابن كثير: ١٤٤/٤.

(٤) وفي البداية والنهاية: ١٦٤/٢ نقلاً عن سيرة ابن هشام: ١٩/١ - ٢٧:

قال ابن إسحاق: وتبان أسعد أبو كرب هو الذي قدم المدينة، وساق الحبرين من اليهود إلى اليمن، وعمر البيت الحرام وكساه.. وكان قد جعل طريقه حين رجع من غزوة بلاد المشرق على المدينة، وكان قد مر بها في بدأته فلم يهجم أهلها، وخلف بين أظهرهم ابناً له فقتل غيلة، فقدمها وهو مجمع لإخربها واستئصال أهلها وقطع نخلاها..
فبينما تُبَع على ذلك من قتالهم إذ جاءه حبران من أحبار اليهود.. حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها فقالوا له: أيها الملك لا تفعل فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها، ولم تؤمن عليك حل العقوبة، فقال لهما: ولم ذلك؟ قالوا: هي مهاجر نبي يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان، تكون داره وقراره، فتناهى ورأى أن لهما علماً وأعجبه ما سمع منهما فانصرف عن المدينة واتبعهما على دينهما. وكان تُبَع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها، فتوجه إلى مكة وهي طريقه إلى (اليمن)، حتى إذا كان على =

= «عسفان» و«أمج» أتاه نفر من هذيل بن مدركة . . فقالوا له : أيها الملك ألا ندلك على بيت مال دائر أغفلته الملوك قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة، قال : بلى، قالها : بيت بمكة يعبد أهله ويصلون عنده، وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغى عنده، فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى الحبرين فسألهما عن ذلك فقالا له : ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك، ما نعلم بيتاً لله ﷻ اتخذه لنفسه غيره، ولئن فعلت ما دعوك إليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعاً، قال : فماذا تأمراني أن أصنع إذا أنا قدمت عليه؟ قالوا : تصنع عنده ما يصنع أهله تطوف به وتعظمه وتكرمه وتحلق رأسك عنده وتذل له حتى تخرج من عنده .

قال : فما يمنعكما أنتما من ذلك؟ قالوا : أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم ﷺ، وإنه لكما أخبرناك، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله . . فعرف نصحبهما وصدق حديثهما، وقرب النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم . ثم مضى حتى قدم مكة، فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه . .

وأري في المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف، ثم أري في المنام أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه المعافر، ثم أري أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاء والوصلات . وكان تُبَع فيما يزعمون أول من كسا البيت وأوصى به ولاته من جرحهم . . . ثم خرج تُبَع متوجهاً إلى اليمن بمن معه من الجنود والحبرين . . . قال السهيلي : وقد قال تُبَع حين أخبره الحبارن عن رسول الله ﷺ :

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسمة
فلو مد عمري إلى عمره لكنت وزيراً له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه وفرجت عن صدره كل هم

قال : ولم يزل هذا الشعر تتوارثه الأنصار ويحفظونه بينهم، وكان عند أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه وأرضاه . -

تبان أسعد : اسمان جعل اسماً واحداً، كما هي الحال في معدي كرب . وتبان من التبانة وهي الذكاء والفتنة .

عُسفان : سميت عسفان لتعسف السيل فيها، كما سميت الأبواء لتبوء السيل بها . قال السكري : عسفان على مرحلتين من مكة على طريق المدينة والجحفة على ثلاث مراحل، غزا النبي ﷺ بني لحيان بعسفان، وقد مضى لهجرته خمس سنين وشهران وأحد عشر يوماً .
انظر : معجم البلدان، مادة : (العين والسين وما يليهما) : ١٢١/٤، ١٢٢ .

وأمج : بالجيم وفتح أوله وثانيه، بلد من أعراض المدينة . وقال أبو المنذر هشام بن محمد : أمج وجران واديان من حرة بني سليم ويفرعان في البحر . انظر : معجم البلدان، مادة : (الهمزة والميم وما يليهما) : ٢٥٠/١ .

الخصف : حصر تنسج من خوص النخل ومن الليف، فيسوى منها شقق تلبس بيوت الأعراب .

الصلاة والسلام - فترك بها ابناً له وجماعة من قومه، فقتل ابنه غيلة، فلما رجع أخبر بذلك فأضمر قتل من فيها جميعاً وإحراق ما فيها من الكروم والنخل، فلما أقبل إليها حاربه أهلها، وجاءه حبران من أحبار اليهود من بني قريظة واصطحبا معه ونهياه عن إخراج المدينة وقالوا له^(١): أيها الملك لا تفعل، وإن أردت ذلك لم تقدر ولا يؤمن عليك من حصول العقوبة والنقمة، فإنها مهاجر نبي ومقامه سيخرج من هذا الحرم، وأشارا إلى مكة - شرفها الله تعالى -، فأوقع الله - جل شأنه - في قلبه حسن قولهما وأصغى إلى ما أشارا به عليه، وأصبحهما معه وترك التعرض للمدينة المشرفة، وتوجه إلى مكة - زادها الله شرفاً -.

ولما كان قريباً من عسفان أتاه نفر من هذيل قد خشوا أن يطأ أموالهم ويأخذها، فأرادوا أن يتقربوا ليندفع عنهم ويكون سبباً لهلاكه ووباله. فقالوا: أيها الملك إن هنا بيتاً لحجة العرب وفيه كنز عظيم قد أغفلته الملوك قبلك، ونحن نريد أن يكون لك؛ فإن فيه من الأموال شيء عظيم، فأجمع على ذلك وعزم، فوقع له مرض عظيم، فأرسل إلى الحبرين، وسألهما عن ما أصاب به من المرض، فقالا له: لعلك أيها الملك أضمرت سوءاً، وأخبرهما بما أضمره من هدم البيت العتيق، فنهياه عن ذلك وأخبراه أنه بيت معظم مجلل بنته الأنبياء ﷺ وحجوا إليه، وإن أراد به سوء هلك سريعاً، فاستشارهما ماذا يفعل، فأمراه إذا قدم عليه أن يطوف به ويتذلل لله ﷻ عنه. فقال لهما: وما يمنعكما أيضاً أن تفعلوا معي كذلك؟ فقالا له: نحن نعلم أنه بيت إبراهيم ﷺ ولا يمنعنا من ذلك إلا ما نصبه هؤلاء الجاهلية من الأصنام، وإهراقهم الدماء عنده.

فلما وصل تبع طاف بالبيت وسعى وحلق وتصدق وأطعم، ورأى في المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف، ثم رأى أن يكسوه فكساه المعافر، ثم رأى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاء والوصائل، وكان تبع هو وقومه أولاً على دين غالب العرب وثنيين، فلما صحب هذين الحبرين اتبع ملة موسى ﷺ

= المعافر: ثياب تنسب إلى قبيلة من اليمن، وأصله المعافري، ثم صار اسماً لها بغير نسبة.

الملاء: جمع ملاءة، وهي الملحفة.

والوصائل: ثياب مخططة يمنية، يوصل بعضها إلى بعض.

(١) (ج): «وقالوا له».

وَأَمَّنَ مَعَهُ كَثِيرٌ مِّنْ قَوْمِهِ وَاتَّبَعَهُ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ هُوَ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَهْمَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [الدخان: ٣٧].
 وذلك أنه لما آمن خالف كثير من قومه فأهلكهم الله ﷻ، وكان تبع -
 رحمه الله تعالى - يجمع قومه وأشرف مشيرته والملوك منهم فيذكرهم بالله ﷻ.
 فمن كلامه: أيها الناس إن الدهر نفذ أكثره ولم يبق أهله، وإن الكثير إذا قل
 إلى النقصان أحرى منه إلى الزيادة، فسارعوا إلى المكارم فإنها تقربكم إلى
 الفلاح، واعلموا أنه من سلم من يومه لم يسلم من غده، ومن سلم من غده
 لم يسلم مما بعده، وإنكم لتسوون الآباء والأجداد، وتصيرون إلى ما صاروا
 إليه، والموت كل يوم إلى المرء قريب من حياته إليه وإليه، ولكل زمان أهل
 ولكل دائرة سبب، وسبب عطلان هذه الفترة التي من عز فيها بز من هو دونه،
 الوقوف على ظهور نبي يبعث بدينه، ويخصه بالكتاب المبين، على رسول من
 المرسلين رحمة للمؤمنين وحجة على الكافرين، فليكن ذلك عندكم وعند
 أبنائكم بعدكم قرناً فقرن، جيلاً فجيل، ليتوقفوا ظهوره، وليجتهدوا في نصره
 على كافة الأعداء حتى يفي الناس له إلى أمر الله.

شهدت على أحمد أنه رسول من الله بارئ النسمة
 فلو مد عمري إلى عمره لكنت وزيراً له وابن عم
 وألزمت طاعته كل من على الأرض من عرب أو عجم
 انتهى.

قصة أصحاب الأخدود^(١)

(١) هذه القصة ذكرها المؤلف من الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده، وابن إسحاق في السيرة. فأما ما رواه ابن إسحاق فهو عن محمد بن كعب القرظي وعن بعض أهل نجران: أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان، وكان في قرية من قرابها قريباً من نجران - هي القرية العظمى التي إليها جماع تلك البلاد - ساحر يعلم غلمان أهل نجران، فلما نزلها فيمون، ولم يسموه لي بالاسم الذي سماه ابن منبه، قالوا: نزلها رجل فابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر، وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر، فبعث التامر ابنه عبد الله بن التامر مع غلمان =

= أهل نجران، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من عبادته وصلاته، فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى أسلم فوحد الله وعبده، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام، حتى إذا فقه جعل يسأل عن الاسم الأعظم.. فجعل عبد الله بن التامر إذا دخل نجران لم يلتق أحداً به ضر إلا قال له: يا عبد الله أتوحد الله وتدخل في ديني، وأدعو الله لك فيعافيك مما أنت فيه من البلاء؟ فيقول: نعم، فيوحد الله ويسلم، فيدعو الله له، فشفي، حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه، فاتبعه على أمره ودعا له فعوفي، حتى رفع شأنه إلى ملك نجران، فدعاه فقال له: أفسدت علي أهل قريتي وخالفت ديني ودين آبائي لأمثلن بك.. قال له عبد الله بن التامر: إنك والله لا تقدر عل قتلي حتى تؤمن بما آمنت به، وتوحد الله، فإنك إن فعلت سلطت علي فقتلتني، قال: فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله بن التامر، ثم ضربه بعضا في يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله، وهلك الملك مكانه، واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن التامر، وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم عليه السلام من الإنجيل وحكمه، ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث، فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران. قال ابن إسحاق: فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران عن عبد الله بن التامر، فالله أعلم أي ذلك كان، قال: فسار إليهم ذو النواس بجنده فدعاهم إلى اليهودية وخيرهم بين ذلك أو القتل فاخاروا القتل، فخذ الأخدود فحرق بالنار وقتل بالسيف، ومثل بهم حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفاً، ففي ذي نواس وجنده أنزل الله عليه السلام على رسوله عليه السلام: ﴿قُلْ أَتَحِبُّونَ الْأَخْدُودَ﴾ ﴿١﴾ النَّارَ ذَاتَ الْوُقُودِ ﴿٢﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُودٌ ﴿٣﴾... ﴿الآيات [البروج]. سيرة ابن هشام: ٣٥/١ - ٣٧.

قال ابن كثير في تفسيره: ٢٥٩/٧ - ٢٦٠، هكذا ذكر محمد بن إسحاق في السيرة أن الذي قتل أصحاب الأخدود ذو نواس واسمه زرعة، ويسمى في زمان مملكته بيوسف... وما ذكره ابن إسحاق يقتضي أن قصتهم كانت في زمن الفترة التي بين عيسى ومحمد - عليهما من الله السلام - وهو أشبه - والله أعلم.

وأما ما رواه الإمام أحمد فهو من حديث صهيب أن رسول الله عليه السلام قال: «كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال للملك: إني قد كبر سني وحضر أجلي، فادفع إلي غلاماً لأعلمه السحر، فدفع إليه غلاماً كان يعلمه السحر، وكان بين الساحر وبين الملك راهب، فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه، وكان إذا أتى الراهب ضربه، وقال: ما حبسك، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا أراد الساحر أن يضربك فقل: حبسني أهلي، وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل: حبسني الساحر، قال: فيينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس، فلا يستطيعون أن يجوزوا، فقال: اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر، قال: فأخذ حجراً، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس، ورمها فقتلها، ومضى الناس، فأخبر الراهب بذلك، فقال: =

وكان سببها أنه نزل بأرض نجران^(١) راهب متنسك عابد يقال له: فيمون،

= أي بني أنت أفضل مني وإنك ستبتلي، فإن ابتليت فلا تدل علي، فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم، وكان للملك جليس، فعمي فسمع به، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: اشفني ولك ما ههنا أجمع، فقال: ما أنا أشفي أحداً إنما يشفي الله ﷻ، فإن آمنت به دعوت الله فشفاك فأمن فدعا الله فشفاه. ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس، فقال له الملك: يا فلان من رد عليك بصرك؟ فقال: ربي، فقال: أنا؟! قال: لا، ربي وربك الله، قال: ولك رب غيري؟! قال: نعم ربي وربك الله، فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فبعث إليه، فقال: أي بني بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء! قال: ما أشفي أحداً إنما يشفي الله ﷻ، قال: أنا؟ قال: لا، قال: أو لك رب غيري؟! قال: ربي وربك الله، فأخذه أيضاً بالعذاب، فلم يزل به حتى دل على الراهب، فأتى بالراهب، فقال: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه، وقال للأعمى: ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض. وقال للغلام: ارجع عن دينك فأبى، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا، وقال: إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فهددهوه، فذهبوا به فلما علوا به الجبل قال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجع بهم الجبل فهددهوا أجمعون. وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، فبعث به مع نفر في قرقور.

فقال: إذ لججتم به البحر فإن رجع عن دينه، وإلا فغرقوه في البحر، فلججوا به البحر فقال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت فغرقوا أجمعون.

وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، ثم قال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، فإن أنت فعلت ما أمرك به قتلني، وإلا فإنك لا تستطيع قتلي، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبني على جذع وتأخذ سهماً من كنانتي، ثم قل: باسم رب الغلام، فإنك إذا فعلت ذلك قتلني، ففعل ووضع السهم في كبد قوسه ثم رماه، وقال: باسم الله رب الغلام، فوقع السهم في صدغه، فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، فقيل للملك: رأيت ما كنت تحذر؟ فقد والله نزل بك، قد آمن الناس كلهم، فأمر بأفواه السكك، فحُدَّت فيها الأحاديد، وأضمرت فيها النيران، وقال: من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأثحموه فيها، قال: فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه، فكانها تقاعست أن تقع في النار فقال الصبي: اصبري يا أمه فإنك على حق.

مسند الإمام أحمد: ١٧/٦، ٤٥، ورواه الترمذي بنحوه في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة (البروج): ٤٣٧/٥، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(١) (نجران): في مخاليف (اليمن)، وهي اليوم من مناطق (المملكة العربية السعودية). وسميت بنجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان؛ لأنه كان أول من عمرها. انظر: معجم البلدان: ٢٦٦/٥.

وكان ممن اتبع النبي عيسى عليه السلام وآمن به، وكان على شريعته وملته، وكان له خباء خارج نجران، وكان بنجران رجل يعلم أهل نجران وصبيانهم الرقاء والسحر والروحانية، وكان في جملة الصبيان الذين يذهبون إليه صبي يقال له: عبد الله بن التامر، وكان ذكياً فطناً صاحب قابلية واستعداد، وكان إذا قصد الساحر في طريقه على خباء فيمون فيجلس إليه ويتحدث معه وكان يعجبه حديثه، وكان فيمون يعلم الصبي الأحكام والدين ويخبر بالشرائع، فمال إليه الصبي وأحبه، وكان يكثر التردد عليه، وكان أهل الصبي إذا أبطأ عليهم ضربوه، وكذلك الساحر يضربه إذا أبطأ؛ لكونه يستغرق عند الراهب كثيراً، فقال له الراهب: إذا سألك أهلك فقل: حبسني الساحر، وإذا سألك الساحر فقل: حبسني أهلي. وكان الصبي بحسن ذكائه قد تعلم من الراهب اسم الله الأعظم واستخرجه بعظمته، فأقبل يوماً فرأى حية عظيمة قد منعت الناس عن المرور في الطريق، فقال: اللهم إن كان ما عليه الراهب وما يدعوني إليه حقاً فاقتلها، فرماها بحجر فقتلها فأخبر الراهب بذلك، فقال له: يا بني إنك اليوم أفضل مني، وإنك ستبتلى فلا تدل علي، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي العلل المزممة بدعائه إلى الله عز وجل على شريطة أن يؤمنوا فعوفي ناس كثيرون وآمنوا بالله بسببه، وكان من جملة من آمن جليس لملك تلك الأرض، وكان أعمى فدعا له عبد الله بن التامر بشريطة الإيمان بالله تعالى فأبصر وآمن بالله تعالى، فأخبر الملك بذلك فعذبه الملك، فأخبر عن الغلام فأتي به، فقال له الملك: قد بلغ مني سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وتشفي المرضى.

فقال: إني لا أشفي أحداً، ولكن الله خالقنا وخالق كل شيء هو الشافي والمعافي والكافي، فعذبه الملك، فدل على الراهب فيمون فأتي به، فقال له الملك: ارجع عن دينك فلم يرجع، فنشر بالمنشار ومات - رحمه الله تعالى -، وأمر عبد الله بن التامر أن يرجع فأبى وامتنع، فأمر به أن يلقي من جبل عال فألقي فلم يصبه شيء، وأتى إليهم صحيحاً سليماً، فأمر به أن يغرق في البحر فلم يغرق وأنجاه الله تعالى، فلم يزل على ذلك لا يؤثر فيه شيء بإذن الله تعالى، قال للملك: لا يمكنك أن تقتلني حتى تفعل علي ما أشير به عليك، فقال له الملك: وما هو؟ فقال: أن تجمع أهل البلد جميعاً في صعيد واحد من الأرض، ثم تأخذ سهماً من كنانتي فتضعه في القوس، وتقول: بسم رب

هذا الغلام وترميني به، فإنك إن فعلت ذلك قتلتنني .
 فجمع الملك الناس في صعيد واحد وأخذ السهم من كنانته فرماه به فوق
 السهم في صدغه فوضع يده في صدغه ومات - رحمه الله تعالى - .
 فقال الناس جميعاً: آمنة برب الغلام وعلمنا أنه على حق، وأسلم أهل
 البلد .

فقيل للملك: أرايت ما كنت تحذر منه قد وقع، قد أسلم الناس جميعاً
 وآمنوا!

وأمر بالأخدود فخذت الأرض؛ أي شقت شقاً طويلاً، وأوقد ناراً فيها
 النيران العظيمة، وأمر بمن لم يرجع أن يلقى فيها .
 فألقي أمم كثيرون فاقتحموا فيها، وجاءت امرأة ومعها طفل صغير
 فتقاعست عن النار، فقال لها الصبي: اصبري يا أماه فإنك على حق .

وقد ذكر الله - جل شأنه - خبر الأخدود في كتابه العزيز فقال عز من قائل:
 ﴿قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُجُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ
 بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ لَمْ لَمْ
 يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البروج] .

وقد جاءت روايات كثيرة في أصحاب الأخدود غير ما ذكرناه، ولا يبعد
 أن يكون هذا الأخدود قد صنع مراراً في أيام متعددة^(١) فتنة وبلية على
 المؤمنين، ولكن هذه الرواية التي ذكرناها رويت في الصحيح عن
 رسول الله ﷺ .

(١) قال ابن كثير في تفسيره: ٢٦١/٧ :

وقد يحتمل أن ذلك - أي قصة الأخدود - قد وقع في العالم كثيراً كما قال ابن أبي
 حاتم . عن عبد الرحمن بن جبير قال: كانت الأخدود في (اليمن) زمان تبع، وفي
 (القسطنطينية) زمان قسطنطين . وفي (العراق) في أرض (بابل) بختنصر الذي صنع الصنم
 وأمر الناس أن يسجدوا له . .

وعن مقاتل قال: كانت الأخدود ثلاثة: واحدة (بنجران باليمن)، والأخرى (بالشام)،
 والأخرى (بفارس) حرقوا بالنار، أما التي (بالشام) فهو أنطنانوس الرومي، وأما التي
 (بفارس) فهو بختنصر، وأما التي بأرض العرب فهو يوسف ذو نواس، فأما التي (بفارس
 والشام) فلم ينزل الله تعالى فيهما قرآناً، وأنزل الله في التي كانت (بنجران) .

قصة أصحاب الفيل^(١)

وسببها أن أبرهة صاحب اليمن بنى كنيسة عظيمة، وأراد أن يجعل حج

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١٧٠ / ٢ باختصار وتصرف:

قال ابن إسحاق: (فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة إلى النجاشي، غضب رجل من كنانة)، فخرج الكناني حتى أتى القليس - الكنيسة التي بناها أبرهة، وسميت بالقليس لارتفاعها، لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها - هكذا في تفسير ابن كثير) فقعده فيه؛ أي أحدث حيث لا يراه أحد، ثم خرج فلحق بأرضه، فأخبر أبرهة بذلك. فقال: من صنع هذا، فقيل له: صنعه رجل من أهل البيت الذي تحجه العرب بمكة، لما سمع بقولك أنك تريد أن تصرف حج العرب إلى بيتك هذا فغضب فجاء فقعده فيها. . فغضب أبرهة عند ذلك وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه، فسار أبرهة في جيش كثيف عرمرم، واستصحب فيلاً عظيماً يقال له: (محمود)، ورأى العرب أنه حق عليهم المحاجة دون البيت، فخرج «ذو نفر» في قومه وهو أحد أشرف اليمن وملوكهم ولكن هزمه أبرهة وأسر، وكذلك اعترض أبرهة نفيل بن حبيب الخثعمي هو وقومه فهزمه أبرهة أيضاً وأسر نفياً وهم بقتله ثم عفا عنه، واستصحبه ليدله في بلاد الحجاز، ولما مر بالطائف صانعه أهلها وأرسلوا معه «أبا رغال» دليلاً، فلما انتهى أبرهة بجيشه إلى المُعَمَّس وهو قريب من مكة نزل به، وأغار جيشه على سرح أهل مكة من الإبل وغيرها، فأخذه وكان فيه مئتا بعير لعبد المطلب، وأرسل أبرهة حنطة الحميري، وأمره أن يأتيه بأشرف قريش، ويخبرهم أنه لم يأت لحربهم، إلا أن يصدوه عن البيت، فعاد حنطة ومعه عبد المطلب، فأجله أبرهة ونزل عن السرير، وجلس معه على البساط، وسأله - بواسطة ترجمانه - عن حاجته، فقال: حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بعير أصابها لي، فقال: أبرهة، أعجبت بمراك زهدهني فيك كلامك! أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه؟! فقال عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه، قال: ما كان ليمنع مني، قال: أنت وذاك، ثم رد أبرهة الإبل إلى عبد المطلب، ثم رجع إلى قريش فأمرهم بالتحصن في رؤوس الجبال تخوفاً عليهم من معرفة الجيش، ثم قام ومعه نفر من قريش يدعون الله فأخذ عبد المطلب بحلقة باب الكعبة وقال:

لاهم إن العبيد يم - نع رحله فامنع رحالك

لا يغلبن صليبههم ومحالهم غدوا محالك

(المحال: الكيد والمكر).

ولما هيا أبرهة فيله، ووجوه نحو الكعبة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنبه، ثم أخذ بأذنه وقال: أبرك محمود وارجع راشداً من حيث أتيت، فإنك في بلد الله الحرام. ثم أرسل أذنه فبرك الفيل، وخرج نفيل يشد حتى أصد في الجبل والتحق بقريش، أما أصحاب الفيل فضربوا الفيل ليقوم، فأبى. . وجعلوا لا يصرفونه إلى جهة من سائر الجهات =

العرب إليها مزاحمة للبيت الشريف، فأرسل إلى النجاشي يعرفه ذلك، فلما رام ذلك قصدها بعض الأعراب وأحدث بها ووضع فيها نجاسة، فلما رأى أبرهة ذلك غضب وأقسم ليطأن مكة وليهدم البيت، فتوجه واستصحب معه طائفة عظيمة من الجنود قاصداً مكة - شرفها الله تعالى - .

فلما بلغ العرب ذلك شق عليهم واجتمعت قبائلهم المحاربة، ووقف كثير منهم في مقابلته فكسر كل من في طريقه إلى أن وصل أرض ثقيف، ف جاء إليه جماعة منهم خوفاً أن لا يهدم بيتهم المسمى باللات، فأرسلوا معه رجلاً منهم يقال له: (أبو رغال) يدلّه على طريق مكة ويعرفه بها، فلما وصل المُعَمَّس^(١) مات أبو رغال ودفن ورجمت الناس قبره من ذلك الحين، ولما وصل أبرهة قريباً من مكة أرسل جماعة من أصحابه فنهبوا أموالاً وغنماً وإبلاً لأهل مكة، وفيها مائتا بعير لعبد المطلب جد النبي ﷺ، ونزل أبرهة خارج مكة وهو مجمع على هدم البيت، ومعه فيل عظيم يقال له: (محمود) ويقدمه في الحروب، فتفرق أهل مكة في البر خائفين منه، وخلّوا البلد، وأقبل عبد المطلب حتى وصل إلى معسكر أبرهة، فأخبر أبرهة أنه سيد أهل البلد وعظيمهم فأذن له. كان عبد المطلب بهياً ذا هيبة وجمال، فلما رأى أبرهة عظمته جلس معه وخاطبه وألان له، ثم سأل ترجمانه ماذا يريد؟ وما حاجته؟ فقال: أريد مائتي بعير لي نهبت، أريد أن يعيدها لي، فقال أبرهة للترجمان: قل له: إنك لما دخلت علي عظمتك وأحببتك ورأيت أنك ذا كمال وعقل، وأنت لست كذلك، كيف تسألني عن مائتي بعير لك؟! ولا تسألني وتشفع إلي أن أرجع عن هدم بيت هو قبلك وقبلة آبائك وشرفك وشرفهم؟! فقال

= إلا ذهب إليها وإذا وجهه إلى مكة برك. وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار أمثال العدس لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، فجاءت حتى صفت على رؤوسهم ثم صاحت وألقت الأحجار، فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من الجانب الآخر. فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك، وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به معهم أنملة أنملة، كلما سقطت أنملة اتبعتها منه مدة نمت قيعاً ودماً حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر. فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون. وانظر: سيرة ابن هشام: ٤٤/١ وما بعدها. وتفسير ابن كثير: ٣٧٠/٧ وما بعدها.

(١) المُعَمَّس: موضع قرب (مكة) في طريق (الطائف)، مات فيه أبو رغال، وقبره يرجم؛ لأنه كان دليل صاحب الفيل فمات هناك. انظر: معجم البلدان: ١٦١/٥.

عبد المطلب مجيباً له: أيها الملك، إن هذه الإبل ملكي وأنا صاحبها فأنا
أسألك عنها، وأطلب منك أن تعيدها علي، أما هذا البيت فأنت مأزم
ومتصمم على هدمه وله رب حاضر قادر يمنعك عنه، فأعاد عليه الإبل،
فانصرف عبد المطلب حتى وقف بباب الكعبة فقال:

لاهم^(١) إن العبد يم - نع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم - ومحالهم غدوا محالك
إن كنت تاركهم وقب - لمتنا فأمر ما بدالك
ثم صعد إلى جبل أبي (قيس)^(٢) هو وأصحابه فجلس به، وأصبح أبرهة
متوجهاً إلى مكة مجمعاً على هدم البيت وإخراجه وقدم قبله محمود، فلما توجه
تلقاء مكة خطوات برك الفيل فضربوه فلم يقم، ووجهوا إلى غير جهة الحرام
فهول، فكان إذا وجهوه إلى جهة الحرام برك، وإذا وجه إلى غير جهة الحرام
يهول.

وفي هذا الحال أرسل الله - جل شأنه - طيوراً سوداً من البحر يقال لها:
(الأبابل)^(٣) في منقارها حجر، وفي يدها حجر مقدار العدس، لا يصيب
شخصاً إلا قتله، فألقت عليهم الحجارة فأصاب جماعة منهم فهلكوا وفرّ
الباقون هارين، وكان ممن أصيب أبرهة، فلم يزل ينقطع جسده إلى أن وصل
صنعاء اليمن فمات بها، وذلك قول الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ
بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾
تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الفيل].
انتهى، والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

(١) في (هـ): «اللهم»، وما أثبتته في البداية والنهاية: ١٧٢/٢.

(٢) (ح): «بياض».

(٣) الأبابل: أي جماعات يتبع بعضها بعضاً كالإبل المؤبلة، وهو مشتق من الإبل،
وهو من الجمع الذي لا واحد له. انظر: تفسير الشوكاني: ٤٩٥/٥.

النوع الثامن والثلاثون بعد المائة

علم أمثال القرآن



النوع الثامن والثلاثون بعد المائة



علم أمثال القرآن^(١)

فصل

في ذكر أمثال القرآن

في القرآن اثنان وأربعون مثلاً^(٢).

في (البقرة) قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧]^(٣)، ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ [البقرة: ١٩]، ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ [البقرة: ٢٦]، ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ [البقرة: ٢٦٤]^(٤)، ﴿وَمَثَلِ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾

(١) هذا النوع منقول عن «الإتقان»: ٣٨/٤ - ٤٥ النوع السادس والستين «في أمثال القرآن».

أ - تعريف المثل:

الأصل في المثل قائم على تمثيل شيء بشيء لوجود عنصر أو أكثر من عناصر التشابه بينهما.

ب - أغراض الأمثال كثيرة منها:

تقريب صورة الممثل له إلى ذهن المخاطب، والإقناع بفكرة من الأفكار، الترغيب أو التنفير، والمدح أو الذم، والتعظيم أو التحقير.

انظر: الأمثال القرآنية، عبد الرحمن الميداني: ٧ وما بعدها.

(٢) وذكر محقق كتاب «الأمثال» لابن القيم - الأستاذ سعيد محمد نمر الخطيب -: أن في القرآن ثلاثة وأربعين مثلاً. انظر: ٥٧ - ٥٩، وزاد المحقق عن المؤلف آية واحدة وهي: ﴿وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٧١].

وقد ذكر المؤلف أنه اثنان وأربعون مثلاً، لكن الموجود في (هـ) و(ح) ثلاثة وثلاثون مثلاً.

(٣) استوقد: معناه أوقد. انظر: معاني القرآن للأخفش: ٤٨/١، وفتح القدير: ٤٦/١.

وسياتي بيان هذا المثل وما بعده.

(٤) صفوان: حجر كبير أملس.

انظر: فتح القدير: ٢٨٧/١.

هذا تمثيل للذي يمن، ويؤذي، والذي يرئى كمثل حجر أصم عليه تراب وقد نزل =

[البقرة: ٢٦٥]^(١)، ﴿أَيُّدٌ أَحَدَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٦]، ﴿كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]^(٢).

وفي (آل عمران): ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ [١٠٣]^(٣)، ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ﴾ [١١٧].

وفي (الأنعام): ﴿كَأَلَيْدِي أَسْتَهْوَتُهُ الشَّيْطَانُ﴾ [٧١]^(٤).

وفي (الأعراف): ﴿مَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ [١٧٦]^(٥).

= عليه مطر شديد، فذهب التراب وبقي الحجر أملس، وهكذا الذي يمن أو يراني يلبس ثوباً غير ثوبه، ثم لا يلبث أن ينكشف أمره وينتهك ستره، فيكون ما لبسه به كالتراب على الصفوان، يذهب به الوايل فلا يبقى من أثره شيء.
انظر: التفسير الواضح: ١٥/٣.

(١) هذا مثل ضربه الله تعالى للمنفق لله وفي سبيله، وهو يقصد تثبيت نفسه على الخير، كالأرض الجيدة التربة العظيمة الخصبة، فهو يجود بقدر سعته وما في يده، فإن أصابه خير كثير أنفق كثيراً، وإن أصابه قليل أنفق على قدر سعته، فخيره دائم وبره لا يتقطع، كالبستان يثمر مطلقاً إذا نزل عليه مطر كثير أو قليل. انظر: التفسير الواضح: ١٦/٣.

(٢) أصل الخبط: الضرب الشديد.

المس: يقال في كل ما ينال الإنسان من أذى، وكني به عن الجنون، وهو المراد هنا.
انظر: المفردات للراغب: ١٤٢، ٤٦٧ مادتي: (خبط ومس).

وهذا تمثيل لمن رفض حكم الله في تحريم الربا، فسيعاقب على أكله الربا، قد ضرب الله له مثلاً بصورة المجنون ذي الحركات المضطربة، يمشي ويصطدم بالأشياء، فيخبطه جدر من ذات اليمين وذات الشمال، وهذا يناسب حاله؛ إذ يسلب الإثراء بغير حق أفكاره فتبقى مضطربة دائمة التطلع لمضاعفة رؤوس أمواله من جهد الآخرين. والغرض منه: التنفير الشديد من الربا.

(٣) هذا تمثيل الاستيثاق بالقرآن والوثوق بحمايته باستمساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل متين وثيق يأمن انقطاعه، وكان العرب الجاهليون في عداوات وحروب مستمرة، فلما جاء الإسلام دخلوا فيه أفواجا، وكانوا على شفا حفرة من النار بسبب شركهم ووثنيهم لا يفصلهم عن النار إلا الموت، فأنقذهم الله بالإسلام والتوحيد. انظر: التفسير الواضح: ١٠/٤.

(٤) فهذا تمثيل لجواب إقناعي للمشركين، إذ يدعون إلى الإيمان بشركائهم أو إلى الردة. والغرض منه التحذير من الردة ومن استهواء الشياطين.
انظر: الأمثال القرآنية للميداني: ١٠٦.

ومعنى ﴿أَسْتَهْوَتُهُ الشَّيْطَانُ﴾: حملته على اتباع الهوى. قاله الراغب في المفردات:

٥٤٨.

(٥) هذا مثل ضربه الله تعالى للذي كذب بآيات الله بعد أخذ الميثاق وإرسال الرسل =

وفي (يونس): ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [٢٤] (١).

وفي (هود): ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ [٢٤] (٢).

وفي (الرعد): ﴿إِلَّا كَبَسِطَ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ﴾ [١٤] (٣)، ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [١٤] (٤)،

= والذي يركن إلى الدنيا دائماً في عمل ونصب وتعب، وتراه كلما بسط له في الرزق زاد طمعه وألمه، كمثّل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، فبئس المثل مثلهم.
انظر: التفسير الواضح: ٤٢/٩.

(١) هذا تمثيل للحياة الدنيا في سرعة انقضائها وزوال نعيمها، كحال نبات الأرض الذي ينمو ويزدهر بسبب ماء السماء الذي لا فضل لأحد فيه، وما زال النبات ينمو ويزدهر حتى إذا أخذت الأرض زخرفها، واستوفت زينتها من سندس أخضر، وزهر أحمر وأصفر، وأغصان شامخة وثمار يانعة، وما أروع هذا التركيب حيث شبه الدنيا بعروس بالغت في تزينها بالثياب والزينة حتى كمل لها ما أرادت، وهكذا الدنيا قبيل الساعة. وظن أهلها أنهم قادرون عليها حتى إذا حصل هذا كله أتاها أمرنا وقضاؤنا ليلاً أو نهاراً، فهلكت فجأة فلم يبق من زرعها شيء. فمثل هذا المثل لقوم يستعملون عقولهم.
انظر: التفسير الواضح: ٤٥/١١.

(٢) ضرب الله مثلاً للكافر بالأعمى الفاقد لحاسة البصر في خلخته، والأصم الفاقد لحاسة السمع، حيث إنه يحرم من مصادر العلم والعرفان، وضرب مثلاً للمؤمن بكامل البصر والسمع كليهما، فهو يستمد العلم من آيات الله في التكوين والتشريع بما يسمع من القرآن وبما يرى من الأكوان.

فهذا يتضمن تحذير الإنسان عن الوقوع في الكفر، والترغيب في الإيمان.

انظر: روح المعاني: ٢٤/١٢، وتفسير المنار: ٥٨/١٢.

(٣) فهذا تمثيل دعاء الكافرين الذين يدعون من دون الله تعالى، ويرجون من دعائهم خيراً لهم، بمن يبسط كفيه من بعيد إلى الماء ليلبغ فاه، دون اتخاذ الوسائل الصحيحة التي توصل الماء إلى فمه، والغرض منه التنفير من دعاء غير الله تعالى.
انظر: الأمثال القرآنية للميداني: ١٠٤.

(٤) هذا مثل ضربه الله للحق وأهله بالماء الذي ينزله من السماء، فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم بأنواع المنافع، وبالمعدن الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه وغيره. وأن ذلك الماء ماكث في الأرض ويسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون والآبار، وكذلك المعدن يبقى أزمته متطاولة. وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله وزواله بزبد السيل وخبث المعدن؛ فإنه - وإن علا وارتفع - إلا أنه أخيراً يضمحل. وكذلك الشبهات والتمويهات الزائفة قد تقوى وتعظم، إلا أنها في الآخر تبطل وتزول، ويبقى الحق ظاهراً؛ لأنه لا بقاء إلا للنافع، وما تصارع الحق والباطل إلا فاز الحق بقرنه.

انظر: محاسن التأويل: ٣٥٢/٩ بتصرف يسير.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ [٣٥] (١).

وفي (إبراهيم): ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ [١٨] (٢)، ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [٢٦] (٣).

وفي (الكهف): ﴿وَأَصْرِبَ لَهُمْ مَثَلًا تَجَلِّينَ﴾ [٣٢] (٤).

وفي (الحج): ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [٣١] (٥)، ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ [٧٣] (٦).

(١) بيّن الله في هذه الآية عاقبة المتقين، وعاقبة الكافرين، فإن عاقبة المتقين الدخول إلى الجنة، وصفتها تجري من تحتها الأنهار، وفيها الفواكه والمطاعم والمشارب التي لا تنقطع عنهم، وليس هناك حر ولا برد، ولا شمس ولا قمر ولا ظلمة.

وإن عاقبة الكافرين مآلهم النار، بما كسبت أيديهم.

وفي الآية فتح باب الطمع على مصراعيه للمتقين، وإقاله على الكافرين.

انظر: تفسير المراعي: ١١١/١٣ بتصرف.

(٢) هذا تمثيل لأعمال الكفار الحسنة كالبر، والإعطاء، والكرم، وصلة الرحم كلها ضائعة ذاهبة كذهاب الريح بالرماد عند شدة هبوبها ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبْآةً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان].

انظر: التفسير الواضح: ٦٨/١٣.

(٣) ضرب الله مثلاً لكلمة الكفر أو ما شاكلها لأرباب الشهوات والنفوس الضعيفة بشجرة خبيثة، وهي الحنظل ليس لها أصل ثابت، بل عروقها وجذورها طافية فوق سطح الأرض، فيسهل اقتلاعها، وكذلك الكفر ليس له من قرار فيسهل إزالته بالحق. انظر: التفسير الواضح: ٧٣/١٣.

(٤) وهذا مثل ضربه الله تعالى للكافر والمؤمن، حيث يعصي الأول مع تقلبه في النعم، ويطيع الآخر مع مكابدة الفقر والمشقة، والأول غارق في الدنيا معتز بها مغرور بها، والثاني يفهمها على حقيقتها، فهي طريق وممر للأخرة. والمثل بهذا الوضع متصل بقوله تعالى: ﴿وَأَصْرِبْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ...﴾ [الكهف: ٣٨].

انظر: التفسير الواضح: ٥٧/١٥.

(٥) فهذا تمثيل لانتكاس الإنسان بشركه بالله، وسقوطه السريع على رأسه من سماء عبوديته للرب الأعلى وشرف هذه النسبة إلى أسفل سافلين، إلى مكان تمزقه وهلاكه. والغرض منه: التنفير الشديد من الشرك.

انظر: الأمثال القرآنية للميداني: ١٠٨.

(٦) وهذا تمثيل لعجز الشركاء من دون الله عن أن يخلقوا حيواناً مهماً كان حقيراً، وعجزهم عما كان دون ذلك بكثير، وعجزهم عن التحكم والتصرف بالأشياء الدقيقة الصغيرة جداً. والغرض: التنفير من الشرك.

انظر: الأمثال القرآنية للميداني: ١١٤.

وفي سورة (النور): ﴿اعْمَلُوا كَسَرَابٍ﴾ [٣٩] (١).
وفي (العنكبوت): ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ
الْعَنْكَبُوتِ﴾ [٤١] (٢).

وفي (الروم): ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا﴾ [٢٨] (٣).
وفي (الزمر): ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا﴾ [٢٩] (٤).
وفي سورة (محمد ﷺ): ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ [١٥] (٥).

(١) السراب: ما يُرى في المفاوز من لمعان الشمس عند اشتداد حر النهار في صورة الماء في ظن من يراه.

انظر: المفردات للراغب: ٢٢٩، وفتح القدير: ٣٨/٤.
وهذا تمثيل لأعمال الكفار من بر أو صدقة أو غيرها، لا خير فيها ولا جزاء عليها يوم القيامة، فهو أشبه ما تكون بالسراب بقية يحسبه الظمان ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، نرى هؤلاء يوم القيامة قد خاب أملهم كالعطاش في الصحراء إذا اشتد بهم العطش ظنوا الماء في السراب حتى إذا ذهبوا إليه لم يجدوا شيئاً وهم في أشد الحاجة إلى الماء.
انظر: التفسير الواضح: ٧٦/٨.

(٢) هذا مثل ضربه الله للذين اتخذوا من دون الله أولياء راجين النفع والشفاعة منها، كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً من نسيجها للوقاية من حر الشمس وزمهرير البرد، ولكن بيت العنكبوت لا يفيد شيئاً ولا يقي خطراً، فكذلك معبوداتهم لا تنفع شيئاً، ولا تدفع ضرراً.
انظر: التفسير الواضح: ٧٨/٢٠.

(٣) ضرب الله مثلاً لهؤلاء المشركين حيث أشركوا بالله خلقاً من خلقه، هل ترضون أن يكون لكم أيها المشركون شركاء مملوكون لكم في أموالكم، فتكونون أنتم وهم في هذه الأحوال سواء. سيقولون: لا نرضى بذلك، وإذا كان الإنسان يأبى أن يكون عبده شريكاً له في ماله، فكيف يقول: إن الله شريكاً في تصريف هذا الكون الذي هو ملكه، إنه لا يقول بشركة الأصنام والأوثان لله إنسان عاقل كامل القوى.
انظر: التفسير الواضح: ٢٦/٢١.

(٤) هذا تمثيل للمشرك يعبد آلهة، ويتجه إلى شركاء مختلفة فهو دائماً في حيرة وارتباك لا يدري كيف يرضي الجميع؟ كمثل رجل مملوك لشركاء مختلفين كل له رأي وحاجة، فكل يطلب من هذا العبد حاجة لا يطلبها الآخر، فماذا يفعل؟ وقد تقاسمته الأهواء واختلفت به السبل.

وعكس هذا المسلم لا يعبد إلا الله، ولا يسعى لإرضاء غير ربه الرحمن الرحيم، فهل تراه في راحة أم حيرة وضلال. فإنه في راحة كمثل رجل مملوك لشخص واحد فهو سالم له ليس لغيره سبيل عليه.

انظر: التفسير الواضح: ٨٠/٢٣.

(٥) هذا بيان لحال فريقَي المؤمنين والكافرين، فالمؤمنون المتقون مآلهم الجنة، فيها =

وفي (الفتح): ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ [٢٩] (١).
 وفي (الحشر): ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [١٥] (٢)، ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [١٦] (٣).
 وفي (الجمعة): ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ﴾ [٥] (٤).
 وفي (التحریم): ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾، «وضرب مثلاً للذين آمنوا» [١٠، ١١] (٥).

وذكر الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - في «الإتقان» في النوع السادس والستين في أمثال القرآن (٦): قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢٧].
 وقال عز من قائل: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال

= أنهار من ماء غير متغير الطعم والريح واللون لطول المكث بل ماؤها عذب فرات، من شربه لا يظماً أبداً، وفيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه، وفيها أنهار من خمر لذة لكل من يشربها، وفيها أنهار من عسل مصقى، ولهم فيها مغفرة ورضوان من ربهم، أما الكافرون فمألهم النار وشرابهم ماء حميم شديد الغليان إلى درجة أنه يقطع الأمعاء حتى تنزل مع الطعام. أين هذا من ذلك.

انظر: التفسير الواضح: ٢٧/٢٦.

(١) ضرب الله مثلاً للمؤمنين في صدر الإسلام؛ أي الصحابة - رضوان الله عليهم - تراهم ركعاً سجداً فهم كثيرو العمل والصلاة شديدون على الكفار رحيمون بالمؤمنين، هذا مثلهم في التوراة، أما مثلهم في الإنجيل: فقد بدأ النبي ﷺ الدعوة وحده ثم آمن به قليل من الناس، هذا القليل كثر وزاد حتى أصبح الكل قوة لا يستهان بها.

(٢)، (٣) ضرب الله هذا المثل لليهود حين غرهم المنافقون ثم أسلموهم، وهذا تحذير المؤمنين من طاعة الشيطان بالإغراء خدعة، وفي العاقبة تبرأ منه.

انظر: زاد المسير: ٢٢٢/٨.

(٤) ضرب الله تعالى مثلاً لليهود الذين يعرفون التوراة ومقتضاها، ولكنهم تركوا العمل بها، ولم يؤدوا حقها، فشبهم بالحمار الذي لا يعقل ما يحمل، وهذا يتضمن تخويف وتحذير هذه الأمة الذين يعرفون القرآن ولم يعملوا بمقتضاه ولم يؤدوا حقه.

(٥) هذا مثل يتضمن تحذير المؤمنين إن عصوا ربهم فإنه لم يغن عنهم من عذاب الله تعالى أحد، وترغيبهم في التمسك بالطاعة.

(٦) الإتقان: ٣٨/٤.

رسول الله ﷺ: «إن القرآن نزل في (١) خمسة أوجه: حلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال، فاعملوا بالحلال، واجتنبوا الحرام، وآتبعوا المحكم، وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال» (٢).

قال الماوردي (٣): من أعظم علوم القرآن علم أمثاله، والناس في غفلة عنه باشتغالهم بالأمثال، وإغفالهم الممثلات، والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام/ والناقة بلا زمام (٤).

وقال غيره (٥): قد عده الشافعي - رحمه الله تعالى - مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن، فقال: ثم معرفته ما ضرب فيه من الأمثال الدوالم على طاعته، المبينة لاجتناب معصيته.

وقال الشيخ عز الدين: إنما ضرب الله - جل شأنه - الأمثال في القرآن تذكيراً ووعظاً مما اشتمل فيها على تفاوت في ثواب أو على إحباط عمل أو على مدح أو ذم أو نحوه، فإنه يدل على الأحكام (٦).

وقال غيره (٧): ضرب الأمثال في القرآن يستفاد (٨) منه التقرير وتقريب (٩) المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس، فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص؛ لأنها أثبت في الأذهان لاستغاثة الذهن فيها بالحواس، ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد، وثاني أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر وعلى المدح والذم وعلى الثواب والعقاب وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره وعلى تحقيق أمر أو إبطاله. قال تعالى: ﴿وَصَرَبْنَا

(١) في البرهان للزركشي: ٤٨٦/١: (على).

(٢) لم أعر على ما رواه البيهقي في شعب الإيمان، وهذا نقل عن البرهان: ٤٨٦/١.

(٣) هو: علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن البصري المعروف بالماوردي الشافعي من تصانيفه: الأحكام السلطانية، توفي سنة (خمسين وأربعمئة للهجرة).

انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ٣/٣٠٣، وفيات الأعيان: ٣/٢٨٢.

(٤) لم أعر عليه.

(٥) وهو الزركشي في البرهان: ٤٨٦/١.

(٦) لم أعر عليه.

(٧) قاله الزركشي في البرهان: ٤٨٦/١ بتصرف.

(٨) في (هـ) و(ح): «تستفاد».

(٩) في البرهان: ٤٨٦/١: «ترتيب».

لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿ [إبراهيم: ٤٥]، فامتد علينا بذلك لما تضمنه من الفوائد^(١).
قال الزركشي في «البرهان»^(٢): ومن حكمته تعليم البيان، وهو من خصائص هذه الشريعة.
وقال الزمخشري^(٣): التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعاني، وإدناء المتوهم من المشاهد؛ فإن كان المتمثل له عظيماً كان المتمثل به مثله، وإن كان حقيراً كان الممثل به كذلك.
وقال الأصفهاني^(٤): ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأنه - ليس بالخفي من إبراز خفيات المعاني^(٥) ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل في صورة المتحقق، والمتوهم في صورة المتيقن، والغائب كأنه مشاهد، وفي ضرب الأمثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة، وقمع لسورة الجامع الأبي^(٦)، [فإنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثر وصف الشيء في نفسه]^(٧)، ولذلك أكثر الله - جل شأنه - في كتابه وفي سائر كتبه الأمثال، ومن سور الإنجيل سورة تسمى سورة الأمثال، وفشت في كلام النبي ﷺ وكلام الأنبياء والحكماء^(٨).

فصل

أمثال القرآن قسمان: ظاهر مصرح به، وكامن لا ذكر للمثل فيه. فمن أمثلة الأول قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ...﴾ [البقرة: ١٧ - ٢٠]، ضرب فيها للمنافقين مثلين: مثلاً

(١) انظر: البرهان للزركشي: ٤٨٦/١ وما بعدها بتصرف.

(٢) ٤٨٧/١.

(٣) في الكشف: ١٩٥/١.

(٤) كتاب: الأمثال لحمزة الأصفهاني، لم يزل مخطوطاً محفوظاً في مكتبة «مونيخ» قاله الدكتور ممدوح حقي في المثل المقارن: ٢٨.

(٥) في (هـ) و(ح): «إبراز خفيات الدقائق»، وما أثبتته من الكشف: ١٩٥/١.

(٦) أي: قهر وإذلال الرجل الذي يطيع هواه.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من الكشف: ١٩٥/١.

(٨) نقلاً عن الكشف: ١٩٥/١، ولم أقف على كتاب الأصفهاني.

بالنار، ومثلاً بالمطر^(١).

أخرج ابن أبي حاتم^(٢) وغيره^(٣) من طريق علي بن أبي طلحة^(٤)، عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: هذا مثل ضربه الله جلّ شأنه - للمنافقين كانوا يعتزون بالإسلام فيناكحهم^(٥) المسلمون، ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء، فلما ماتوا سلبهم الله العزّ كما سلب صاحب النار ضوءه ﴿وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾، يقول: في عذاب، ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ هو المطر، ضرب مثله في القرآن ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾ يقول: ابتلاء، ﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾، تخويف، ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾، يقول: يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين، ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوًا فِيهِ﴾، يقول: كلما أصاب المنافقون في الإسلام عزاً اطمأنوا، فإن أصاب الإسلام نكبة قاموا، ليرجعوا إلى الكفر، كقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ...﴾ الآية [الحج: ١١].

ومنها قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا...﴾ الآية

(١) قال ابن القيم في كتاب الأمثال: ١٧٤:

فضرب للمنافقين بحسب حالهم مثلين، مثلاً نارياً ومثلاً مائياً؛ لما في الماء والنار من الإضاءة والإشراق والحياة، فالنار مادة النور، والماء مادة الحياة، وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي أنزل من السماء متضمنة لحياة القلوب واستنارتها... وأخبر عن المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحي، أنهم بمنزلة من استوقد ناراً لتضيء له وينتفع بها، وهذا لأنهم دخلوا الإسلام، فاستضاءوا به، وانتفعوا به، وخاطبوا المسلمين، ولكن لما لم يكن لصحبتهم مادة من قلوبهم من نور الإسلام طغى عليهم، وذهب الله بنورهم من الإضاءة، وأبقى عليهم ما في النار من الإحراق وتركهم في ظلمات لا يبصرون..

ثم ذكر حالهم بالنسبة إلى المثل المائي، فشبهم بأصحاب صيب وهو المطر، فهي ظلمات ورعد وبرق، فلضعف بصائرهم وعقولهم اشتدت عليهم زواجر القرآن، ووعيده، وتهديده، وأوامره، ونواهيه، وخطابه، الذي يشبه الصواعق فحالهم كحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق، فلضعفه وخوفه جعل أصبعيه في أذنيه وغمض عينيه خشية من صاعقة تصيبه..

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره: ٩٤/١، ٩٦.

(٣) مثل ابن جرير في تفسيره: ١٤٢/١.

(٤) هو: علي بن أبي طلحة، صدوق يخطئ كثيراً، أرسل عن ابن عباس ولم يره، مات

سنة (١٤٣هـ).

انظر: تقريب التهذيب: ٣٩/٢.

(٥) في (ح): «فيناكحونهم».

[الرعد: ١٧]. أخرج ابن أبي حاتم^(١) من طريق علي عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: هذا مثل ضربه الله تعالى شأنه - احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾^(٢) وهو الشك، ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ وهو اليقين كما يجعل الحلي في النار فيؤخذ خالصه، ويترك خبثه في النار، كذلك يقبل الله اليقين، ويترك الشك.

وأخرج عن عطاء قال: هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر^(٣).

وأخرج عن قتادة^(٤)، قال: هذا ثلاثة أمثال ضربها الله في مثل واحد، يقول: كما اضمحل هذا الزبد فصار جفاء لا ينتفع به، ولا ترجى بركته، كذلك يضمحل الباطل من أهله، وكما^(٥) مكث هذا الماء في الأرض فأمرعت^(٦) وربت^(٧) بركته، وأخرجت نباتها، وكذلك الذهب والفضة حين أدخل النار، فأذهب^(٨) خبثه، كذلك يبقى الحق لأهله. وكما اضمحل خبث هذا الذهب [والفضة]^(٩) حين أدخل في النار، كذلك يضمحل الباطل عن أهله.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ...﴾ الآية [الأعراف: ٥٨]^(١٠)، أخرج

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره: ٨٢/٤، وانظر: الدر المنثور: ٥٤/٤.

(٢) الزبد: هو الأبيض المرتفع المتفخ على وجه السيل، ويقال له: الغثاء والرغوة.

والجفاء: الرمي، يقال: جفأ الوادي غثاء جفأ، إذا رمى به. انظر: فتح القدير: ٧٥/٣.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٥/٤، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن عطاء.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٥/٤، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن قتادة.

(٥) الواو ساقط من (ح).

(٦) أمرع الوادي: أخصب بكثرة الكلال ونحوه.

انظر: اللسان مادة: (مرع): ٣٣٤/٨.

(٧) (ح): «بياض».

(٨) (ح): «وذهب».

(٩) ساقطة من الإتيان: ٤١/٤.

(١٠) وتتمتها: ﴿يَخْرُجُ تِبَّاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْأَبْيَاتِ

لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾.

البلد الطيب: أي الأرض الطيبة.

نكداً: أي لا خير فيها.

انظر: فتح القدير: ٢١٤/٢.

ابن أبي حاتم^(١)، من طريق علي عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: هذا مثل ضرب الله - جلّ شأنه - للمؤمن يقول: هو طيّب وعمله طيّب؛ كما أن البلد الطيّب [ثمرها طيّب]^(٢)، والذي خبث ضرب مثلاً للكافر، كالبلد السبخة المالحة، والكافر هو الخبيث وعمله خبيث.

ومنها قوله تعالى: ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ...﴾ الآية [البقرة: ٢٦٦]؛ أخرج البخاري^(٣) عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال عمر - رضي الله تعالى عنه - يوماً لأصحاب النبي ﷺ: فيمن ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ...﴾؟ قالوا: الله أعلم، [فغضب عمر وقال: قولوا: نعم أو لا نعم]^(٤).

فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء، فقال: يا ابن أخي، قل ولا تحقر نفسك، فقال ابن عباس: ضُربَتْ مثلاً لعمل، قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لرجل غني يعمل بطاعة الله ﷻ، ثم بعث الله له الشيطان^(٥) فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله.

وأما الكامنة، فقال الماوردي: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم^(٦)، يقول: سمعت أبي يقول: سألت الحسين بن الفضل^(٧)، فقلت: إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن؛ فهل تجد في كتاب الله «خير الأمور أوساطها»^(٨)؟ قال: نعم: في أربعة مواضع: قوله تعالى: ﴿لَا فَاْرِضٌ وَلَا

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره: ١٨١/٣، وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٩٢/٣ وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٢) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ٤١/٤.

(٣) في صحيحه كتاب التفسير، باب قوله: ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ...﴾: ١٦٢/٥.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ٤١/٤ كما في البخاري.

(٥) في (هـ) و(ح): «الشياطين»، وما أثبتته من الإتيان: ٤١/٤ كما في البخاري.

(٦) لم أعر على ترجمته.

(٧) هو: الحسين بن الفضل بن عمير أبو علي البجلي، المفسر، المحدث الإمام اللغوي، قال ابن حجر: لم أر فيه كلاماً، لكن ساق الحاكم في ترجمته مناكير عدة، ثم بين ابن حجر الخطأ في تضعيف الحاكم له، توفي سنة (٢٨٢هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء: ٤١٤/١٣، ولسان الميزان: ٣٠٧/٢.

(٨) هذا المثل يضرب في التمسك بالاعتصاف.

يَكُرُّ عَوَانًا بَيْنَ ذَلِكَ ﴿ [البقرة: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

[ثم] ^(١) قلت: فهل تجد في كتاب الله تعالى: «من جهل شيئاً عاداه» ^(٢)، قال: نعم، في موضعين: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس: ٣٩]، ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسِيحُونَهُ هَذَا إِفْكٌ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ١١].

قلت: فهل تجد في كتاب الله تعالى: «احذر شر من أحسنت إليه؟» ^(٣) قال: نعم، ﴿وَمَا تَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَعْنَدَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٧٤].

قلت ^(٤): فهل تجد [في كتاب الله] ^(٥) «ليس الخبر كالعيان؟» ^(٦)، قال: في قوله تعالى ^(٧): ﴿قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لَيْطَمِينَ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

قلت: فهل تجد: «في الحركات البركات؟»، قال: في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠].

قلت: فهل تجد: «كما تدين تدان؟» ^(٨) قال: [في قوله تعالى] ^(٩): ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣].

= انظر: جمهرة الأمثال: ٤١٩/١، ومجمع الأمثال: ٢٤٣/١.

(١) من الإتيان: ٤٢/٤.

(٢) ساقطة من كتاب المجالس والمسامرات، نقلاً عن معجم الأمثال العربية القديمة للدكتور عفيف عبد الرحمن: ٩٠٥/٢.

(٣) في (هـ) و(ح): «تحسن»، وما أثبتته من الإتيان: ٤٢/٤.

انظر: الأمثال لابن القيم: ٥٨.

(٤) في (هـ) و(ح): «قال»، وما أثبتته من الإتيان: ٤٢/٤.

(٥) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ٤٢/٤.

(٦) أول من قاله الرسول ﷺ. انظر: مسند الإمام أحمد: ٢١٥/١، ويروى كالمعانية. وانظر: الأمثال لابن القيم: ٥٨، ومجمع الأمثال: ١٨٣/٢.

(٧) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ٤٢/٤.

(٨) المثل ليزيد بن الصعق حين أخذ بنته ملك من ملوك غسان، والمعنى: كما تعمل تُجازى، إن حسناً فحسن وإن سيئاً فسيء.

انظر: جمهرة الأمثال: ١٦٨/٢، ومجمع الأمثال: ١٥٥/٢.

(٩) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ٤٢/٤.

قلت: فهل تجد فيه قولهم: «حين تقلي تدري؟»^(١).
قال: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٢].
قلت: فهل تجد فيه: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين؟»^(٢)، قال: ﴿هَلْ ءَامَنَكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ٦٤].
قلت: فهل تجد فيه: «من أعان ظالماً سلط عليه؟»^(٣)، قال: ﴿كَيْبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن قَوْلَاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ [الحج: ٤].
قلت: فهل تجد فيه قولهم: «لا تلد الحية إلا حية؟»^(٤)، قال: [قوله تعالى]^(٥): ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَجْرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].
[قلت]^(٦): فهل تجد فيه: «للحيطان أذان؟» قال: ﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧].

فهل تجد فيه: «الجاهل مرزوق والعالم محروم؟» قال: ﴿مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥].
فهل تجد فيه: «الحلال لا يأتيك إلا قوتاً، والحرام لا يأتيك إلا جزافاً؟»^(٧)، قال: ﴿إِذ تَأْتِيهِمْ حِيَتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦٣]. انتهى.

(١) يضرب للمغبون يظن أنه الغابن غيره.

انظر: مجمع الأمثال: ٢٠٤/١.

(٢) هذا المثل جاء على لسان رسول الله ﷺ، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن...: ٨٣/٧، ومسلم في الزهد والرقائق، باب: لا يلدغ المؤمن...: ٢٢٧/٨.

والمثل يضرب لمن أصيب ونكب مرة بعد أخرى، والمؤمن ينبغي أن يكون حذراً، بحيث إن خدع من جهة فلا يخدع مرة أخرى.

وانظر: أمثال أبي عبيد: ٣٨، وجمهرة الأمثال: ٣٨٦/٢، ومجمع الأمثال: ٢١٥/٢.

(٣) انظر: الأمثال لابن القيم: ٥٨.

(٤) ذكره ابن القيم في «الأمثال»: ٥٩.

(٥) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ٤٣/٤.

(٦) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ٤٣/٤.

(٧) الجزاف، وفي اللسان، مادة: (جذف): ٢٧/٩.

الجزف: الأخذ بالكثرة، والجزاف والجزف: المجهول القدر مكيلاً كان أو موزوناً، وهو يرجع إلى المساهلة.

قال في «المستطرف»: وما يجري مجرى أمثلة القرآن قول الله تعالى:

﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٨]، ﴿لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، ﴿الَّذِينَ حَصَّصَ الْوَقْفَ﴾ [يوسف: ٥١]، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُمْ﴾ [يس: ٧٨]، ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠] ^(١)، ﴿فَضَى الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١]، ﴿الَّذِينَ الْأَشْيَاطُ يَقْرِبُونَ﴾ [هود: ٨١] ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ [الأعراف: ٩٥]، ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤] ^(٢)، ﴿وَجِدَلْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤]، ﴿لِكُلِّ نَبَلٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام: ٦٧]، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣] ^(٣)، ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤]، ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] ^(٤)، ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، ﴿وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠] ^(٥)، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤] ^(٦)، ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانٌ﴾ [المائدة: ٩٩]، ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩] ﴿وَالَّذِينَ وَقَدِّعْتِ قَبْلُ﴾ [يونس: ٩١] ^(٧) ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١]، ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤]، ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، ﴿وَلَا يَنْبِتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣]، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢]، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: ٣] ^(٨)، ﴿لَا يَكُلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ [المائدة: ١٠٠]،

(١) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ٤٣/٤.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من الإتيان: ٤٣/١.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ٤٤/٤.

(٤) ساقطة من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ٤٤/٤.

(٥) ما بين القوسين ساقط من الإتيان: ٤٤/٤.

(٦) هذه الآية ساقطة من الإتيان: ٤٤/٤.

(٧) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ٤٤/٤.

(٨) ساقطة من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ٤٤/٤.

﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ﴾ [الشعراء: ٢١]، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْفُلَاطَةِ لَيَنبَغِي بُعْثُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [ص: ٢٤]، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصف: ٢]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٩]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن بُدِّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ ءَايَةٍ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الأنعام: ٤]، ﴿وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]، ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]، ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِّنْ ضُرٍّ لَّلْجُؤُا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٥]، ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٦٦﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٦٧﴾﴾ [الغاشية]، ﴿إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَأْتِرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، ﴿بَلَّيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنسَ الْقُرَيْنِ﴾ [الزخرف: ٣٨]، ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النداريات: ٣٦]، ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمِنَ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: ٣٢]، ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، ﴿فِي أَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣]، والنمل: ٩٣، ﴿وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا حَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦]، والجانية: ١٥]، ﴿إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، ﴿فَاعْتَرِبُوا بِنَآئِلِي الْأَبْصُرِ﴾ [الحشر: ٢]، ﴿وَإِنَّهُ لَفَسْرٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٦]، ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾ [الملك: ٣]، ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٨٨]، ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، ﴿لِيُنلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصفات: ٦١]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيَا فَإِنَّ ﴿٦٦﴾ وَيَتَقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٦٧﴾﴾ [الرحمن]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنَسْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ صَبَلٍ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَن أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، ﴿إِن يَضُرُّكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٩]، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦] (١).

(١) ما بين القوسين ساقطة من الإتيان: ٤٣/٤، ٤٤.

النوع التاسع والثلاثون بعد المائة

علم مواعظ القرآن العظيم



النوع التاسع والثلاثون بعد المائة

علم مواعظ القرآن العظيم

وهو نوع جليل، ولم يذكره الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - في «الإتقان». قال الراغب في «مفردات القرآن»^(١):

الوعظ^(٢): زجر مقترن بتخويف. وقال الخليل^(٣): هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب، والموعظة الاسم. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ [سبأ: ٤٦]^(٤).

وقال في «الصحاح»^(٥): [الوعظ]^(٦): النصيح والتذكير بالعواقب، وعظته وعظاً فاتعظ؛ أي قبل الموعظة، يقال: السعيد من وعظ بغيره، والشقي من اتعظ به غيره. انتهى.

ومواعظ القرآن كثيرة؛ فلنقتصر على بعضها:

فمن ذلك قول الله - جل شأنه: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]^(٧).

(١) مادة: (وعظ): ٥٢٧.

(٢) في (هـ) و(ح): «الواعظ»، وما أثبتته من المفردات مادة: (وعظ): ٥٢٧.

(٣) هو: الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن الفراهيدي النحوي، وهو الذي استنبط علم العروض، من تصانيفه: كتاب «العين» في اللغة، وتوفي سنة (خمسة وسبعين ومائة).

انظر: كشف الظنون: ١٤٤١/٢، ووفيات الأعيان: ٢٤٤٤/٢.

(٤) نقلاً عن المفردات للراغب، مادة: (وعظ): ٥٢٧.

(٥) الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، مادة: (وعظ): ١١٨١/٣.

(٦) في (هـ) و(ح): «الواعظ»، وما أثبتته من الإتقان: ١١٨١/٣.

(٧) الموعظة التي نأخذها من هذه الآية: أن الله ﷻ أوجب علينا - نحن معاشر المؤمنين - طاعته تعالى وطاعة رسوله ﷺ وذلك بالتمسك بالكتاب والسنة، وطاعة الحكام إذا كانوا مسلمين متمسكين بشرع الله إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وعلى هذه الطريقة نفقه المواعظ في الآيات التالية.

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَتَكَبَّرُونَ﴾ [١٧٧] إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٧٨﴾ [النحل: ١٢٧ - ١٢٨].

وقال عز من قائل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لِمَا آفَىٰ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [٢٣] وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ زَكَرُوا أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأُولَٰئِكَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَمَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ وَالْمَسْكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ وَلَا بُدْرَ تَبْدِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَاتَلْتُمْ كَانَ خِطَاً كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّمَا كَانَ فَرْحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطٰنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ بِالْقَيْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ نَقُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٣٨].

وقال - جل شأنه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

وقال - جل وعلا: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

فأمر الله - جل شأنه - رسوله ﷺ أن يدعو إلى دينه وشرعه بتلطف، وهو أن يسمع المدعو حكمة، وهو الكلام الصواب القريب الواقع من النفس

أجمل موقع^(١).

والموعظة الحسنة «مواعظ القرآن»، روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما^(٢).
وعنه أيضاً: الأدب الجميل [الذي]^(٣) يعرفونه^(٤).

وقال ابن جرير^(٥): هي العبر^(٦) المعدودة في هذه السورة؛ أي سورة النحل^(٧).

وقال بعضهم^(٨): الموعظة الحسنة أن تختلط الرهبة بالرغبة، والإنذار بالبشارة.

وقيل^(٩): الموعظة الحسنة هي التي لا تخفي عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها.

وقال ابن عطية: الموعظة الحسنة: التخويف والترهيب^(١٠)، والتلطف بالإنسان، بأن تجله وتنشطه وتجعله بصورة من يقبل الفضائل ونحو هذا^{(١١)(١٢)}.

فصل

في المواعظ القرآنية الممزوجة بكلمات الصوفية - رضي الله تعالى عنهم -:

(١) قاله أبو حيان في البحر المحيط: ٥٤٩/٥.

(٢) نقلاً عن زاد المسير: ٥٠٦/٤، قاله أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ما بين المعقوفين تكملة من زاد المسير: ٥٠٦/٤، والبحر المحيط: ٥٤٩/٥.

(٤) زاد المسير: ٥٠٦/٤، والبحر المحيط: ٥٤٩، قاله الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) في تفسيره: ١٩٤/١٤ هذه عبارته: «والموعظة الحسنة» يقول: بالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، وذكرهم بها في تنزيله، كالتي عدد عليهم في هذه السورة من حجة، وذكرهم فيها ما ذكرهم من آياته.

(٦) في (هـ) و(ح): «يباض»، وما أثبتته من البحر المحيط: ٥٤٩/٥.

(٧) هذا اللفظ من البحر المحيط: ٥٤٩/٥.

(٨) قاله ابن عيسى كما ذكره ابن حبان في البحر المحيط: ٥٤٩/٥.

(٩) قاله الزمخشري في الكشاف: ٤٣٥/٢.

(١٠) وفي المحرر الوجيز: «والتوجيه».

(١١) المحرر الوجيز: ٥٤٥/٨.

(١٢) قلت: هذه الأقوال قريب بعضها عن بعض؛ لأن كل واحد يرجع إلى المعنى الأصل اللغوي، وهو النصح والتذكير بالعواقب.

اعلم أن قصص الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - المذكورة في القرآن كلها مواعظ، ولذا قال تعالى شأنه: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثِثُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

قال الشيخ الإمام العارف الكبير الشيخ أبو صالح عبد القادر الجيلاني^(١) - قدس الله سره - في مواعظ:

فصل: في قصة آدم - عليه صلوات الله وسلامه -:

لما سمعت الملائكة بأذان العقول قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] ولمع لها من أفق العناية به، المجمعول بيده^(٢) ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩، وص: ٧٢]، قالت: إلهنا أين تكون هذه الخليفة؟ قال: في نقطة خط الأرض، قالت بلسان الاعتراض: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]، كيف لمع هذا البارق من سحاب التراب؟ هل التراب إلا محل الظلمة؟ هل الصلصال^(٣) إلا مركز العيب لا الغيب؟ إلهنا نحن رهبان صوامع الأعلى، نحن شيوخ صفة الصفا، نحن سكان ربط مقام يسبحون الليل والنهار، قال لهم مجيب القدر: خطأ فاسد في نظركم في تأملكم، أما علمتم أن في الأرض معدن الياقوت، وأن الجواهر من أنهارها تستخرج، وأن أشخاص الأنبياء من معادنها أخرجت، وأن غرائب أسرار القوم في كنوزها دفنت، وجسد الصفي آدم من عناصرها ركبت، فلما استخرج القدر شكل الفتى من نقطة. ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا﴾ [الحجر: ٢٨، وص: ٧١] ويده على صفحة لوح الكون بيد ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ [الحجر: ٢٩، وص: ٧٢]، وصار ذاتاً آدمياً بسابق علم ﴿فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧، والبروج: ١٦]، ووضع طفله في حجر اصطفي آدم وربى في مهد ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾ [البقرة: ٣١]. ذات الملائكة^(٤) ذاتاً

(١) هو: عبد القادر بن موسى محيي الدين الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية، من كبار الزهاد والمتصوفين، صاحب «الغنية لطالب طريق الحق»، و«الفتح الرباني» وغيرهما، وتوفي سنة (٥٦١هـ). وفوات الوفيات: ٣٧٣/٢، والشذرات: ١٩٨/٤.

(٢) (ح): «بيد».

(٣) الصلصال: هو الطين الحر خلط بالرمل فصار يتصلصل إذا جف.

انظر: مختار الصحاح: ٣٩٢.

(٤) هذا الكلام يشير إلى أن المراد بالأسماء في هذه الآية ذات الملائكة، وقد اخترت =

صلصالية^(١) الهيكل، ولمحت عليه أسرار ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩، وص: ٧٢] ورأت عليه خلعه ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ﴾ [البقرة: ٣٥]، وأخذت عنه علماً ﴿يَكْفَادُمْ أُنْيَتُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [البقرة: ٣٣]، فقالت: ملك جلس في دست^(٢) السلطنة، عزيز وصل إلى مصر الفخر، عاشق هب عليه نسيم وصل محبوبه عنه انتقل من الأشباع الملكية إلى الحمأ المسنون^(٣). انتهى^(٤).

آدم أن يخلو في حضرة القدس سها مجدع^(٥) صاحب قوس عن قول: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجْمَعُ فِيهَا وَلَا تَعْرِى﴾ [طه: ١١٨]، دخل عليه عدوه من ظلمة ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ [طه: ١٢٠]، غره بأباطيل ﴿مَا نَهَكْنَا رَبِّكُمَا﴾ [الأعراف: ٢٠]، كانت الشجرة شمعة نصبت لفراش زوجه حامت حولها بأجنحة، ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ [طه: ١٢١] فاحترقت بلهب، ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢]، جذبته ما فيه من ظلمة الأرض إلى غفلة وعصى، فاستدرك بما فيه من نور السماء، فقال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، بكى على فراق محله الأول، قال: من أين لي جلد على هجر محبوبي؟ قيل لآدم: المعصية (تحجب)^(٦)

= قول ابن عباس رضي الله عنهما من أن المراد بها هي الأسماء التي يتعارف بها الناس، إنسان، ودابة، وأرض، وسهل، وبحر، وجبل، وجمل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

(١) الملائكة لم تخلق من صلصال، وإنما خلقت من نور كما في حديث مسلم عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجن من مارح من نار، وخلق آدم مما وصف لكم».

صحيح مسلم كتاب الزهد والرفائق، باب: في أحاديث متفرقة: ٢٢٦/٨.

(٢) الدست: صدر المجلس، ودست الوزارة: منصبها.

انظر: المعجم الوسيط: ٢٨٢/١.

(٣) الحمأ: الطين الأسود، والمسنون: المتغير. ذكره الشوكاني في تفسيره: ١٢٩/٣.

(٤) لم أعثر على مرجع كلام الشيخ عبد القادر الجيلاني.

(٥) والسها: كويكب صغير خفي الضوء، في بنات نعش الكبرى، والناس يمتحنون به أبصارهم.

انظر: اللسان، مادة: (سها): ٤٠٨/١٤.

مجدع من الجدع وهو القطع.

انظر: اللسان، مادة: (جدع): ٤٢/٨ ويمكن أن تكون هذه العبارة كناية عن الجوع في الجنة.

(٦) (ح): «تجاب».

بينك وبين ربك، حضرية طاهرة لا توطأ بأقدام متلوثة بمخالفة المحبوب، هكذا سبب هجرة كيف باجتهاد سهام تدرك لا يدفع بذرع الحيل، ما عصيتك جرأة عليك بل غفلة، وما خالفت أمرك إلا لأمر كتب علي. فهل يا آدم أنين العاصين أحب إلي من زجل المسبحين، الاعتراف بالذنب كفارته، ﴿وَإِنِّي لَفَقَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ [طه: ٨٢] قد كتبت لك قبل زلة، وعصى مكتوب، ﴿فَتَابَ عَلَيَّ﴾ [البقرة: ٣٧]، وقلنا قبل خلقك عذراً عنك: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: ١١٥].

وقال^(١) - رضي الله تعالى عنه - في شأن موسى - صلوات الله وسلامه عليه -: طفل نشأ في مهد عهد القوم صغيراً، فغذي بلبن ﴿وَلِنُضَعَّ عَلَيَّ عَيْبِي﴾ [طه: ٣٩] صبي ربي في حجر ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١]، ألقى في التابوت شبه من يموت فدفنته أمه في اليم خوفاً من فتنة ذبح، وقعه في كفالة عدوه بواسطة ﴿فَرَّتْ عَيْنِي لِئَلَّا أُكَلِّمَ﴾ [القصص: ٩]، ورده إلى أمه بسفارة ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ [القصص: ٩]، وسلم من القتل بمغالطة ﴿عَسَىٰ أَن يَفْعَنَّا﴾ [القصص: ٩]، طفل عقله لرؤية عجائب الكون عرف الخالق بنور ﴿أَشْرَحَ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥]، وما كان جاهلاً بشوت أحكام القادر؛ فإن الأنبياء ﷺ فطروا على نور المعرفة، وجعلت أرواحهم على توحيد صانع الوجود، وإثبات وجود واجب الوجود، وتنطعت^(٢) في مرآة علمه أشكال الأكوان صار نوراً في فتور حدقة الزمان، وخطب له خطيب ﴿أَتَيْنَتْهُ حُكْمًا﴾ [القصص: ١٤]، حرك القدر ساكن عزمه ونبه مرید الأمر المقضي نائم فكره، فانصب سنين سحاباً إلى شعب شعيب، فأثبت له في أرض مدين نبات ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن أُنَكِّحَكَ﴾ [القصص: ٢٧] أثمر ثمر، ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ﴾ [القصص: ٢٩] صارت بينهما نسبة النبوة^(٣) وألفة المصاهرة، فلما خرج بأهله وقد استبان وضع الجبل^(٤)، والليل كسواد

(١) القائل الشيخ عبد القادر الجيلاني، ولم أعره على المرجع.

(٢) تنطعت: تحذقت في الصناعة.

قال الزمخشري في أساس البلاغة: ومن مجاز المجاز تنطع الصانع: تحذق في صناعته.

(٣) هذا القول يشير إلى أن أب زوجة موسى هو نبي الله شعيب، وقد ناقشت الأقوال

فيه واخترت أنه ليس نبي الله شعيب، بل شيخ آخر من مدين.

انظر: الحاشية: ٣٦٢ فما بعدها.

(٤) (ج): «الحمل».

حدق حور الجنة، والريح تشير عبرات عيون السحوب، وسيوف البرق تسل في غمد الغمام، وأسود الرعود تزمجر في غابات فطابت، وطراً نادى إليه من الفطر ليقدح لزوجته من زيد الظلام شراراً، ويطلب في أكناف السوار^(١) المقدس ناراً، هذا والغرام غريم سره، والوجد نديم روحه، والشوق سمير قلبه، والتسوق جليس فؤاده، والهوى حشو صدره، فلاح له النور في معرض نصب لاصطياد طائر روحه شباك ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ [طه: ١٤]، رأى سطرأ من سطور لوح القدر فجلت لفراش روحه شمعة الطور وقعت رجل عقله في شرك أنس أفرغ في كأس سمعه صرف شراب ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [طه: ١٤]، أسكره بأمراض شرب موام^(٢)، ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ فيه نشوات^(٣) الشوق فطاحت به طوائح^(٤) أمواج بحار، لؤلؤ غلب على قلبه هيمن العشق خرفت لذة التكلم ما قد سمعه، حتى وصلت إلى بصره، فطلب البصر نصيبه من النظر وافقه فوق القلب فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قيل: يا موسى انظر أولاً إلى إزاء الجبل بوجهك، ذهبت ثيابك على محك فإن استقر أعبر سكونك عند حركة الصخور لهيبة تجلى، فما دست به أجزاء الطور عند أشرف لمعان ذلك النور، وتعطرت أشجار الوادي المقدس بنسيم القرب، وتأرجت رياض البقعة المباركة ببهجة وقت الوصل، وصارت هضبات الطور حدائق لأجل تجلى، وامتألت جنباته بالملائك استعطافاً لقوله: ﴿أَرِنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقامت أرواح الأنبياء تترصد ما يكون، بعد هذا سمع كلاماً، لا ككلام البشر، خاطبه من ليس من جنس المحادثات، نودي من جميع آفاق جهات الموجود، صارت جملة سمعاً وبصراً فتلف بعين سره إلى الطور، وقع شعاع نور عين عقله على لموع نور مرآة الجبل، انعكست أشعة

(١) السوار: أي الرامي الحاذق.

قال الزمخشري في أساس البلاغة، مادة: (سور): ٣١٢: السوار من الأساور الرامي الحاذق، والأصل أساور الفرس: قوادها، وكانوا رماة الحدق.

(٢) موام: جمع موم، وهو الشمع وأصله فارسي معرب وفي اللسان، مادة: (موم): ٥٦٦/١٢: الموم: الشمع وأصله فارسي، وفي صفة الجنة: وأنهار من عسل مصفى من موم العسل.

(٣) نشوات جمع نشوة: وهي ما تأخذ الإنسان عند الطرب والفرح.

انظر: المصباح المنير: ٢٧٥/٢، والمعجم الوسيط: ٩٣٢/٢.

(٤) الطوائح: القوافذ.

الميثاق، جاءت بروق بصر الحسن، زهلت^(١) عين الفكر، خرس لسان الطبع، انقطعت أسباب الحواس، فرأى لسان حال موسى ﴿وَحَسَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه: ١٠٨]، قال المخبر عن صدق صلبيه ﴿وَحَرَ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]^(٢).

قيل: يا موسى معدة طبيعتك ضعيفة عن شراب تجلي أنيق، عينك ضيق عن مقابلة أنوار سبحات^(٣) ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، تمكين الحدث لا تنفتح في شعاع شمس القدم، ورد النظر لا يطلع في شجر كانون هذا الكون، إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا، خلعة النظر دخرة في خزائن الغيب كصاحب قاب قوسين، هذا الشرف لا يناله في الخلائق سوى سيد ولد آدم ویتيمة عقد البشر ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَا لَآ إِلَهَ إِلَّا بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، والإسراء: ٣٤]، مات موسى ﷺ بضرب سبق ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ثم حيي بروح فسوق وقام على قدم ﴿بُئِيَ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فرقل^(٤) في حلة ﴿إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، رجع إلى أهله متبرقعا ببرقع العبرة، أن تراه نور تلك الآثار قالت له صفراء^(٥) بنت شعيب ﷺ: يا كليم الله قد اشتقت إلى نور وجهك فاكشف لي عن البرقع لأراه. قال لها: كيف أكشف وجهاً على ضجور^(٦) الطور بهجة نور تجلي، كيف أريك روضاً فاح طيبة من أرج، ﴿وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] بقايا شرب، ﴿وَكَلِمَةُ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٤٣] في كؤوس، وحياتي بسطوة هييته ﴿جَعَلَكُمْ دَكَّاءَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] في لمحات أسارير وجهي.

(١) زهل يزهل زهلاً: اطمأن قلبه فهو زاهل وزهل يزهل زهلاً: أبيض.

انظر: اللسان مادة: (زهل): ٣١٣/١١.

(٢) قال الشوكاني في تفسيره: ٢٤٤/٢ عند تفسير ﴿وَحَرَ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف:

١٤٣]: أي مغشياً عليه، مأخوذاً من الصاعقة، والمعنى أنه صار حاله لما غشي عليه كحال من يغشى عليه عند إصابة الصاعقة له.

(٣) قال الزمخشري في أساس البلاغة: ٢٨٢، مادة: (سبح): وأسالك بسبحات وجهك

الكريم: بما تسبح به من دلائل عظمتك وجلالك، وأشار إليه بالمسحة والسباحة.

(٤) أرقل: بمعنى أسرع.

انظر: اللسان مادة: (رقل): ٢٩٣/١١.

(٥) انظر: الكشف: ١٧٢/٣، وحاشية الجمل: ٣٤٥/٣.

(٦) ضجر المكان ضجراً: ضاق بمن فيه، والضجور الكثير الضجر.

انظر: اللسان، مادة: (ضجر): ٤٨١/٤.

قالت: قد رضيت أن أراه ناموساً^(١) قد هان على يدك نفسي بنظرة إلى زهرات جمال وجهك. يا غلام: كن في صدق طلبك كبت شعيب عليه السلام، بع نفسك في طمع نظرة من أهل الحمى، سارع بقطع المنازل وطى المراحل، تعزم مجرد من حوادث الإرادات، شوقاً إلى رؤية المحبوب ووليها نيل المطلوب، وادخل حرم الحرمة، وقف موقف العبودية، وأم بجد الوجد، فعى أن توقف بإزاء ليلي الأرواح، أو ترى ببصر يوسف يعقوب القلوب، فإن أتاك نسر من تلقائهم يحمل نسمة من نور جمالهم.

وبع نفسك بعودة من تألف برقهم غراماً بعود ذلك الوصل، والله ما غبن بائع نفسه بلحظة واحدة. النظر: عبارة عن الرؤية بالأبصار ولم يسأله مخلوق في هذه الدار سوى صاحب المقام المحمود. والمشاهدة: عبارة عن الرؤية ببصائر الأسرار، فخرج من تواقع مقاماتها من ديوان يختص برحمته، أيها المرید الصادق الشواق التواق: إن ظفرت بخلعة المشاهدة في خلوة مجلس شرك، وإن لم تنلها فاستقم على جادة الصدق حتى يأتيك اليقين، وتنقل - إن شاء الله تعالى - إلى دار الصديقين، فانظر إلى مطلوبك، ونافذ نصيبك من رؤية محبوبك، الشجاعة صبر ساعة، يا غلام: كن موسى ألهمه لا تصنع بدون أرني، أولها التوحيد ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ [المائدة: ١١٧]، والثبات ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ١٧]. أول أحوال الأنبياء عليهم السلام مراقي أقدام الأولياء، بداءة أفعال الرسل، أقصى معارج همم العارفين. طوبى لك يا فقير ليلة، يقع موسى عقلك في شاطئ وادي عرفانك، في البقعة المباركة من قربك، إن أردت أن تعرف ما طلب دلائل تلك الآثار في صفحات وجوه الأعمال ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] يا محل العقول ارفعي في زهرة البساتين، واجمعي شهد المعارف من هذه الحقائق حتى إذا مرض ولي من الأولياء بغير معراج المحبة، قلنا لطبيب أسقام العارفين حلیم الشريعة الإسلامية، صاحب الملة الحنيفية، إنك بلسان قلت به لك في الفصاحة: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

(١) الناموس: صاحب سر الرجل.

انظر: المصباح المنير: ٢/٢٩٧.

ومن كلام الحافظ الكبير الشهير الشيخ عبد الرحمن ابن الجوزي في كتاب: «المدهش»^(١) له في باب: الموعظة في قصة نوح عليه السلام^(٢): [لما عم]^(٣) أهل الأرض العمى عما خلقوا له، بعث نوح [بجلاء]^(٤) أبصار البصائر، فمكث يداويهم ﴿أَلَفَ سَنَةً إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤]، فكلهم أبصر ولكن [عن المحجة]^(٥) تعامى، فلاح للاحي^(٦) عدم فلاحهم، فوالاهم الصلا^(٧) بأساً من صلاحهم. وبعث شكاية الأذى في مسطور ﴿إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ [نوح: ٢١]، فأذن [مؤذن]^(٨) الطرد، على باب دار إهدار دمائهم، ﴿أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا إِلَّا مَنْ قَدَّ ءَأَمَنَ﴾ [هود: ٣٦]، فقام نوح في محراب ﴿لَا تَذَرْنِي﴾ [نوح: ٢٦]، فأته رسالة ﴿أَنْ أَصْبِحَ﴾ [المؤمنون: ٢٧] ونادى بريد الإعلام بالغضب ﴿وَلَا تَخْطُبْنِي﴾ [هود: ٣٧]، والمؤمنون: [٢٧]، فلما أن هال كئيب الإمهال^(٩)، وانقطع سلك التأخير، غربت شمس الانتظار، فادلهمت عقاب^(١٠) العقاب^(١١). فلما انسدلت^(١٢) الظلمة [وفات]^(١٣) النور ﴿وَفَارَ التُّورُ﴾ [هود: ٤٠] ف قيل: يا نوح قد حان حين الحين^(١٤)، ف ﴿أَحْمَلُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [هود: ٤٠]، فتخلف

(١) المدهش: ٧٦ - ٨١.

(٢) الآيات الواردة هنا من سورة (العنكبوت)، و(نوح)، و(هود)، و(المؤمنون).

(٣) في (هـ) و(ح): «فما عم»، وما أثبتته من المدهش: ٧٦.

(٤) في (هـ) و(ح): «لجلال»، وما أثبتته من المدهش: ٧٦.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ) و(ح)، وما أثبتته من المدهش: ٧٦.

(٦) اللاحي اسم فاعل من لحا يلحو لحواً فهو لاح ولحا فلاناً: لامه وعذله.

(٧) الصلا: وسط الظهر؛ أي أعرض عنهم.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ) و(ح)، وما أثبتته من المدهش: ٧٦.

(٩) أي أفزعه حزن الانتظار وسوء حاله.

انظر: اللسان، مادة: (كتب): ٦٩٤/١.

(١٠) كل ما علا.

(١١) العقاب: العذاب.

(١٢) انسدلت الظلمة: أي أرخت وأرسلت.

انظر: اللسان مادة: (سدل): ٣٣٣/١١.

(١٣) الواو: ساقطة من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من المدهش: ٧٦.

(١٤) الحين: الهلاك.

خلف^(١) [نوح خلف]^(٢) من ولده، فمد يد الحنون ليأخذ بيده ﴿يَبْتِئَ أَرْكَبَ مَعَنَا﴾ [هود: ٤٢] فأجاب عن ضمير خايض في مساء المساوي ﴿سَأَوَى﴾ [هود: ٤٣]، فرد عليه لسان الوعيد ﴿لَا عَاصِمَ﴾ [هود: ٤٣]، فلما انتقم من العصاة بما يكفي [كفت]^(٣) كف النجاة كفة الأرض بقسر ﴿أَبْلَى﴾ [هود: ٤٤]، وقلع جذع جزع السماء في وكف دمعها بظفر ﴿أَقْلَى﴾ [هود: ٤٤]، ونوديت نجوة الجودي^(٤) جودي، بإنجاء غرقى السير، وزود الهالكون في سفر الطرد، [زاد]^(٥) ﴿وَقِيلَ بَعْدًا﴾ [هود: ٤٤].

الفصل الرابع:

في قصة عاد^(٦): ولما تجبر^(٧) قوم عاد في ظل ظلل ضلالهم حين أملى الأمل وطول البقاء، وزوى^(٨) ذكر زوالهم، ومروا في مشارع عذاب الملاهي ناسين، من عذابها غافلين^(٩) في حلل الغفلة بالأمنية عن المنية وآدابها^(١٠)، أقبل هود يهديهم، ويناديهم [في ناديم]^(١١): ﴿عَبُدُوا اللَّهَ﴾ [هود: ٥٠]، فبرزوا في عتو ﴿مَنْ أَشَدُّ مَنَا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، فسحب سحب العذاب ذيل الأدبار بإقباله إلى قبائلهم، فظنوه لما [اعترض]^(١٢) عارض مطر، فتهادوا تباشير

(١) أي وراء.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ) و(ح)، وما أثبتته من المدهش: ٧٦. والمراد بـ «خلف» الثاني هو: الولد الذميمة.

(٣) في (هـ) و(ح): «لعت»، وما أثبتته من المدهش: ٧٧.

(٤) سبقت ترجمته في نوع الأسماع والكنى والألقاب.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ) و(ح)، وما أثبتته من المدهش: ٧٧.

(٦) والآيات الواردة هنا في (الأعراف)، و(فصلت)، و(الأحقاف)، و(الحاقة)، و(القمر).

(٧) في المدهش بدون الواو: ٧٧.

(٨) أي ذهب ذكر زوالهم.

(٩) في المدهش: ٧٧: «رافلين».

(١٠) (ح): «فإذا بما».

(١١) ساقط من (ح)، وما أثبتته من المدهش: ٧٧.

(١٢) في (ح): «اعترى»، وما أثبتته من المدهش: ٧٧.

البشارة، بتهادي^(١) بشارة ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّظْتَرًّا﴾ [الأحقاف: ٢٤]، فصار بلبل
 البلبل فبلبل^(٢) ﴿بَلِّ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ [الأحقاف: ٢٤] فكان كلما دنا
 وترامى، ترى ما كان كأن لم يكن، فحنظلت^(٣) شجرات مشاجرتهم هوداً،
 فجنى^(٤) من جنى، من جنا ما جنى^(٥) في مغنى ﴿فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ﴾
 [الأحقاف: ٢٦]، فراحت ريح الدبور لكي تسم الأدبار بكى الدبار، فعجوا منها
 عجيج^(٦) الأدبر، فلم تزل تكوي تكوينهم بميسم العدم، وتلوي تلوينهم إلى
 حياض دم الندم، وتكفأ عليهم الرمال، فتكفي تكفينهم وتبرزهم إلى البراز عن
 صون [حصون]^(٧)، كن يقيناً يقيهم^(٨)، فإذا أصبحت أخذت تنزع في قوس
 ﴿نَزَعُ النَّاسِ﴾ [القمر: ٢٠]، وإذا أمست أوقعت عريضهم في عرض ﴿كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ
 تَحَلٍّ﴾ [القمر: ٢٠]، فما برحت بارحهم^(٩) عن براحهم حتى برحت بهم، ولا
 أقلعت حتى أقلعت قلع^(١٠) قلاعتهم^(١١) فدامت^(١٢) عليهم آفة وداء لا تقبل

(١) وفي اللسان، مادة: (هدى): ٣٥٩/١٥: «والتهادي: مشي النساء والإبل الثقال، وهو مشي في تمايل وسكون».

(٢) وفي اللسان: مادة: (بلل): ٦٨/١١: «والبليلة: تفريق الآراء، وبلبل القوم بلبلة وبلبالاً: حركهم وهجهم، والاسم البلبال وهو البرحاء في الصدر».

(٣) أي أكثرت.

(٤) من جني الثمر.

(٥) من الجناية.

(٦) (ح): «عجيج». وفي اللسان، مادة: (عجج): ٣١٨/٢.

عجج: رفع صوته وصاح.

(٧) ساقط من (ح).

(٨) يمنعهم.

(٩) الريح الحارة.

(١٠) قلع جمع قلع وهي شراع السفينة.

انظر: اللسان، مادة: (قلع): ٢٨٠/٨.

(١١) في المدهش: ٧٧: «قلاعتهم».

والقلاعة: صخرة عظيمة وسط فضاء سهل، أما القلوع: هي الناقة الضخمة الجافية ولا يوصف به الجمل.

انظر: اللسان، مادة: (قلع): ٢٩٠/٨ - ٢٩١.

(١٢) (ح): «فدت».

فداء ﴿سَبَّحَ لَيْلَالٍ وَكُنَيْيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧]، فحسوا ما أذاقهم من سوء ما حسوا ما، ونسفوا من قفر ﴿أَلَا بَعْدًا﴾ [هود: ٦٠] إلى يم ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ [هود: ٥٩]، فلو عبرت في معبر الاعتبار، لترى (ما آل إليه مآلهم)^(١)، لرأيت التوى^(٢)، كيف التوى عليهم، وكف النوى كيف نوى الدنو إليهم، فانظر إلى عواقب الخلاق، فإنه شاف كاف.

الفصل الخامس: في قصة ثمود^(٣):

لما أعرضت ثمود عن كل فعل صالح بعث إليهم للإصلاح صالح، فتعنت عليهم نواق^(٤) هواهم^(٥) بطلب ناقة، فخرجت من صخرة صماء تقبب^(٦)، ثم فصل عنها^(٧) فصيل يرغو^(٨)، فارتعت حول نهي نهيهم عنها في حمى حماية ﴿وَلَا تَمْسُوها﴾ [الأعراف: ٧٣، وهود: ٦٤، والشعراء: ١٥٦]، فاحتاجت إلى الماء، وهو قليل عندهم، فقال حاكم الوحي: ﴿لَمَّا شَرِبُوا﴾ [الشعراء: ١٥٥]، وكانت^(٩) يوم ورودها تقضي دين الماء، بماء درها، فاجتمعوا في حلة الحيلة، على شاطئ غدير القدر، فدار قدار^(١٠) حول عطن^(١١) ﴿فَنَعَطْنِي﴾ [القمر: ٢٩]،

(١) (ح): «وما آل إليهم».

(٢) التوى: أي الهلاك.

انظر: أساس البلاغة، مادة: (توى): ٦٦.

(٣) الآيات الواردة هنا من: (الأعراف)، و(الشعراء)، و(هود)، و(القمر)، و(يونس).

(٤) وفي اللسان، مادة: (نوق): ٣٦٣/١٠.

والنواق من الرجال: الذي يروض الأمور ويصلحها.

(٥) في المدهش: ٧٨: «أهوائهم».

(٦) تقبب: أي تصوت، قال الزمخشري في أساس البلاغة، مادة: (قَبَب): ٤٨٨:

وقبب الفحل وهو صوت هديره.

(٧) في المدهش: ٧٨: «عليها».

(٨) رغا البعير والناقة ترغو رغاء: صوتت فضجت.

انظر: اللسان، مادة: (رغا): ٣٢٩/١٤.

(٩) في المدهش: ٧٩: «فكانت».

(١٠) في (ه) و(ح): «قداد»، وما أثبتته من المدهش: ٧٩، وهو اسم عاقر الناقة.

(١١) العطن للإبل: كالوطن للناس، وقد غلب على مبركها حول الحوض.

انظر: اللسان، مادة: (عطن): ٢٨٦/١٣.

فصاب عليهم صيب صاب صاع صاعقة العذاب الهون، فحين دنا وديدن^(١)،
دمغهم^(٢) دمار [قدمدم (عليهم)]^(٣)، فأصبحت المنازل لهول^(٤) ذلك النازل
﴿كَانَ لَمْ تَعَفْ بِالْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤]^(٥).

الفصل السادس: في قصة الخليل ﷺ^(٦):

كانت^(٧) الكهنة قد حذرت نمرود^(٨) وجود محارب غالب، ففرق بين
الرجال والنساء، فحمل به على رغم أنف اجتهاده. فلما خاض المخاض في
خضم أم إبراهيم، جعلت بين خيف^(٩) الخوف وحير التحير^(١٠) تهيم، فوضعت
في نهر قد يبس، وسترته بالحلفاء^(١١) ليلتبس، وكانت تختلف لرضاعه وقد
سبقها رضاع، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٥١]، فلما بلغ سبع
سنين رأى قومه في هزل، ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ نَائِبًا﴾ [الأنبياء: ٥٢]، فجادلهم فجد

(١) الديدن: الدأب والعادة. انظر: اللسان، مادة: (ددن): ١٥٢/١٣.

(٢) يقال: دمغ فلاناً: شجه حتى بلغت الشجة دماغه..

انظر: اللسان، مادة: (دمغ): ٤٢٥/٨.

(٣) دمدم: إذا عذب عذاباً تاماً، وفي التنزيل العزيز: ﴿قَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾؛

أي أهلكهم قال: دمدم: أرجف.

انظر: اللسان، مادة: (دمم): ٢٠٨/١٢.

وكلمة: «دمدم» ساقطة من المدهش: ٧٩.

(٤) (ح): «لهو»، وما أثبتته من المدهش: ٧٩.

(٥) لكن هذه الآية لم تقص قصة ثمود وذكرها ابن الجوزي اقتباساً.

(٦) الآيات الواردة هنا من (البقرة)، و(الأنبياء)، و(الصفات).

(٧) في المدهش: ٧٩: «كان».

(٨) إن الملك الذي حاججه إبراهيم ﷺ هو نمرود، وكان قد أحاط بمشارك الأرض

ومغاربها، ويقال: لم يجتمع ملك الأرض إلا لثلاثة ملوك: نمرود، وذو القرنين،
وسليمان بن داود.

انظر: تاريخ الطبري: ٢٣٣/١، والكامل: ٩٤/١.

(٩) في (هـ) و(ح): «خوف»، وما أثبتته من المدهش: ٧٩.

(١٠) في المدهش: ٧٩: «حيز التحيز».

(١١) وفي اللسان، مادة: (حلف): ٥٦/٩.

قال الأزهري: الحلفاء: نبت أطرافه محددة كأنها أطراف سعف النخل والخوص، ينبت

في مفايض الماء والنزوز...

لهم^(١) (فجدلهم)^(٢)، وأبرز نور الهدى في حجة ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فقابله^(٣) نمروذ يسهي السهو في ظلام، ﴿أَنَا أُحْيِي﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فألقاه كاللقاء^(٤)، على عجز العجز بأفات^(٥) ﴿فَأَتَتْ بِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ثم دخل دار الفراغ، ﴿فَرَأَى عَلَيْهِمُ﴾ [الصفات: ٩٣]، فجردوه من بُرد^(٦) بُرد^(٧) العذاب^(٨) [إلى]^(٩) حر ﴿حَرِّقُوهُ﴾ [الأنبياء: ٦٨].

فبنوا لسفح^(١٠) دمه بنياناً إلى سفح^(١٠) جبل فاحتطبوا له على عجل العجل، ثم وضعوه^(١١) في كفة المنجنيق.

فاعترضه^(١٢) جبريل في عرض الطريق، فناداه وهو يهوي في ذلك الفلا^(١٣): ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا.

فسيق بريد الوحي إلى النار بلسان التفهم: ﴿كُونِ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

(١) من الجد خلاف اللعب.

(٢) ساقط من (ح)، غلبهم في الجدل.

(٣) في (هـ) و(ح): «فقابلهم»، وما أثبتته من المدهش: ٧٩.

(٤) لقاء جمع القوة وهي داء للوجه يعوج منه الشدق، وقيل: العقاب الخفيفة السريعة الاختطاف.

انظر: اللسان، مادة: (لقا): ٢٥٣/١٥.

(٥) (ح): «يا له»، وما أثبتته من المدهش: ٨٠.

(٦) بالضم الثوب.

(٧) بالفتح خلاف الحر.

(٨) في المدهش: ٨٠: «العدل».

(٩) ساقط من (ح)، وما أثبتته من المدهش: ٨٠.

(١٠) سفح الدم ونحوه سفوحاً وسفحاناً بمعنى انصب، وسفح الجبل: أسفله الذي يغلف

فيسفح فيه الماء، وقيل: عرض الجبل المضطجع.

انظر: اللسان، مادة: (سفع): ٤٨٥/٢.

(١١) في المدهش: ٨٠: «فوضعه».

(١٢) (ح): «فاعترض».

(١٣) الفلاة: الأرض الواسعة المقفرة، وجمعها: فلا وفلوات.

انظر: اللسان، مادة: (فلا): ١٦٤/١٥.

الفصل السابع: في قصة الذبيح^(١):

لما ابتلي الخليل بنمرود^(٢) فسلم، وبالنار فسلم^(٣)، امتد ساعد البلاء إلى الولد المساعد، فظهرت عند المشاورة نجابة ﴿أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الصفات: ١٠٢]، وآب يوصي الأب اشدد رباطي ليمتنع ظاهري من التزلزل، كما سكن قلبي مسكن السكون، واكفف ثيابك عن دمي، لئلا يصبغها عند مي، فتحزن لرؤيته أمي، واقرأ السلام عليها مني، فقال: نعم العون أنت يا بني. ثم أمر السكين على مريثي^(٤) المرء فما مرت، غير أن حسرات الفراق للعيش أمرت^(٥)، فطعن بها في الحلق (مرات)^(٦) فنبت^(٧)، لكن حب، حب الرضا في حبة القلب نبت^(٨)، يا إبراهيم من عادة السكين أن تقطع، ومن عادة الصبي أن يجزع، فلما نسخ الذبيح نسخة الصبر ومحا سطور الجزع، قلبنا عادة الحديد فما مر ولا قطع، وليس المراد من الابتلاء أن نعذب ولكننا نبتلي لنهذب.

أين الاعتبارون بقصتهما في غصتهما، لقد حصحص الأجر في حصتهما، لما جعلنا الطاعة إلى الرضا سلماً، سل ما يؤدي فسلماً، وكلما حاجب كلم^(٩) كل^(١٠) ما به تذبحان، فصدما به صدماً، بيناهما على تل^(١١) ﴿وَتَلَّهُ﴾ [الصفات: ١٠٣] جاء بشير ﴿قَدْ صَدَفَتِ الرُّؤْيَا﴾ [الصفات: ١٠٥]، فارتد أعمى

(١) الآيات الواردة هنا في (الصفات).

(٢) في المدهش: ٨: «بالنمرود».

(٣) الأولى من التسليم، والثانية: من السلامة.

(٤) المريء: مجرى الطعام والشراب عند الحلقوم. انظر: اللسان، مادة: (مرأ): ١٥٥/١.

(٥) يعني أن نبي الله إسماعيل ﷺ يحزن قليلاً بفراق الأهل، ولكنه يرضى بقضاء الله

تمام الرضا.

(٦) ساقط من (ح).

(٧) نبت: أي كلت، والكل: قفا السيف والسكين الذي ليس بحاد، وكل السيف يكل؛

أي لم يقطع. انظر: اللسان، مادة: (كلل): ٥٩١/١١.

(٨) من النبات.

(٩) كلم: بمعنى جرح.

(١٠) كل يكل كلولاً وكلالة: بمعنى ضعف يقال: كل السيف، ونحوه: لم يقطع فهو

كليل وكل. انظر: المصباح المنير: ١٩٩/٢، والمعجم الوسيط: ٨٠٢/٢.

(١١) التل: مصدر تله يتله تلا بمعنى صرعه، والمراد هنا إلقاءه على عنقه وخده.

انظر: اللسان، مادة: (تلل): ٧٧/١.

الحزن بصيراً بقميص ﴿وَفَدَيْنَتْهُ﴾ [الصفات: ١٠٧]. ليس العجب أمر الخليل
بذبح ولده؛ وإنما العجب مباشرة الذبح بيده، ولولا استغراق حب الأمر لما
هان مثل هذا المأمور^(١). انتهى.

(١) انتهى كلام ابن الجوزي في المدهش: ٧٦ - ٨١.



النوع الأربعون بعد المائة

علم حكم القرآن



النوع الأربعون بعد المائة

علم حكم القرآن

وهو نوع شريف أيضاً، ولم يذكره الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - في «الإتقان».

اعلم - أيدنا الله تعالى وإياك - أن القرآن مشتمل على الحكم الجليلة المفيدة، وقد ذكر الله - جل شأنه - الحكمة في عدة آيات^(١) في كتابه العزيز. فقال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]. وقال - جل شأنه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

والحكمة تطلق ويراد بها: معرفة الشيء على ما هو عليه. وتطلق ويراد بها: الكلمة المفيدة الموصلة إلى معرفة حقيقة الشيء المقبولة عند السامع قبولاً مسلماً لذوي العقل.

قال السدي: هي النبوة^(٢). وقال قتادة: الحكمة السنة وبيان النبي الشرائع^(٣). وقال ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - ومجاهد والضحاك ومقاتل وغيرهم: الحكمة القرآن^(٤). وقال مالك وأبو مرزبن: الحكمة الفقه في الدين^(٥)، والفهم الذي هو سجية ونور من الله تعالى.

(١) ذكرها في (البقرة): ١٢٩، ١٥١، ٣٣١، ٢٥١، ٢٦٩. و(آل عمران): ٤٨، ٨١، ١٦٤. و(النساء): ٥٤، ١١٣. و(المائدة): ١١٠. و(النحل): ١٢٥. و(الإسراء): ٣٩. و(لقمان): ١٢. و(الأحزاب): ٣٤. و(ص): ٢. و(الزخرف): ٦٣. و(القمر): ٥. و(الجمعة): ٢.

(٢) وهو قول ابن عباس أيضاً فيما روى عنه أبو صالح. نقلاً عن البحر المحيط: ٣٢٠/٢.

(٣) لم أعثر على المرجع.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير: ٣٢٤/١، وأبو حيان في البحر المحيط: ٣٢٠/٢.

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره: ٣٣٠/٣.

وقال مجاهد: الحكمة فهم القرآن^(١). وقال مقاتل: العلم والعمل به، ولا يكون الرجل حكيماً حتى يجمعهما^(٢). وقال ابن زيد^(٣): كل كلمة وعظمتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبح فهي حكمة. وقال أبو جعفر محمد بن يعقوب^(٤): كل صواب من القول أورث فعله صحيحاً فهو حكمة^(٥). وقال يحيى بن معاذ^(٦): الحكمة جند من جنود الله يرسلها إلى قلوب العارفين حتى يروح عنها وهج الدنيا^(٧). وقيل: الحكمة وضع الأشياء موضعها. وقيل: إنها كل قول وجب فعله. وقال ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - فيما رواه عنه علي بن طلحة: معرفة ناسخ القرآن ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره^(٨). وقال الحسن: الورع في دين الله^(٩). وقال الربيع بن أنس: الخشية^(١٠)، وقال ابن

(١) وفي زاد المسير: ٣٢٤/١.

الحكمة الإصابة في القول. رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، وفي البحر المحيط: ٢/٣٢٠ زيادة: «... والقول»، وقال مجاهد أيضاً: «الحكمة الكتابة».

انظر: تفسير القرطبي: ٣/٣٣٠.

(٢) قاله ابن قتيبة أيضاً. انظر: زاد المسير: ٣٢٤/١، والبحر المحيط: ٢/٣٢٠.

(٣) هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني الفقيه، المحدث، المفسر. له من الكتب والتفسير، توفي حوالي سنة (١٧٠ للهجرة).

انظر: تهذيب التهذيب: ٦/١٧٧.

(٤) هو: محمد بن يعقوب بن الفرغ أبو جعفر الفرجي صوفي من علماء النساك، من تصانيفه: «الورع» و«صفات المريدين»، توفي بعد سنة (سبعين ومائتين).

انظر: حلية الأولياء: ١٠/٢٨٧، واللباب: ٢/٤١٨.

(٥) لم أعر على مرجع كلام أبي جعفر محمد بن يعقوب.

(٦) هو: أبو زكريا الرازي، واعظ زاهد لم يكن له نظير في وقته، توفي سنة (اثنين وثلاثين ومائة للهجرة). انظر: طبقات الصوفية للسلمي: ١٠٧.

(٧) الوهج: حر النهار والشمس ونحوهما، والوهج من الطيب: أرجه وانتشاره، ووهج الدنيا: انتشارها.

انظر: اللسان، مادة: (وهج): ٢/٤٠١.

(٨) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير: ٣٤/١، والقرطبي في تفسيره: ٣/٣٣٠، وأبو

حيان في البحر المحيط: ٢/٣٢٠.

(٩) المصدر السابق.

(١٠) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير: ٣٢٤/١، والقرطبي في تفسيره: ٣/٣٣٠.

زيد وأبوه زيد بن أسلم^(١): العقل في أمر الله^(٢). وقال ابن المقفع: ما شهد العقل بصحته^(٣). وقال بعضهم: التفكير في أمر الله والاتباع له^(٤). وقال عطاء: المغفرة^(٥). وقال أبو عثمان^(٦): نور يفرق [به]^(٧) بين الوسواس والإلهام^(٨). وقال القاسم بن محمد^(٩): إن يحكم عليك خاطر الحق دون شهوتك^(١٠). وقال بندار بن حسين^(١١): سرعة الجواب مع إصابة الحق^(١٢). وقال الكتاني^(١٣): ما تسكن إليه الأرواح^(١٤). وقيل: إشارة بلا علة^(١٥). وقيل: شهادة الحق على جميع الأحوال^(١٦). وقيل: صلاح الدين وإصلاح الدنيا^(١٧). وقيل: العلم

(١) هو: زيد بن أسلم أبو عبد الله العمري المدني الإمام الفقيه المفسر، له كتاب في التفسير رواه عنه ولده عبد الرحمن، توفي سنة (١٣٦هـ). انظر: تذكرة الحفاظ: ١/ ١٣٢، وتهذيب التهذيب: ٣/ ٣٩٥.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير: ١/ ٣٢٤، والقرطبي في تفسيره: ٣/ ٣٣٠، وأبو حيان في البحر المحيط: ٢/ ٣٢٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) قاله القشيري فيما روى عنه ابن القاسم. نقلاً عن البحر المحيط: ٢/ ٣٢٠.

(٥) المصدر السابق.

(٦) لم أعثر على ترجمته.

(٧) ساقط من (هـ) و(ح)، ما بين المعقوفين ساقط من البحر المحيط: ٢/ ٣٢٠.

(٨) نقلاً عن البحر المحيط: ٢/ ٣٢٠.

(٩) هو: القاسم بن محمد أبو القاسم المعروف بابن الطبلسان الأنصاري القرطبي، من تصانيفه: «بيان المنن على قارئ الكتاب والسنن» ولد سنة (١١٢١هـ) وأربعين وستمائة.

انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٤٢، وتذكرة الحفاظ: ٤/ ١٤٢٦.

(١٠) نقلاً عن البحر المحيط: ٢/ ٣٢٠.

(١١) لم أعثر على ترجمته.

(١٢) نقلاً عن البحر المحيط: ٢/ ٣٢٠. وفي البحر: «مع إصابة المحيط».

(١٣) هو: إسحاق بن إبراهيم بن مسره أبو إبراهيم الكتاني المالكي صاحب كتاب النصائح، وتوفي سنة (١١٢١هـ) وخمسين وثلاثمائة للهجرة.

انظر: الديباج المذهب: ١/ ٩٦.

(١٤) البحر المحيط: ٢/ ٣٢٠.

(١٥) المصدر السابق.

(١٦) المصدر السابق.

(١٧) المصدر السابق.

اللذني^(١)، وقيل: تجريد السمع لورود الإلهام^(٢). وقيل: الحكمة كمال النفس البشرية بمعرفة ما عليه الوجود الحقي والخلقي.

وقال ابن عطية في «تفسيره»^(٣): والأقوال في معنى الحكمة بعضها قريب من بعض؛ لأن الحكمة مصدر من الإحكام والإتقان في عمل أو قول، وكتاب الله حكمة وسنة نبيه حكمة، وكل ما ذكر فهو جزء من الحكمة التي هي الجنس. انتهى^(٤).

وحكم القرآن كثيرة فلنورد من ذلك بعض ما تيسر. فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٧٩]^(٥).

وقول الله تبارك اسمه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]^(٦).

وقول الله ﷻ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وقوله - جل جلاله: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: البحر المحيط: ٢/٢٣٠ وفيه: «تجريد السر».

(٣) هو: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز».

(٤) انتهى كلام ابن عطية في تفسيره: ٢/٤٥٧.

قلت: وهذا القول هو اختيار القرطبي في تفسيره: ٣/٣٣٠.

وقد ذكر ابن الجوزي في زاد المسير: ١/٣٢٤ أحد عشر قولاً في المراد بـ: «الحكمة».

وقد ذكر ابن حيان في البحر المحيط تسعاً وعشرين مقالة لأهل العلم في تفسير «الحكمة»، منها ما يشترك مع ابن الجوزي.

والمؤلف - رحمه الله تعالى - نقل أكثر الأقوال عن البحر المحيط: ٢/٣٢٠.

(٥) قال أبو حيان في البحر المحيط: ٢/١٥: الحياة التي في القصاص هي أن الإنسان

إذا علم أنه إذ قُتل قُتل أمسك عن القتل، فكان ذلك حياة له والذي امتنع من قتله فمشروعية القصاص مصلحة عامة وإبقاء القاتل والعفو عنه مصلحة خاصة به..

(٦) قال الرازي في تفسيره: ٢٦/٢٥٠:

واعلم أن هذه الآية دالة على أسرار عجيبة، فأولها: أنه بدأ فيها بذكر العمل، وختم

فيها بذكر العلم أما العمل فهو القنوت، والسجود والقيام، وأما العلم ففي قوله: ﴿هَلْ

يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وهذا يدل على أن كمال الإنسان محصور في هذين

المقصودين. فالعمل هو البداية، والعلم والمكاشفة هو النهاية..

قَوْمًا يَجْهَلُونَ فَصَبِّحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿١٦﴾ [الحجرات: ٦] ^(١).

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِن طَافَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ افْتَلَوْا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَعَثَ إِحْدَهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبِغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٧﴾ [الحجرات: ٩].

وقال عز من قائل: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاهُ شُعوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلُكُمْ ﴿١٣﴾ [الحجرات: ١٣] ^(٢).

وقال - جل شأنه: ﴿وَلَا تَرِزُوا رِيزَةَ الَّذِينَ هَدَىٰ أُوخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤، والإسراء: ١٥، وفاطر: ١٨، والزمر: ٧، والنجم: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ [غافر: ٢٨] ^(٣).

وقال - جل شأنه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ سَبِيلًا مَّا لِيُحْمَلَ أَثَرَهُمْ إِن لَّا يَخْتَارُونَ ﴿٥٠﴾ [الجمعة: ٥].

(١) قال ابن القيم في التفسير القيم: ٤٤١:

وهنا فائدة لطيفة: وهي أنه سبحانه لم يأمر برد خبر الفاسق وتكذيبه وشهادته جملة، وإنما أمر بالتبين، فإن قامت قرائن وأدلة من خارج تدل على صدقه عمل بدليل الصدق، ولو أخبر به من أخبر.

(٢) الحكمة التي من أجلها جعلكم على شعوب وقبائل هي أن يعرف بعضكم نسب بعض ولا ينسبه إلى غير آبائه، لا أن تتفاخر بالآباء والأجداد، والنسب وإن كان يعتبر عرفاً وشرعاً، حتى لا تزوج الشريفة بالنبطي، إلا أنه لا عبرة به عند ظهور ما هو أعظم قدراً منه وأعز، وهو الإيمان والتقوى، كما لا تظهر الكواكب عند طلوع الشمس.

انظر: حاشية شيخ زاده على البيضاوي: ٣/٣٧٥.

(٣) قال في البحر المحيط: ٤٦١/٧: هذا نوع من أنواع علم البيان يسميه علماؤنا «استدراج المخاطب» وذلك أنه لما رأى فرعون قد عزم على قتل موسى، وقومه على تكذيبه، أراد الانتصار له بطريق يخفى عليهم بها أنه متعصب له، وأنه من أتباعه، فجاءهم بطريق النصح والملاطفة فقال: «أتقتلون رجلاً» ولم يذكر اسمه بل قال: رجلاً، ليوهمهم أنه لا يعرفه، ثم قال: ﴿أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ ولم يقل: رجلاً مؤمناً بالله أو هو نبي الله، إذ لو قال ذلك لعلموا أنه متعصب ولم يقبلوا قوله..

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا أَفَنَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا
أَوْلَوْ كَانِ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ سَيِّئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: ١٧٠].
وقال - جل شأنه: ﴿كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ
وَاللَّهُ مَعَ الصَّكِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

والآيات في الحكم كثيرة، وفي هذا القدر كفاية، والله الموفق. انتهى.

النوع الحادي والأربعون بعد المائة

علم حقائق القرآن



النوع الحادي والأربعون بعد المائة

علم حقائق القرآن^(١)

وهو نوع عظيم جليل من أشرف العلوم، ولم يذكره الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - في «الإتقان».

اعلم أن القرآن العزيز بحر متموج زخار بالمعاني العظيمة الجليلة، وقد تقدم في أول الكتاب^(٢) أن للقرآن ظاهراً وباطناً وحداً ومطلعاً^(٣).

(١) أراد المؤلف بعلم حقائق القرآن: المعاني الباطنة التي تستنبط من الحروف بطريق الرموز والإشارة، وهذه المعاني لا يدل عليها الكلام العربي الذي أنزل القرآن بلسانه لا من مدلولاته لغة ولا سياقاً، ولا يدل عليها الكتاب ولا السنة النبوية، وهو تفسير صوفي. ومن المعلوم أن مدلولات الكلمات القرآنية هو ما دل عليه اللفظ لغة: منطوقاً، أو مفهوماً أو سياقاً حقيقة أو مجازاً بحسب القرائن، وباعتبار سبب النزول، إلى غير ذلك ونقلت أحياناً بعض التفسير الصوفي لا أنني موافق عليه، وإنما ذكرته للمشابهة بينه وبين كلام المؤلف.

(٢) النوع السادس والثلاثين «علم الظاهر والباطن والحد والمطلع لكل آية»: ٣١١ من مخطوط نسخة (ح)، انظر: ٥٠٠/١.

(٣) أشار المؤلف - رحمه الله تعالى - بهذا الكلام إلى حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل حرف منها ظهر وباطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع.

رواه ابن جرير في مقدمة تفسيره: ٢٢/١.

قال الشيخ أحمد شاکر في حاشية مقدمة تفسير ابن جرير: ٢٢/١: الحديث روي بإسنادين ضعيفين:

أما أحدهما فلانقطاعه بجهالة أحد رواته إذ جاء في سنده عن واصل بن حيان عن ذكره عن أبي الأحوص عن ابن مسعود.

أما الآخر فمن أجل إبراهيم الهجري، وهو ضعيف.

انظر: ميزان الاعتدال: ٦٥/١.

والحديث بهذا اللفظ هنا ذكره السيوطي في الجامع الصغير رقم ٢٧٢٧، ونسبه للطبراني

في المعجم الكبير، ورمز له بعلامة الحسن. وانظر: مجمع الزوائد للهيثمى: ١٥٢/٧، =

وقد تكلم السادة الصوفية - رضي الله تعالى عنهم - على المعاني الباطنة، وغالب ما تكلموا فيه من إرجاع المعاني في الآيات إلى التوحيد الصّرف والتعظيمات الإلهية والنعوت الربانية.

وقد صنف القشيري - رحمه الله تعالى - تفسيراً^(١) في ذلك، وغيره من المتقدمين، وكذلك الشيخ نجم الدين البكري^(٢). وللشيخ محيي الدين بن عربي^(٣) - رضي الله تعالى عنه - تفسير كبير، ذكر في بعض تأليفه أنه وصل فيه

= ١٥٣. وذكره الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته: ١٧/٢. أما المراد ب: الظهر، والبطن، والحد، والمطلع. فقال الماوردي في تفسيره «النكت والعيون»: أما قوله: «ظهر وبطن» ففيه أربعة تأويلات: أحدها: معناه أنك إذا قشت عن باطنها وقسته على ظاهرها: وقفت على معناها وهو قول الحسن.

والثاني: يعني أن القصص ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين، وباطنها عظة الآخرين. وهذا قول أبي عبيد. انظر: غريب الحديث له: ١٣/٢. والثالث: معناه ما من آية إلا وقد عمل بها قوم، ولها قوم سيعملون بها. وهذا قول ابن مسعود.

والرابع: يعني أن ظاهرها لفظها وباطنها تأويلها وهذا قول الجاحظ. انظر معنى العبارة في: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ١٦٦/٣. وأما المراد ب «الحد»: فقال الماوردي: ففيه تأويلان: أحدهما: معناه: أن لكل لفظ متنبهاً فيما أراد الله تعالى به من عباده. والثاني: أن لكل حكم مقداراً من الثواب والعقاب. وقال الطبري في مقدمة تفسيره: ٧٢/١:

والحد: يعني لكل وجه من أوجه السبعة حد حده الله جل ثناؤه، لا يجوز لأحد أن يتجاوزه. وأما المراد ب «المطلع» فقال الماوردي: ففيه تأويلان: أحدهما: معناه ولكل غامض من الأحكام مطلع يوصل منه إلى معرفته، ويوقف منه على المراد به.

والثاني: معناه أن كل ما استحقه من الثواب والعقاب سيطلع عليه في الآخرة ويراه عند المجازاة.

قال ابن الأثير في النهاية: ١٦٦/٣: أي لكل حد مصعد يصعد إليه من معرفة علمه، والمطلع مكان الاطلاع من موضع عال وهو بوزن مصعد.

(١) سماه «لطائف الإشارات» وهو مطبوع.

(٢) هو: أبو الجناب المعروف بالبكري.

(٣) هو: محمد بن علي أبو بكر الطائي، شيخ الصوفية، وكان له أتباع يعجبون به إلى =

إلى قول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، وكان في ستين سفرًا.

وله تفسير صغير جمع فيه بين المعاني الظاهرة والباطنة وهو تام، وللقاشاني^(١) تفسير لطيف^(٢)، أوردنا منه في تفسير الفاتحة في هذا الكتاب ليكون أنموذجاً لطالب المعاني الباطنة في الحقائق الخفية.

قال - رحمه الله تعالى -: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ اسم الشيء ما يعرف به، وأسماء الله تعالى هي الصور النوعية التي تدل بخصائصها، وهويتها على صفات الله وذاته، وبوجودها على وجهه، وبتعيينها على وحدته، إذ هي ظاهرة التي بها يعرف.

و﴿اللَّهُ﴾ اسم للذات الإلهية من حيث هي على الإطلاق، لا باعتبار اتصافها^(٣).

و﴿الرَّحِيمِ﴾ هو المفيض للوجود والكمال على الكل بحسب ما تقتضي الحكمة، وتحتمل القوابل على وجه البداية.

و﴿الرَّحْمَنِ﴾ هو المفيض للكمال المعنوي المخصوص بالنوع الإنساني بحسب النهاية، ولهذا قيل: يا رحمن الدنيا والآخرة، ورحيم الآخرة. فمعناه بالصورة الإنسانية الكاملة الجامعة للرحمة العامة والخاصة، التي هي مظهر الذات الإلهي والحق الأعظم مع جميع الصفات أبدأً، وهي الاسم الأعظم،

= حد كبير، كما كان له أعداء ينقمون عليه، ويرمون بالكفر والزندقة. من تصانيفه الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية والملكية، وتوفي سنة (ثمان وثلاثين وستمئة للهجرة).

انظر: طبقات المفسرين للسيوطي: ٣٨، والتفسير والمفسرون: ٤٠٧/٢.

(١) هو: عبد الرزاق بن أحمد ابن أبي الغنائم القاشاني الصوفي، من تصانيفه: اصطلاحات الصوفية، وتأويلات القرآن، توفي سنة (ثلاثين وسبعمئة من الهجرة). انظر: كشف الظنون: ٣٣٦/١.

(٢) تفسير القاشاني وهو المشهور بالتأويلات، وهو تفسير بالتأويل على اصطلاح التصوف، إلى سورة (ص) أوله: الحمد لله الذي جعل مناظم كلامه مظاهر صفاته... انظر: كشف الظنون: ٣٣٦/١، ٤٥٦، وهذا التفسير مطبوع ومنسوب لابن عربي، وقد بين الدكتور الذهبي خطأ هذه النسبة في التفسير والمفسرون: ٤٠٠/٢.

(٣) وفي حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٦١/١: أن لفظ «الله» اسم علم موضوع لذاته من غير اعتبار فيه؛ يعني أنه غير مشتق.

وإلى هذا المعنى^(١) أشار النبي ﷺ بقوله: «أوتيت جوامع الكلم»^(٢)، «وبعثت لأتم مكارم الأخلاق»^(٣)، إذ الكلمات حقائق الموجودات وأعيانها خصوصاً المجردة منها، كما سمي عيسى ﷺ كلمة الله^(٤).

ومكارم الأخلاق كمالاتها وخواصها التي هي مصادر أفعالها جميعها محصورة في الكون الجامع الإنساني، وها هنا لطيفة؛ وهي أن الأنبياء ﷺ وضعوا حروف التهجي بإزاء مراتب الموجودات، وقد وجدت في كلام عيسى^(٥) ﷺ، وأمير

(١) وفي روح المعاني: ٦٣/١، نقلًا عن الفتوحات المكية: ١٠٨/١:

وعندي من باب الإشارة أن تأخير «الرحيم»، لأنه صفة محمد ﷺ قال تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾. وبه ﷺ كمال الوجود، وبالرحيم تمت البسملة، وبتمامها تمّ العالم خلقاً وإبداعاً... فالرحيم هو نبينا - عليه الصلاة والسلام - وبسم الله هو أبونا آدم ﷺ... وذلك أن آدم ﷺ حامل الأسماء قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾. ومحمد ﷺ حامل معاني تلك الأسماء.. وهي الكلم قال ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم».

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

(٣) سبق تخريجه في الجزء ٦.

(٤) وذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ بِبَيْتِكَ لَكَلِمَةٌ إِنَّهُ أَسْمُ السَّبْحِ

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

(٥) ذكر ابن كثير في تفسيره: ٣٢/١:

وقد روى الحافظ ابن مروديه عن إسماعيل بن يحيى عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عيسى ابن مريم ﷺ أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلمه، فقال له المعلم: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: بسم الله. قال له عيسى: وما بسم الله؟ قال المعلم: ما أدري. قال له عيسى: الباء بهاء الله، والسين سناؤه، والميم مملكته، والله إله الآلهة، والرحمن رحمن الدنيا والآخرة، والرحيم رحيم الآخرة».

وقد رواه ابن جرير من حديث إبراهيم بن العلاء عن ابن مسعود، ومسعر عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ... فذكره. انظر: تفسير ابن جرير: ١٢١/١، ١٢٥.

ثم قال ابن كثير: وهذا غريب جداً، وقد يكون صحيحاً إلى من دون رسول الله ﷺ، وقد يكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات - والله أعلم -.

وقال الشيخ أحمد محمد شاكر في هامش مقدمة تفسير ابن جرير: ١٤٢/١، ١٢٣: هذا حديث موضوع لا أصل له، ورواه ابن حبان في كتاب المجروحين، في ترجمة إسماعيل بن يحيى التيمي رقم ٤٤: ٨٥ وقال في إسماعيل هذا: كان ممن يروي الموضوعات عن الثقات وما لا أصل له عن الأنثبات، لا تحل الرواية عنه ولا الاحتجاج به بحال. ثم ذكر تعليق ابن كثير على هذه الرواية - ثم قال: وما أدري كيف فات الحافظ ابن كثير أن في إسناده هذا الكذاب، فتسقط روايته بمرّة، ولا يحتاج إلى هذا التردد...

المؤمنين عَلَيَّ^(١) - كرم الله وجهه - ، وبعض الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - ما يشير إلى ذلك .

ولهذا قيل: أظهرت الموجودات من باء ﴿يَسْمِعُ اللَّهُ﴾؛ إذ هي الحرف الذي يلي الألف، والموضوعة بإزاء ذات الله، وهي إشارة إلى العقل الأول الذي أول ما خلق الله تعالى المخاطب بقوله تعالى: «ما خلقت خلقاً أحب إليّ ولا أكرم عليّ منك، بك أعطي، وبك آخذ، وبك أثب، وبك أعاقب...» الحديث .

والحروف الملفوظة لهذه الكلمة^(٢) ثمانية عشر، والمكتوبة تسعة عشر، وإذا انفصلت الحروف إلى اثنين وعشرين، فالثمانية عشرة إشارة إلى العوالم المصير عنها بثمانية عشر ألف عالم، إذ الألف هو العدد التام المشتمل على باقي مراتب العداد، فهو أم المراتب الذي لا عدد فوقه؛ أي بحسب المرتبة فعبّر بها عن أمهات العوالم التي هي عالم الجبروت، وعالم الملكوت، والعرش، والكرسي، والسموات السبع، والعناصر الأربعة^(٣)، والمواليد الثلاثة^(٤)، التي ينفصل كل منها إلى الجزئيات .

والتسعة عشر إشارة إليها مع العالم الإنساني، فإنه وإن كان داخلاً في عالم

(١) وفي تفسير القرطبي: ٩١/١ :

قال سعيد بن أبي سكينه: بلغني أن علياً بن أبي طالب عليه السلام نظر إلى رجل يكتب ﴿يَسْمِعُ اللَّهُ الرَّجُلَ الرَّجُلَ﴾ فقال له: جَوِّدها؛ فإن رجلاً جَوِّدها فغفر له. وأورد السيوطي في الدر المنثور: ١٠/١ نحوه.

(٢) يعني: ﴿يَسْمِعُ اللَّهُ الرَّجُلَ الرَّجُلَ﴾ .

(٣) قال الرازي في تفسيره: ٢٢٩/١ :

وأما الأجسام السفلية فهي إما بسيطة أو مركبة: أما البسيطة فهي العناصر الأربعة: واحداً كرة الأرض بما فيها من المفاوز، والجبال، والبلاد المعمورة. وثانيها: كرة الماء، وهي البحر المحيط، وهذه الأبحر الكبيرة الموجودة في هذا الربع المعمور وما فيه من الأودية العظيمة التي لا يعلم عددها إلا الله تعالى، وثالثها: كرة الهواء، ورابعها: كرة النار.

(٤) قال الرازي في تفسيره: ٦/١ ، ٢٢٩ :

إن العالمين عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى، وهي على ثلاثة أقسام: المتحيزات، والمفارقات، والصفات. أما المتحيزات فهي بسائط أو مركبات. أما البسائط فهي الأفلاك والكواكب والأمهات. أما المركبات فهي المواليد الثلاثة. . وأما الأجسام المركبة فهي النبات، والمعادن، والحيوان على كثرة أقسامها وتباين أنواعها.

الحيوان، إلا أنه باعتبار شرفه رجاء معينه لكل وحصره للوجود، عالم آخر له شأن، وجنس برأسه له برهان.

جبريل من بين الملائكة في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا كَتَبْتَ كِتَابَهُ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: ٩٨]^(١)، والألقاب الثلاثة المحتجبة التي هي تمة الاثنين والعشرين عند الانفصال إشارة إلى العالم الإلهي الحقي باعتبار الذات والصفات والأفعال، فهي ثلاثة عوالم عند التفصيل، وعالم واحد عند التحقيق. والثلاثة المكتوبة إشارة إلى ظهور تلك العوالم على المظهر الأعظم الإنساني والاحتجاب العالم الإلهي حين سئل رسول الله ﷺ عن ألف ﴿الرَّحْمَنُ﴾^(٢) أين ذهبت؟، قال: سرقها الشيطان، وأمر بتطويل باء ﴿يَسْرُ اللَّهُ﴾ تعويضاً عن ألفها، إشارة إلى احتجاب ألوهية الإلهية في صورة الرحمة وظهورها في الصورة الإنسانية حيث لا يعرفه إلا أهله، ولهذا ذكرت في الوضع.

وقد ورد في الحديث: «إن الله تعالى خلق آدم على صورته»^(٣). فالذات

(١) وتمام الآية: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

(٢) قال الألوسي في روح المعاني: ٦٤/١:

وإدعى بعض العارفين أن الألف الخفية هنا ظهرت من حيث الجزئية من هذا اللفظ في «الشيطان»؛ بناء على أخذه من «شطن» وزيادة الألف فهي للإشارة إلى عموم الرحمة ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه]. فللشيطان حصة منها ومنها وجوده وبقي سر لا يمكن كشفه..

(٣) قال ابن عربي في الفتوحات المكية: ١٠٦/١:

قوله: «الرحمن» من (البسملة)... فمن أعربه بدلاً جعله ذاتاً، ومن أعربه نعتاً جعله صفة، والصفات ست ومن شرط هذه الصفات الحياة فظهرت السبعة، وجميع هذه الصفات للذات، وهي الألف الموجودة بين الميم والنون من «الرحمن»، ويتركب الكلام على هذا الاسم من الخبر الثابت عن النبي ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته» من حيث إعادة الضمير على الله، ويؤيد هذا النظر الرواية الأخرى وهي قوله ﷺ: «على صورة الرحمن» وهذه الرواية وإن لم تصح من طريق أهل النقل فهي صحيحة من طريق الكشف.. الحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة، باب: النهي عن ضرب الوجه: ٣١/٨. وأحمد في مسنده: ٢٤٤/٢، ٢٥١، ٣١٥، ٣٢٣، ٤٣٤، ٤٦٤، ٥١٩. وهذا الحديث من أحاديث الصفات، وأن من العلماء من يمسك عن تأويلها ويقول: إنها حق وإن ظاهرها غير مراد ولها معنى يليق بها، وهذا مذهب جمهور السلف، وهو أحوط وأسلم. نقلاً عن حاشية صحيح مسلم: ٢٠١٧/٤.

محبوبة بالصفات، والصفات بالأفعال بالأكوان والآثار، فمن تجلت عليه الأفعال بارتفاع حجب الأفعال، رضي وسلم. ومن تجلت عليه الذات بانكشاف حجب الصفات، حتى في الوحدة فصار موحداً مطلقاً فاعلاً ما فعل، وقارئاً ما قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. فتوحيد الأفعال مقدم على توحيد الصفات وهو على توحيد الذات، وإلى الثلاثة أشار - صلوات الله وسلامه عليه - في سجوده: «أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك»^(١).

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ...﴾ إلى آخر السورة.

الحمد بالفعل ولسان الحال هو ظهور الكمالات، وحصول الغايات من الأشياء آتية فاتحة ومدح لمولائها بما يستحقه فالموجودات كلها بخصوصياتها، وخواصها وتوجهها إلى غايتها، وإخراج كمالاتها من حيز القوة إلى الفعل مسبحة جامدة كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُ سِحْرَ سَاحِرٍ شَيْءٍ إِلَّا أَلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾، فتسبيحها إياه تنزيه من الشرك، وصفات النقص والعجز باستنادها إليه وحده، ودلالاتها على وحدانيته وقدرته، وتحميدها إظهار كمالاتها المترتبة، ومظهرتها لتلك الصفات الجلالية والجمالية. وهي بذاته بحسب مبدئيته للكل وحافظيته ومدبريته له التي هي الربوبية للعالمين؛ أي لكل ما هو علم الله تعالى وعلم به. فالخاتم لما يختم به، والغالب لما يغلب فيه، وجمع السلامة^(٢) لاشتماله على العلم أو للتغليب^(٣)، وبإزاء إفاضة الخير العام والخاص؛ أي النعمة الزاهرة كالصحة والرزق، والباطنة كالمعرفة والعلم باعتبار منتهايته التي هي مالكية الأشياء في يوم الدين، إذ لا يجزي في الحقيقة إلا المعبود الذي ينتهي إليه الملك وقت الجزاء، بإنابة النعمة الباقية عن الغاية عند التجرد عنها بالزهد، وتجليات الأفعال عند انسلاخ العبد عن أفعاله، وتعويض صفاته عند المحو عن صفاته وإبقائه بذاته، وهبته له الوجود عند فناءه، فله تعالى مطلق الحمد، وماهيته أزلاً وأبداً على حسب استحقاقه إياه بذاته باعتبار البداية والنهاية وما بينهما في مقام الجمع على السنة التفاضيل فهو الحامد

(١) رواه مسلم في صحيحه بنحوه في كتاب الصلاة، باب: ما يقال في السجود: ٥٠/٢.

(٢) يعني جمع المذكر السالم وهو: العالمين.

(٣) يعني تغليب ما يعقل على ما لا يعقل.

والمحمود، والعابد والمعبود، مبدأ ومنتهى، ولما تجلى في كلامه لعباده بصفاته شاهده وبِعظمتِه وبهائه وكمال قدرته وجلاله، فخاطبوه قولاً وفعلاً بتخصيص العبادة به^(١) وطلب المعونة منه^(٢) إذ ما رأوا معبوداً غيره، ولا حول ولا قوة لأحد إلا به، فلو حصروا لكانت حركاتهم وسكناتهم كلها عبادة له^(٣)، وبه، فكانوا على صلاتهم دائمين داعين بلسان المحبة لمشاهدتهم جماله من كل وجه على كل وجه ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]؛ أي ثبتنا على الهداية ومكنا بالاستقامة^(٤) في طريق الوحدة التي هي طريق المنعم بالنعمة الكامنة الرحيمية التي هي المعرفة والمحبة والهداية الحقائقية مع النبيين، والشهداء، والصديقين، والأولياء الذين شاهدهو أولاً، وآخرأ، وظاهرأ، وباطناً، فغابوا في شهودهم طلعة وجهه الباقي عن وجود الظل الفاني.

﴿عَبْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] الذين وقفوا مع الظواهر، واحتجبوا بالنعمة الرحمانية والنعيم الجسمي والذوق الحسي عن الحقائق الروحانية والنعيم القلبي والذوق العقلي كاليهود؛ إذ كانت دعوتهم إلى الظواهر، والجنان، والخور، والقصور، فغضب عليهم؛ لأن الغضب يستلزم الطرد أو

-
- (١) قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة] وذلك بتقديم المفعول به.
وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ [الذاريات].
- (٢) قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال لابن عباس رضي الله عنهما: «إذا استعنت فاستعن بالله» الحديث رواه الترمذي في سننه: ٦٦٧/٤، كتاب صفة القيامة، باب ٢٢. وقال: هذا حديث حسن صحيح.
- (٣) لأن حقيقة العبادة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «العبودية»: ٣٨: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة...
- (٤) فالمراد بطلب الهداية في هذه الآية طلب الاستمرار والدوام والثبوت عليها فقد قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا...﴾ [آل عمران: ٨].
وفي الحديث: «يا مُقَلَّبَ (مصرف) القلوب ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ...» رواه الإمام أحمد في مسنده: ١٨٢/٤.

وقد كان الصديق رضي الله عنه يقرأ هذه الآية: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [آل عمران: ٨] في الركعة الثالثة من صلاة المغرب بعد الفاتحة سرأ، فمعنى قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ استمر بنا عليه ولا تعدل بنا إلى غيره.
انظر: تفسير ابن كثير: ٥١/١، وتفسير الألوسي: ٩٣/١.

البعد والوقوف مع الظواهر التي هي الحجب الظلمانية غاية البعد^(١). وغفلوا عن ظاهرة الحق، وضلوا عن سواء السبيل، فحرموا شهود جمال المحبوب في الكل.

فالنصارى إذ كان دعوتهم إلى البواطن وأنوار عالم القدس. ودعوة المحمديين الموحديين إلى الكل، والجمع بين محبة جمال الذات وحسن الصفات كما ورد. ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّتْ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُسًا أُنْفِقُوا اللَّهُ ءِءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ^(٢) مِّن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد: ٢٨]، ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، فأجابوا الدعوات الثابتة كما جاء في حقهم: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٧]، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا

(١) هذا تفسير صوفي باطني لا يستند إلى برهان ولا يدل عليه كتاب ولا سنة. وأنا مع القاشاني - صاحب هذا التفسير - في أن المراد بـ ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود لما رواه الترمذي من حديث عدي بن حاتم عن النبي ﷺ قال: «اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال...» الحديث بطوله. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة الفاتحة: ٤٨/٥. ولكن علة الغضب على اليهود التي ذكرها القاشاني لا أوافقه لعدم وجود ما يؤيده من نقل أو عقل.

قال ابن كثير في تفسيره: ٥٣/١:

إن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به، واليهود فقدوا العمل، ولهذا كان الغضب لليهود، والضلال للنصارى؛ لأن من علم وترك استحق الغضب بخلاف من لم يعلم، والنصارى لما كانوا قاصدين شيئاً لكنهم لا يهتدون إلى طريقه؛ لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه، وهو اتباع الحق، ضلوا.

وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال تعالى عنهم ﴿مَنْ لَّمَنَّهُ اللَّهُ وَعَصَبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠]، وأخص أوصاف النصارى الضلال كما قال تعالى عنهم: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]. (٢) والكفل: هو الحظ الذي فيه الكفاية، ومعنى ﴿كِفْلَيْنِ مِّن رَّحْمَتِهِ﴾؛ أي كفلين من نعمته في الدنيا والآخرة وهما المرغوب إلى الله تعالى فيها بقوله: ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١]. أو أراد النعمة المتوالية المثقلة بكفايته، ويكون تشيته على حد قولهم: لبيك وسعديك.

المفردات للراغب، مادة: (كفل): ٤٣٦.

تُورِنَا ﴿التحریم: ۸﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [فصلت: ۳۰]،
 فأثيبوا بالجميع على ما أخبر الله تعالى: ﴿جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾
 [البينة: ۸]، ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَتُورُهُمْ﴾ [الحديد: ۱۹]، ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَوَجَّهُ اللَّهُ﴾
 [البقرة: ۱۱۵]، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنِهِمْ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ۲۶]. انتهى كلام
 القاشاني^(۱).

ولنا^(۲) رسالة لطيفة في معنى قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا
 مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ۱] نوردها في هذا المقام
 سميتها بـ: «السر الأسرى في معنى «سبحان الذي أسرى»». تفسير قول الله ﷻ:
 ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي
 بَنَيْنَا لَهُ حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ السَّمَاءِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿۱﴾﴾ [الإسراء: ۱].

أتى افتتاح هذه السورة الشريفة وهي قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ﴾ إشارة إلى نفي
 انحصار الحق ﷻ في جهة أو اختصاصه بموضع دون موضع^(۳)؛ لأنه لما كان
 الإسراء عبارة عن الصعود والرقى إلى العالم العلوي، ربما توهم متوهم انحصار
 المطلوب في جهة، وليس الشأن كذلك، بل هو القريب في كل آن، وزمان،
 ومكان. قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: ۵۴]. وإنما كان

(۱) لم أعثر على مرجع كلامه.

(۲) كلام المؤلف.

(۳) هذا القول يشير إلى أن المؤلف نفى جهة العلو لله ﷻ.

وهذا يرده قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه].

ومعلوم أن عرشه تعالى فوق سبع سماوات كما في الحديث الذي رواه البخاري في
 كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء: ۱۷۶/۸.

عن زينب ؓ أنها كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن،
 وزوجني الله من فوق سبع سموات.

قال البرسوي في روح البيان: ۱۰۲/۵: وتصدير الكلام به أي بـ (سبحان) للتنزيه عن
 العجز عما ذكره بعده.. انظر: روح البيان: ۱۰۲/۵.

وذكر البرسوي في تفسيره بنحو ما ذكره المؤلف من نفي الجهة وغيره لله تعالى.

أما اقتران الإسراء بالتسبيح ليعني بذلك ذو العقل وصاحب الوهم ومن يحكم عليه خياله
 من أهل التشبيه والتجسيم مما يخيله في حق الخالق من الجهة والجسد والحد والمكان.
 روح البيان: ۱۰۲/۵.

الإسراء^(١) التعريف بالآيات واتساع معرفته ﷺ في مشاهدة الملكوت^(٢)، ومعنى ﴿سُبْحَانَ﴾؛ أي إنزاه^(٣)، والتسبيح هو: التنزيه والتقدیس^(٤) من سائر النقائق.

واعلم - أيدنا الله وإياك - أن التنزيه للحق - جل شأنه - عن النقائق موهوم نشأ من العوالم والقوالب الجسمانية، لكون الإنسان مشتملاً على عالم الظلمة، والنور، والخير، والشر، والقبض، والبسط، فلتعارض هذه الصفات يحدث في النفوس معان توصف الذات المقدسة بها ليست لائقة بالكمال الرباني ولا حقيقة بالمعنى الصمدي^(٥)، أتى فعجب حينئذٍ تنزيه الذات المقدسة من تلك المعاني الغير لائقة على حد العقل والشرع، وإلا فالذات الكاملة ليس فيها نقص، فثبت أن التنزيه موهوم لا محقق بما تحقق. والتنزيه في هذا المقام لدفع الإيهام كما تقدم.

(١) إذا كان المراد بهذا القول إن من حكم الإسراء ما قاله فنعلم؛ لقوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ أَيْنَأْتَنَّا﴾ كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر، ومشاهدته بيت المقدس، وتمثل الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - له، ووقوفه على مقاماتهم، وما رآه في السماء من العجائب العظيمة واطلاعه ﷺ أحوال الجنة والنار إلى غير ذلك.

انظر: تفسير البيضاوي في هامش حاشية الشهاب: ٧/٦، وتفسير الألوسي: ١٢/١٥. وإلا فالإسراء في اللغة: هو السير في الليل، أو في أول الليل. انظر: فتح القدير: ٢٠/٣.

وفي الاصطلاح: سيره ﷺ ركباً البراق من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. انظر: صحيح مسلم: ٩٩/١، ومسند الإمام أحمد: ١٤٨/٣.

(٢) الملكوت: عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس والعجائب قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ...﴾ [الأعراف: ١٨٥] أو هي بمعنى العز والسلطان يقال: ملكوت الله: سلطانه وعظمته، ولفلان ملكوت العراق؛ أي عزه وسلطانه وملكه.

انظر: اللسان، مادة: (ملك): ٤٩٢/١٠، والمعجم الوسيط: ٨٩٣/٢.

(٣) أي إنزاه الله عن السوء. انظر: تفسير ابن جرير: ٢/١٥.

(٤) والتقدیس: التطهير الإلهي المذكور في قوله تعالى: ﴿وَيَطَهِّرُكُمُ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣]، دون التطهير الذي هو إزالة النجاسة المحسوسة.

وفي التنزيل ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] فمعنى نقديس لك؛ أي نظهر أنفسنا لك، أو نصفك بالتقدیس، وكذلك فعل بمن أطاعك نقده؛ أي نظهره.

انظر: المفردات، مادة: (قدس): ٣٩٦، واللسان، مادة: (قدس): ١٦٨/٦.

(٥) الصمد: هو المقصود لقضاء الحاجات، وهو اسم من أسماء الله الحسنى.

انظر: المعجم الوسيط: ٥٢٥/١.

﴿الَّذِي﴾ اسم موصول واقع على الذات المقدسة.

﴿أَسْرَى﴾ مأخوذ من الإسراء، وهو الذهاب ليلاً^(١).

﴿يَعْبُدُهُ﴾ العبد في أصل اللغة ضد الحر، وهو عند أهل العرفان، وفي مقامات الإيقان: أكمل النعوت، وأجل الصفات^(٢)، والعبد الموصوف بالعبودية قد تجاوز سائر المقامات، وترقى إلى أجل الكمال؛ فإن العبد عندهم الحقيقي: هو الذي ليس له مطلوب سوى مطلوب سيده، ولا مقصد غير مقصده، يحب ما يحبه مولاه، ويكره ما يكرهه، وإن خالف مراده وهواه.

العبودية نعت الكاملين، العبودية نعت الواصلين، العبودية شرف المحبين.
قال الشاعر:

لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائي^(٣)
العبد الكامل يسمى محب الذات؛ لأن غرضه محبه للذات فقط من غير شائبة لسائر المتعلقات.

العبد راضٍ في سائر أحواله بما يقيمه فيه سيّده غير متعرض عليه، ولا منتقد، ملازم للعبودية في كل حال، غير تارك لها في حال من الأحوال كوصف لبعض المبتدئين عن حال بعض شيوخه من العارفين، فرآه في ديوان الأشقياء، ففزع واضطرب من ذلك، فجاء إليه وأخبره، فقال له: يا أخي لي

(١) وفي فتح القدير: ٢٠٦/٣.

والإسراء: هو سير الليل، وقيل: هو سير أول الليل خاصة.

(٢) قال شيخ الإسلام في «العبودية»: ٤٢: وقد نعته ﷺ الله بالعبودية في أكمل أحواله فقال في الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١].

وقال في الإحياء: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠].

وقال في الدعوة: ﴿وَأَنْتَ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًّا﴾ [الجن: ١٩].

وقال في التحدي: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

وفي أضواء البيان: ٢٩٦/٣.

والتعبير بلفظ العبد في هذا المقام العظيم يدل دلالة واضحة على أن مقام العبودية هو أشرف صفات المخلوقين وأعظمها وأجلها؛ إذ لو كان هناك وصف أعظم منه لعبّر به في هذا المقام العظيم الذي اخترق العبد فيه السبع الطباق، ورأى من آيات ربه الكبرى..

(٣) نقلًا عن البحر المحيط: ٥/٦، وروح المعاني: ٤/١٥.

أربعون عاماً أرى ما ترى ولم يتغير مني شعرة، وهل أنا إلا عبد من عباد الله ﷺ يفعل بي ما أراد راضٍ بما أقامني فيه.

وفي كلام بعض العارفين: لو أقمت الجنة والنار، وقيل لي: اختر في أيهما تكون؟ لم أختَر إلا ما يختاره لي^(١). فالله ﷻ شرف نبيه ﷺ بإضافته إليه بالعبودية، وأعزه بهذه الصفة الجليلة والسمة الجميلة.

قوله تعالى: ﴿لَيْلًا﴾ الليل ضد النهار. ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وهو البيت العتيق^(٢) الذي هو أول بيت وضع للناس^(٣)، سمي حراماً؛ لأن الله ﷻ حرمه بالتعظيم والتجليل، والنهي عن قطع أشجاره، وصيد حيواناته. ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ وهو بيت المقدس.

﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ وهي قرى بيت المقدس، والشام. ومباركة الله ﷻ في ذلك بكثرة من بعثه فيها من أنبيائه ﷺ ومن أوجد من أصفياه وأوليائه، وما أخصب فيها من العيش، وما أكثر فيها من النعم^(٤).

(١) عدم اختياره مخالف للأمر وقد اختار رسول الله ﷺ أيسر الأمرين، كما في حديث عائشة الذي رواه البخاري في صحيحه: ١٦٦/٤.

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما خير رسول الله ﷺ بين الأمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه... الحديث.

وكما في حديث الإسراء الذي رواه الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك وفيه: «أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغال، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فأتاني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن فقال جبريل: أصبت الفطرة...» مسند الإمام أحمد: ١٤٨/٣.

(٢) ففي صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ: ١٠٣/١. من حديث مالك بن صعصعة قال: قال نبي الله ﷺ: «بيننا أنا عند البيت بين النائم واليقظان، إذ سمعت قائلاً يقول: أحد الثلاثة بين الرجلين، فأتيت فانطلق بي، فأتيت بطست من ذهب فيها من ماء زمزم...» الحديث بطوله.

(٣) كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

(٤) وفي تفسير أضواء البيان: ٣/٣٦٥. قوله تعالى: ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ أظهر التفسيرات فيه: أن معنى ﴿بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ أكثرنا حوله الخير والبركة بالأشجار والشمار والأنهار، وقد وردت آيات تدل على هذا، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُ لَكُمْ لَبَنًا سَوِيًّا﴾ [الأنبياء: ٨١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَسُلَيْمَنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١].

﴿لَرْبِهِمْ مِنْ مَّيْنِنًا﴾؛ يعني النبي ﷺ؛ أي يريه الله ﷻ من آياته. والآية: هي العلامة والدليل ليزداد بذلك يقيناً وعرفاناً واطمئناناً.
﴿إِنَّهُ﴾؛ أي الله ﷻ.

﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال عباده ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأحوال خلقه.
واعلم - أيّدنا الله وإياك - أن الإسراء الذي هو عبارة عن العروج^(١) على ثلاثة أقسام:

القسم الأول - عروج روحاني

وهو عبارة عن تجرد الروح من الهيكل الجسماني وبلوغها إلى ما بعد من الأرض البعيدة، أو صعودها إلى العالم العلوي، وخرقها الحجب، واتصالها إلى ما شاء الله تعالى من العالم العلوي بحسب قوة استعدادها، فمن الأرواح من لها قوة الصعود إلى سمائين وثلاثة، ومنهم إلى ما لا نهاية في العلو وخرق حجب العوالم العلوية، وتتنعم بالمخاض^(٢) المقدسية وتستمد الفيض من واهب الفيض من العالم العلوي.

وصاحب الإسراء الروحاني يرى جسده حاضراً ولا يشاهد جليسه ولا ترقيه، فقد يكون مع المخاطبة والاشتغال.

وقد روى بعض المشايخ أنه حضر مجلس بعض الأكابر فقال ذلك الكبير:

= فإن المراد بتلك الأرض: (الشام)، والمراد بأنه بارك فيها: أنه أكثر فيها البركة والخير بالخصب والأشجار والثمار والمياه، كما عليه جمهور العلماء. وقال بعض العلماء: المراد بأنه بارك فيها أنه بعث الأنبياء منها وقيل غير ذلك، والعلم عند الله تعالى.

(١) إن المؤلف - رحمه الله تعالى - قال في (الإسراء) تارة إنه: عبارة عن الصعود والرقى إلى العالم العلوي.. إلخ [انظر: ٣٧٢]، وتارة أنه: التعريف بالآيات واتساع معرفته ﷻ في مشاهدة الملكوت.

وتارة أنه: عبارة عن العروج على ثلاثة أقسام: عروج روحاني، وعروج جسماني، عروج سري.

وتارة أنه: الذهاب ليلاً، والذي يوافق المعنى اللغوي أن الإسراء الذهاب ليلاً، أو سير أول الليل خاصة. انظر: تفسير الشوكاني: ٢٠٦/٣.

(٢) المخاض في أصل اللغة الموضع القليل الماء الذي يعبر فيه الناس النهر مشاة وركباً. انظر: المصباح المنير: ١٩٧/١، والمعجم الوسيط: ٢٦١/١.

أيهما أفضل العقل أم الروح. قال ذلك الشخص: فرأيت الشيخ قد صعدت روحه إلى العالم العلوي، فتبعته بروحي فلم يزل يصعد، وأتبعه إلى انتهيت إلى السماء الرابعة، فاشتغلت برؤية من فيها، وصعدت روح الشيخ ثم عدت إلى المجلس والشيخ مستغرق، فلما أفاق أجاب السائل: بأن العقل أفضل من الروح؛ لأن النبي ﷺ لما صعد هو وجبريل إلى العالم العلوي انتهى جبريل إلى حده ووقف، وكان روحاً، وارتفع محمد ﷺ إلى المقامات العلية وكان عقلاً.

واعلم أن مقصود القائل في هذه الحكاية، أنه عقل ليس مقصوده بالعقل الذي هو عبارة: عن الإدراك الموضوع في الدماغ؛ بل المقصود أن الروح الإنسانية إذا تكلمت بالمعارف وخرجت إلى العالم العلوي صار لها قوة تلك المعاني ويسببها يقوى عروجها وصعودها، بخلاف أرواح الملائكة، فإنه ليس لها هذا التعقل، فهذا ارتفع النبي ﷺ وترقى، ووقف جبريل ﷺ عند حده، وما تعطيه روحانيته.

وقد تقدم أن صاحب العروج الروحاني لا يشعر بعروجه جليسه. وبعض أهل العروج الروحاني تفارق روحه جسده ويبقى جسده كالفخار بلا إحساس له ولا حركة، ثم تعود الروح إلى الجسد. وقد نقل ذلك عن الشيخ يحيى السهروردي^(١).

وإذا صار للجسد والنفس مناسبة بالروح الأمري^(٢) صار لها استيلاء على الجسد، وصار الجسد تحت سيطرتها وتديرها، فإذا صعدت روح من هذه صفته، رأى في تعقله أن الصعود حاصل للروح والجسد، وإن كان في ظاهر الرؤية الجسد باق في مركزه، والروح كذلك.

وصاحب غلبة الروح على الجسد، يرى روحه ممتدة من موضعها إلى العالم العلوي، من غير مفارقة للجسد، وإلى ما فوق ذلك من السماوات

(١) هو: يحيى بن حبش بن أميرك أبو الفتوح شهاب الدين السهروردي كان علمه أكثر من عقله، من تصانيفه «التنقيحات» في أصول الفقه، و«مقامات الصوفية» ومعاني مصطلحاتهم، قتل سنة (سبع وثمانين وخمسمائة للهجرة).

انظر: وفيات الأعيان: ٢٦٨/٦، وسير أعلام النبلاء: ٢٩٢/٤.

(٢) اسم فاعل من الأمر.

العلی وأزید علی حسب قوتها، إلى أن تبلغ إلى الكرسي وإلى العرش.
ومن هذا المعنى قول بعض العارفين: عنقي متعلقة بقوائم الكرسي أو قوائم
العرش.

وقد يشاهد صاحب غلبة الروح اتساع روحه بجسده حتى تكون مائة
لوجود علوية وسفلية.

ومن هذا المعنى قول بعض العارفين: طيران مثلي، وحلمي كل الوجود،
وحيزي لا يترك.

ومن غلبة الروحانية على الجسمانية يكون الطيران، والمشى على الماء
والهواء، والدخول في التناير^(١) وهي تضرم^(٢) ناراً، والضرب بالسلاح ولا
يؤثر.

وهذا صفة المعراج الروحي، وهو للأنبياء ﷺ وللأولياء - عليهم الرضوان - .

القسم الثاني - وهو المعراج الجسماني

فقد روي صفة للنبي ﷺ وملخصه^(٣): أنه كان نائماً، فأناه الملك، فأيقظه

(١) التناير: جمع التنور وهو الذي يخبز فيه.

انظر: اللسان، مادة: (تنر): ٩٤/٤.

(٢) تضرم تشتعل.

وفي اللسان، مادة: (ضرم) ٣٥٤/١٢.

(٣) ذكر ابن كثير في تفسيره الأحاديث الواردة في الإسراء، وجمع طرق حديث الإسراء
جمعاً حسناً وأتقن فيه. انظر: تفسير ابن كثير: ٢٣٩/٤ وما بعدها.

وسأذكر هنا ما أخرجه مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض
طويل فوق الحمار ودون البغال، يضع حافره عند منتهى طرفه، قال: فركبته حتى أتيت بيت
المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه
ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل ﷺ بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن فقال
جبريل ﷺ: اخترت الفطرة، ثم عُرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟
قال: جبريل. قيل: ومن معك، قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه، قال: قد بعث إليه،
ففتح لنا، فإذا أنا بآدم فرحّب بي ودعا لي بخير، ثم عُرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح
جبريل ﷺ، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد
بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن
زكريا - صلوات الله عليهما - فرحّبا ودعوا لي بخير، ثم عُرج بي إلى السماء الثالثة فاستفتح
جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث =

وقدم له دابة، وهي البراق روحانية من العالم الأقدس، فصار به حتى وصل إلى بيت المقدس، وصلى النبي ﷺ، وجمعت له الأنبياء، والروحانيون فصلّى بهم، ثم وضع له ﷺ من بيت المقدس معراج وهو السُّلم من نور، فصعد هو وجبريل من [بيت المقدس] ^(١) إلى السماء، فاجتمع بأرواح الأنبياء في طبقات

= إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف ﷺ إذ هو أعطي شطر الحسن فرحّب ودعا لي بخير، ثم عُرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحّب ودعا لي بخير. قال الله ﷻ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم]، ثم عُرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ فقال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بهارون ﷺ فرحّب ودعا لي بخير. ثم عُرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بموسى ﷺ فرحّب ودعا لي بخير. ثم عُرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كأذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال (القلال بكسر القاف جمع قُلة بضمها، وهي جرة عظيمة تسع قربتين أو أكثر. قاله النووي في شرح مسلم). قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إلي ما أوحى، ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلتُ إلى موسى ﷺ فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف؛ فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربي، فقلت: يا رب خفف على أمتي، فحط عني خمسا، فرجعت إلى موسى، فقلت: حط عني خمسا. قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، قال: ولم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى ﷺ حتى قال: يا محمد إنهن خمسُ صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة، ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة.

قال: فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى ﷺ، فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال: رسول الله ﷺ فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه.

صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات: ٩٩/١ - ١٠١، وقد أخرج البخاري حديث الإسراء في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]: ٢٠٣/٨.

(١) ساقط من (هـ) و(ح)، والسياق يقتضي إثباته.

السموات، إلى أن وصل إلى سدرة المنتهى، فوقف جبريل، وتقدم ﷺ ذاهباً إلى الحضرة العلية والمقامات الصمدية إلى أن انتهى إلى قاب قوسين؛ أي مقدار قوسين أو أقرب من ذلك^(١)، فشافهه بالخطاب، وأوحى إليه بالمكالمة، وشرف بالإسراء، وأيد بالأنوار، وأرى الجنة والنار، وفرضت عليه الصلوات، وكانت خمسين، فعاد بها، فصادف موسى ﷺ في هبوطه، فقال له: إن أمتك لا تطيق، فعد واسأل التخفيف من الله ﷻ، فلم يزل يعود ويخفف عنه، ويعود إلى موسى، فيأمره بالتخفيف حتى انتهت إلى خمس صلوات، فعاد النبي ﷺ وأخبر الناس بعروجه إلى السماء العلى، فأمن بذلك من أشرقت عليه أنوار السعادة الأزلية، وكذبه من غلبت عليه الشقاوة البهيمية، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَرْثِيَاءَ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِ إِلَّا لِيُقَاتِلَ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا يَفْتَنُوا الْبَنِينَ﴾ [الإسراء: ٦٠]^(٢) وأمر النبي ﷺ كفار قريش أن يصف لهم البيت المقدس امتحاناً، فشرع يصف لهم فعمي عليه شيء منه، فمثل له بيتاً نظر إليه ويخبرهم عنه، ولم يبلغنا صعود أحد بجسمه إلا ما ثبت في الصحيح من صعود رسول الله ﷺ، ورفع إدريس^(٣) وعيسى^(٤)، وقد

(١) لعل المؤلف يريد بهذا الكلام استشهاداً بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَدَكَ ۖ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾. كما نص بذلك عند تفسير هاتين الآيتين كما سيأتي. قلت: إن الذي دنا ليس الحق ﷺ وإنما هو جبريل ﷺ، فإن الحديث الذي يذكر فيه أن الذي دنا هو الرب - جل وعلا - فيه اضطراب. انظر: تفسير ابن كثير: ٤٤٦/٦، وتفسير الشوكاني: ١٠٦/٥. وانظر بيانه ومناقشته في صفحة: ٣٨٥.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: ٣٢٣/٤ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَرْثِيَاءَ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِ إِلَّا لِيُقَاتِلَ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا يَفْتَنُوا الْبَنِينَ﴾ [الإسراء: ٦٠].

قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس^(١): ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَرْثِيَاءَ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِ إِلَّا لِيُقَاتِلَ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا يَفْتَنُوا الْبَنِينَ﴾ قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به. صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَرْثِيَاءَ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِ إِلَّا لِيُقَاتِلَ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا يَفْتَنُوا الْبَنِينَ﴾: ٢٢٧/٥.

(٣) كما ذكره الله في كتابه الكريم: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۗ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم].

(٤) كما ذكر في القرآن الكريم: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۗ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء].

نقل أن إلياس^(١) أيضاً رفع بجسده لكن له الهبوط والنزول؛ أي وقت أراد وشاء بإذن الله ﷻ.

وأما القسم الثالث - وهو المعراج السري

فهو عبارة عن التدرج في المقامات والترقي في الصفات والمعاملات، فيترقى السالك من مقام إلى مقام، ومن طُور^(٢) إلى طُور، فيعرج بسره إلى حضرة المعارف الربانية، والحقائق الصمدانية، وينتقل من الصفات الحيوانية إلى الصفات الملكية، ويتخلق بالأخلاق الربانية، فيعرج من عالم الناسوت^(٣) إلى حضائر الجبروت، ثم إلى مشاهد اللاهوت^(٤). وكذلك ينتقل من المجاهدات والسلوك إلى الفناء^(٥). وفيه شهود حضرة الأفعال، ثم يرتقي منه إلى شهود حضرة الأسماء والصفات، ومنه إلى مشاهدة اللذات، فهذا هو العروج السري، وهو أجل المعارج، وأرقاها وأعلاها^(٥).

الكلام في معنى قول الله ﷻ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ

(١) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية: ٣٣٧/١، ٣٣٨: عن وهب بن منبه وغيره أنه - أي إلياس - لما دعا ربه ﷻ أن يقبضه إليه لما كذبه وآذوه، فجاءته دابة لونها لون النار، فركبها وجعل الله له ريشاً وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وصار ملكياً بشرياً سماوياً أرضياً، وأوصى إلى اليسع بن أخطوب.

ثم قال ابن كثير تعليقاً على هذه الرواية: ففي هذا نظر، وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب، بل الظاهر أن صحتها بعيدة - والله أعلم - .
(٢) الطور: الحال.

(٣) الناسوت: الإنسان، واللاهوت: الله.

وفي معجم الوسيط: ٨٤٧/٢: اللاهوت: الله، كما يقال: الناس للإنسان، وعلم اللاهوت: علم يبحث عن العقائد المتعلقة بالله. واللاهوتي: العالم بالعقائد المتعلقة بالله.

(٤) فالفناء عند بعض الصوفية: هو فناء رؤية العبد فعله بقيام الله على ذلك من قوله: أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فيرون الفعل لله من خلف حجب الأكوان التي هي محل ظهور الأفعال فيها، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَبِعِ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢]؛ أي ستره واسع، والأكوان كلها ستره وهو الفاعل من خلف هذا الستر وهم لا يشعرون. قاله ابن عربي في الفتوحات المكية: ٥١٣/٢، ومعلوم أن هذا القول لا يدل عليه كتاب ولا سنة.

(٥) كيف يقول المؤلف - رحمه الله تعالى - إن العروج السري كما عرفه، وهو أجل المعارج وأرقاها وأعلاها، مع أنه قال في العروج الروحاني - وهو كما عرفه أنه للأنبياء منهم الرسول ﷺ وهل هناك من المخلوقين من هو أشرف منه ﷻ.

الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ ﴿[الإسراء: ١]﴾ على طريق أهل الإشارة والعارفين بما فتح الله به من
وراء الغيب.

﴿سُبْحَانَ﴾ (١) الَّذِي... ﴿أتى بالتسبيح في افتتاح هذه السورة إشارة إلى
التعجب والتعظيم مما وهبه الله ﷻ لعبده ونبيه من الإسراء، وبما فتح عليه من
المعارف والأنوار؛ فإن كلمة ﴿سُبْحَانَ﴾ يُؤْتَى بها على وجه التعظيم للشيء
والتفخيم لشأنه.

﴿أَسْرَى يَعْبُدُهُ﴾؛ أي جذبته إلى حضرته، واختصه بمحبته، وأفاض عليه
أسرار معارفه، ونشر عليه عوارفه ولطائفه.

والجذبة عبارة عن الأخذة وهي جذبة القلب بواسطة الروح، وإدخالهما في
حضرة الملكوت، ووجههما في حضرة اللاهوت، وهذه الجذبة شأنها عظيم،
ومآلها فخيم. وقد قال في تعريفها النبي ﷺ: جذبة من جذبات الحق توازي
عمل الثقلين، صاحب الجذبة تطور له المقامات، صاحب الجذبة تقرب له
المسافات، صاحب الجذبة ذرة منه توازي أعمال كثير من الخلائق، صاحب
الجذبة يقول في سائر الطرائق: نقابس الحقائق، صاحب الجذبة محبوب،
صاحب الجذبة مطلوب، صاحب الجذبة مشافه للعوالم العلوية، محادث
للأرواح العلية، غارق في بحار الأحدية، مطموس في معاني الصمدية.

والعبد هو المتصف بأعلى المكملات النازع في سائر المقامات.

﴿يَلَا﴾؛ أي ليل عالم الستر وظلمة الخفاء؛ فإن الليل خفاء، وكنتم،
وستر. والجذبة من أسرار الله لا يطلع عليه إلا الله، أو من أطلعه الحق ﷻ،
جذب سر عبده سرأ، وقربه إلى حضرته.

﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١]؛ أي حضرة قلبه؛ فإنه محرم بربه؛ فإن

(١) سبحان: اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه؛ أي تنزيه الله وإبعاده عن النقائص
وعن كل عجز عن هذا الأمر الخارق وهو الإسراء، هذا رد على القائل أنه بمعنى
التعجب، ولكن هذا التنزيه لا ينافي التعجب كما توهم، فالمعنى ما أبعد الذي له هذه
القدرة عن جميع النقائص، فلا يكون اصطفاؤه لعبده الخصوص به إلا حكمة وصواباً،
والتعجب هنا تبع بخلافه في قوله: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].

انظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢/٦.

القلب بيت الحق الحقيقي، ومسكنه الحقيقي يسع الحق - جل شأنه، وما تسعه أرض، ولا سماء، ولا عرش، ولا كرسي، محرم عن وجود ما سواه فيه، أو حضور ما عداه به.

﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] مجمع الأرواح، وحقيقة الحقائق، وأصل الفيض، وممتد الإيجاد؛ وإنما سمي «أقصى» لكونه أبعد الموجودات، وأعلاها، وأرقاها.

﴿لِزِيَّتِهِ مِنْ عَائِنَاتِنَا﴾ [الإسراء: ١] إذا فني في الروح الكلي رأى ﴿سَرِّيهِمْ عَائِنَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] فإذا دخل عالم السر وحن، ورفض عالم الناسوت، شهد الأشياء على ما كانت عليه قبل أن تكون، منفرداً ليس معه شيء، وكان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما كان.

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾؛ أي محمد^(١) لما فني فناء صار هو السميع البصير، «لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها...»^(٢) إلى آخر الحديث.

(١) إن هذا القول في غاية الخطورة، كما حمله بعض متأخري الصوفية على ما يذكرونه من مقام الفناء والمحو، وأنه الغاية التي لا شيء وراءها... وحمله بعض أهل الزيغ على ما يدعونه من أن العبد إذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفى من الكدورات أنه يصير في معنى الحق، تعالى الله عن ذلك، وأنه يغني عن نفسه جملة حتى يشهد أن الله هو الذاهر لنفسه الموحد لنفسه المحب لنفسه، وأن هذه الأسباب والرسوم تصير عدماً صرفاً في شهوده وإن لم تعدم في الخارج. قاله ابن حجر في فتح الباري كتاب الرقاق، باب: التواضع: ٣٤٤/١١. فالصحيح عود الضمير إلى اسم الموصول ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبِيدِهِ﴾: يعني الله تعالى فليطابق قوله تعالى: ﴿بِعَبِيدِهِ﴾ ويرشح ذلك الاختصاص بما يوقع هذا الالتفات أحسن مواقعه، وينطبق عليه التعليل أتم انطباق، إذ المعنى قرّبه وخصه بهذه الكرامة؛ لأنه سبحانه مطلع على أحواله عالم باستحقاقه لهذا المقام. قاله الآلوسي في تفسيره: ١٣/١٥ بتصرف يسير، والحديث صحيح ولكن الاستدلال ليس كما قال المؤلف - رحمه الله تعالى.

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق، باب التواضع: ١٩٠/٧.

وذكر ابن حجر في فتح الباري أقوالاً لجواب الاستشكال كيف يكون الباري جلّ وعلا سمع العبد وبصره... إلخ، ثم ذكر: اتفاق العلماء ممن يعتد بقوله أن هذا مجاز وكناية =

مناسبة لما سبق في تفسير قول الله ﷻ بما فتح الله به من وراء القلب:
﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ [النجم: ١، ٢] أقسم الحق -
جل شأنه - بالنجم، وقد اختلفوا في مثل هذه المقسمات بها^(١):

فقال بعضهم: المقسم به محذوف، تقديره: ورب النجم، ورب الليل،
ورب الشمس، وأمثالها. وقال بعضهم: المقسم به هو عين هذه الأشياء؛
وإنما كانت عظيمة لكونها مظهراً من مظاهره، وأثراً من آثاره، وقد حقق العلم
ماهيته، وخصصت الإرادة ذاتها، وأبرزت القدرة وجودها، فكيف لا تكون
عظيمة، وهي أثر لعظيم. قال الشاعر:

إذا رأيت الله في فاعلا رأيت جميع الكائنات شهودا

حمد بعض العارفين شيئاً مما يستقدم، هل حمدته على وجه التواضع؟
فقال: لا ليس هو حقيراً حتى أقص بذلك التواضع، وكيف يكون حقيراً وقد
أوجده الله ﷻ وأبرزه.

فالإقسام بالمظاهر له وجه ظاهر. والنجم هو كواكب السماء النيرة
المشرقة^(٢).

﴿أَفَتَسْمُرُونَ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [النجم: ١٢]؛ أي مال للهوي^(٣).

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ [النجم: ٢]؛ أي ما عدل عن طريق

= عن نصرة العبد وتأييده وإعانتة، حتى كأنه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الآلات التي
يستعين بها، ولهذا وقع في رواية: «فبي يسمع وبي يبصر وبي يمشي». والاتحادية زعموا
أنه على حقيقته وأن الحق عين العبد، واحتجوا بمجئ جبريل في صورة دحية - أي دحية بن
خليفة الكلبي وكان من أجمل الناس وأحسنهم صورة -، قالوا: فهو روحاني خلع صورته
وظهر بمظهر البشر، قالوا: فالله أقدر على أن يظهر في صورة الوجود الكلبي أو بعضه،
تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

فتح الباري، كتاب الرقاق، باب التواضع: ٣٤٤/١١. وانظر: اللسان، مادة: (دحا):

٢٥٢/١٤.

(١) تقدمت أقوال العلماء في ذلك في النوع التاسع والعشرين علم أقسام القرآن.

(٢) والمراد بالنجم الثريا، وهو اسم غلب فيها تقول العرب: النجم وتريد به الثريا، وبه

قال مجاهد وغيره واختاره الشوكاني. تفسير الشوكاني: ١٠٤/٥.

(٣) قال الشوكاني في تفسيره: ١٠٤/٥. ومعنى هويه: سقوطه من علو، يقال: هوى

النجم يهوى هويماً: إذا سقط من علو إلى سفلى.

الصواب^(١).

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٣]؛ أي ما يقول عن نفسه ولا يتكلم عن حدسه^(٢).

وتميل إليه على وجه حظها وشهوتها لا على وجه إيثار الحق.

﴿إِنَّ هُوَ﴾ [النجم: ٤]؛ أي ما يقوله وما يخبر به.

﴿إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤] والوحي^(٣) هو: الإعلام خفاء، وهو أي الوحي عبارة عن التجلي الإلهي على قلب خواصته بواسطة الملك، وبغير واستطه، فيسمعون الخطاب ويشاهدون المعاني المقدس.

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥] هو الله - جل شأنه^(٤).

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم: ٦]؛ أي أصاب ما يريد وما يختاره^(٥).

﴿فَأَسْتَوَىٰ﴾ [النجم: ٦]؛ أي الحق - جل شأنه^(٦).

(١) الضال: هو الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم، والغاوي هو العالم بالحق العادل منه قصداً إلى غيره. قاله ابن كثير في تفسيره: ٤٤٢/٦.

(٢) الحدس: الظن المؤكد. المصباح المنير: ١٣٦/١.

(٣) قال الراغب في مفرداته، مادة: (وحي): ٥١٥.

أصل الوحي الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمر وحي.. ويقال: للكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه وحي.. وذلك إما رسول مشاهد، وإما بسماع كلام من غير معانيته، وإما بإلقاء في الروح، وإما بإلهام، وإما بتسخير...

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَشْرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

(٤) الذي يناسب السياق أن المراد بقوله: ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ هو جبريل عليه السلام، قال ابن كثير في تفسيره: ٤٤٣/٦: يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله محمد عليه السلام أنه علمه الذي جاء به إلى الناس ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ وهو جبريل - عليه الصلاة والسلام -، كما قال تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ عليه السلام مَطَّاعٌ تَمَّ آمِينَ.

(٥) قال الشوكاني في تفسيره: ١٠٥/٥ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَأَسْتَوَىٰ﴾:

المرّة: القوة والشدة في الخلق، وقيل: ذو صحة جسم وسلامة من الآفات، وقيل: ذو حصافة عقل ومثانة رأي قال قطرب: العرب تقول لكل من هو جزل الرأي حصيف العقل: ذو مرّة، والتفسير للمرّة بهذا - أي القول الأخير - أولى؛ لأن القوة قد أفادها قوله: ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾. قال الجوهر في الصحاح: ٨١٤/٢، مادة: (مر): المرة إحدى الطبائع الأربع، والمرّة: القوة وشدة العقل.

(٦) وهو قول الحسن، قال الحسن: ﴿فَأَسْتَوَىٰ﴾ يعني الله عليه السلام على العرش. نقلاً عن =

﴿وَهُوَ﴾ [النجم: ٧]؛ أي محمد ﷺ^(١).

﴿بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾ (٧) ثُمَّ دَنَا ﴿[النجم: ٧] محمد. ﴿فَلَدَنَّ﴾ [النجم: ٨] الحق^(٢)

له بالتجلي اللاهوتي، والمظهر الجبروتي، فكان قربه من حضرة ربه مقدر بقاب قوسين أو أدنى.

= فتح القدير: ١٠٥/٥. وهذا الذي قاله الحسن والمؤلف لا يناسب السياق فإن الكلام في جبريل ﷺ؛ لأنه كان يتمثل لرسول الله ﷺ إذا هبط عليه بالوحي في صورة رجل، وأحب رسول الله ﷺ أن يراه على حقيقته، فاستوى في أفق المشرق فملاً الأفق في صورته.

انظر: زاد المسير: ٦٥/٩.

وقد قال الحسن أيضاً هو وقتادة ومجاهد والربيع بن أنس في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَوَى﴾:

يعني جبريل ﷺ. انظر: تفسير ابن كثير: ٤٤٣/٦.

(١) وفي زاد المسير: ٦٤/٩: قوله تعالى: ﴿فَاسْتَوَى﴾ (١) وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾ فيه قولان:

أحدهما: فاستوى جبريل، وهو - يعني النبي ﷺ - والمعنى أنهما استويا بالأفق الأعلى لما أسري برسول الله ﷺ. قاله الفراء.

وثانيهما: فاستوى جبريل وهو - يعني جبريل - بالأفق الأعلى على صورته الحقيقية. والقول الثاني هو المناسب للسياق والسباق، فإن رؤية رسول الله ﷺ لجبريل هذه في أوائل البعثة ولم تكن ليلة الإسراء. قال ابن كثير في تفسيره: ٤٤٤/٦: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾ (٧): إن هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الإسراء بل قبلها، ورسول الله ﷺ في الأرض، فهبط عليه جبريل ﷺ وتدلّى إليه، فاقترب منه، وهو على الصورة التي خلقه الله تعالى عليها، له ستمائة جناح، ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدره المنتهى؛ يعني ليلة الإسراء، وكانت هذه الرؤية الأولى في أوائل البعثة، بعدما جاء جبريل ﷺ أول مرة، فأوحى الله إليه صدر سورة اقرأ، ثم فتر الوحي فترة ذهب النبي ﷺ فيها مراراً ليرتدي من رؤوس الجبال، فكلما همّ بذلك ناده جبريل من الهواء: يا محمد أنت رسول الله حقاً وأنا جبريل، فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه، وكلما طال عليه الأمر عاد لمثلها حتى تبدى له جبريل ورسول الله ﷺ بالأبطح في صورته التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح قد سد عظم الأفق فاقترب منه وأوحى إليه عن الله ﷻ ما أمره به، فعرف عند ذلك عظمة الملك الذي جاء بالرسالة، وجلالة قدره، وعلو مكانته، عند خالقه الذي بعثه إليه.

(٢) روى البخاري في صحيحه من حديث شريك بن أبي نمر عن أنس بن مالك وفيه قال:

دنا الجبار رب العزة فتدلّى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى. . صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]: ٢٣/٨. وذكر مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ: ٩٩/١ - ١٠١ قطعة منه، ثم قال في حديث شريك: فقدم وآخر وزاد ونقص، وقد جاء في حديث شريك في هذا الحديث أو هام أنكرها عليه الحفاظ وغلطوه فيها. قال ابن كثير في تفسيره: ٢٤٠/٦، ٢٤٦: وهو =

﴿فَأَوْحَى﴾^(١)؛ أي الله ﷻ .

﴿إِلَى عَبْدِهِ﴾ [النجم: ١٠] محمد ﷺ .

﴿مَا أَوْحَى﴾ [النجم: ١٠]؛ أي الذي أوحى .

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ﴾ [النجم: ١١]؛ أي فؤاد محمد ﷺ .

﴿مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١]؛ أي الذي رآه .

﴿أَفْتَمَرُوهُ﴾ [النجم: ١٢]؛ أي تحاجونه .

﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم: ١٢]؛ أي الذي يراه ويتحقق به ويكشف الله ﷻ عنه .

﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ [النجم: ١٣]؛ أي رأى ربه ﷻ بعين بصيرته المحيطة ببصره

وبذات وجوده^(٢) .

= كما قال مسلم، فإن شريك بن عبد الله بن أبي نمر اضطرب في هذا الحديث وساء حفظه ولم يضبطه، والذي رواه مسلم أصح من سياق شريك، وجاء في حديث شريك: «ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى» ولهذا قد تكلم كثير من الناس في متن هذه الرواية وذكروا أشياء فيها من الغرابة... الذي دنا فتدلى وصار بينه وبين محمد ﷺ إنما هو جبريل ﷺ وهو قول عائشة، وابن مسعود، وأبي ذر وأبي هريرة. انظر: تفسير ابن كثير: ٤٤٦/٦، وتفسير الشوكاني: ١٠٦/٥ .

(١) إذا كان المراد ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ محمد ما أوحى بواسطة جبريل فالمعنى صحيح. فقد روى البخاري عن طلق بن غنم عن زائدة عن الشيباني قال: سألت زرا عن قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ ﴿١﴾ ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ . قال: حدثنا عبد الله أن محمداً ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح. صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾: ٥١/٦ . فعلى هذا الحديث أن الذي أوحى هو جبريل ﷺ إلى محمد ﷺ ما أوحى، أو الذي أوحى الله إلى عبده محمد ﷺ بواسطة جبريل . قال ابن كثير في تفسيره: «فكلا المعنيين صحيح» .

انظر: تفسير ابن كثير: ٤٤٧/٦، وتفسير الشوكاني: ١٠٦/٥ .

(٢) قال ابن عباس: رأى محمد ربه، وبيان هذا أنه تردد لأجل الصلوات مراراً، فرأى ربه في بعض تلك المرات مرة أخرى. والذي عليه أكثر المحققين أن هذه الرؤية لجبريل ﷺ وهذه المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها، وكانت ليلة الإسراء. وبه قال ابن مسعود وغيره. انظر: تفسير ابن كثير: ٤٤٩/٦، وزاد المسير: ٦٩/٨ .

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أتى أراه» وفي رواية: «رأيت نوراً». صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: في قوله ﷺ: «نور أتى أراه»: ١١١/١ . روى الإمام أحمد عن ابن مسعود ﷺ في هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ =

﴿تَزَلَّةٌ أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣]؛ أي مرة^(١) أخرى، والأولى هي التي تقدمت عند قوله: ﴿فَأَسْتَوَى﴾^(٢).

﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: ١٤]^(٣)، وهي حضرة الأرواح ومنتهى العوالم وهي مبدأ الموجودات، وهي الحقيقة المحمدية والروح الكلي.

﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [النجم: ١٥]؛ أي جنة مأوى العارفين، ونعيم الواصلين^(٤).

﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ [النجم: ١٧]^(٥) من الأرواح وتعلقها بها من كل جانب ورجوعها إليه من كل موضع.

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ [النجم: ١٧] بصر محمد ﷺ فيما رآه من غشيان هذه الأرواح لهذه الحقيقة وكثرتها ولمعان أنوارها واستمدادها من ماهيتها.

= تَزَلَّةٌ أُخْرَى ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينثر من ريشه التهاويل من الدر والياقوت» مسند الإمام أحمد: ٤٦٠/١. قال ابن كثير في تفسيره: ٤٥٠/٦: وهذا إسناد جيد قوي.

(١) «كسرة».

(٢) والمرارة الأولى عند قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَوَى﴾ هي رؤيته ﷺ لجبريل وكانت في أوائل البعثة. وليس كما ذكره المؤلف - رحمه الله تعالى -.

(٣) والسدرة: شجرة النبق عن يمين العرش فوق السماء السابعة على المشهور.

كما في الصحيح، انظر: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب وكلم الله موسى...: ٢٠٣/٨، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء: ٩٩/١.

المنتهى اسم مكان، وجاز أن يكون مصدراً ميمياً، والمراد به الانتهاء نفسه، وسميت سدرة المنتهى؛ لأنه إليها منتهى ما يصعد به من الأرض، فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها، وإليها ينتهي علم جميع الملائكة. انظر: زاد المسير: ٦٩/٨، وفتح القدير: ١٠٧/٥، وروح المعاني: ٥٠/٢٧.

(٤) قال الألوسي في تفسيره: ٥٠/٢٧: ﴿جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ التي يأوي إليها المتقون يوم القيامة، كما روي عن الحسن، واستدل به على أن الجنة في السماء، وهو الأظهر.

(٥) والغشيان: بمعنى التغطية والستر. انظر: فتح القدير: ١٠٧/٥. ففي صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: الإسراء: ٩٩/١. في حديث الإسراء وفيه: قال ﷺ: «لما غشيها من أمر الله ما غشيها، تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها».

﴿وَمَا طَفَنَ﴾ [النجم: ١٧]^(١)؛ أي لم يتجاوز رؤية هذه العجائب عن شهود
التجلي الإلهي فيها، والمعنى الصمداني لديها.
﴿لَقَدْ رَأَى﴾ [النجم: ١٨]؛ أي أبصر وشاهد؛ أي عجائب من عروجه إلى
العالم الأعلى، وشهوده السماوات، وقطعه عوالم الكون ودخوله إلى حضرة
الروح الكلي، وانغماسه في اللاهوت الأكبر، فهذه ﴿مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾
[النجم: ١٨]؛ أي العظمى والعليا^(٢). وصلى الله على سيدنا محمد ولي
المؤمنين، وعلى آله وأصحابه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

(١) قال الألوسي في تفسيره: ٥١/٢٧: قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾؛ أي ما مال بصر
رسول الله ﷺ عما رآه. ﴿وَمَا طَفَنَ﴾ وما تجاوزه بل أثبتة إثباتاً صحيحاً مستيقناً، وهذا تحقيق
للأمر ونفي للريب عنه، أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها وما جاوزها إلى ما
لم يؤمر برؤيته. وانظر: تفسير الشوكاني: ١٠٧/٥.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: ٤٥٢/٦: وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾
كقوله تعالى: ﴿لِئَلَّيْمُ مِنْ ءَايَاتِنَا﴾؛ أي الدالة على قدرتنا وعظمتنا. قال: وبهاتين الآيتين
استدل من ذهب من أهل السنة إلى أن الرؤية - أي رؤية الله - تلك الليلة لم تقع، لأنه
قال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (W) ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك، ولقال ذلك
الناس". انتهى.

النوع الثاني والأربعون بعد المائة

علم معرفة تفسيره وتأويله
وبيان شرفه والحاجة إليه



النوع الثاني والأربعون بعد المائة

علم معرفة تفسيره وتأويله

وبيان شرفه والحاجة إليه^(١)

قال الراغب: الفسر: إظهار المعنى المعقول. ومنه قيل: لما ينبئ عنه البول تفسرة، وسمي بها قارورة الماء. والتفسير في المبالغة كالفسر^(٢).

وقيل^(٣): التفسير تفعيل من الفسر وهو البيان والكشف^(٤)، ويقال: هذا مقلوب السفر. تقول: أسفر الصبح إذا أضاء^(٥).

وقيل: هو مأخوذ من التفسرة، وهي اسم لما يعرف به الطبيب المرض^(٦).
والتأويل: أصله من الأول، وهو الرجوع، فكأنه صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني.

وقيل: من الإيالة وهي السياسة، كأن المؤول للكلام ساس الكلام، ووضع المعنى فيه موضعه^(٧).

واختلف في التفسير والتأويل، فقال أبو عبيد^(٨).....

(١) هذا النوع منقول من الإتيقان: ١٦٧/٤ - ١٧٣ بعنوان: النوع السابع والسبعين في معرفة تفسيره وتأويله وبيان شرفه والحاجة إليه.

(٢) المفردات للراغب: ٣٨٠، مادة: (فسر).

(٣) من هنا بداية النقل من الإتيقان: ١٦٧/٤.

(٤) قاله الخليل بن أحمد في كتاب «العين»، باب السين والراء والفاء معهما: ٢٤٧/٧.

(٥) انظر: البرهان: ١٤٧/٢.

(٦) قاله الخليل بن أحمد في كتاب «العين»، باب: السين والراء والفاء معهما: ٧/

٢٤٨.

(٧) البرهان: ١٤٩/٢.

قال الآلوسي في تفسيره: ٤/١: والقول بأنه من الإيالة وهي السياسة، كان المؤول للكلام ساس الكلام ووضع المعنى فيه موضعه، ليس بشيء.

(٨) هو: القاسم بن سلام أبو عبيد التركي البغدادي، صاحب «فضائل القرآن» و«غريب =

وجماعة^(١): هما بمعنى واحد^(٢)، وقد أنكر ذلك قوم، حتى بالغ ابن حبيب النيسابوري^(٣)، فقال: قد نبغ في زماننا مفسرون، لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهدتوا إليه^(٤).

وقال الراغب: التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمال، [وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير]^(٥) يستعمل فيها وفي غيرها^(٦).

وقال غيره: التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهاً واحداً، والتأويل: توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة.

وقال الماتريدي^(٧): التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا؛ فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي وهو المنهني عنه، والتأويل: ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله^(٨).

وقال أبو طالب التغلبي: التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً،

= القرآن وغيرهما، توفي سنة (اثنين وعشرين ومائتين هجرية).

انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٣٢/٢، ووفيات الأعيان: ٢٢٥/٣.

(١) في الإتيان: ١٦٧/٤: «طائفة».

(٢) «واحد» ساقط من الإتيان: ١٦٧/٤.

وانظر: روح المعاني: ٤/١.

(٣) هو: محمد بن حبيب أبو القاسم النيسابوري مؤرخ، نسابة، مشارك في بعض العلوم، من تصانيفه تاريخ بغداد، والتنبيه على فضل علوم القرآن، توفي سنة (خمس وأربعين ومائتين للهجرة).

انظر: هدية العارفين: ١٣/٢.

(٤) نقلاً عن البرهان: ١٥٢/٢.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ١٦٧/٤.

(٦) لم أعثر عليه في المفردات، وهذا منقول من البرهان: ١٤٩/٢، وانظر: روح

المعاني: ٤/١، والإتيان: ١٦٧/٤.

(٧) هو: محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي من أئمة علماء الكلام، صاحب التصانيف منها: تأويلات أهل السنة، توفي سنة (ثلاث وثلاثين وثلاثمائة).

انظر: الفوائد البهية: ١٩٥.

(٨) انظر: روح المعاني: ٤/١.

كتفسير «الصَّراط» بالطريق، «والصَّيب» بالمطر. والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأول وهو الرجوع لعاقبة الأمر. فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد؛ لأن اللفظ يكشف عن المراد، والكاشف دليل. مثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤] تفسيره أنه من الرصد. يقال: رصدته رقبته، والمرصاد مفعال منه، وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله، والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض عليه، وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة.

وقال الأصهباني^(١) في «تفسيره»: اعلم أن التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن، وبيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره، بحسب المعنى الظاهر وغيره. والتأويل أكثره في الجمل.

والتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ نحو: البحيرة، والسائبة، والوصيلة^(٢). أو في وجيز يتبين بشرح نحو: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣، ٨٣، ١١٠، والنساء: ٧٧، والحج: ٧٨، والنور: ٥٦، والمجادلة: ١٣، والمزمل: ٢٠]، وإما في كلام متضمن لقصة لا يمكن تصويره إلا بمعرفتها، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩].

وأما التأويل: فإنه يستعمل مرّة عاماً ومرّة خاصاً، نحو الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق، وتارة في جحود البارئ ﷻ خاصة، والإيمان

(١) هو إسماعيل بن محمد بن الفضل أبو القاسم الأصهباني، صاحب التفسير الكبير، والإيضاح في التفسير، وغيرهما، توفي سنة (٥٣٥ هجرية).

انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/١١٢، وتذكرة الحفاظ: ٤/١٢٧٧.

(٢) والبحيرة مأخوذة من البحر، وهو شق الأذن، هي التي يجعل درها للطواغيت، فلا يحتلبها أحد من الناس، وجعل شق أذنها علامة لذلك.

انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٦٦٤، وفتح القدير: ٢/٨٢.

السائبة: هي الناقة تسيب، أو البعير يسيب نذر على الرجل إن سلّمه الله من مرض أو بلغه منزلة، فلا يحبس عن رعي ولا ماء، ولا يركبه أحد.

الوصيلة: الناقة البكر ت بكر في أول نتاج الإبل، بل تشني بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداها بالأخرى ليس بينهما ذكر.

المصدر السابق.

المستعمل في التصديق المطلق تارة، وفي تصديق الحق أخرى، وإما في لفظ مشترك بين معان مختلفة، نحو لفظ «وجد» المستعمل في: الجدة، والوجد^(١)، والوجد^(٢).

وقال غيره: التفسير يتعلق بالرواية، والتأويل يتعلق بالدراية^(٣).

وقال أبو نصر القشيري: التفسير مقصور على الاتباع والسماع، والاستنباط فيما يتعلق بالتأويل^(٤).

وقال قوم: ما وقع مبيناً في كتاب الله ومعيناً في صحيح السنة سمي تفسيراً؛ لأن معناه قد ظهر ووضح، وليس لأحد أن يتعرض إليه باجتهاد ولا^(٥) غيره، بل يحمله على المعنى الذي ورد ولا يتعداه. والتأويل: ما استنبطه العلماء العاملون لمعاني الخطاب الماهرون في آيات^(٦) العلوم.

وقال قوم منهم البغوي^(٧) والكواشي: التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وبعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الإسناد^(٨).

وقال بعضهم^(٩): التفسير في الاصطلاح علم نزول الآيات وشؤونها،

(١) وفي اللسان، مادة: (وجد): ٤٤٥/٣ وما بعدها: وجدت في المال ووجداً ووجداً ووجداً ووجداناً ووجدة؛ أي: صرت ذا مال. ووجد عليه في الغضب يجد ويجد ووجداً ووجدة: غضب. والوجد والوجد والوجد: اليسار والسعة.

(٢) راجع البرهان: ١٥٠/٢.

(٣) انظر: روح المعاني: ٥/١.

(٤) انظر: البرهان: ١٥٠/٢.

(٥) في (هـ): «إلى».

(٦) في (هـ) و(ح): «آيات»، وما أثبتته من الإتيان.

(٧) هو الحسين بن مسعود بن محمد أبو محمد البغوي، محيي السنة، صاحب «معالم التنزيل» و«شرح السنة»، و«المصابيح» وغيرها، توفي سنة (٥١٦ هجرية).

انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١٥٩/١، وطبقات الحفاظ: ٤٥٧.

(٨) وفي معالم التنزيل مع تفسير ابن كثير: ١٨/١.

فأما التأويل وهو صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط.

(٩) قاله الزركشي في البرهان: ١٤٨/٢، وقد نقله السيوطي في الإتيان: ١٦٩/٤.

وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيتها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها، وأمثالها.

وقال أبو حيان: التفسير: علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمت لذلك.

فقال: فقولنا: علم هو جنس، [يشمل سائر العلوم]^(١). وقولنا: يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هذا هو علم القراءة.

وقولنا: ومدلولاتها؛ أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم. وقولنا: وأحكامها الإفرادية والتركيبية: هذا يشمل علم التصريف والإعراب والبيان والبديع^(٢).

وقولنا: ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب: يشمل ما دللته بالحقيقة وما دللته بالمجاز.

فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئاً، ويصدّ عن الحمل عليه صادّ فيحمل على غيره وهو المجاز.

وقولنا: وتتمت لذلك هو يشمل معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضيح بعض ما أبهم في القرآن، ونحو ذلك^(٣).

وقال الزركشي: علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، وامتداد ذلك، من علم اللغة، والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة النزول، والناسخ والمنسوخ^(٤).

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ)، وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان.

(٢) في مقدمة تفسير أبي حيان علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع.

(٣) مقدمة تفسير أبي حيان: ١٣/١، ١٤.

(٤) وفي البرهان: ١٤٨/٢.

هو علم نزول الآيات وسورتها وأقاصيصها، والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيتها =

أقول^(١): والصحيح المعتبر: أن معنى التفسير كما قال الماتريدي في المعنى السابق، وكذلك القشيري وما نقل عن بعضهم أيضاً^(٢).

فالتفسير هو ما ورد عن النبي ﷺ، وأتضح معنى الآية فيه وبان، فيجزم بذلك مثل قول الله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] فقد فسر المنعم عليهم في الآية الأخرى بقوله تعالى: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين﴾ [النساء: ٦٩]، فصار معنى الذين أنعمت عليهم هم النبيون، والصدّيقون، والشهداء، والصالحون، فهو تفسير للآية^(٣).

وكذلك قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]؛ فإنه قد صحّ عن رسول الله ﷺ أنهم اليهود^(٤)، ﴿الضَّالِّينَ﴾ هم النصارى.

فالتفسير هو وضوح معنى الآية وظهورها وعدم احتمالها لشيء آخر. وأما التأويل: فهو بيان للآية بأوجه أو بوجه غير مناف للقواعد والأصول من غير أن يجزم بذلك المعنى ولا يقطع به، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥] فقد قيل: إن الرضى عبارة عن

= ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها.

(١) القائل هو المؤلف.

(٢) قلت: قد عرفنا الأقوال في الفرق بين التفسير والتأويل، والذي تميل إليه النفس ما اختاره المؤلف، وما اختاره الدكتور الذهبي في التفسير والمفسرون: ٢٢/١. هو: التفسير ما كان راجعاً إلى الرواية، والتأويل ما كان راجعاً إلى الدراية؛ وذلك لأن التفسير معناه الكشف والبيان، والكشف عن مراد الله تعالى لا نجزم به إلا إذا ورد عن رسول الله ﷺ أو عن بعض أصحابه.

وأما التأويل: فملحوظ فيه ترجيح أحد احتمالات اللفظ بالدليل، والترجيح يعتمد على الاجتهاد، ويتصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب، واستعمالها بحسب السياق ومعرفة الأساليب العربية، واستنباط المعاني من كل ذلك.

(٣) قال ابن كثير في تفسيره: ٢٨/١: والذين أنعم الله عليهم هم المذكورون في سورة (النساء) حيث قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء].

(٤) قال رسول الله ﷺ: «فإن اليهود مغضوب عليهم، وإن النصارى ضلال» رواه الترمذي في سننه، وحسنه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الفاتحة: ٢٠٤/٥.

والثاني: الجزم بالمعنى وأنه هو المراد.

فقد ورد عن رسول الله ﷺ «من قال في القرآن برأيه، أو بما لم يعلم فليتبوأ مقعده من النار» رواه أبو داود والترمذي وحسنه^(٢).

وقيل: عبارة عن الوسيلة. وقيل: أن لا يرضى أن أحداً من أمته يعذب^(٣)، فهذه معان من التأويل لا يجزم بواحد منها.

والممنوع من التفسير قسمان: المخالف للقواعد والأصول.

فإذا قال القائل: هذا المعنى الذي أراده الله فقد أساء، أو فسر بما لا يوافق الأصول والقواعد. فكذلك أيضاً حرام ممنوع.

وقال أبو حيان: ومع ذلك فاعلم أنه لا يرتقي من علم التفسير ذروته ولا يتمطى منه سهوته، إلا من كان متبحراً في علم اللسان، مترقياً منه إلى رتبة الإحسان، قد جبل طبعه على إنشاء النثر والنظم دون اكتساب، وإبداء ما اخترعته فكرته السليمة في أبداع صورة وأجمل جلباب، واستفرغ في ذلك زمانه النفيس، وهجر الأهل والولد والأنيس، ذلك الذي له في رياضه أصفى مرتع، وفي حياضه أصفى مكرع، ويتنسم عرف أزاهر طال ما حجبته الكمام، ويترشق كأس رحيق له مسك ختام، ويستوضح أنوار^(٤) بدور سترتها كثائف الغمام، ويستفتح أبواب مواهب الملك العلام، يدرك إعجاز القرآن بالوجدان

(١) قاله الحسن البصري. انظر: تفسير ابن كثير: ٤/٥٢٣.

(٢) رواه أبو داود بنحوه، كتاب العلم، باب الكلام في كتاب الله بغير علم: ٣/٣٢٠. روى الترمذي في سننه بنحوه وحسنه، كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه: ٥/١٩٩.

(٣) قاله ابن عباس. انظر: فتح القدير: ٥/٤٥٩. قال الشوكاني تعليقا على هذا القول: ويدل على هذا ما أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان. باب دعاء النبي ﷺ لأُمَّته وبكائه شفقة عليهم: ١/١٣١.

عن ابن عمر أن النبي ﷺ تلا قول الله في إبراهيم: ﴿فَمَنْ يَعْبُدُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦] وقول عيسى: ﴿إِنْ قَدَّيْتُمْ فَأَبَدُكُمْ﴾ [المائدة: ١١٨]. فرفع يديه وقال: «أمتي أمتي وبكى، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسؤوك».

(٤) في (هـ): «لأنوار»، وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ١/٧.

لا بالتقليد، ويفتح له ما استغلق إذ بيده الإقليد^(١). وأما من اقتصر على غير هذا من العلوم، أو قصر في إنشاء المنثور والمنظوم، فإنه بمعزل عن فهم غواميض الكتاب، وعن إدراك لطائف^(٢) ما تضمنه من العجب العجاب، وحظه من علم التفسير إنما هو نقل أسطار، وتكرار محفوظ على مر أعصار، ولتباين أهل الإسلام في إدراك فصاحة الكلام، وما به تكون الزجاجاة في النظام، اختلفوا فيما به إعجاز القرآن، فمن توغل في أساليب الفصاحة وأفانينها، وتقول في معارف^(٣) الآداب وقوانينها، أدرك بالوجدان أن القرآن أتى في غاية من الفصاحة لا يوصل إليها، ونهاية من البلاغة لا يمكن أن يحام عليها، فمعارضته عنده غير ممكنة للبشر، ولا داخله تحت القدر، ومن لم يدرك هذا المدرك، ولا سلك هذا المسلك، رأى [أنه]^(٤) من نمط كلام العرب، وأن مثله مقدور لمنشئ الخطب^(٥). فإعجازه عنده إنما هو بصرف الله تعالى إياهم عن معارضته ومناظرته، وإن كانوا قادرين على مماثلته^(٦). والقائلون بأن الإعجاز وقع بالصرف هو من نقصان الفطرة الإنسانية، في رتبة بعض النساء حين رأت زوجها^(٧) يظاً جارية فعاتبته، فأخبر أنه ما وطأها،

-
- (١) وفي اللسان، مادة: (قلد): ٣/٣٦٦: الإقليد: المفتاح وهو المقلد، وفي حديث ابن أبي الحقيق: قمت إلى الأقاليد فأخذتها. هي جمع إقليد، وهي المفاتيح.
(٢) ساقط من (هـ) و(ج)، وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٧/١.
(٣) في (هـ) و(ج): «معرفة»، وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٧/١.
(٤) ساقط من (هـ) و(ج)، وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٧/١.
(٥) في (هـ) و(ج): «الخطيب»، والصواب ما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٧/١.
(٦) وهو رأي إبراهيم النظام المعتزلي وأتباعه.
(٧) هو: عبد الله بن رواحة أبو محمد، الصحابي الجليل الشاعر المشهور الأنصاري، أحد النقباء شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها إلا الفتح، ومن أشعاره مدح النبي ﷺ:
لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهيته تنبيك بالخبر
أما قصته مع زوجته عندما وقع على أمته مشهورة؛ وذلك أنه مشى ليلة إلى أمة له، فنالها، وفطنت له امرأته فلامته فجحدها، وكانت قد رأت جماعه لها، فقالت له: إن كنت صادقاً فاقراً القرآن، فالجنب لا يقرأ القرآن فقال:

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مشوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء حق وفوق العرش رب العالمينا
وتحملة ملائكة غلاظ وملائكة الإله مسمومينا =

فقالت له: إن كنت صادقاً فاقراً شيئاً من القرآن، فأنشدها بيت شعر، قاله ذكر الله فيه ورسوله وكتابه فصدقته، فلم ترزق من الرزق ما تفرق به بين كلام الخلق وكلام الحق.

وحكى لنا أستاذنا العلامة أبو جعفر^(١) - رحمه الله تعالى عن بعض من كان له معرفة بالعلوم القديمة، ومعرفة كثير من العلوم الإسلامية، أنه كان يقول: يا أبا جعفر لا أدرك فرقاً بين القرآن وبين غيره من الكلام، فهذا الرجل وأمثاله من علماء المسلمين يكون من الطائفة الذين يقولون بأن الإعجاز وقع بالصرفة^(٢).

وكان بعض شيوخنا ممن له تحقق بالمعقول، وتصرف في كثير من المنقول، إذا أراد أن يكتب^(٣) فقرأ فصيحة، أتى لبعض تلامذته^(٤) وكلفه أن ينشئها له.

وكان بعض شيوخنا ممن له التبحر في علم لغة العرب إذا أسقط من بيت الشعر كلمة أو ربع البيت، وكان المعنى^(٥) يتم بدون ما أسقط لا يدرك ما أسقط من ذلك، وأين هذا في الإدراك من آخر، إذا حركت له مسكناً أو سكنت له محرراً أدرك ذلك بالطبع، وقال: إن هذا البيت مكسور ويدرك ذلك في أشعار العرب الفصحاء، إذا كان فيه زحاف^(٦) ما، وإن كان جائزاً كثيراً في كلام العرب، لكن يجد مثل هذا طبعه ينبو عنه، ويقلق لسماعه. هذا، وإن

= فقالت امرأته: صدق الله وكذبت عيني، وكانت لا تحفظ القرآن ولا تقرأه، توفي ﷺ يوم مؤتة شهيداً.

انظر: الاستيعاب في حاشية الإصابة: ٢/٢٩٣، والإصابة: ٢/٣٠٦.

(١) هو: أحمد بن إبراهيم بن الزبير أبو جعفر الأندلسي. مضت ترجمته.

(٢) في (هـ) بالصراف، وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٨/١.

وقد سبق ذكر معنى «الصرافة».

(٣) في (هـ): «أن يثبت»، وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٨/١.

(٤) في (هـ): تلاميذه، وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٨/١.

(٥) في مقدمة تفسير أبي حيان: ٨/١: «المعين».

(٦) وفي اللسان، مادة: (زحف): ٩/١٣١. والزحاف في الشعر هو ما سقط ما بين الحرفين حرف فزحف أحدهما الآخر، وسمي بذلك لثقله تخص به الأسباب دون الأوتاد إلا القطع فإنه يكون في أوتاد الأعاريض والضروب.

كان لا يفهم معنى البيت لكونه حوشي^(١) اللغات أو منظوياً على حوشي فهذه كلها من مواهب الله تعالى، لا تؤخذ باكتساب لكن الاكتساب يقويها، وليس العرب متساوين في الفصاحة، ولا في إدراك المعاني، ولا في نظم الشعر بل فيهم من يكسر الوزن، ومن لا ينظم ولا بيتاً واحداً، ومن هو [مقل]^(٢) من النظم، وطباعهم كطباع سائر الأمم في ذلك حتى فحول شعرائهم يتفاوتون في الفصاحة، وينقح الشاعر منهم القصيدة حولاً، حتى تسمى [قصائده]^(٣) الحوليات، فهم مختلفون في ذلك.

ولذلك كان بعض الكفار حين سمع القرآن أدرك إعجازه للوقت، فوقف وأسلم، وآخر أدرك إعجازه فكفر ولج في عناده بغياً^(٤) أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، فنسبه تارة إلى الشعر، وتارة إلى الكهانة والسحر، وآخر لم يدرك إعجازه كتلك المرأة العربية التي قدمنا ذكرها^(٥).

وكحال أكثر الناس، فإنهم لا يدركون إعجاز القرآن من جهة الفصاحة، فمن أدرك إعجازه فوقف وأسلم بأول سماع. سمعه أبو ذر - رضي الله تعالى عنه - قرأ عليه رسول الله ﷺ من أوائل فصلت، فأسلم للوقت، وخبره في إسلامه مشهور^(٦).

ومن أدرك إعجازه وكفر عناداً عتبه، وكان من عقلاء الكفار، حتى كان يتوهم أمية بن أبي الصلت أنه هو يعني عتبه يكون النبي المبعوث^(٧) في قريش، فلما بعث محمد^(٨) ﷺ حسده عتبه وأضرابه مع علمهم بصدقه وأن ما جاء به معجز^(٩)، وكذلك الوليد بن المغيرة.

(١) الحوشي: من الكلام: الغريب الوحشي. المعجم الوسيط: ٢٠٦/٦.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ)، مثبت في مقدمة تفسير أبي حيان: ٨/١.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ)، مثبت من مقدمة تفسير أبي حيان: ٨/١.

(٤) ساقط من (هـ)، وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٨/١.

(٥) قصة عبد الله بن رواحة مع زوجته.

(٦) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي ذر:

٢٧/١٦.

(٧) في مقدمة تفسير أبي حيان: ٨/١: «المنبعث».

(٨) في مقدمة تفسير أبي حيان: ٨/١: «فلما بعث الله محمداً ﷺ».

(٩) في (هـ): «معجزة».

وروي أنه قال لبني مخزوم: والله لقد سمعت من محمد أنفاً كلاماً، ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى. ومع هذا الاعتراف، غلب عليه الحسد والأشر، حتى قال ما حكى الله تعالى عنه: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَىٰ ۖ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر: ٢٤، ٢٥].

وممن لم يدرك إعجازه أو أدرك وعاند وعارض مسيلمة الكذاب^(١)، أتى بكلمات زعم أنها أوحيت إليه انتهت في الفهاهة^(٢) والعي والغثاثة، بحيث صارت هزأة للسامع^(٣).

وكذلك أبو الطيب المتنبي^(٤)، وقد ذكر القاضي أبو بكر محمد بن الخطيب الباقلائي في كتاب الانتصار في إعجاز القرآن شيئاً من كلام أبي الطيب مما هو كفر^(٥).

وقد ذكر لنا قاضي القضاة أبو الفتح محمد بن علي بن وهب القشيري، أن أبا الطيب ادّعى النبوة وتبعه ناس من عبس وكلب، وأنه اختلق شيئاً ادّعى أنه أوحى إليه سوراً سماها العبر، وإن شعره لا يناسبها لجودة أكثره ورداءتها كلها - أو كلاماً هذا معناه.

(١) سبق ذكره ترجمته، ونماذج من الكلمات التي زعم أنها أوحيت إليه.

(٢) الفهاهة: أي الغفلة.

(٣) مثاله نقلاً عن بيان إعجاز القرآن للخطابي: ٧٤، وإعجاز القرآن للباقلاني: ١٢٨:

الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل له مشفر طويل وذنب أثيل وما ذاك من خلق ربنا

بقليل.

(٤) هو: أحمد بن الحسين أبو الطيب المتنبي الشاعر الحكيم، وتنبأ فتبعه كثيرون،

فأسره أمير حمص وسجنه حتى تاب ورجع عن دعواه، توفي سنة (أربع وخمسين

وثلاثمائة).

انظر: تاريخ بغداد: ١٠٢/٤، ووفيات الأعيان: ٣٦/١.

(٥) قال الباقلائي: وقد حكى عن المتنبي أنه كان ينظر في المصحف، فدخل إليه بعض

أصحابه، فأنكر نظره فيه، لما كان رآه عليه من سوء اعتقاده، فقال له: هذا المكي على

فصاحته كان مقحماً.

قال الباقلائي: فإن صحت هذه الحكاية عنه في إلحاده عرف بها، أنه كان يعتقد أن

الفصاحة في قول الشعر أمكن وأبلغ.

إعجاز القرآن للباقلاني: ١٥٥.

وإنما أثبتنا بهذه الجملة من الكلام ليعلم أن أذهان الناس مختلفة في الإدراك على ما شاء الله تعالى، وأعطى كل واحد^(١) ما شاء، ولنبين بأن علم التفسير ليس متوقفاً على علم النحو فقط كما يظنه بعض الناس، بل أكثر أئمة العربية، هم بمعزل عن التصرف في الفصاحة والتفنن في البلاغة.

ولذلك قلّت تصانيفهم في علم التفسير، وقل أن ترى نحويّاً بارعاً من النظم والنثر، كما قل أن ترى بارعاً في الفصاحة يتوغل في علم النحو.

وقد رأينا من ينسب للإمامة في علم النحو، وهو لا يحسن أن ينطق بأبيات من أشعار العرب، فضلاً عن أن يعرف مدلولها، أو يتكلم على ما انطوت عليه من علم البلاغة والبيان، فأني لمثل هذا أن يتعاطى علم التفسير^(٢). انتهى.

وأما^(٣) وجه الحاجة إليه، فقال بعضهم: اعلم أن من العلوم أن الله تعالى إنما خاطب خلقه بما يفهمونه، ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه، وأنزل كتابه على لغتهم، وإنما احتيج إلى التفسير لما سيذكر بعد تقرير قاعدة، وهي أن كل من وضع من البشر كتاباً؛ فإنما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح، وإنما احتيج إلى الشرح لأمر ثلاثة:

أحدها: كمال فضيلة المصنف، فإنه لقوته العلمية يجمع المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز، فربما عسر فهم مراده، فقصده [حينئذ]^(٤) بالشرح ظهر تلك المعاني الخفية، ومن هنا كان شرح بعض الأئمة تصنيفه أدل على المراد من شرح غيره له.

والثاني: إغفاله بعض تتمات المسألة أو شروط لها، اعتماداً على وضوحها، أو لأنها من علم آخر فيحتاج الشارح لبيان المحذوف ومراتبه.

والثالث: احتمال اللفظ لمعان^(٥) كما في المجاز والاشتراك ودلالة

(١) في مقدمة تفسير أبي حيان: ٨/١: «كل أحد».

(٢) انتهى كلام أبي حيان في مقدمة تفسيره: ٧/١، ٨.

(٣) من هنا يرجع المؤلف إلى النقل من الإتيان: ١٧٠/٤.

(٤) ساقط من الإتيان: ١٧٠/٤.

(٥) في (هـ) و(ج): «للمعاني».

المجاز: استعمال اللفظ في غير ما وضع له أولاً، لعلاقة بينهما، كاستعمال كلمة «أسد» للرجل الشجاع.

الالتزام^(١)، فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه، وقد يقع في التصانيف ما لا يخلو عنه للتنبه على ذلك.

إذا تقرّر هذا، فنقول: إن القرآن إنما نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه، أما دقائق باطنه، فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر، [مع سؤالهم النَّبِيَّ ﷺ في الأكثر]^(٢)، [كسؤالهم لما نزل قوله تعالى]^(٣): ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

فقالوا: وآئنا يا رسول الله لم يلبس إيمانه بظلم، لقد هلكنا يا رسول الله أو كما قالوا، فأجابهم النبي ﷺ أن الأمر ليس كما فهمتم، بل المقصود من هذه الآية الشرك؛ لقول الله تعالى في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]^(٤).

وكسؤال عائشة عن الحساب العسير، فقال: «ذلك العرض»^(٥).

وكقصّة عدي بن حاتم في الخيط الأبيض والأسود^(٦)، وغير ذلك؛ مما

= والاشترار: استعمال اللفظ في معنيين في أصل الوضع، مثل كلمة «قرء» موضوعة للحيض وللطهر.

(١) وأما دلالة الالتزام: فهي أن يدل اللفظ على معنى خارج عنه، لازم له عقلاً أو عرفاً، كدلالة جواز الجماع حتى آخر جزء من الليل ليلة الصيام على جواز طلوع الفجر على الصائم وهو جنب.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ) و(ج)، وما أثبتته من الإتيان: ١٧٠/٤.

(٣) في (هـ) و(ج): «كسؤالهم عن قوله تعالى»، وما أثبتته من الإتيان: ١٧٠/٤.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه: ٨٠/١.

(٥) عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «ليس أحد يحاسب إلا هلك» قلت: يا رسول الله أليس الله يقول: ﴿حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨] فقال: «ذاك العرض ولكن من نوقش الحساب هلك». رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنة...، باب إثبات الحساب: ١٦٤/٨.

(٦) ففي صحيح البخاري كتاب الصوم، باب قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ...﴾ [البقرة: ١٨٧]: ٢٣١/٢، من حديث عدي بن حاتم قال: لما نزلت ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فقال: «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار».

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب بيان أن دخول الصوم يحصل بدخول الفجر.

سألوا عن آحاد منه، ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير علم، فنحن أشد الناس احتياجاً إلى التفسير، ومعلوم أن التفسير^(١) بعضه يكون من قبيل بسط الألفاظ الوجيهة، وكشف معانيها، وبعضه من ترجيح بعض الاحتمالات على بعض. انتهى.

وقال الحَوَّيِّيُّ^(٢): علم التفسير عسير يسير، أما عسره فظاهر من وجوه:

أظهرها: أنه كلام متكلم لم يصل الناس إلى مراده بالسمع منه، ولا إمكان الوصول إليه، بخلاف الأمثال والأشعار ونحوها، فإن الإنسان يمكن علمه منه، إذا تكلم بأن يسمع منه أو من سمع منه. وأما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يعلم إلا بأن يسمع من الرسول ﷺ، وذلك متعذر إلا في آيات قلائل^(٣). فالعلم بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل، والحكمة فيه، أن الله - جل شأنه - أراد أن يتفكر عباده في كتابه، فلم يأمر نبيه بالتنصيص على المراد في جميع آياته.

وأما شرفه: فلا يخفى، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق أبي طلحة عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ قال: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه^(٤).

(١) في الإتيان: ١٧١/٤: «أن تفسيره».

(٢) هو أحمد بن خليل بن سعادة شمس الدين الحَوَّيِّيُّ - بضم الخاء وفتح الواو وتشديد الياء - الشافعي صاحب الإمام فخر الدين الرازي، كان فقيهاً مناظراً وأستاذاً في الطب والحكمة، توفي سنة (٦٣٨).

انظر: شذرات الذهب: ١٨٣/٥.

(٣) كما دل على ذلك حديث عائشة أنها قالت: ما كان رسول الله ﷺ يفسر شيئاً من القرآن إلا آياً بعدد، علمه إياهن جبريل. رواه البزار. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: وفيه راو لم يتحرر اسمه، وبقيّة رجاله رجال الصحيح.

انظر: مجمع الزوائد للهيثمي: ٣٠٣/٦، وتفسير القرطبي: ٣١/١.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٧١/١.

وأخرج ابن مردويه^(١) من طريق جويبر^(٢) عن الضحاك عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - مرفوعاً: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ قال: «القرآن»، قال ابن عباس: يعني: تفسيره، فإنه قد قرأ البر والفاجر^(٣). وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء^(٤) - رضي الله تعالى عنه -: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ قال: «قراءة القرآن والفكرة فيه»^(٥).

وأخرج ابن جرير^(٦) مثله عن مجاهد وقتادة.

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وأخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرة^(٧) قال: ما مررت بآية في كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنتني، لأنني سمعت الله يقول: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٨).

وأخرج أبو عبيد عن الحسن قال: ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم فيما نزلت وما أراد بها.

(١) هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مردويه الأصبهاني الإمام الحافظ، توفي (بعد السبعين وأربعمائة).

انظر: تذكرة الحفاظ: ٤/١٢١٢، وطبقات الحفاظ: ٤٤٦.

(٢) هو: جويبر يقال: اسمه جابر بن سعيد الأزدي أبو القاسم البلخي، قال عنه ابن حجر في التقريب: راوي التفسير، ضعيف جداً، توفي (بعد الأربعين ومائة).

انظر: تهذيب التهذيب: ٢/١٢٣، والتقريب: ١/١٣٦.

(٣) تفسير ابن كثير: ١/٥٧١.

(٤) هو: عويمر بن زيد أبو الدرداء الأنصاري الخزرجي، حكيم هذه الأمة صحابي جليل، شهد أحداً، توفي سنة (اثنين وثلاثين هجرية).

انظر: الإصابة: ٣/٤٥، وتذكرة الحفاظ: ١/٢٤.

(٥) أورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء: ١/٣٤٨.

(٦) في تفسيره: ٣/٦٠.

(٧) هو: عمرو بن مرة بن عبد الله أبو عبد الله الكوفي المرادي قال ابن حجر: ثقة عابد كان لا يدلس، مات سنة (١١٨ للهجرة).

انظر: تقريب التهذيب: ٢/٧٨، طبقات الحفاظ: ٤٦.

(٨) ذكره ابن كثير في تفسيره بلفظه: ٥/٣٢٥، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرة. وانظر: الدر المنثور: ٥/٤٤٥.

وأخرج أبو ذر الهروي في فضائل القرآن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: الذي يقرأ القرآن ولا يحسن تفسيره كالأعرابي يهذ شعراً هذاً^(١).

وأخرج البيهقي وغيره من حديث أبي هريرة^(٢) - رضي الله تعالى عنه - [مرفوعاً]^(٣) قال: لأن أعرب آية في القرآن أحب إليّ من أن أحفظ آية ليس عن الرسول.

وأخرج أيضاً عن عبد الله بن بريدة^(٤) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: لو أني أعلم إذا سافرت أربعين ليلة أعربت آية من كتاب الله لفعلت. وأخرج أيضاً من طريق الشعبي قال: قال عمر - رضي الله تعالى عنه -: من قرأ القرآن فأعرب كان له عند الله أجر شهيد^(٥).

قال الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى -: قلت: معنى هذه الآثار عندي إرادة البيان والتفسير؛ لأن إطلاق الإعراب على الحكم النحوي اصطلاح حادث، ولأنه كان في سليقتهم لا يحتاجون إلى تعلمه، ثم رأيت ابن النقيب^(٦) جنح إلى ما ذكرته. وقال: ويجوز أن يكون المراد الإعراب الصناعي، وفيه عد، وقد يستدل له بما أخرجه السلفي في الطيوريات من حديث ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - مرفوعاً: «اعربوا القرآن يدلکم على تأويله».

(١) في مقدمتان في علوم القرآن (مقدمة ابن عطية): ٢٦١.

الذي يقرأ القرآن ولا يفسر كالأعرابي الذي يهذ بالشعر.

الهدذ؛ سرعة القراءة، وفي اللسان: وفي حديث ابن عباس، قال له رجل: قرأت المفصل، فقال: أهذا كهذا الشعر! أراد: أتهذ القرآن هذاً، تسرع به كما تسرع في قراءة الشعر!

(٢) هو: أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني صحابي جليل، قال الشافعي: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في الدنيا، توفي سنة (ثمان وخمسين هجرية).

انظر: طبقات ابن سعد: ٣٢٥/٤، تذكرة الحفاظ: ٣٢/١.

(٣) ساقط من (ه) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ١٧٢/٤.

(٤) هو عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي أبو سهل المروزي قاضياً ثقة مات سنة (خمسة ومائة). انظر: تقريب التهذيب: ٤٠٣/١.

(٥) جمع الجوامع للسيوطي: ٨١٨/١.

(٦) هو: محمد بن سليمان بن الحسن أبو عبد الله المقدسي الحنفي المعروف بابن النقيب، توفي سنة (٦٩٨ هجرية).

انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١٤٤/٢، وشذرات الذهب: ٤٤٢/٥.

أقول: الإعراب بمعنى البيان هو الأفصح والأصح في معنى الآثار السابقة، أو يكون معنى الإعراب أعم من البيان. والإعراب الاصطلاحي فيكون المعنى: النطق بالقرآن على السليقة العربية، وفهمه بالمعنى العربي. انتهى.

وقد أجمع العلماء أن التفسير من فروض الكفايات وأجل العلوم الثلاثة الشرعية^(١).

قال الأصبهاني: أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن، بيان ذلك: أن أشرف الصناعة، إما بشرف موضوعها مثل الصياغة؛ فإنها أشرف من الدباغة؛ لأن موضوع الصياغة الذهب والفضة وهما أشرف من موضوع الدباغة الذي هو جلد الميتة. وإما بشرف عرضها مثل صناعة الطب؛ فإنها أشرف من صناعة الكناسة؛ لأن غرض الطب إفادة الصحة، وغرض الكناسة تنظيف المستراح.

وإما بشدة الحاجة إليها كالفقه؛ فإن الحاجة إليه أشد من الحاجة إلى الطب؛ إذ ما من واقعة في الكون في أحد من الخلق إلا وهي مفتقرة إلى الفقه؛ [لأن به]^(٢) انتظام صلاح أحوال الدنيا والدين، بخلاف الطب فإنه يحتاج إليه بعض الناس في بعض الأوقات.

إذا عرف ذلك فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث.

أما من جهة الموضوع؛ فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة، [فيه نبأ ما بعدكم، وخبر ما قبلكم، وحكم ما بينكم، لا يَخْلَقُ على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه]^(٣).

وأما من جهة الغرض منه؛ فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفتنى.

(١) هي علوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلم الفقه؛ لأن باقي العلوم آلات لها.

حاشية الإيتقان: ١١٩٥/٢ بتحقيق د. مصطفى البغا.

(٢) في (هـ) و(ح): «لأنه»، وما أثبتته من الإيتقان: ١٧٣/٤.

(٣) ما بين القوسين الأصح أنه من كلام الإمام علي بن أبي طالب.

انظر: سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن: ١٧٢/٥، قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال.

وأما من جهة شدة الحاجة؛ فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي
مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم
بكتاب الله (١)(٢).

(١) قال الألوسي في تفسيره: ٥/١: وأما بيان الحاجة إليه فلأن فهم القرآن العظيم
المشتمل على الأحكام الشرعية التي هي مدار السعادة الأبدية وهو العروة الوثقى والصراط
المستقيم - أمر عسير - لا يهتدى إليه إلا بتوفيق من اللطيف الخبير، حتى إن الصحابة على
علو كعبهم في الفصاحة واستنارة بواطنهم مما أشرق عليها من مشكاة النبوة كانوا كثيراً ما
يرجعون إليه ﷺ بالسؤال عن أشياء لم تصل أفهامهم إليها.. ولا شك أنا محتاجون إلى ما
كانوا محتاجين وزيادة.

(٢) انتهى النقل من الإتيان: ١٧٣/٤.

النوع الثالث والأربعون بعد المائة

علم معرفة شروط المفسر وآدابه



النوع الثالث والأربعون بعد المائة

علم معرفة شروط المفسر وآدابه^(١)

قال العلماء: من أراد تفسير الكتاب العزيز، طلبه أولاً من القرآن، فما أُجِمل منه في مكان، فقد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اختُصِرَ في مكان فقد بُسُطَ في موضع آخر [منه]^(٢).

وقد ألف ابن الجوزي كتاباً^(٣) فيما أجمل في القرآن في موضع وفسر في موضع آخر [منه]^(٤)، وأشارت إلى أمثلة منه في نوع المجمل^(٥).
فإن أعياء ذلك طلبه من السنة؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له.

وقد قال الشافعي - رحمه الله تعالى - : كل ما حكم به رسول الله ﷺ، فهو مما فهمه من القرآن^(٦) قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْكِتَابِ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْتَكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥] في آيات أخرى.

وقال ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»^(٧)؛ يعني السنة.
فإن لم يجد في السنة رجوع إلى قول^(٨) الصحابة؛ فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، ولما اقتصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح.

(١) هذا النوع منقول عن الإتيان: ١٧٤/٤ - ٢٠١، بعنوان: النوع الثامن والسبعون «في معرفة شروط المفسر وآدابه».

(٢) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ١٧٤/٤.

(٣) هو: تيسير البيان في تفسير القرآن.

(٤) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ١٧٤/٤.

(٥) انظر: الإتيان النوع السادس والأربعين «في مجمله ومبينه» فصل: قد يقع التبيين: ٥٣/٣.

(٦) نقله ابن كثير في تفسيره: ٧/١، والسيوطي في معترك الأقران: ١٥/١.

(٧) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب السنة، باب في لزوم السنة: ١٠/٥.

(٨) في الإتيان: ١٧٤/٤: «أقوال».

وقد قال الحاكم في «المستدرک»: إن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع^(١).

وقال الإمام أبو طالب الطبري في أوائل تفسيره: [القول في أدوات المفسر]^(٢): اعلم أن من [شرطه صحة الاعتقاد أولاً، ولزوم سنة الدين]^(٣)، فإن كان مغموصاً^(٤) عليه في دينه لا يؤتمن على الدنيا، فكيف على الدين! ثم لا يؤتمن من الدين على [الأخبار عن عالم، فكيف يؤتمن في]^(٥) الأخبار عن أسرار الله تعالى، [ولأنه]^(٦) لا يؤمن إن كان متهماً بالإلحاد أن يبغي الفتنة، ويغوي الناس بليه^(٧) وخداعه، كدأب الباطنية^(٨)، وغلاة الرافضة^(٩)، وإن كان متهماً بهوى لم يؤمن أن يحمله هواه على ما يوافق بدعته، كدأب القدرية^(١٠)،

(١) لم أقف على ما في المستدرک، ولكن الزركشي قال في البرهان: ١٥٧/٢: فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي ﷺ كما قاله الحاكم في تفسيره.

(٢) في (هـ) و(ح): «القول في آداب المفسر»، وما أثبتته من الإتيان: ١٧٤/٤.

(٣) في (هـ) و(ح): «شرط صحة الاعتقاد أو لزوم سنة الدين»، وما أثبتته من الإتيان:

١٧٤/٤، وهو الصواب.

(٤) أي مطعوناً عليه في دينه ومتهماً بالنفاق ونحوه. وفي اللسان: ٦١/٧، مادة:

(غمص): ورجل غمص على النسب: عياب. ورجل مغموص عليه في حسبه، أو في دينه ومغموز؛ أي مطعون عليه.

(٥) ما بين القوسين ساقط من: (ح).

(٦) في (هـ): «وأنه»، وما أثبتته من (ح) كما في الإتيان: ١٧٤/٤.

(٧) ليه: أي تستره وتحريفه القول بلسانه.

(٨) هم الذين يقولون: إن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، وهذا أشهر لقب

الإسماعيلية. وقال الفيومي في المصباح المنير، مادة: (لحد): ٢١٢/٢: الملحدون في زماننا هم الباطنة الذين يدعون أن للقرآن ظاهراً وباطناً، وأنهم يعلمون الباطن، فأحالوا بذلك الشريعة؛ لأنهم تأولوا بما يخالف العربية التي نزل بها القرآن. وانظر: الملل والنحل: ١٩١/١.

(٩) الرافضة: هم الذين رفضوا زيد بن علي بن الحسين ﷺ لما سأله عن رأيه في أبي بكر وعمر ﷺ فأثنى عليهما خيراً.

فأما غلاتهم: هم الذين قالوا بإلهية الأئمة، وأباحوا محرمات الشريعة، وأسقطوا وجوب فرائض الشريعة، كالبيانية، والمغيرية، والمنصورية.

انظر: الفرق بين الفرق: ٢٢، والأديان والفرق: ١٧٦.

(١٠) القدرية: هم الذين يقولون: إن الإنسان مجبر على أفعاله، وإنه لا استطاعة له =

فإن أحدهم يصنّف الكتاب في التفسير، ومقصوده منه الإيضاح خلال المساكين ليصدهم عن اتباع السلف ولزوم طريق الهدى.

ويجب أن يكون اعتماده على النقل عن النبي ﷺ وعن أصحابه ومن عاصرهم، ويتجنب المحدثات، وإذا تعارضت أقوالهم وأمكن الجمع بينها فعل، نحو أن يتكلم على ﴿الْصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] وأقوالهم فيه، ترجع إلى شيء واحد، فيؤخذ منها [ما يدخل فيه الجميع]^(١)، فلا تنافي بين القرآن، وطريق الأنبياء وطريق السنة، وطريق النبي ﷺ، وطريق أبي بكر وعمر، فأى هذه الأقوال أفرده كان محسناً^(٢).

وإن تعارضت رد الأمر إلى ما ثبت فيه السمع، وإن لم يجد سمعاً، وكان للاستدلال طريق إلى تقوية أحدهما رجح ما قوي الاستدلال فيه، كاختلافهم في معنى حروف الهجاء^(٣)، يرجح قول من قال: إنها قسم.

= أصلاً، وسموا القدرية؛ لإنكارهم القدر وكذلك تسمى الجبرية المحتجون بالقدر قدرية أيضاً، والتسمية على الطائفة الأولى أغلب.

انظر: الفصل في الملل: ٢٢/٣، وشرح الطحاوية: ٥٨، ٢٢٤.

(١) في (هـ) و(ح): «ما يدخل في الجمع»، وما أثبتته من الإلتقان: ١٧٥/٤.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: ٥٠/١ عند تفسير ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:

هو النبي وصاحبه، وقيل: هو الإسلام، وقيل: كتاب الله، وقيل: حبل الله المتين، وقيل: الحق. وكل هذه الأقوال صحيحة، وهي متلازمة فإن من اتبع النبي ﷺ، واقتدى باللذين من بعده أبي بكر وعمر، فقد اتبع الحق، ومن اتبع الحق فقد اتبع الإسلام، ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن، وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم، فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضاً - والله الحمد.

وقال ابن جرير في تفسيره: ٥٧/١:

إن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وهو الذي أتولى بتأويل هذه الآية عندي - أعني ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ① - أن يكون معنياً به: وفقنا لثبات على ما ارتضيته، ووقفت له من أنعمت عليه من عبادك من قول، وذلك هو الصراط المستقيم؛ لأن من وفق لما وفق له من أنعم الله عليه من التبيين والصدّيقين والشهداء، فقد وفق للإسلام، وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب والعمل بما أمر الله به، والانزجار عما زجره عنه واتباع منهج النبي ﷺ، ومنهجا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وكل عبد الله الصالح، وكل ذلك من الصراط المستقيم.

(٣) قلت: إن حروف الهجاء التي في أوائل السور اختلف المفسرون فيها، فالأسلم أن نقول: هي مما استأثر الله بعلمه، فالله أعلم بمراده. انظر: تفسير ابن كثير: ٦٤/١، والإلتقان: ٣/٣، ونسخة (ح): ١٢٨.

وإن تعارضت الأدلة في المراد^(١) علم أنه قد اشتبه عليه، فيؤمن بمراد الله تعالى منها، ولا يتهجم على تعيينه وينزله منزلة المجمل قبل تفصيله، والمتشابه قبل تبيينه .
[ومن شرطه: صحة المقصد]^(٢) فيما يقول ليلقى التسديد، فقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وإنما يخلص له القصد^(٣) إذا زهد في الدنيا؛ لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسل به إلى غرض يصدّه عن صواب^(٤) قصده، ويفسد عليه صحة عمله .

وتمام هذه الشرائط أن يكون ممثلاً من عدة الإعراب، لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام، فإنه إذا خرج بالبيان عن وضع اللسان، إما حقيقة أو مجازاً، فتأويله تعطيله. وقد رأيت بعضهم يفسر قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ تَمَرٌ ذَرَّهُمْ﴾ [الأنعام: ٩١] أنه ملازمة قول الله، ولم يدر الغبي^(٥) أن هذه الجملة حذف منها الخبر، والتقدير ﴿اللَّهُ أَنْزَلَهُ﴾. انتهى كلام أبي طالب^(٦).

وقال ابن تيمية في كتاب ألفه في هذا النوع: يجب أن يعلم أن النبي ﷺ بين لأصحابه^(٧) معاني القرآن، كما بين لهم ألفاظه؛ فقوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَأْتِيَ النَّاسَ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] يتناول هذا وهذا^(٨).

وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي^(٩): حدثنا الذين كانوا يقرؤون القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات، لم يتجاوزوها حتى يتعلموا^(١٠) ما فيها من العلم

(١) في (هـ) و(ح): «فالمراد»، وما أثبتته من الإتيان: ١٧٥/٤.

(٢) في (هـ) و(ح): «ومن شرط صحة المقصد»، وما أثبتته من الإتيان: ١٧٥/٤.

(٣) في (هـ) و(ح): «المقصد»، وما أثبتته من الإتيان: ١٧٥/٤.

(٤) في (هـ) و(ح): «عن وصول»، وما أثبتته من الإتيان: ١٧٥/٤.

(٥) في (هـ) و(ح): «المعني»، وما أثبتته من الإتيان: ١٧٥/٤.

(٦) لم أعثر على مرجع كلام أبي طالب الطبري إلا في الإتيان: ١٧٤/٤، ١٧٥.

(٧) في (هـ) و(ح): «أصحابه»، وما أثبتته من الإتيان: ١٧٥/٤.

(٨) مقدمة في أصول التفسير: ٥.

(٩) هو: عبد الله بن حبيب أبو عبد الرحمن السلمي، التابعي ولأبيه صحبة قال ابن

حجر: ثقة ثبت، توفي (بعد السبعين).

انظر: تذكرة الحفاظ: ٥٨/١، والشذرات: ١٨٣/٥.

(١٠) في الإتيان: ١٧٥/٤: «يعلموا».

والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً^(١).

ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة^(٢)، وقال أنس - رضي الله تعالى عنه -: كان الرجل إذا قرأ البقرة، وآل عمران، جد^(٣) في أعيننا. رواه أحمد في مسنده^(٤). وأقام ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - على حفظ البقرة ثمان سنين، أخرجه في الموطأ^(٥). وذلك أن الله تعالى قال: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]، وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن، وأيضاً فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب، والحساب، ولا يستشرحونه، فكيف بكتاب الله^(٦) الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم، وسعادتهم، وقيام دينهم ودنياهم!، ولهذا كان النزاع بين الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - في تفسير القرآن قليلاً^(٧) جداً. وهو وإن كان بين التابعين أكثر منه بين الصحابة؛ فهو قليل بالنسبة إلى ما بعدهم.

ومن التابعين من تلقى التفسير عن الصحابة، وربما تكلموا في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال، والخلاف بين السلف في التفسير قليل، وغالباً ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تضاد، وذلك صنفان:

أحدهما: أن يعبر واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى، كتفسيرهم ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] بعض: بالقرآن؛ أي اتباعه، وبعض: بالإسلام، فالقولان متفقان؛ لأن دين الإسلام هو اتباع القرآن، ولكن كل منهم نبه على وصف (غير الوصف)^(٨) الآخر، كما أن لفظ ﴿صِرَاطَ﴾ يشعر بوصف ثالث.

(١) نقلاً عن الإكليل لابن تيمية: ٤٩، ومقدمة في أصول التفسير: ٦.

(٢) في (هـ) و(ح): «السور»، وما أثبتته من الإتيان: ١٧٦/٤.

(٣) جد: أي عظم.

(٤) ١٢٠/٣، بلفظ: «وكان الرجل إذا قرأ (البقرة) و(آل عمران) جد فينا» يعني عظم.

(٥) كتاب القرآن، باب ما جاء في القرآن: ٢٠٥/١. وانظر: شرح الزرقاني على

الموطأ: ١٩/١.

(٦) في الإتيان: ١٧٦/٤: «بكلام الله».

(٧) في الإتيان: ١٧٦/٤: «قليل» وهو تصحيف.

(٨) ساقط من (ح).

وكذلك قول من قال: هو السنة والجماعة، [وقول من قال: هو طريق العبودية]^(١)، وقول من قال: هو طاعة الله ورسوله. وأمثال ذلك؛ فهؤلاء كلهم أشاروا إلى ذات واحدة، لكن وصفها كل منهم من صفاتها.

ثانيهما: أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل، وتنبية المستمع على النوع، لا على سبيل الحد^(٢) المطابق للمحدود في عمومته وخصوصه. مثاله: ما نقل في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا...﴾ الآية [فاطر: ٣٢]^(٣)، فمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيق للواجبات، والمنتَهك للمحرمات.

والمقتصد: يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرمات.

والسابق: يدخل فيه من سبق، فتقرب بالحسنات مع الواجبات.

والمقتصدون: أصحاب اليمين، والسابقون السابقون أولئك المقربون.

ثم إن كلا منهم [يذكر هذا في نوع]^(٤) من أنواع الطاعات. كقول القائل: السابق الذي يصلي في أول الوقت، والمقتصد الذي يصلي في أثناؤه، والظالم لنفسه الذي يؤخر العصر إلى الاصفرار.

ويقول: السابق: المحسن بالصدقة مع الزكاة، والمقتصد الذي يؤدي الزكاة المفروضة [فقط]^(٥)، والظالم مانع الزكاة^(٦). قال: [وهذان الصنفان اللذان ذكرناهما في]^(٧) تنوع التفسير^(٨) تارة لتنوع الأسماء^(٩) والصفات، وتارة لذكر

(١) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ١٧٦/٤.

(٢) الحد وفي اصطلاح المناطقة، وهو المراد هنا: القول الدال على ماهية الشيء.

انظر: المصباح المنير، مادة: (حدد): ١٣٥، والمعجم الوسيط، مادة: (حدد): ١٦١/١.

(٣) وتتمتها: ﴿مَنْ عِبَادًا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْتِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

(٤) في (هـ): «يذكر في هذا نوع»، وما أثبتته من (ح) كما في الإتيان: ١٧٧/٤.

(٥) ساقط من (هـ)، وما أثبتته من (ح) كما في الإتيان: ١٧٧/٤.

(٦) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١٢.

(٧) في (هـ): «واللذان ذكرناهما في»، وما أثبتته من مقدمة في أصول التفسير لابن

تيمية: ١٢، كما في الإتيان: ١٧٧/٤.

(٨) في (هـ): «نوع»، وما أثبتته من الإتيان: ١٧٧/٤.

(٩) في (هـ) و(ح): «التنوع»، وما أثبتته من الإتيان: ١٧٧/٤.

بعض أنواع المسمّى، هو الغالب في تفسير سلف الأمة الذي يظنّ أنه مختلف^(١).

[ومن التنازع الموجود عندهم ما يكون اللفظ محتملاً للأمرين، إما لكونه مشتركاً في اللغة]^(٢)، كلفظ ﴿قَسْوَرَمَ﴾ [المدرثر: ٥١]^(٣) الذي يراد به الرامي، ويراد به الأسد. ولفظ ﴿عَسَسَ﴾ [التكوير: ١٧]^(٤) الذي يراد به إقبال الليل وإدباره. وإما لكونه متواطئاً^(٥) في الأصل، لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشيين^(٦)، كالضمائر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَدَا﴾^(٧) الآية [النجم: ٨]^(٧). وكلفظ ﴿الْفَجْرِ﴾، و﴿الشَّفَعِ﴾، و﴿وَيَا لَيْلٍ عَشْرٍ﴾^(٨) [الفجر: ١ - ٣]^(٨) [وأمثال ذلك]^(٩). فمثل هذا قد يجوز أن يراد كل^(١٠) المعاني التي قالها السلف، وقد لا يجوز ذلك.

(١) مقدمة في أصول التفسير: ١٤.

(٢) في (هـ) و(ح): «في اللفظ»، وما أثبتته من مقدمة في أصول التفسير: ١٤ كما في الإتيان: ١٧٧/٤.

(٣) وتام الآية والتي قبلها: ﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ مُّتَنَفِرَةً﴾^(٥) ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَمَ﴾^(٥). قال الشوكاني في تفسيره: ٣٣٣/٥: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَمَ﴾^(٥)؛ أي من رماة يرمونها، والقسور الرامي وجمعه قسورة، وقيل: هو الأسد، وقيل: القسورة بلسان العرب: الأسد، وبلسان الحبشة: الرماة، واختار الشوكاني القول الأول.

(٤) قال الشوكاني في تفسيره: ٣٩٠/٥، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾: قال أهل اللغة: هو من الأضداد، يقال: عسس الليل: إذا أقبل، وعسس: إذا أدبر، والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد، وهو ابتداء الظلام في أوله وإدباره في آخره، إلا أن المراد في الآية بمعنى أدبر لقوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾^(٧) وتنفس الصبح إقباله. (٥) متواطئاً: متوافقاً.

(٦) في الإتيان: ١٧٧/٤ و(هـ) و(ح): «الشخصين»، وما أثبتته من مقدمة في أصول التفسير: ١٤.

(٧) أي: وما بعدها من آيات، فهي تحتل عود الضمير على النبي ﷺ كما تحتل عوده على جبريل عليه السلام، قال الجمهور: والذي دنا فتدلى هو جبريل، وهو الأولى، فمعنى ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَدَا﴾^(٨)؛ أي دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى، أي قرب من الأرض، فتدلى فنزل على النبي ﷺ بالوحي. انظر: تفسير الشوكاني: ١٠٩/٥.

(٨) أي في قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ﴾^(١) وَيَا لَيْلٍ عَشْرٍ^(٢) وَالشَّفَعِ وَالْوَرِّ^(٣)...

(٩) في (ح): «وأشبه ذلك»، وفي مقدمة في أصول التفسير: ١٤ وما أشبه ذلك.

(١٠) في (هـ) و(ح): «كلا»، وما أثبتته من مقدمة في أصول التفسير: ١٤.

فالأول: إما لكون الآية نزلت مرتين: فأريد بها هذا تارة، وهذا تارة. وإما لكون اللفظ المشترك يجوز أن يراد معنياه. وإما لكون اللفظ متواطئاً، فيكون عاماً إذا لم يكن لمخصصه موجب. فهذا النوع إذا صح فيه القولان كان من الصنف الثاني^(١). ومن الأقوال الموجودة عنهم ويجعلها بعض الناس اختلافاً، أن يعبروا عن المعاني بالفاظ متقاربة، كما إذا فسر بعضهم قوله تعالى: ﴿أَنْ تُبْسَلَ﴾ [الأنعام: ٧٠]^(٢) بـ (تحبس) وبعضهم بـ (ترتهن)؛ لأن كلا منهما قريب من الآخر^(٣).

ثم قال: ﴿فَصَلِّ﴾ والاختلاف في التفسير على نوعين، منه ما مستنده النقل فقط، ومنه ما يعلم بغير ذلك.

والمنقول إما عن المعصوم أو غيره، ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره، ومنه ما لا يمكن ذلك. وهذا القسم الذي لا يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه عامته مما لا فائدة فيه، ولا حاجة بنا إلى معرفته؛ وذلك كاختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف واسمه^(٤)، وفي البعض الذي ضرب به القليل^(٥) من البقرة، وفي قدر سفينة نوح وخشبها^(٦)، وفي

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١٤ - ١٥.

(٢) وتام الآية: ﴿وَدَرَّ الْأَيْتُكَ أَخَذُوا دِيْنَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدْلٍ لَآ يُؤْخَذُ بِهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾. والبسل في اللغة: ضم الشيء ومنعه، ولتضمنه لمعنى المنع قبل للمرتين: بسل، وفسر البسل في الآية بمعنى الارتهان لقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ﴾ [المدثر]. انظر: المفردات للراغب، مادة: (بسـل): ٥٥/١، وفتح القدير: ١٢٩/٢.

(٣) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية باختصار: ١٦.

(٤) وذلك قوله تعالى: ﴿وَتَحَسَّبَهُمْ أَيْكَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنَقَبَتْهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَئِيسٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ [الكهف]. وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف].

(٥) وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَنْفَسًا فَأَذَانَ نَفْسًا فِيهَا وَاللَّهُ خُرُجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [البقرة] فقلنا أضرَبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَرُيُوكُمْ ءَابَتِيهِمْ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة].

(٦) فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَجِّسْنَا وَلَا تَحْطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [الأنعام] وَصْنَعُ الْفَلَكَ وَكَلَّمَ مَرْ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ سَخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ كَمَا سَخَرُونَ﴾ [هود].

اسم الغلام^(١) الذي قتله الخضر، ونحو ذلك. فهذه^(٢) الأمور طريق العلم بها النقل، فما كان منه منقولاً نقلاً صحيحاً عن النبي ﷺ [قُبَل] ^(٣)، وما لا - بأن نقل عن أهل الكتاب كعب، ووهب - وقف عن تصديقه وتكذيبه؛ لقوله ﷺ: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم»^(٤).

وكذا ما نقل عن بعض التابعين وإن لم يذكر أنه أخذه عن أهل الكتاب، فمتى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض، وما نقل في ذلك عن الصحابة نقلاً صحيحاً، فالنفس إليه أسكن مما نقل عن التابعين^(٥)؛ لاحتتمال^(٦) أن يكون سمعه عن النبي ﷺ، أو من بعض من سمعه منه أقوى؛ ولأن نقل الصحابة عن أهل الكتاب [أقل] ^(٧) من نقل التابعين. ومع جزم الصحابي بما يقوله كيف يقال: إنه أخذه من أهل الكتاب^(٨)، وقد نهوا عن تصديقهم!^(٩).

وأما القسم الذي يمكن معرفة الصحيح منه، فهذا موجود كثيراً^(١٠) والله الحمد. وإن قال الإمام أحمد: ثلاثة ليس لها أصل: التفسير، والملاحم، والمغازي^(١١)، وذلك لأن الغالب عليها المراسل^(١٢)^(١٣).

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿فَاطْلُقَا حَوْجَ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي سَاءَ زَكَاةً يَغْتَرِ بِغَيْرِ لَقْدٍ جِئْتَنِي شَيْئًا نُكْرًا﴾ ﴿٧٦﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٧﴾ [الكهف]. وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْفُلُودُ فَكَانَ آبَاؤُهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ ﴿٨١﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا كَانُوا وَتَوَلَّى وَرَبُّهُمَا ذُكُورًا وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ ﴿٨٢﴾ [الكهف].

(٢) في (هـ) و(ح): «في هذه»، وما أثبتته من الإتيان: ١٧٨/٤.

(٣) ساقط من (ح).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: «لا تسألوا أهل

الكتاب عن شيء»: ١٧٠/٨.

(٥) في مقدمة في أصول التفسير: ١٧ «عن بعض التابعين».

(٦) في الإتيان: ١٧٨/٤: «لأن احتمال».

(٧) في (هـ): «قل»، وما أثبتته من الإتيان: ١٧٨/٤.

(٨) ما بين القوسين ساقط من: (ح).

(٩) كما دلّ عليه الحديث الذي تقدم ذكره قريباً.

(١٠) في (ح): «كثير».

(١١) نقله من مقدمة في أصول التفسير: ٢٠. وانظر: البرهان: ١٥٦/٢.

(١٢) المراسل جمع مرسل: وهو ما أضافه التابعي إلى النبي ﷺ. انظر: معرفة علوم

الحديث للحاكم: ٢٥، ومقدمة ابن الصلاح: ٤٧.

(١٣) مقدمة في أصول التفسير: ٢٠ باختصار.

وأما ما يعلم بالاستدلال، لا بالنقل، فهذا أكثر ما فيه الخطأ^(١) من جهتين حدثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، فإن التفاسير التي يذكر فيها كلام هؤلاء صرفاً لا يكاد يوجد فيها شيء من هاتين الجهتين مثل: تفسير عبد الرزاق^(٢)، والفريابي^(٣)، ووكيع^(٤)، وعبد بن حميد^(٥)، وإسحاق^(٦)، وأمثالهم.

أحدهما: قوم اعتقدوا معاني، ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها. والثاني: قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده من كان من الناطقين بلغة العرب، من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن، والمنزل عليه والمخاطب به^(٧).

فالأولون راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان.

والآخرون راعوا مجرد اللفظ، وما يجوز أن يريد به العربي من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم وسياق الكلام، ثم هؤلاء كثيراً ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة كما يغلط في ذلك الذين قبلهم، كما أن الأولين

(١) في (هـ) و(ح): «الخطاب»، وما أثبتته من الإتيان: ١٧٩/٤، كما في مقدمة في أصول التفسير: ٣٣.

(٢) حقه الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم.

(٣) هو: محمد بن يوسف أبو عبد الله المعروف بالفريابي الكبير، مفسر، محدث، حافظ، فقيه، توفي سنة (اثنتي عشرة ومائتين للهجرة). انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢٩٢/٢، وتذكرة الحفاظ: ٣٧٦/١.

(٤) هو: وكيع بن الجراح بن أبو سفيان الكوفي الإمام الحافظ الثبت صاحب «التفسير»، توفي سنة (١٩٧هـ).

انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٣٥٧/٢، تذكرة الحفاظ: ٣٠٦/١.

(٥) هو: أبو محمد الكسي، وقيل: اسمه عبد الحميد. قال ابن حجر عنه في التقريب: ثقة حافظ، توفي سنة (٢٤٩ للهجرة). انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢٦٨/١، وتقريب التهذيب: ٥٢٩/١.

(٦) هو: إسحاق بن إبراهيم أبو يعقوب المعروف بابن راهويه الإمام الحافظ الكبير المجتهد، من تصانيفه: المسند، والتفسير، توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين للهجرة. انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١٠٢/١، وتذكرة الحفاظ: ٤٣٣/٢.

(٧) في (هـ) و(ح): «المخاطب»، وما أثبتته من مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ٣٦.

كثيراً ما يغلطون في صحة المعنى [الذي]^(١) فسروا به القرآن، كما يغلط في ذلك الآخرون، وإن كان نظر الأولين إلى المعنى أسبق، ونظر الآخرين إلى اللفظ أسبق.

والأولون صنفان، تارة [يسلبون]^(٢) لفظ ما دلّ عليه وأريد به، وتارة يحملونه على ما لم يدلّ عليه ولم يرد به، وكلا الأمرين قد يكون ما قصدوا نفيه أو إثباته من المعنى باطلاً، [فيكون خطؤهم في الدليل والمدلول، وقد يكون حقاً]^(٣) فيكون خطؤهم في الدليل لا في المدلول، فالذين أخطأوا فيهما مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا [مذاهب]^(٤) باطلة وعمدوا إلى القرآن، فتأولوه على رأيهم، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين، لا في رأيهم ولا في تفسيرهم.

وقد صنفوا تفاسير على أصول مذاهبهم مثل تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصم^(٥)، والجُبائي^(٦)، وعبد الجبار^(٧)، والرمانى، والزمخشري، وأمثالهم. ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة يدسّ البدع في كلامه، وأكثر الناس لا يعلمون كصاحب الكشاف^(٨) [ونحوه، حتى إنه يروج على خلق كثير من أهل

(١) في (هـ): «الذين»، وما أثبتته من (ح) وهو الصواب كما في مقدمة في أصول التفسير: ٣٦، والإتقان: ١٧٩/٤.

(٢) في (هـ): «تلبسون» بالتاء، وما أثبتته من (ح) ومقدمة في أصول التفسير: ٣٦، والإتقان: ١٧٩/٤.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتقان: ١٧٩/٤.

(٤) في (هـ): «مذهب»، وما أثبتته من (ح) كما في الإتقان: ١٧٩/٤.

(٥) هو: عبد الرحمن بن كيسان أبو بكر الأصم المعتزلي صاحب المقالات في الأصول، من تصانيفه: كتاب «التفسير» وهو تفسير عجيب.

انظر: الفهرست: ٣٤، ولسان الميزان: ٤٢٧/٣.

(٦) هو: محمد بن عبد الوهاب أبو علي الجبائي المعتزلي متكلم، مفسر تنسب إليه الطائفة الجبائية، من تصانيفه تفسير القرآن، توفي سنة (ثلاث وثلاثمائة للهجرة). انظر: طبقات المفسرين للسيوطي: ٣٣، والبداية والنهاية: ١٢٥/١١.

(٧) هو: عبد الجبار بن أحمد أبو الحسن الهمداني القاضي المعتزلي، وهو الذي تلقبه المعتزلة قاضي القضاة ولا يطلقون هذا اللقب على سواه، من تصانيفه تفسير القرآن وطبقات المعتزلة، وتوفي سنة (خمس عشرة وأربعمائة للهجرة). انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢٥٦/١، وتاريخ بغداد: ١١٣/١١.

(٨) في (ح): «كصاحب اللسان» وهو تصحيف، وصاحب الكشاف هو الزمخشري.

السنة كثير من تفاسيرهم الباطلة^(١).

وتفسير ابن عطية^(٢) وأمثاله أتبع للسنة وأسلم من البدعة، ولو ذكر كلام السلف المأثور عنهم على وجهه لكان أحسن؛ فإنه كثيراً ما ينقل [من]^(٣) تفسير ابن جرير الطبري^(٤)، وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدراً. ثم إنه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين، وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطريق من جنس ما قررت به المعتزلة، وإن كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة. لكن ينبغي أن يعطى كل ذي حق حقه؛ فإن الصحابة والتابعين والأئمة إذا كانوا لهم في الآية تفسير، وجاء قوم فسروا الآية بقول آخر لأجل مذهب اعتقدوه، وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين صار مشاركاً للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا.

وفي الجملة: من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك، بل مبتدعاً؛ لأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله.

وأما الذين أخطأوا في الدليل لا في المدلول، فمثل كثير من الصوفية، والوعاظ، والفقهاء يفسرون القرآن بمعان صحيحة في نفسها، لكن لا يدلّ عليها، مثل كثير مما ذكره السلمي^(٥) في الحقائق^(٦)، فإن كان فيما ذكره

(١) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ١٧٩/٤.

(٢) تفسير ابن عطية هو «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» وهو مطبوع بدولة قطر.

(٣) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ١٧٦/٤.

(٤) المسمى بـ «جامع البيان عن تأويل القرآن».

(٥) هو: محمد الحسين أبو عبد الرحمن السلمي الأزدي الصوفي، كان شيخ مشايخ الصوفية، توفي سنة (٤١٢هـ).

طبقات المفسرين للداودي: ١٣٧/٢، البداية والنهاية: ١٢/١٢.

(٦) وهو «الحقائق في التفسير» للنيسابوري المتوفى سنة (٤١٢هـ).

قال صاحب كشف الظنون: ٦٧٣/١.

وهو مختصر على لسان التصوف، قال الواحدي: زعم أنه صنف حقائق التفسير، فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر، وطعن فيه ابن الجوزي أيضاً.

معان باطلة دخل في القسم الأول. انتهى كلام ابن تيمية^(١) ملخصاً وهو
[نفيس]^(٢) جداً.

وقال أبو حيان^(٣): النظر في تفسير كتاب الله يكون من وجوه:

الوجه الأول:

علم اللغة^(٤) اسماً وفعلاً وحرماً، فالحروف^(٥) لقلتها تكلم على معانيها النحاة
فيؤخذ ذلك من كتبهم. وأما الأسماء والأفعال فيؤخذ ذلك من كتب اللغة،
وأكبر الموضوعات في علم اللغة كتاب ابن أسيد^(٦)، فإن الحافظ أبا محمد
علي بن أحمد الفارسي ذكر أنه في مائة سفر بدأ فيه بالفلك، وختم بالذرة.
وفي الكتب المطولة فيه: كتاب الأزهري^(٧)، و«الموعب»^(٨) لابن
التياني^(٩)، و«المحكم»^(١٠).....

(١) في «مقدمة في أصول التفسير»: ٤٢/٥.

(٢) في (هـ) مشطوب، وما أثبتته من (ح) والإتقان: ١٨٠/٤.

(٣) في مقدمة تفسيره: ٦/١.

(٤) في (هـ) و(ح): «علم الله»، وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٦/١.

(٥) في مقدمة تفسير أبي حيان: ٦/١. «الحروف».

(٦) في (ح): «الكتاب ابن أسيد».

ابن أسيد هو: عيسى بن أسيد العراقي فاضل مشارك في علوم، خبير بالنقل من
السريانية إلى العربية، أخذ عن ثابت بن قرة الحراني، كان حياً قبل عام (٢٨٨هـ). انظر:
معجم المؤلفين: ٢١/٨.

(٧) هو: محمد بن أحمد أبو منصور الأزهري الهروي الشافعي اللغوي الأديب،
صاحب التصانيف منها: التهذيب في اللغة، توفي سنة (سبعين وثلاثمائة).

انظر: بغية الوعاة: ٨. وإنباء الرواة: ١٧٧/٤.

(٨) قال صاحب كشف الظنون: ٦٠٧/٤: الموعب في اللغة لأبي غالب تمام بن غالب
القرطبي المتوفى (٤٣٦هـ).

(٩) هو تمام بن غالب بن عمر أبو غالب اللغوي القرطبي، المعروف بابن التياني، توفي
سنة (٤٣٦هـ).

انظر: بغية الوعاة: ٢٠٩، ووفيات الأعيان: ٣٠٠/١.

(١٠) هو: المحكم والمحيط الأعظم في اللغة لأبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف
بابن سيده اللغوي المتوفى سنة (٤٥٨هـ)، وهو كتاب كبير مشتمل على أنواع اللغة.

انظر: كشف الظنون: ١٦١٦/٢.

لابن سيده^(١)، و«كتاب الجامع»^(٢) لأبي عبد الله محمد بن جعفر التميمي القيرواني المعروف بالقزاز^(٣)، و«الصحاح»^(٤) للجوهري^(٥)، و«البارع»^(٦) لأبي علي القالي^(٧)، و«مجمع البحرين»^(٨) للصاغاني.

وقد حفظت في صغري في علم اللغة كتاب «الفصيح» لأبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني، واللغات المحتوى عليها دواوين مشاهير العرب الستة: امرؤ القيس^(٩)، والنابغة^(١٠)، وعلقمة^(١١)،

(١) هو علي بن إسماعيل بن سيده أبو الحسن النحوي اللغوي الأندلسي، توفي سنة (٤٥٨هـ).

انظر: بغية الوعاة: ١٩٦، ووفيات الأعيان: ٣/٣٣٠.

(٢) هو: الجامع في اللغة، وهو كتاب معتبر لكنه قليل الوجود.

انظر: كشف الظنون: ١/٥٧٦.

(٣) هو شيخ اللغة وإمام العربية، توفي سنة (٨٢٦هـ) (اثنتين عشرة وأربعمائة).

انظر: بغية الوعاة: ٢٩.

(٤) هو: تاج اللغة وصحاح العربية، وهو مطبوع.

(٥) هو: إسماعيل بن حماد أبو نصر الجوهري، إمام في اللغة، والآداب، توفي سنة (٣٩٣هـ).

انظر: بغية الوعاة: ١٩٥، وإنباه الرواة: ١/١٩٤.

(٦) هو البارع في غريب الحديث لأبي علي إسماعيل بن القاسم اللغوي القالي، المتوفى سنة (٣٥٦هـ).

انظر: كشف الظنون: ١/٢١٦.

(٧) هو: إسماعيل بن القاسم أبو علي البغدادي المعروف بالقالي، توفي سنة (٣٥٦هـ).

انظر: بغية الوعاة: ١٩٨، والشذرات: ٣/١٨.

(٨) هو: مجمع البحرين في الجمع بين أحاديث الصحيحين لحسن بن محمد بن حسن

الهندي اللغوي، نزل بغداد، متوفى سنة (٦٥٠هـ).

انظر: كشف الظنون: ٤/٤٣٣.

(٩) هو: امرؤ القيس بن حجر، وهو شيخ الشعراء وأميرهم في الجاهلية.

انظر: ديوانه، والمؤتلف والمختلف للأمدى: ١٧٠.

(١٠) هو: حسان بن قيس أبو ليلى النابغة لقب بها؛ لأنه قال الشعر في الجاهلية ثم

سكت دهرأ ثم عاد إلى قول الشعر في الإسلام ونبغ فيه. انظر: الشعر والشعراء لابن

قتيبة: ١٥٩، والأغاني للأصبهاني: ١/٥.

(١١) هو: علقمة بن عبدة، شاعر جاهلي اتصل بملوك الغساسنة مادحاً ومتشفعاً لقبيلته.

انظر: المؤتلف والمختلف للأمدى: ٢٢٧، ومعجم شعراء اللسان للأيوبي: ٢٩١.

وزهير^(١)، وطرفة^(٢)، وعنترة^(٣)، وديوان الأفوه^(٤) الأودي لحفظي عن ظهر قلب لهذه الدواوين. وحفظت كثيراً من اللغات المحتوى عليها نحو الثلث من كتاب «الحماسة»^(٥) واللغات التي تضمنها^(٦) قصائد مختارة من شعر^(٧) حبيب بن أوس^(٨) لحفظي لذلك^(٩).

وفي الموضوعات في اللغة: كتاب^(١٠) ابن القوطية^(١١)، وكتاب^(١٢) ابن

(١) هو: زهير بن ربيعة الملقب بابن أبي سلمى شاعر جاهلي كان يقيم مع قبيلته في بلاد غطفان بنجد، وأسرته أسرة شعراء.

انظر: ديوان زهير شرح الأعلم الشتمري، ومعجم شعراء اللسان للأيوبي: ٧١.

(٢) هو: عمرو بن عبد ولقب بطرفة لبيت قاله:

لا تعجل بالبكاء اليوم مطرفاً ولا أمير بكما بالدار إذ وقفاً
ولد بالبحرين، وقتل على يد عامل بلاط المناذرة في البحرين. انظر: المؤلف
والمختلف: ٢١٦، ومعجم شعراء اللسان: ٢٤٢.

(٣) هو: عنترة بن عمرو بن شداد العبسي، شاعر عبس المشهور وفارسهم المغوار، وهو من أصحاب المعلقات، توفي سنة (ثمان قبل الهجرة).

انظر: المؤلف والمختلف: ٢٢٥، والأغاني: ١٤١/٧، وديوانه.

(٤) هو: صلاة بن عمرو الأودي من مذحج أبو ربيعة لقب بالأفوه؛ لأنه كان غليظ الشفتين ظاهر الأسنان، وهو شاعر جاهلي قديم، توفي سنة (خمسين قبل الهجرة).

انظر: معجم شعراء اللسان: ٦٢، والأغاني: ١٦٥/١٢.

(٥) هو: «الحماسة» لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي المتوفى سنة (٢٣١هـ). جمع فيه ما اختاره من أشعار العرب العرباء، ورتب على أبواب عشرة: الحماسة، والمراثي، والأدب، والنسب، والهجاء، والإضافات، والصفات، والسير، والملح، ومذمة النساء.

واشتهر ببابه الأول. انظر: كشف الظنون: ٦٩١/١.

(٦) (ح): «الحماسة واللغات التي تضمنت منها».

(٧) في (هـ) و(ج): «سفر»، وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٦/١.

(٨) هو: حبيب بن أوس أبو تمام الطائي الشاعر الأديب، له تصانيف، توفي سنة (إحدى وثلاثين ومائتين للهجرة). انظر: خزانة الأدب: ١٧٢/١، ووفيات الأعيان: ١٢١/١.

(٩) في مقدمة تفسير أبي حيان: ٦/١: «لحفظي ذلك».

(١٠) وهو كتاب «الأفعال وتصاريدها». انظر: كشف الظنون: ١٣٣/١.

(١١) هو: محمد بن عمر أبو بكر القرطبي المعروف بابن القوطية النحوي، اللغوي، الأديب، توفي سنة (سبع وستين وثلاثمائة للهجرة).

انظر: معجم الأدباء: ٢٧٢/١٨، وبغية الوعاة: ٨٤.

(١٢) هو: كتاب في الأفعال. انظر: كشف الظنون: ١٣٩٤/١.

طريف^(١)، وكتاب السرقسطي^(٢) المنبوز بالحمار^(٣)، ومن أجمعها كتاب^(٤) ابن القطاع^(٥).

الوجه الثاني:

معرفة الأحكام التي للكلم الغريبة من جهة أفرادها، ومن جهة تركيبها. ويؤخذ ذلك من علم النحو. وأحسن موضع فيه وأجله كتاب أبي بشر^(٦) عمرو بن عثمان بن (قنبز)^(٧) سيويه. وأحسن ما وضعه المتأخرون من المختصرات وأجمعه لأحكام كتاب «تسهيل الفوائد»^(٨) لأبي عبد الله محمد بن مالك الجياني الطائي مقيم دمشق^(٩).

(١) هو: عبد الملك بن طريف أبو مروان القرطبي النحوي اللغوي أخذ عن ابن القوطية وغيره، توفي في حدود سنة (أربعمائة للهجرة). انظر: إنباه الرواة: ٢٠٨/٢، وبغية الوعاة: ٣١٧.

(٢) هو: سعيد بن محمد أبو عثمان القرطبي ثم السرقسطي عالم باللغة أخذ عن ابن القوطية، وبسط كتابه في «الأفعال»، وزاد فيه وسماه أيضاً: «الأفعال»، توفي سنة (بعد أربعمائة).

انظر: كشف الظنون: ١٣٣/١، والأعلام للزركلي: ١٠١/٣.

(٣) في (هـ) و(ح): «بالجمال»، وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٦/١.

(٤) وهو كتاب «الأفعال» في ثلاث مجلدات.

قال صاحب كشف الظنون: ١٣٣/١: وممن صنف فيه الشيخ أبو القاسم علي بن جعفر المعروف بابن القطاع السعيدي الصقلي المصري، المتوفى سنة (أربع عشرة وخمسمائة)، وتأليفه أجود من أفعال ابن القوطية.

(٥) هو: علي بن جعفر السعدي الصقلي المعروف بابن القطاع، أبو القاسم أديب لغوي نحوي، توفي سنة (أربع عشرة وخمسمائة للهجرة). انظر: معجم الأدباء: ٢٧٩/١٢، ووفيات الأعيان: ٤٢٧/١.

(٦) المعروف بكتاب سيويه أبي بشر بن عثمان بن قنبز.

(٧) ساقط من (ح).

(٨) هو: «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد» في النحو لأبي عبد الله ابن مالك الطائي الجياني المتوفى سنة (٦٧٢هـ)، وهو في مجلد لخصه من مجموعته المسماة بـ «الفوائد»، وهو كتاب جامع لمسائل النحو. كشف الظنون: ٤٠٥/١.

(٩) هو: محمد بن عبد الله بن مالك أبو عبد الله الطائي الجياني أحد الأئمة في علوم العربية، له تصانيف منها: الألفية وهو أشهرها، توفي بدمشق سنة (أثنتين وسبعين وستمائة للهجرة). انظر: طبقات السبكي: ٢٨/٥، والوافي بالوفيات: ٣٥٩/٣.

وأحسن ما وضع في التصريف كتاب «الممتع»^(١) لأبي الحسن علي بن مؤمن بن عصفور الحضرمي الإشبيلي^(٢). وقد أخذت هذا الفن عن أستاذنا [الأوحد]^(٣) العلامة أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي في كتاب سيبويه، [وغيره]^(٤).

الوجه الثالث:

كون اللفظ والتركيب أحسن وأجمع، ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع، وقد صنف الناس في ذلك تصانيف كثيرة، وأجمعها ما جمعها شيخنا الأديب الصالح أبو عبد الله محمد بن سليمان النقيب، وذلك في مجلدين قدمهما أمام كتابه في التفسير. وما وضعه شيخنا الإمام الأديب الحافظ المتبحر أبو الحسن حازم [بن محمد بن حازم]^(٥) الأنصاري، الأندلسي مقيم تونس المسمى «منهاج البلغاء وسراج الأدباء»^(٦).

وقد أخذت جملة من هذا الفن عن أستاذنا أبي جعفر بن الزبير - رحمه الله تعالى.

الوجه الرابع:

تعيين مبهم، وتبيين مجمل، وسبب نزول، ونسخ. ويؤخذ ذلك من النقل الصحيح عن رسول الله ﷺ، وذلك من علم الحديث. وقد تضمنت الكتب والأمهات التي سمعناها ورويناها ذلك، كالصحيحين،

(١) قال صاحب كشف الظنون: ١٨٢٢/٢: الممتع في التصريف لابن عصفور.. وهو أمثل المتوسطات فيه، قلما يخلو من مسائله كتاب من كتب النحو.

(٢) هو: الحضرمي النحوي حامل لواء العربية في زمانه بالأندلس، توفي سنة (٦٦٣هـ). انظر: بغية الوعاة: ٣٥٧.

في (هـ): «لأبي الحسين علي بن موسى بن عطفبور» وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٦/١.

(٣) ساقط من (ح)، وفي (هـ): «الأحد»، وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٦/١.

(٤) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٦/١.

(٥) ساقط من (ح).

(٦) وهو مطبوع في مجلد طبع سنة ١٩٦٦ تحقيق محمد الحسيب الخواجه.

والجامع^(١)، للترمذي، وسنن^(٢) أبي داود، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، وسنن الشافعي، ومسند^(٣) عبد، ومسند الدارمي، [ومسند الطيالسي]^(٤)، ومسند الشافعي، ومسند أحمد، وسنن الدارقطني، ومعجم الطبراني الكبير، والمعجم الصغير له، ومستخرج أبي نعيم على مسلم، وغير ذلك.

الوجه الخامس:

معرفة الإجمال، والتبيين، والعموم، والخصوص، والإطلاق، والتقييد، ودلالة الأمر، والنهي، وما أشبه هذا. ويختص أكثر هذا الوجه بجزء الأحكام من القرآن، ويؤخذ هذا من أصول الفقه، ومعظمه هو في الحقيقة راجع لعلم اللغة، إذ هو شيء يتكلم فيه على أوضاع العرب، ولكن تكلم فيه غير اللغويين، والنحويين، ومزجوه بأشياء من حجج العقول. ومن أجمع ما في هذا الفن كتاب «المحصول» لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي، وقد بحثت في هذا الفن في كتاب «الإشارة» لأبي الوليد الباجي^(٥) عن الشيخ الأصولي الأديب أبي الحسن فضل بن إبراهيم المعافري الإمام بجامع غرناطة والخطيب به، وعلى أستاذنا العلامة أبي جعفر بن الزبير في كتاب «الإشارة»، وفي شرحها له، وذلك بالأندلس. وبحثت أيضاً في هذا الفن على الشيخ علم الدين عبد الكريم بن

(١) الجامع في اصطلاح المحدثين: كل كتاب حديثي يوجد فيه من الحديث جميع الأنواع المحتاج إليها من العقائد والأحكام والآداب، وما يتعلق بالتفسير والمناقب، وغير ذلك. وأشهر الجوامع: الجامع الصحيح للبخاري، والمسند الصحيح لمسلم، وجامع الترمذي، وغيرها.

انظر: أصول التخریج للدكتور محمود الطحان: ١١٠.

(٢) السنن في اصطلاح المحدثين: هي الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية، وتشتمل على الأحاديث المرفوعة فقط، وليس فيها شيء من الموقوف أو المقطوع؛ لأن الموقوف والمقطوع لا يسمى سنة في اصطلاحهم، ويسمى حديثاً.

(٣) المسانيد في اصطلاح المحدثين: الكتب الحديثة التي صنفها مؤلفوها على مسانيد أسماء الصحابة، أي بمعنى أنهم جمعوا أحاديث كل صحابي على حدة.

(٤) ساقط من (ح).

(٥) هو: سليمان بن خلف أبو الوليد الباجي القرطبي، فقيه مالكي من رجال الحديث صاحب التصانيف، وتوفي سنة (أربع وسبعين وأربعمائة للهجرة).

انظر: الديباج المذهب: ١٢٠، وفيات الأعيان: ١/٢١٥.

علي بن عمر الأنصاري المعروف بابن بنت العراقي^(١) في مختصره الذي اختصره من كتاب «المحصول»، وعلى الشيخ علاء الدين علي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب الباجي^(٢) في مختصره الذي اختصره من كتاب «المحصول»، وعلى الشيخ شمس الدين محمد بن محمود الأنصاري صاحب شرح المحصول بحثت عليه في كتاب القواعد من تأليفه - رحمه الله تعالى .

الوجه السادس:

الكلام فيما يجوز على الله تعالى، وما يجب له، وما يستحيل عليه، والنظر في النبوة.

ويختص هذا الوجه بالآيات التي تضمنت النظر في الباري تعالى، وفي الأنبياء، وإعجاز القرآن. ويؤخذ هذا من علم الكلام^(٣)، وقد صنف علماء الإسلام من سائر الطوائف في هذا كتباً كثيراً، وهو علم صعب إذ المزلة فيه - والعياذ بالله - مفضٍ إلى الخزانة في الدنيا والآخرة.

وقد سمعت [منه]^(٤) مسائل [تبحث]^(٥) على الشيخ شمس الدين الأصبهاني، وغيره.

الوجه السابع:

اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقصان أو تغيير حركة أو إتيان بلفظ بدل لفظ،

(١) هو: المفسر، الفقيه، الأديب، الأصولي، من تصانيفه: شرح التنبيه للشيرازي، وتوفي سنة (أربع وسبعمائة للهجرة).

انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ١٢٩/٦، والدرر الكامنة: ٣٩٩/٢.

(٢) هو: أبو الحسن الشافعي، الفقيه الأصولي، من تصانيفه: مختصر المحصول لفتح الدين الرازي، وتوفي سنة (أربع عشرة وسبعمائة للهجرة). انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ٢٢٧/٦، والدرر الكامنة: ١٠١/٣.

(٣) علم الكلام: هو علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها، وموضوعه ذات الله ﷻ وصفاته عند المتقدمين، وعند المتأخرين موضوعه المعلوم من حيث يتعلق به إثبات العقائد الدينية تعلقاً قريباً أو بعيداً. نقلاً عن كشف الظنون: ١٥٠٣/٢.

(٤) ساقط من (هـ)، وما أثبتته من (ح) كما في مقدمة تفسير أبي حيان: ٧/١.

(٥) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٧/١.

وذلك بتواتر وأحاد. ويؤخذ هذا الوجه من علم القراءات. وقد صنف علماؤنا في ذلك كتباً لا تكاد تحصى، وأحسن الموضوعات في القراءات السبع كتاب «الإقناع» لأبي جعفر بن الباذش^(١)، وفي القراءات العشر «المصباح» لأبي الكرم الشهرزوري^(٢). وقد قرأت القرآن بقراءة السبعة^(٣) [بجزيرة الأندلس]^(٤) على الخطيب [أبي جعفر أحمد بن علي بن محمد الرعيني عرف بابن الطباع بغرناطة]^(٥)، وعلى الخطيب أبي محمد عبد الحق بن علي بن عبد الله الأنصاري، [وعلى غيرهما]^(٦) بالأندلس. وقرأت القرآن بالقراءات الثمان بثغر الإسكندرية على الشيخ الصالح رشيد الدين أبي محمد عبد النصير بن علي بن يحيى الهمداني^(٧) عرف بابن المريوطي^(٨).

(وقرأت)^(٩) القرآن بقراءة السبعة^(١٠) بمصر - حرسها الله تعالى - على الشيخ المسند العدل فخر الدين أبي الطاهر إسماعيل بن [هبة الله]^(١١) بن علي المليجي^(١٢).

-
- (١) هو: أحمد بن علي ابن الباذش أبو جعفر الأنصاري الغرناطي خطيبها صاحب «الإقناع في القراءات السبع»، توفي سنة (٥٤٠هـ). طبقات القراء: ٨٣/١، وبغية الوعاة: ١٤٧.
- (٢) هو: المبارك بن الحسن بن أحمد المقرئ، ثقة صالح صاحب «المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر»، وتوفي سنة (٥٥٠هـ).
- طبقات القراء: ٣٨/٢، ومعرفة القراء الكبار: ٥٠٧/١.
- (٣) في (هـ) و(ح): «السبع»، وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٧/١.
- (٤) (ح): «الجزيرة الأندلس».
- (٥) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٧/١.
- (٦) في (هـ) و(ح): «على غيره»، وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٧/١.
- (٧) في (هـ) و(ح): «الحمداني»، وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٧/١.
- (٨) هو: مقرئ بالإسكندرية، وتوفي بعد سنة (٦٨٠هـ).
- طبقات القراء: ٤٧٢/١، ومعرفة القراء الكبار: ٦٨٠/٢، وحسن المحاضرة: ٥٠٤/١.
- (٩) (ح): «وقراءة».
- (١٠) في (هـ) و(ح): «السبع»، وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٧/١.
- (١١) (ح): «هبة» بدون لفظ الجلالة «الله».

(١٢) هو: إسماعيل بن هبة الله بن علي أبو طاهر المليجي المقرئ، شيخ عدل، من شيوخه أبو الجود غياث بن فارس، ومن تلاميذه أبو حيان الأندلسي، توفي سنة (٦٨١هـ). والمليجي: بفتح الميم، وياء ساكنة بعد اللام المكسورة وجيم.

وأنشأت في هذا العلم كتاب «عقد اللآلئ» قصيداً في عروض قصيد الشاطبي [ورويهِ] ^(١) تشتمل على ألف بيت وأربعة وأربعين بيتاً، صرحت فيه ^(٢) بأسامي القراء ^(٣) من غير [رمز] ^(٤) ولا لغز ولا [حوشي] ^(٥) لغة. وأنشأته من كتب تسعة كما قلت.

تنظم هذا العقد من در تسعة من الكتب فالتيسير عنوانه انجلا بكاف لتجريدها لتبصره وإقناع تلخيصين أضحي مكملا فهذه سبعة وجوه لا ينبغي على تفسير كتاب الله تعالى إلا من أحاط بجملة غالبها ^(٦) من كل وجه منها ^(٧).

وقال الجاحظ في كتاب «نظم القرآن» ^(٨): فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بز ^(٩) أهل الدنيا في علم صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار، وإن كان من ابن القرية ^(١٠) أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أو عظم، والنحوي وإن كان أنحى من

انظر: طبقات القراء: ١/١٦٩، ومعرفة القراء الكبار: ٢/٦٦٣، والشذرات: ٥/٣٧٣.
(١) قال صاحب كشف الظنون: ٢/١١٥٢: عقد اللآلئ في القراءات السبع العوالي منظومة كالشاطبية في الوزن والقافية لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، المتوفى سنة ٧٤٥هـ) لم يأت فيها برمز، وزاد فيها على التيسير كثيراً.

ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٧/١.
(٢) في مقدمة تفسير أبي حيان: ٧/١: «فيها».
(٣) في (هـ) و(ح): «بأسماء القرآن»، وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٧/١.
(٤) في (هـ) و(ح) بياض، وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٧/١.
(٥) في (هـ) و(ح): بياض، وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٧/١. والحوشي: من الكلام الغريب الوحشي.

انظر: المصباح المنير: ١/١٦٩، والمعجم الوسيط: ١/٢٠٦.
(٦) في (هـ) و(ح): «غالبه»، وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٧/١.
(٧) مقدمة تفسير أبي حيان: ١/٥ - ٧.
(٨) لم أعر على كتاب نظم القرآن، وهذا النقل عن الكشاف للزمخشري: ١/١٥١.
(٩) بَرَّ يَبْرُ بَرًّا وبَرَّةٌ بمعنى غلب يقال: بَرَّ قَرِينَهُ؛ أي غلبه.
انظر: معجم الوسيط: ١/٥٤.

(١٠) هو: أيوب بن زيد بن قيس بن زرارة الهلالي، أحد بلغاء الهدر خطيب يضرب به المثل، يقال: «أبلغ من ابن القرية»، والقرية أمه قتله الحجاج سنة (أربع وثمانين هجرية).
انظر: تاريخ الطبري: ٨/٣٧، ووفيات الأعيان: ١/٨٢.

سبويه، واللغوي وإن علك^(١) اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع^(٢) في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني والبيان، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير أزمنة، وبعثته على تتبع مظانها همة في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ، جامعاً بين أمرين تحقيق وحفظ، كثير المطالعات طويل المراجعات قد راجع زماناً ورجع إليه، ورد عليه فارساً في علم الإعراب، مقدماً في جملة الكتاب، وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة، منقادها مشتعل القريحة^(٣)، وقادها يقظان النفس دراكاً للمحة، وإن لطف شأنها منتبهاً على الرمزة^(٤)، وإن خفي مكانها لا كزاً^(٥) جاسياً^(٦)، ولا غليظاً جافياً، متصرفاً [إذا دراية]^(٧) بأساليب النظم والنشر، مرتضاها غير ريبض بتلقيح نبات الفكر، قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف، وكيف ينظم ويرصف، طالما دفع إلى مضايقة، ووقع في مداخلها ومزالقة^(٨).

قال الزركشي في البرهان^(٩): للناظر في القرآن [الطلب

(١) علك في أصل اللغة من عَلَكَ يَعْلُكُ عَلَكَاً بمعنى مضغ يمضغ وأدار ما في فيه، والمراد هنا البراعة في اللغة.

انظر: اللسان: (مادة): «علك»: ٤٧٠/١٠، والمعجم الوسيط: ٦٢٩/٢.

(٢) برع: أي فاق أصحابه.

انظر: اللسان، مادة: (برع): ٨/٨.

(٣) القريحة من الإنسان، وملكته التي يستطيع بها ابتداع الكلام وإبداء الرأي: انظر:

اللسان، مادة: (قرح): ٥٥٨/٢.

(٤) الرمزة: والإشارة.

انظر: اللسان، مادة: (رمز): ٣٥٦/٥.

(٥) يقال: كزَّ فلان بمعنى قلَّ خيرُه ومساعدته فهو كز.

انظر: اللسان، مادة: (كزز): ٤٠٠/٥.

(٦) الجاسي من جسى يجسي جسا بمعنى خشن وصلب.

انظر: المعجم الوسيط: ١٢٣/١.

(٧) في (هـ) و(ح): «إذا مهابة»، وما أثبتته من الكشف: ١٥/١.

(٨) انتهى كلام الجاحظ، نقلاً عن الكشف للزمخشري: ١٥/١.

(٩) ١٥٦/٢.

التفسير^(١) مأخذ كثيرة، أمهاتها أربعة:

الأول: النقل عن النبي ﷺ وهذا هو الطراز^(٢) المعلم^(٣)، لكن يجب الحذر من الضعيف منه، والموضوع، فإنه كثير؛ ولهذا قال أحمد: ثلاثة لا أصل لها: المغازي، والملاحم، والتفسير^(٤). قال المحققون من أصحابه: مراده أن الغالب أنه ليس لها أسانيد صحاح متصلة، وإلا فقد صح من ذلك كثير، كتفسير «الظلم» بـ «الشرك»^(٥) في آية الأنعام، و«الحساب اليسير» بالعرض^(٦)، والقوة بالرمي في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

قال الحافظ السيوطي^(٧): قلت: الذي صح من ذلك قليل جداً، بل أصل المرفوع منه في غاية^(٨) القلة، وسأسردها كلها آخر الكتاب^(٩) - إن شاء الله تعالى.

(١) في البرهان: «لطالب التفسير».

(٢) الطراز: النمط والجيد من كل شيء.

انظر: الصحاح: ٨٨٣/٣.

(٣) في البرهان: ١٥٦/٢: «الأول».

(٤) نقله من مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ٢٠، والبرهان: ١٥٦/٢.

(٥) عبارة البرهان: ١٥٦/٢ - ١٥٧.

فمن ذلك تفسير الظلم بالشرك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، وتفسير الحساب اليسير بالعرض رواهما البخاري.

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن مسعود قال: لما نزلت: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] قال أصحابه: وأينا لم يظلم، فنزلت: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾: ١٩٣/٥.

(٦) وروى البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ: ليس أحد يحاسب إلا هلك، قالت: قلت: يا رسول الله، جعلني الله فداءك، أليس يقول الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَتَبَ بِيَمِينِهِ فَنَسَفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]، قال: «ذاك العرض يعرضون ومن نوقش الحساب هلك» صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿فَنَسَفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾^(٨): ٨١/٦.

روى مسلم في صحيحه من حديث عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي.

صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه: ٥٢/٦.

(٧) زيادة من المؤلف.

(٨) في الإتيان: ١٨١/٤: «غالب».

(٩) في النوع الثمانين حيث قال: وإذا انتهى بنا القول فيما أردناه من هذا الكتاب؛ =

الثاني: الأخذ بقول الصحابي؛ فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي ﷺ، كما قاله (١) الحاكم في «المستدرک» (٢).
 وقال أبو الخطاب (٣) من الحنابلة: يحتمل أن لا يرجع إليه إذا قلنا: إن قوله ليس بحجة، والصواب الأول؛ لأنه من باب الرواية لا الرأي.
 قال الحافظ السيوطي (٤): قلت: ما قاله الحاكم نازعاً فيه ابن الصلاح (٥) (٦) وغيره (٧) من المتأخرين، بأن ذلك مخصوص بما فيه سبب النزول أو نحوه مما لا مدخل للرأي (فيه) (٨).

= فلنختمه بما ورد عن النبي ﷺ من التفاسير المصريح برفعها إليه، غير ما ورد من أسباب النزول، ليستفاد فإنها من المهمات. ثم أورد ذلك من الفاتحة إلى الناس.

انظر: الإقتان: ٢١٤/٤ - ٢٥٧.

(١) في (هـ) و(ج): «كما قال»، وما أثبتته من الإقتان: ١٨١/٤.

(٢) في الإقتان: ١٨١/٤: «في مستدرکه»، وفي البرهان «في تفسيره». ولذا لم أجد

هذا القول في المستدرک.

(٣) هو: محفوظ بن أحمد أبو الخطاب الكلوداني، وله تصانيف منها: التمهيد في

أصول الفقه، وتوفي سنة (عشرة وخمسمائة).

انظر: طبقات الحنابلة: ٢٨/١، والنجوم الزاهر: ٢١٢/٥.

(٤) زيادة من المؤلف.

(٥) قال ابن الصلاح في علوم الحديث «مقدمة ابن الصلاح»:

وما قيل من أن تفسير الصحابي حديث مسند (مرفوع)، فإنما ذلك في تفسير يتعلق

بسبب نزول آية يخبر به الصحابي، أو نحو ذلك كقول جابر رضي الله عنه: كانت اليهود تقول: من

أتى امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ...﴾

[البقرة: ٢٢٣]. أخرج البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكُمْ

حَرْثٌ لَكُمْ﴾: ١٦٠/٥. فأما سائر تفاسير الصحابة التي لا تشتمل على إضافة شيء إلى

رسول الله ﷺ فمعدودة في الموقوفات - والله أعلم -.

انظر: مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث: «النوع الثامن»: ١٢٨.

(٦) ابن الصلاح هو: عثمان بن عبد الرحمن أبو عمرو الشهرزوري الكردي تقي الدين

المعروف بابن الصلاح، أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء

الرجال، من كتبه: معرفة أنواع علم الحديث يعرف بمقدمة ابن الصلاح، وتوفي سنة (ثلاث

وأربعين وستمائة للهجرة).

انظر: طبقات الشافعية: ١٣٧/٥.

(٧) كالنور في التقريب. انظر: تدريب الراوي: ١٩٢/١.

(٨) ساقط من (هـ) و(ج)، وما أثبتته من الإقتان: ١٨١/٤.

ثم رأيت الحاكم نفسه صرح به في «علوم الحديث»^(١) فقال: ومن الموقوفات تفسير الصحابة. وأما من يقول: إن تفسير الصحابة مسند، فإنما يقول فيما فيه سبب النزول. فقد خصص هذا، وعمم في «المستدرک» فاعتمد الأول^(٢)، - والله أعلم.

ثم قال الزركشي^(٣): وفي الرجوع إلى قول التابعي روايتان عن أحمد، واختار ابن عقيل^(٤)، المنع وحكوه عن شعبة لكن عمل المفسرين على خلافه، فقد حكوا في كتبهم أقوالهم^(٥)، لأن غالبها تلقوها من الصحابة، وبما يحكى عنهم عبارات مختلفة الألفاظ، فيظن من لا فهم عنده^(٦) أن ذلك اختلاف

(١) قال الحاكم في معرفة علوم الحديث: ١٩:

ومن الموقوف.. حديث أبي هريرة في قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا لِلنَّبِيِّ﴾ [المدثر]. قال: «تلقاهم جهنم يوم القيامة فتلفحهم لفحة فلا تترك لهما على عظم إلا وضعت على العراقيب» قال: وأشبه هذا من الموقوفات تعد في تفسير الصحابة. فأما ما نقول: في تفسير الصحابي مسند، فإنما نقوله في غير هذا النوع.. ثم أورد حديث جابر في قصة اليهود وقال: فهذا وأشباهه مسند ليس بموقوف؛ فإن الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا فإنه حديث مسند.

(٢) الإتيان: ١٨١/٤.

وعلى السيوطي في التدريب: ١٩٢/١ إطلاق الحاكم في المستدرک، بأنه كان حريصاً على جمع الصحيح في المستدرک حتى أورد فيه ما ليس من شرط المرفوع...، ثم اعترض على الحاكم - بعد ذلك - حيث عد الحديث المذكور عن أبي هريرة (ص ٢٣٦٥ على الهامش) من الموقوف، وليس كذلك، لأنه يتعلق بذكر الآخرة، وهذا لا مدخل للرأي فيه، فهو من قبيل المرفوع.

قلت: إن تفسير الصحابي للقرآن الكريم بمنزلة المرفوع إلى النبي ﷺ إذا كان لا مجال للرأي فيه كسبب النزول وغيره.

(٣) في البرهان: ١٥٨/٢.

(٤) هو: علي بن عقيل أبو الوفاء البغدادي الحنبلي الفقيه الأصولي المقرئ الواعظ، من تصانيفه والفصول في فروع الفقه الحنبلي، توفي سنة (ثلاث عشرة وخمسمائة للهجرة). انظر: طبقات الحنابلة: ٤١٣، وطبقات القراء: ٥٥٦/١.

(٥) كالضحاك بن مزحم، وسعيد بن جبیر، ومجاهد، وعكرمة، وغيرهم.

انظر: البرهان: ٢٥٨/٢.

(٦) في (هـ) و(ح): «لا يفهم عندهم»، وما أثبتته من الإتيان: ١٨١/٤، كما في البرهان: ١٥٩/٢.

محقق [فيحكيه] ^(١) أقوالاً، وليس كذلك، بل يكون كل واحد منهم ذكر معنى من الآيات ^(٢)؛ لكونه أظهر عنده ^(٣) أو أليق بحال السائل. وقد يكون بعضهم يخبر عن الشيء بلازمه ونظيره، والآخر بمقصوده وثمرته، والكل يؤول إلى معنى ^(٤) واحد غالباً، فإن لم يمكن الجمع، فالمتأخر من القولين عن الشخص الواحد مقدّم، إن استويا في الصحة عنه، وإلا فالصحيح المقدم.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة؛ فإن القرآن بلسان عربي. وهذا قد ذكره جماعة، ونص عليه أحمد في مواضع ^(٥) لكن نقل الفضل بن زياد عنه [أنه] ^(٦) سئل عن القرآن يمثل له الرجل بيت من الشعر، فقال: ما يعجبني. فقيل: ظاهره المنع، ولهذا قال بعضهم في جواز تفسير القرآن بمقتضى اللغة: روايتان عن أحمد، وقيل: الكراهة تحمل على [من] ^(٧) صرف الآية عن ظاهرها إلى معان خارجة محتملة يدلّ عليها القليل من كلام العرب، ولا يوجد غالباً إلا في الشعر ونحوه ويكون المتبادر خلافها.

وروى البيهقي في «الشعب» عن مالك قال: لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً.

الرابع: التفسير بالمقتضى (من) ^(٨) معنى الكلام، [والمقتضى] ^(٩) من قوة الشرع، وهذا هو الذي دعا به النبي ﷺ لابن عباس حيث قال: «اللهم فقّهه في الدين، وعلمه التأويل» ^(١٠). والذي عناه علي - كرم الله وجهه - بقوله: «إلا فهماً يؤتاه الرجل في القرآن» ^(١١).

(١) في (هـ): «فيحكه»، والصواب ما أثبتته كما في (ح).

(٢) في (هـ) و(ح): «من الآية»، وما أثبتته من الإتيان: ١٨١/٤.

(٣) في (هـ) و(ح): «عندهم»، وما أثبتته من الإتيان: ١٨١/٤.

(٤) في (ح): «المعنى».

(٥) في (هـ) و(ح): «في موضوع»، وما أثبتته من الإتيان: ١٨٢/٤.

(٦) ساقط من (ح).

(٧) ساقط من الإتيان: ١٨٢/٤.

(٨) ساقط من الإتيان: ١٨٢/٤.

(٩) في (هـ) و(ح) والإتيان: ١٨٢/٤: «والمقتضب»، وما أثبتته أنسب للسياق.

(١٠) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن

عباس: ١٥٨/٧.

(١١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب لا يقتل المسلم بالكافر: ٤٧/٨.

ومن هنا اختلف الصحابة في معنى الآية، فأخذ كل برأيه على منتهى نظره^(١). ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]، وقال: ﴿لِئِيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. فأضاف البيان إليه^(٢). وقال ﷺ: «من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» أخرجه أبو داود [الترمذي والنسائي]^(٣)، وقال: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» أخرجه أبو داود^(٤) [٤٤]^(٥).

وقال البيهقي في الحديث الأول: إن صحَّ [فإنما أراد]^(٦) - والله أعلم - الرأي الذي يغلب من غير دليل قام عليه، وأما الذي يسنده برهان فالقول به جائز. وقال في «المدخل»: في هذا الحديث نظر، وإن صحَّ فإنما أراد به - والله أعلم - فقد [أخطأ]^(٧) الطريق، فسيبيله أن يرجع في تفسير^(٨) ألفاظه إلى أهل اللغة، وفي معرفة ناسخه ومنسوخه، وسبب نزوله، وما يحتاج فيه إلى بيانه إلى أخبار الصحابة الذين شاهدوا تنزيهه، وأدوا إلينا^(٩) من السنن ما يكون بياناً لكتاب الله، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِئِيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]. فما ورد بيانه عن صاحب الشرع، ففيه

(١) في البرهان: ١٦١/٢: «على مقتضى نظره».

(٢) في البرهان: ١٦١/٢: «أضاف البيان إليهم».

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب الكلام في كتاب الله بغير علم: ٣/٣٢٠، ورواه الترمذي نحوه في سننه، كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه: ٢٠٠/٥ ثم قال: وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم، وأخرجه النسائي في كتابه: «فضائل القرآن»: ١١٤، باب من قال في القرآن بغير علم، والحديث مداره على سهيل بن مهران القطعي، وهو ضعيف عند أهل الحديث.

(٤) لم أعثر عليه، ولكن عثرت عليه في سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه: ٢٠٠/٥.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ح).

(٦) في (ه) و(ح): «أراد»، وما أثبتته من الإتيان: ١٨٣/١.

(٧) ساقط من الإتيان: ١٨٣/٤.

(٨) في الإتيان: «في تفسيره».

(٩) في (ه) و(ح): «البيان»، وما أثبتته من الإتيان: ١٨٣/٤.

كفاية عن فكرة من بعده، وما لم يرد عنه بيانه، ففيه حينئذ فكرة أهل العلم بعده؛ ليستدلوا بما ورد بيانه على ما لم يرد. قال: وقد يكون المراد به: من قال فيه برأيه من غير معرفة منه بأصول العلم وفروعه، فيكون موافقه للصواب - إن وافقه من حيث لا يعرفه - غير محمودة.

وقال الماوردي: قد حمل بعض المتورعة هذا الحديث على ظاهره، وامتنع من أن يستنبط معاني القرآن باجتهاده، ولو صحبتها الشواهد [ولم يعارض شواهدا] ^(١) نص صريح، وهذا عدول عما تعبدنا بمعرفته من النظر في القرآن واستنباط الأحكام [منه] ^(٢)، كما قال تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، ولو صح ما ذهب إليه لم يعلم شيء بالاستنباط، ولما فهم الأكثرون من كتاب الله شيئاً، وإن صح الحديث فتأويله: أن من تكلم في القرآن بمجرد رأيه ولم يعرج على سوى لفظه وأصاب الحق فقد أخطأ الطريق، وإصابته اتفاق؛ إذ الغرض أنه مجرد رأي لا شاهد له.

وفي الحديث: «القرآن ذلول ذو أوجه فاحملوه على أحسن وجوهه» أخرجه أبو نعيم وغيره ^(٣) من حديث ابن عباس، فقوله: «ذلول» يحتمل ^(٤) معنيين: أحدهما: أنه مطيع لحامله تنطق به ألسنتهم.

والثاني: أنه موضح لمعانيه حتى لا يقصر عنه أفهام المجتهدين.

وقوله: «ذو أوجه» يحتمل معنيين:

أحدهما: أن من ألفاظه ما يحتمل وجوهاً من التأويل.

ثانيهما: أنه قد جمع وجوهاً من الأوامر، والنواهي، والترغيب، والترهيب، والتحليل، والتحرير.

وقوله: «فاحملوه على أحسن وجوهه»، [يحتمل] ^(٥) على معنيين:

(١) ساقط من (ح).

(٢) ساقط من الإتيان: ١٨٣/٤.

(٣) أخرجه الدارقطني بلفظه: ١٤٥/٤ من حديث ابن عباس، وفي إسناده زكريا بن عطية قال عنه أبو حاتم: منكر الحديث. ميزان الاعتدال: ٧٤/٢، ولم أهد إلى ما أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(٤) في (هـ) و(ح): «محتمل»، وما أثبتته من الإتيان: ١٨٤/٤.

(٥) في (هـ): «يحتمل»، وما أثبتته من (ح) كما في الإتيان: ١٨٤/٤.

أحدهما: الحمل على أحسن معانيه.

والثاني: أحسن ما فيه من العزائم دون الرخص والعفو دون الانتقام. وفيه دلالة ظاهرة على جواز الاستنباط والاجتهاد في كتاب الله تعالى^(١). انتهى.

وقال أبو الليث^(٢): النهي إنما انصرف إلى المتشابه منه، لا إلى جميعه كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾؛ لأن القرآن إنما نزل حجة على الخلق؛ فلو لم يجز التفسير لم تكن الحجة بالغة. فإذا كان كذلك جاز لمن عرف لغات العرب وأسباب النزول، أن يفسره. وأما من لم يعرف وجوه اللغة، فلا يجوز أن يفسره إلا بمقدار ما سمع؛ فيكون ذلك على وجه الحكاية لا على وجه التفسير. ولو أنه يعلم التفسير وأراد^(٣) أن يستخرج من الآية حكماً ودليلاً فلا بأس به. ولو قال: المراد [من الآية]^(٤) كذا من غير أن يسمع فيه شيئاً فلا يحل، وهو الذي نهى عنه^(٥).

وقال ابن الأنباري^(٦) في الحديث الأول: حمل بعض أهل العلم على أن

(١) انتهى كلام الماوردي في «النكت والعيون في تأويل القرآن الكريم» تحقيق د. الشايح: ١٨٨/١ بتصرف.

(٢) هو: نصر بن محمد أبو الليث السمرقندي المعروف بإمام الهدى، صاحب تفسير القرآن العظيم، والنوازل في الفقه، توفي سنة (٣٩٣). طبقات المفسرين للداودي: ٢/٣٤٥.

(٣) في (هـ) و(ح): «إذا أراد»، وما أثبتته من الإتيان: ١٨٤/٤.

(٤) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ١٨٤/٤.

(٥) نقلاً عن البرهان: ١٥٧/٢ - ١٦٤ بتصرف واختصار.

(٦) هو: محمد بن القاسم أبو بكر المعروف بابن الأنباري الحافظ العلامة النحوي شيخ الأدب، صاحب «غريب الحديث»، وتوفي سنة (٣٢٨هـ). طبقات الحفاظ: ٣٤٩، وإنباء الرواة: ٢٠١/٣.

قلت: والرأي الذي تميل إليه النفس ما قاله أبو الليث، من أن النهي إنما انصرف إلى المتشابه من القرآن لا إلى جميعه؛ لأنه مما استأثر الله بعلمه. وأما الحديث: «من قال في كتاب الله ﷻ برأيه فأصاب فقد أخطأ»، فمحمول على ذم من فسر القرآن برأيه دون نظر في أقوال العلماء، وقوانين العلوم كالنحو واللغة والأصول وغيرها، وذم الرأي المجرد الذي لا دليل عليه، فهذا الذي أعاد الله الصديق ﷺ حين قال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني، إن قلت في كتاب الله ما لم أعلم، وليس من اجتهد ففسر على قوانين العلم والنظر، ومن اجتمع له الآلات التي يستعان بها بداخل في ذلك =

الرأي يعني^(١) به الهوى، فمن قال في القرآن قولاً يوافق هواه ولم يأخذه^(٢) عن أئمة السلف وأصاب فقد أخطأ؛ لحكمه على القرآن بما لا يعرف أصله، ولا قف على مذاهب أهل الأثر والنقل فيه. وقال في الحديث الثاني: له معنيان:

أحدهما: من قال في مشكل القرآن بما لا يعرف من مذاهب^(٣) الأوائل من الصحابة والتابعين فهو متعرض^(٤) لسخط الله.

والثاني: وهو الأصح. من قال في القرآن قولاً يعلم أن الحق غيره، فليتبوأ مقعده من النار.

وقال البغوي^(٥) والكواشي وغيرهما:

التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وبعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط غير محظور على العلماء بالتفسير، كقوله تعالى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١] قيل: شباباً وشيوخاً. وقيل: أغنياء وفقراء. وقيل: عزاباً ومتأهلين. وقيل: نشاطاً وغير نشاط. وقيل: أصحاء ومرضى، وكل ذلك سائغ والآية تحتمله.

وأما التأويل المخالف للآية والشرع فمحظور؛ لأنه تأويل الجاهلين، مثل تأويل الروافض قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩] أنهما علي وفاطمة، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْزُ وَالْمَرْجَاتُ﴾ [الرحمن: ٢٢]؛ يعني الحسن والحسين^(٦).

وقال بعضهم: اختلف الناس في تفسير القرآن، هل يجوز لكل أحد الخوض فيه؟

= الحديث ولا هو يفسر برأيه ولا يوصف بالخطأ، - والله أعلم.

انظر: مقدمة في أصول التفسير: ٣٠، وإعلام الموقعين: ٦١/١.

(١) في الإتيان: ١٨٤/٤: «معني».

(٢) في الإتيان: ١٨٤/٤: «فلم يأخذه» بالفاء.

(٣) في الإتيان: ١٨٥/٤: «مذهب».

(٤) في (هـ) و(ج): «معرض»، وما أثبتته في الإتيان: ١٨٥/٤.

(٥) في تفسيره: ١٨/١، والكواشي في «تلخيص تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر»:

١٤٢.

(٦) انظر: البرهان في تفسير القرآن لهاشم الكتاني: ٤٦٥/٤.

فقال قوم: لا يجوز لأحد أن يتعاطى [في]^(١) تفسير شيء من القرآن، إن كان عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلة، والفقه، والنحو، والأخبار، والآثار، وليس له إلا أن ينتهي إلى ما روي عن النبي ﷺ في ذلك.

ومنهم من قال: يجوز تفسيره لمن كان جامعاً للعلوم التي يحتاج المفسر إليها وهي خمسة عشر علماً.

أحدها: اللغة؛ لأن بها يعرف (شرح)^(٢) مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع.

قال مجاهد^(٣): لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب. وتقدم قول مالك في ذلك^(٤). ولا يكفي في حقه معرفة اليسير منها، فيكون اللفظ مشتركاً، وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر.

الثاني: النحو؛ لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب [فلا بد من اعتباره]^(٥).

وأخرج أبو عبيد عن الحسن، أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته. فقال الحسن^(٦): فتعلمها؛ فإن الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها فيهلك [فيها]^{(٧)(٨)}.

الثالث: التصريف؛ لأن به تعرف الأبنية والصيغ. قال ابن فارس^(٩) ومن

(١) ساقط من الإتيان: ١٨٥/٤.

(٢) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ١٨٥/٤.

(٣) نقلاً عن البرهان للزركشي: ٢٩٢/١.

(٤) وهو ما رواه البيهقي في الشعب عن مالك قال: لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً.

(٥) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ١٨٥/٤.

(٦) ساقط من (ح).

(٧) وفي مقدمة تفسير أبي حيان: ١٣/١.

قال الحسن: أهلكتهم العجمة يقرأ أحدهم الآية فيعيا بوجهها حتى يفترى على الله فيها.

(٨) أي يصعب عليه تفسيرها ويعجز عن فهمها، فيحملها على غير معناها، فيكون ذلك سبب وقوعه في الإثم.

(٩) في كتابه: «الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها»: ١٩١.

فاته علمه، فاته [المعظم]^(١)؛ لأن «وجد» مثلاً كلمة مبهمة، فإذا صرفناها اتضحت بمصادرها.

وقال الزمخشري: من بدع التفاسير قول من قال: إن الإمام في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] جمع «أم»، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأسمائهم دون آبائهم، قال: وهذا غلط أوجه جهله بالتصريف؛ فإن «أما» لا تجمع على «إمام»^(٢).

الرابع: الاشتقاق؛ لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما، كالمرسح هل هو من السياحة أو من المسح^(٣).

الخامس، والسادس، والسابع: المعاني والبيان والبديع؛ لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادة المعنى، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام، وهذه العلوم الثلاثة في علوم البلاغة؛ وهي من أعظم أركان المفسر؛ لأنه لا بد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يدرك بهذه [العلوم]^(٤).

قال السكاكي^(٥): اعلم أن شأن الإعجاز عجيب، يدرك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها، وكالملاحاة، ولا طريق إلى تحصيله لغير ذوي الفطر السليمة إلا التمرن في علمي المعاني والبيان.

وقال ابن أبي الحديد^(٦): اعلم أن معرفة الفصيح والأفصح والرشيح

(١) ساقط من (ح).

(٢) انتهى كلام الزمخشري من الكشف: ٤٥٩/٢.

(٣) وفي اللسان، مادة: (مسح): ٥٩٤/٢.

المسيح: الصديق وبه سمي عيسى عليه السلام سمي بذلك لصدقه. وقيل: سمي به لأنه كان سائحاً في الأرض لا يستقر، وقيل: سمي بذلك لأنه كان يمسح بيده على العليل والأكمه والأبرص فيبرئهم بإذن الله، وقيل: سمي به لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن. والمسيح الكذاب الدجال، وسمي الدجال مسيحاً لأن عينه ممسوحة عن أن يبصر بها.

(٤) في (هـ): «العلم»، وما أثبتته من (ح) كما في الإقتان: ١٨٦/٤.

(٥) في مفتاح العلوم: ٦٥٣.

(٦) هو: عبد الحميد بن هبة محمد ابن أبي الحديد أبو حامد من أعيان المعتزلة عالم بالأدب، صاحب المصنفات منها: شرح منهج البلاغة، وتوفي سنة (ست وخمسين وستمائة). انظر: البداية والنهاية: ١٩٩/١٣، وفوات الوفيات: ٢٤٨/١.

[والأرشق]^(١) من الكلام أمر لا يدرك إلا بالذوق، ولا يمكن إقامة الدليل عليه، وهو بمنزلة جاريتين [إحدهما]^(٢) بيضاء مشربة بحمرة، دقيقة الشفتين، نقية الثغر، كحلاء العينين، أسيلة الخد^(٣)، دقيقة الأنف، معتدلة القامة. والأخرى دونها في هذه الصفات والمحاسن، لكنها أحلى في العيون والقلوب منها، ولا يدرى سبب ذلك، ولكنه يعرف بالذوق والمشاهدة، ولا يمكن تعليقه، وهكذا الكلام. نعم يبقى الفرق بين الوصفين، أن حسن الوجوه وملاحظتها وتفضيل بعضها على بعض يدرك كل من له عين صحيحة، وأما الكلام فلا يدرك إلا بالذوق، وليس كل من اشتغل بالنحو، واللغة، والفقه يكون من أهل الذوق، وممن يصلح لانتقاد الكلام، وإنما أهل الذوق [هم]^(٤) الذين اشتغلوا بعلم البيان، وراضوا أنفسهم بالرسائل، والخطب، والكتابة، والشعر، وصارت لهم بذلك دربة وملكة تامة؛ فإلى أولئك ينبغي أن يرجع في معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض.

وقال الزمخشري^(٥): [من]^(٦) حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد بقاء النظم على حسنه، والبلاغة على كمالها، وما وقع به التحدي [سليماً]^(٧) من القادح.

وقال غيره^(٨): معرفة هذه الصناعة بأوضاعها، هي عمدة التفسير المطلع على عجائب كلام الله، وهي قاعدة الفصاحة، وواسطة عقد البلاغة. الثامن: علم القراءات؛ لأن به تعرف كيفية النطق بالقرآن. وبالقراءات ترجيح^(٩) بعض الوجوه المحتملة على بعض.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ)، وما أثبتته من (ح).

(٢) في (هـ) و(ح): «أحدهما»، والصواب ما أثبتته كما في الإتيان: ٨٧/٤.

(٣) وفي اللسان، مادة: (أسل): ١٥/١١ ورجل أسيل الخد إذا كان لين الخد طويله،

وكل مسترسل أسيل.

(٤) ساقط من (هـ)، وما أثبتته من الإتيان: ١٨٧/٤.

(٥) لم أعثر على ما قاله الزمخشري في كتابه، ووجدته نقلاً من البرهان للزركشي: ٣١١/١.

(٦) ساقط من (هـ)، وما أثبتته من الإتيان: ١٨٧/٤.

(٧) (ح): «سليمان»، وهو تصحيف.

(٨) قاله الزركشي في البرهان: ٣١٢/١.

(٩) في الإتيان: ١٨٧/٤: «يترجح».

التاسع: أصول الدين؛ لما في القرآن^(١) من الآيات الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله.

فالأصولي يؤول [ذلك]^(٢) ويستدلّ على ما يستحيل وما يجب وما يجوز.
العاشر: أصول الفقه؛ إذ به يعرف وجه [الاستدلال]^(٣) على الأحكام والاستنباط.

الحادي عشر: أسباب النزول والقصص، إذ بسبب النزول [يعرف به معنى الآية]^(٤) المنزلة فيه بحسب ما أنزل فيه.

الثاني عشر: الناسخ والمنسوخ لعليم المحكم من غيره.
الثالث عشر: الفقه.

الرابع عشر: الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم.

الخامس عشر: علم الموهبة: وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة بحديث: «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم»^(٥).

قال ابن أبي الدنيا: وعلوم القرآن، وما يستنبط منه [بحر لا ساحل له]^(٦)، قال فهذه العلوم - التي كالألة للمفسر - لا يكون مفسراً إلا بتحصيلها، فمن فسر بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه، وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسراً بالرأي المنهي عنه.

قال: والصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية بالطبع [لا]^(٧) بالاكْتساب، واستفادوا العلوم الأخرى من النبي ﷺ.

(١) في الإتيان: ١٨٧/٤: «بما في القرآن»، والصواب ما أثبتته.

(٢) ساقط من (ح).

(٣) في (ه): «استدلال».

(٤) في الإتيان: ١٨٧/٤: «يعرف معنى الآية».

في الاصطلاح: هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي.

انظر: اللسان، مادة: (نسخ): ٦١/٣، ومناهل العرفان: ١٧٦/٢.

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية: ١٥/١٠، في حديث طويل عن الإمام أحمد ثم قال أبو نعيم ﷺ - تعليقا على هذا الحديث -: ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى ابن مريم ﷺ فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي ﷺ فوضع هذا الإسناد عليه لسهولته وقربه، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد بن حنبل.

(٦) (ح): «بحر لا حل له» وهو تصحيف.

(٧) ساقط من (ه)، و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ١٨٨/٤.

قلت^(١): ولعلك تستشكل علم الموهبة، وتقول: هذا [شيء]^(٢) ليس في قدرة الإنسان [تحصيله]^(٣) [وليس كما ظننت من الإشكال، والطريق في تحصيله]^(٤) ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد.

[وقال في البرهان^(٥): اعلم^(٦)] أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي، ولا يظهر له أسرار، وفي قلبه بدعة، أو كبر، أو هوى، أو حب الدنيا، أو هو مصر على ذنب، أو غير متحقق بالإيمان، أو ضعيف [التحقيق]^(٧)، أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم، أو راجع إلى معقوله، وهذه كلها [حجب وموانع]^(٨) بعضها أكد من بعض.

قال الإمام السيوطي^(٩): قلت: وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿سَاصِرُفٍ عَنَّا يَتِيَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

قال سفيان بن عيينة يقول: أنزع عنهم فهم القرآن أخرج ابن أبي حاتم^(١٠).

وقد أخرج ابن جرير^(١١) وغيره من طرق^(١٢) عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: التفسير أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله. ثم رواه مرفوعاً بسند ضعيف بلفظ: «أنزل القرآن على أربعة أحرف: حلال

(١) القائل: السيوطي.

(٢) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ١٨٨/٤.

(٣) ساقط من الإتيان: ١٨٨/٤.

(٤) ساقط من (ح).

(٥) ١٨/٢: بتصرف واختصار.

(٦) ساقط من (هـ)، وما أثبتته من الإتيان: ١٨٨/٤، و(ح).

(٧) في (هـ): «بالتحقيق»، وما أثبتته من الإتيان: ١٨٨/٤.

(٨) في (هـ): «حجب وموانع»، وما أثبتته من (ح).

(٩) هذا الكلام يشعر أن ما قبله من كلام المؤلف، ولكن هذا كله من الإتيان: ٤/

١٨٨.

(١٠) نقلاً عن تفسير ابن كثير: ٢٤٧/٢، والدر المنثور: ١٢٧/٣.

(١١) في تفسيره: ٢٦/١.

(١٢) في (هـ) و(ح): «طريق»، وما أثبتته من الإتيان: ١٨٨/٤.

وحرام، لا يعذر أحد بجهالته، و[تفسير تفسره العرب]^(١)، وتفسير يفسره العلماء، ومتشابه لا يعلمه إلا الله، ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب^(٢).

قال الزركشي في «البرهان»^(٣) في قول ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما -: هذا تقسيم صحيح؛ فأما الذي تعرفه العرب، فهو الذي يرجع فيه إلى لسانهم، وذلك اللغة والإعراب. فأما اللغة فعلى المفسر معرفة معانيها ومسميات أسمائها، ولا يلزم ذلك القارئ. ثم إن كان ما تتضمنه^(٤) ألقاظها يوجب العمل دون العلم، كفى به خير الواحد. والاثنين، والاستشهاد بالبيت والبيتين، وإن كان يوجب العلم لم يكف ذلك، بل لا بد أن يستفيض ذلك اللفظ، وتكثر شواهد من الشعر.

وأما الإعراب فما كان اختلافه محيلاً^(٥) للمعنى وجب على المفسر والقارئ تعلمه؛ لوصول^(٦) المفسر إلى معرفة الحكم، ويسلم^(٧) القارئ من اللحن، وإن لم يكن محيلاً^(٨) للمعنى وجب تعلمه على القارئ ليسلم من اللحن، ولا يجب على المفسر لوصوله^(٩) إلى المقصود بدونه^(١٠).

وأما ما لا يعذر أحد^(١١) بجهله، فهو ما تتبادر الأفهام إلى معرفة معناه من

(١) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ١٨٨/٤.

(٢) قال الطبري: في إسناده نظر؛ لأن الذي رواه هو الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، أنه ليس من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله.

تفسير ابن جرير: ٢٦/١، وانظر تعليق الشيخ أحمد شاكر: ٧٦/١.

ونقله في البرهان: ١٦٤/٢ عن عبد الرزاق في تفسيره.

(٣) ١٦٤/٢.

(٤) في (هـ): «يتضمنه»، وما أثبتته من الإتيان: ١٨٩/٤، كما في البرهان: ١٦٥/٢.

(٥) في (هـ) و(ح): «مخلاً»، وما أثبتته من البرهان: ١٦٥/٢، والإتيان: ١٨٩/٤.

ومحياً: مفسداً، يقال: أحلت الكلام أحيله إذا أفسدته. انظر: اللسان: ١٨٦/١١،

مادة: (حول).

(٦) في البرهان للزركشي: ١٦٥/٢: «ليوصل».

(٧) في البرهان للزركشي: ١٦٥/٢: «ليسلم».

(٨) في (هـ) و(ح): «مخلاً»، وما أثبتته من البرهان: ١٦٥/٢، والإتيان: ١٨٩/٤.

(٩) في البرهان: ١٦٥/٢: «ليوصل».

(١٠) بعده في البرهان: ١٦٥/٢: «على أن نقص في حق الجميع».

(١١) في البرهان: ١٦٥/٢: «واحد».

النصوص المتضمنة شرائع الأحكام، ودلائل التوحيد. وكل لفظ أفاد معنى واحداً جلياً يعلم أنه مراد الله، فهذا القسم [لا يلتبس]^(١) تأويله؛ إذ كل أحد يدرك معنى التوحيد من قوله تعالى: ﴿فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] وأنه لا شريك له في الإلهية^(٢)، وإن لم يعلم أن «لا» موضوعة في اللغة للنفي و«إلا» للإثبات، وأن مقتضى هذه الكلمة الحصر، ويعلم كل أحد بالضرورة^(٣) أن مقتضى قوله تعالى: «أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة» [البقرة: ٤٣] ونحوها [من الأوامر]^(٤)، طلب إيجاد^(٥) المأمور به [في الوجود]^(٦) وإن لم يعلم أن صيغة «افعل» للوجوب^(٧)، فما كان من هذا القسم لا يعذر أحد [يدعي]^(٨) الجهل بمعاني ألفاظه؛ لأنها معلومة لكل أحد بالضرورة.

وأما ما لا يعلمه إلا الله، فهو ما يجري مجرى الغيوب، نحو الآي المتضمنة لقيام الساعة^(٩)، وتفسير الروح، والحروف المقطعة، وكل متشابه في القرآن عند أهل الحق، فلا مساع للاجتهاد في تفسيره، ولا طريق إلى ذلك إلا بالتوقيف بنص من القرآن أو الحديث أو إجماع الأمة على تأويله^(١٠).

وأما ما يعلمه العلماء، ويرجع إلى اجتهادهم، فهو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل، وذلك استنباط الأحكام، وبيان المجمل، وتخصيص العموم، وكل لفظ احتمال معنيين فصاعداً، فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه، وعليهم اعتماد الشواهد والدلائل دون مجرد الرأي، فإن كان أحد المعنيين

(١) في (هـ) و(ح): «يلتبس» بدون «لا»، وما أثبتته من الإتيان: ١٨٩/٤، كما في البرهان: ١٦٥/٢.

(٢) البرهان: ١٦٥/٢: «الهيئة».

(٣) في (هـ) و(ح): «للضرورة»، وما أثبتته من الإتيان: ٨٩/٤، كما في البرهان: ١٦٦/٦.

(٤) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ١٩٠/٤، كما في البرهان: ١٦٦/٢.

(٥) في الإتيان: ١٩٠/٤: «إدخال».

(٦) ساقط من (هـ)، وما أثبتته من الإتيان: ١٩٠/٤، والبرهان: ١٦٦/٢.

(٧) البرهان: ١٦٦/٢: «مقتضاها الترجيح وجوباً أو ندباً».

(٨) في (هـ): «عن»، وما أثبتته من الإتيان: ١٩٠/٤.

(٩) في الإتيان: ١٩٠/٤: «قيام الساعة» وكذلك في البرهان: ١٦٦/٢.

(١٠) بعدها في البرهان: ١٦٦/٢: «فإذا لم يرد فيه توقيف من هذه الجهات علمنا أنه ما

استأثر الله بعلمه».

أظهر وجب الحمل عليه، إلا أن يقوم دليل على أن المراد هو الخفي. وإن استويا - والاستعمال فيها حقيقة؛ لكن في أحدهما حقيقة لغوية^(١) أو عرفية^(٢)، وفي الآخر شرعية^(٣) - فالحمل على الشرعية أولى، إلا أن يدل دليل على إرادة اللغوية كما في قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، [ولو كان في أحدهما عرفية والآخر لغوية فالحمل على العرفية أولى وإن اتفقا في ذلك أيضاً]^(٤)، وإن تنافى اجتماعهما ولم يمكن إرادتهما باللفظ الواحد كالقراء للحيض والطهر، اجتهد في المراد منهما بالأمارات الدالة عليه، فما ظنه فهو مراد الله تعالى حقه، وإن لم يظهر له شيء فهل يخبر في الحمل على أيهما شاء، أو يأخذ بالأغلب حكماً أو بالأخف أقوالاً. وإن لم يتنافيا وجب الحمل عليهما عند المحققين، ويكون ذلك أبلغ في الإعجاز والفصاحة، إلا أن يدل دليل على إرادة أحدهما إذا عرف ذلك فينزل حديث: «من تكلم في القرآن برأيه»^(٥) على قسمين من هذه الأربعة.

(١) الحقيقة اللغوية: هي إطلاق لفظ على معناه الأصلي اللغوي كقوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾، فإن المراد بالصلاة هنا الدعاء، وهو معناه الأصلي اللغوي.

(٢) الحقيقة العرفية: عندما نريد أن نعرف الحقيقة العرفية علينا أن نعرف معنى «العرف». وهو: ما تعودت الناس أو جمع منهم وألفوه حتى استقر في نفوسهم من فعل شاع بينهم، أو لفظ كثر استعماله في معنى خاص بحيث يتبادر منه عند إطلاقه دون معناه الأصلي. والمراد هنا هو الثاني: يعني تعارف الناس على إطلاق لفظ على معنى غير معناه الأصلي، بحيث يتبادر منه هذا المعنى العرفي عند إطلاقه بدون حاجة إلى قرينة؛ لأن المعنى اللغوي مهجور لا يقصد من اللفظ إلا بقرينة تدل على إرادته. كتعارفهم إطلاق لفظ «الولد» على الذكر دون الأنثى مع أنه في اللغة شامل للنوعين. انظر: أصول الفقه الإسلامي محمد مصطفى شلبي: ٣١٣/١.

(٣) الحقيقة الشرعية: هي إطلاق لفظ على معنى غير معناه الأصلي للدليل شرعي. كإطلاق لفظ «الحج» على قصد بيت الله الحرام، مع أنه في اللغة يطلق على كل قصد. قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

(٤) وفي البرهان للزركشي: ١٦٦/٢: وكذلك إذا دار بين اللغوية والعرفية، فالعرفية أولى لطريانها على اللغة، ولو دار بين الشرعية والعرفية، فالشرعية أولى؛ لأن الشرع أُلزم.

(٥) في البرهان: ١٦٨/٢: «من تكلم في القرآن بغير علم فليتوباً مقعده من النار»، والحديث أخرجه أحمد في مسنده: ٢٦٦/١.

أحدهما: تفسير اللفظ لاحتياج المفسر له إلى التبخر^(١) في معرفة لسان العرب.

والثاني: حمل اللفظ المحتمل على أحد معنييه لاحتياج ذلك إلى معرفة أنواع (من العلوم، والتبخر)^(٢) في العربية واللغة، ومن علم الأصول^(٣) ما يدرك به حدود الأشياء، وصيغ الأمر والنهي والخبر، والمجمل والمبين، والعموم والخصوص، والمطلق والمقيد، والمحكم والمتشابه، والظاهر والمؤول، والحقيقة والمجاز، والصريح والكناية.

ومن الفروع ما يدرك به الاستنباط، [والاستدلال]^(٤) على هذا أقل ما يحتاج إليه، ومع ذلك فهو على خطر، فعليه أن يقول يحتمل كذا، ولا يجوز إلا في حكم اضطر إلى الفتوى به، فأدى اجتهاده إليه، [فيجزم مع تجويز خلافه]^(٥). انتهى^(٦).

وقال ابن النقيب جملة ما تحصل في معنى حديث التفسير بالرأي خمسة أقوال:

أحدها: التفسير من غير حصول [العلوم]^(٧) التي يجوز معها التفسير.

[الثاني: تفسير]^(٨) المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله.

الثالث: التفسير المقرر للمذهب الفاسد، بأن يجعل المذهب أصلاً، والتفسير تابعاً [له]^(٩)، فيرد إليه بأي طريق أمكن، وإن كان ضعيفاً.

الرابع: التفسير بأن مراد الله كذا على القطع من غير دليل.

الخامس: التفسير بالاستحسان والهوى.

(١) في (هـ) و(ح): «التجرد»، وما أثبتته من الإتيان: ١٩١/٤.

(٢) في (ح): «من العلم التجرد».

(٣) في (هـ) و(ح): «ومن الأصول»، وما أثبتته من الإتيان: ١٩١/٤.

(٤) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ١٩١/٤.

(٥) في الإتيان: ١٩١/٤: «فيحرم خلافه مع تجويز خلافه عند الله».

(٦) انتهى كلام الزركشي. في البرهان: ١٦٤/٢ - ١٦٨ مع تصرف واختصار.

(٧) (ح): «العلم».

(٨) ما بين القوسين ساقط من: (ح).

(٩) ساقط من الإتيان: ١٩١/٤.

ثم قال: واعلم أن علوم القرآن ثلاثة أقسام:

الأول: علم لم يُطلع الله عليه أحداً من خلقه، وهو ما استأثر به من علوم أسرار كتابه من معرفة كنه ذاته، (ومعرفة حقائق أسمائه وصفاته، وتفاصيل علوم)^(١) غيوبه التي لا يعلمها إلا هو، وهذا لا يجوز لأحد الكلام فيه بوجه من الوجوه إجمالاً.

الثاني: ما أطلع الله عليه نبيه من أسرار الكتاب واختصه به، وهذا لا يجوز فيه إلا له ﷺ أو لمن أذن له.

قال: وأوائل السور من هذا القسم. وقيل: من القسم الأول.

الثالث: علوم علمها الله - جل شأنه - نبيه بما أودع كتابه من المعاني الجليلة والخفية وأمره بتعليمها، وهذا ينقسم إلى قسمين.

منه ما لا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع، وهو أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والقراءات، واللغات، وقصص الأمم الماضية، وأخبار ما هو كائن من الحوادث، وأمور الحشر والمعاد.

ومنه ما يؤخذ بطريق النظر والاستدلال والاستنباط والاستخراج من ألفاظ، وهو قسمان:

قسم: اختلفوا في جوازه وهو تأويل الآيات المتشابهات في الصفات.

وقسم: اتفقوا عليه وهو استنباط الأحكام الأصلية، والفرعية، والإعرابية؛ لأن معناها على الأقيسة، وكذلك فنون البلاغة، وضروب المواعظ، والحكم والإشارات لا يمتنع استنباطها منه، واستخراجها [لمن له أهلية ذلك]^(٢) انتهى ملخصاً.

وقال أبو حيان^(٣): ذهب بعض من عاصرناه إلى أن علم التفسير مضطر إلى النقل في فهم معاني تركيبه^(٤) بالإسناد إلى مجاهد، وطاوس^(٥)، وعكرمة،

(١) ما بين القوسين ساقط من الإتيان: ١٩١/٤.

(٢) في الإتيان: ١٩٢/٤: «لمن له أهلية».

(٣) في مقدمة تفسيره: ٥/١ بتصرف.

(٤) في مقدمة تفسير أبي حيان: ٥/١: «تراكيه».

(٥) هو: طاوس بن كيسان أبو عبد الرحمن الهمداني من أكابر التابعين تفقهاً في الدين، ورواية للحديث، وجراة على وعظ الخلفاء والملوك، ولد باليمن سنة (ثلاث وثلاثين)، =

وأضرابهم، وأن فهم الآيات متوقف على ذلك، قال: وليس كذلك.
وقال الزركشي^(١) بعد حكاية ذلك: الحق أن علم التفسير، منه ما يتوقف على النقل، كسبب النزول، والنسخ، [وتعيين المبهم]^(٢)، وتبيين المجمل. ومنه ما لا يتوقف، ويكفي في تحصيله التفقه^(٣) على الوجه المعبر. قال: وكان السبب في اصطلاح كثير على التفرقة بين التفسير والتأويل، التمييز بين المنقول والمستنبط، ليحمل على الاعتماد في المنقول، وعلى النظر في المستنبط.

قال: واعلم أن القرآن قسمان: قسم ورد تفسيره بالنقل، وقسم لم يرد، والأول إما أن يرد عن النبي ﷺ، والصحابة، أو رؤوس التابعين، فالأول يبحث فيه عن صحة السند، والثاني ينظر في تفسير الصحابي، فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان - فلا شك [في اعتمادهم]^(٤) - [أو بما شاهده]^(٥) من الأسباب والقرائن فلا شك فيه، وحينئذ إن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة، فإن أمكن الجمع فذلك^(٦)، وإن تعذر قُدّم ابن عباس؛ لأن النبي ﷺ بشره بذلك حيث قال: «اللهم علّمه التأويل»^(٧).
وقد رجح الشافعي - رحمه الله تعالى - قول زيد^(٨) في الفرائض لحديث:

= وتوفي بالمزدلفة حاجاً سنة (ست ومائة).

انظر: تهذيب التهذيب: ٨/٥، ووفيات الأعيان: ١/٢٣٣.

(١) في البرهان: ١٧١/٢ - ١٧٢.

(٢) ساقط من الإتيان: ١٩٢/٤، وفي (هـ) و(ح): «تبيين المبهم»، وما أثبتته من

البرهان: ١٧١/٢.

(٣) في (هـ) و(ح): «الثقة»، وما أثبتته من البرهان: ١٧١/٢.

(٤) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ١٩٣/٤، كما في البرهان: ١٧٢/٢.

(٥) في الإتيان: ١٩٣/٤: «أو بما شاهده».

(٦) في الإتيان: ١٩٣/٣: «فذاك» كما في البرهان: ١٧٢/٢.

(٧) سبق تخريجه.

(٨) هو: زيد بن ثابت أبو خازجة الأنصاري الخزرجي الصحابي، كان رأساً في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض، وكان أحد الذين جمعوا القرآن في عهد النبي ﷺ من الأنصار، وهو الذي كتبه في المصحف لأبي بكر ثم لعثمان، وتوفي سنة (خمس وأربعين من الهجرة). انظر: الإصابة: ٢٩٥/١، وطبقات القراء: ٢٩٦/١.

«أفرضكم زيد»^(١)، [وأما ما ورد عن التابعين فحيث جاز الاعتماد فيما سبق فكذلك هنا، وإلا وجب الاجتهاد]^(٢)، وأما ما لم يرد فيه نقل فهو قليل، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق، وهذا يعتني به الراغب كثيراً في كتاب «المفردات»^(٣).

فيذكر قيماً زائداً على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ؛ لأنه اقتضاه السياق^(٤). انتهى.

وقال الإمام الحافظ السيوطي^(٥) - رحمه الله تعالى -: وقد جمعت كتاباً مسنداً فيه تفاسير النبي ﷺ والصحابة، فيه بضعة عشر ألف حديث ما بين مرفوع وموقوف. وقد تم - والله الحمد - في أربع مجلدات، وسميته «ترجمان القرآن»^(٦)، ورأيت أنا في أثناء تصنيفه النبي ﷺ في المنام، في قصة طويلة تحتوي على بشارة حسنة.

تنبيه:

من المهم معرفة التفاسير الواردة عن الصحابة بحسب قراءة مخصوصة؛ وذلك أنه قد يرد عنهم تفسيران في الآية الواحدة مختلفان، فيظن اختلافاً، وليس باختلاف، وإنما كل تفسير على قراءة، وقد تعرض السلف لذلك. فأخرج ابن جرير^(٧) في قوله تعالى: ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ [الحجر: ١٥] من طريق^(٨) ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - وغيره. أن «سكرت»

(١) رواه الحاكم في المستدرک: ٣٣٥/٤، كتاب الفرائض، باب قال النبي ﷺ: «أفرض أمتي زيد بن ثابت»، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ)، و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ١٩٣/٤.

(٣) المفردات في غريب القرآن.

(٤) البرهان: ١٧٢/٢ بعنوان: «تنخيل لما سبق» مع تصرف واختصار.

(٥) في الإتيان: ١٩٣/٤: «قلت».

(٦) ترجمان القرآن في تفسير المسند ذكره صاحب كشف الظنون، ولم يصل إلينا.

(٧) في تفسيره: ٩/١٤، ١٠.

(٨) في الإتيان: ١٩٤/٤: «طرق».

بمعنى «سدت» ومن طريق^(١) أنها بمعنى «أخذت» .
ثم أخرج^(٢) عن قتادة قال: من قرأ «سكّرت» بشدة^(٣) فإنما يعني «سدت»، ومن قرأ «سكّرت» مخففة فإنه يعني «سحرت»، وهذا الجمع من قتادة نفيس بديع .
ومثله قوله تعالى: ﴿سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قَطْرِانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠] أخرج ابن جرير^(٤) عن الحسن: أنه الذي تهنأ^(٥) به الإبل .
وأخرج^(٦) من طريق^(٧) عنه وعن غيره: أنه النحاس المذاب، وليس بقولين؛ وإنما الثاني تفسير لقراءة من «قَطِرِ أَنْ» بتنوين «قطر»، وهو النحاس و«أَنْ» شديد الحر، كما أخرج ابن أبي حاتم^(٨) هكذا عن سعيد بن جبير . وأمثلة هذا النوع كثيرة، والكافل بيانها كتابنا «أسرار التنزيل»^(٩) .
وقد خرجت على هذا قديماً الاختلاف الوارد عن ابن عباس وغيره في تفسير آية «أو لامستم» هل هو الجماع، أو المس^(١٠) باليد، فالأول تفسير لقراءة «لامستم» والثاني لقراءة «لمستم» ولا اختلاف .

(١) في الإتيان: ١٩٤/٤: «طرق» .

(٢) في تفسيره: ١٠/١٤ .

(٣) في الإتيان: ١٩٤/٤: «مشددة» .

(٤) في تفسيره: ١٦٨/١٣ .

(٥) وفي اللسان: ١٨٦/١، ١٠٥/٥، مادة (هنأ) و(قطر): هنا البعير: تقول: هنأت البعير، بالفتح، أهنؤه إذا طلبته بالهناء، وهو القطران، وهو عصارة الأبهل والأرز ونحوهما يطبخ فيتحطب منه، ثم تهنأ به الإبل .

(٦) في تفسيره: ١٦٨/١٣ .

(٧) في الإتيان: ١٩٤/٤: «طرق» .

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٩٢/٤ .

(٩) قال محقق أسرار ترتيب القرآن للسيوطي الأستاذ عبد القادر أحمد عطا: ٥٩: يقول السيوطي: إن كتابه هذا عجالة من موسوعته الكبرى التي أشار إليها في مقدمة هذا الكتاب والتي سماها «أسرار التنزيل» ولم نعثر على «أسرار التنزيل» للسيوطي، وإنما عثرنا على «أسرار التنزيل» للفخر الرازي الذي لم يكمله وهو مخطوط بدار الكتب المصرية، ولم يشر إليه السيوطي رغم إعجابه بالفخر الرازي... فالظاهر أن السيوطي أراد أن يكمل «أسرار التنزيل» للرازي، أو يكتب كتاباً باسمه ينهج فيه منهجاً بعيداً عن إتمامه... رغم أنه أشار إلى مسائل في الإتيان... .

(١٠) في الإتيان: ١٩٤/٤: «الجس» .

قال الشافعي - رضي الله تعالى عنه - في مختصر البويطي^(١): لا يحل تفسير المتشابه إلا بسنة عن رسول الله ﷺ، أو عن أحد من الصحابة أو إجماع العلماء، «هذا نصه»^(٢).

فصل (٣)

وأما كلام الصوفية - رضي الله تعالى عنهم - في القرآن فليس بتفسير. قال ابن الصلاح^(٤) في فتاويه: وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر أنه قال: صنف أبو عبد الرحمن السلمي «حقائق التفسير» فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر.

قال ابن الصلاح: وأنا أقول: الظن بمن يوثق به منهم، إذا قال شيئاً من ذلك أنه لم يذكره تفسيراً، ولا ذهب به مذهب الشرح^(٥) للكلمة، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية، وإنما ذلك منهم لتظير ما ورد به القرآن؛ فإن التظير يذكر بالتظير؛ ومع ذلك، فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإبهام والإلباس^(٦).

(١) هو: يوسف بن يحيى أبو يعقوب القرشي البويطي صاحب الإمام الشافعي، قال الشافعي: ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف بن يحيى، له المختصر: في الفقه، اقتبسه من كلام الشافعي، توفي سنة (إحدى وثلاثين ومائتين) في السجن في محنة خلق القرآن وبويط من أعمال الصعيد الأدنى بمصر.

انظر: تاريخ بغداد: ٢٩٩/١٤، وطبقات السبكي: ٢٧٥/١، ووفيات الأعيان: ٣٤٦/٢.
(٢) لم أعر عليه.

(٣) في الإتيان: ١٩٤/٤: «فضل في تفسير الصوفية»، وهي زيادة من محققه.

(٤) هو: عثمان بن عبد الرحمن أبو عمرو الشهرزوري الشافعي المعروف بابن الصلاح، وهو محدث، مفسر، فقيه، أصولي، ومن تصانيفه علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح، وشرح مشكل الوسيط للغزالي، وتوفي سنة (ثلاث وأربعين وستمائة للهجرة).

انظر: طبقات الشافعية: ٣٢٦/٨، وطبقات المفسرين: ٣٧٧/١.

(٥) في (هـ) و(ح) زيادة كلمة «من» «من مذهب الشرح»، وما أثبتته من الإتيان: ١٩٥/٤.

(٦) نقلاً عن البرهان للزركشي: ١٧٠/٢.

وقال النسفي^(١) في عقائده^(٢): النصوص على ظاهرها والعدول عنها إلى معان [يدعيها أهل الباطن إلحاد^(٣)]. قال التفتازاني^(٤) في شرحه^(٥): سميت الملاحدة لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها^(٦)، بل لها^(٧) معان باطنية لا يعرفها إلا المعلم، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية.

قال: وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص [محمولة]^(٨) على ظواهرها، ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف^(٩) على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان.

قلت^(١٠):

والقسم الأول: هم الباطنية من الإسماعيلية^(١١) القائلين بأن معاني القرآن

(١) هو: عمر بن محمد نجم الدين أبو حفص النسفي، صاحب العقائد يعرف بعقائد النسفي، و«طلبة الطلبة» في الاصطلاحات الفقهية، توفي سنة (سبع وثلاثين وخمسمائة للهجرة).

انظر: الفوائد البهية للكنوي: ١٤٩، ولسان الميزان: ٣٢٧/٤.

(٢) شرح العقائد النسفية: ١/٢٠٤ من مجموعة الحواشي البهية على شرح العقائد النسفية للعلامة التفتازاني.

(٣) الإلحاد هو الميل عن الحق، والزندقة وإنكار الأديان.

(٤) هو: مسعود بن عمر أحد محاسن الدنيا الذين اشتهرت مصنفاتهم، كما انتهت إليه رئاسة الحنفية، وتوفي سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة. انظر: الدرر الكامنة: ٤/٣٥٠، وبغية الوعاة: ٣٩١، والفوائد البهية: ١٣٤.

(٥) شرح العقائد النسفية: ١/٢٠٤.

(٦) في «شرح العقائد النسفية»: ١/٢٠٤: «على ظواهرها».

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإلتقان: ٤/١٩٥، كما في شرح العقائد النسفية: ١/٢٤.

(٨) كلمة (محمولة) ساقطة من (هـ) و(ح) والإلتقان: ٤/١٩٥، وما أثبتته من شرح العقائد النسفية: ١/٢٠٤.

(٩) في (هـ): «ينكشف» وما أثبتته من (ح)، والإلتقان: ٤/١٩٥ كما في شرح العقائد النسفية: ١/٢٠٤.

(١٠) القائل: المؤلف.

(١١) هم: الذين يقولون بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر، والباطنية أشهر ألقابهم، وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، ولهم ألقاب =

كلها مراد بها غير ظاهرها وأنه لا يفهمها إلا المعلم، وهو (الإمام) ^(١) عندهم الذي يعتقدون فيه الحلول، وهم قوم أهل ضلالة وعماية.

والقسم الثاني: هم الصوفية (- قدس الله سرهم -) ^(٢) وسئل ^(٣) شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني ^(٤) عن رجل قال: في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أن معناه: من ذل؛ أي من الذل، «ذي» إشارة إلى النفس. «يشف» من الشفاء جواب «من». «ع» أمر من الوعي، فأفتى بأنه ملحد. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٤٠]، قال ابن عباس [- رضي الله تعالى عنهما -] ^(٥) هو أن يوضع الكلام على غير موضعه أخرجه ابن أبي حاتم ^(٦). فإن قلت: فقد أخرج الفريابي: [حدثنا] ^(٧) سفیان، عن يونس بن عبيد ^(٨)، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع» ^(٩). وأخرج

= (فبالعراق) يسمون: (الباطنية، والقرامطة، والمزدكية).

الملل والنحل: ١٩١/١ - ١٩٢.

(١) (ح): «الأدر».

(٢) (ح): «قدس الله أسرارهم».

(٣) عود إلى كلام السيوطي في الإتيان: ١٩٥/٤.

(٤) هو: عمر بن رسلان أبو حفص المصري الشافعي المجتهد الحافظ من مصنفاته:

«محاسن الاصطلاح»، وتوفي سنة (خمس وثلاثمائة).

والبلقيني: بفتح القاف وسكون الياء، نسبة إلى قرية بلقين غرب مصر.

انظر: الضوء اللامع: ٨٥/٦، والشذرات: ٥١/٧.

(٥) ما بين القوسين ساقط من: (ح).

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٦٦/٥.

(٧) في (ه): «في حديث».

(٨) هو: أبو عبد الله البصري من حفاظ الحديث الثقات، توفي سنة (١٣٩هـ).

انظر: تهذيب التهذيب: ٤٤٢/١١، والأعلام: ٢٦٢/٨.

(٩) في (ه): «ولكن حرف مد، ولكن حد مطلع»، وما أثبتته من (ح) كما في الإتيان:

١٩٦/٤. ذكر ابن الأثير في النهاية: ١٦٦/٣: أنه يجوز أن تقرأ (مطلع) بوزن مصعد،

ومعناه: أي لكل حد مصعد يصعد إليه من معرفة علمه. ويجوز أن تقرأ (مطلع) وهو - في

الأصل - مكان الاطلاع من موضع عال، ومعناه: أن لكل حد منتهكاً ينتهكه مرتكبه، أي

أن الله ﷻ لم يحرم حرمة إلا علم أن سيطلعه مستطلع.

الطبراني وأبو يعلى^(١) والبخاري^(٢) وغيرهم عن ابن مسعود موقوفاً: «إن هذا القرآن ليس منه إلا له حد ولكل حد مطلع»^(٣).

قال الحافظ السيوطي في «الإتقان»^(٤): قلت: أما الظهر والبطن ففي معناه أوجه:

أحدها: أنك إذا بحثت عن باطنها، وقسته على ظاهرها وقفت على معناها^(٥).

والثاني: أن ما من آية إلا عمل بها قوم، ولها قوم سيعملون بها، كما قال ابن مسعود فيما أخرجه ابن أبي حاتم^(٦).

الثالث: أن ظاهرها لفظها وباطنه تأويلها^(٧).

الرابع: قال أبو عبيد - وهو أشبهها بالصواب -: أن القصص التي قصّها الله عن الأمم الماضية، وما عقبهم به ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين، وإنما هو حديث (حدّث)^(٨) به (عن قوم)^(٩)، وباطنها وعظ الآخرين وتحذير أن يفعلوا كفعالهم فيحلّ بهم مثل ما حلّ بهم^(١٠).

وحكى ابن النقيب قولاً خامساً: أن ظهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم

(١) هو: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى التميمي الموصلي له مصنفات منها، مسندان كبير وصغير. من علماء الحديث ثقة مشهور، توفي سنة (سبع وثلاثمائة). انظر: الرسالة المستطرفة: ٥٣، والأعلام: ١٧١/١.

(٢) هو: أحمد بن عمرو أبو بكر البزار، حافظ من العلماء بالحديث له مسندان أحدهما كبير سماه: «البحر الزاخر»، والثاني صغير، توفي سنة (اثنين وتسعين ومائتين). انظر: تذكرة الحفاظ: ٢٠٤/٢، والشذرات: ٢٠٩/٢.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير: ٤١٨/١. وعد الألباني الحديث ضعيفاً في ضعيف الجامع الصغير وزياداته: ١٧/٢ رقم ١٣٣٨.

(٤) كلام للمؤلف بين كلام السيوطي.

(٥) وهو قول الحسن نقله في النكت والعيون للمواردي: ١٩٦/١.

(٦) المصدر السابق.

(٧) وهو قول الجاحظ. المصدر السابق.

وانظر معنى العبارة في: «النهاية في غريب الحديث والأثر»: ١٦٦/٣.

(٨) ساقط من (ح).

(٩) كلمة (عن) ساقطة من الإتقان: ١٩٦/٤.

(١٠) قول أبي عبيد في كتابه: «غريب الحديث»: ١٣/٢.

بالظاهر، وبطنها^(١) ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق. ومعنى قوله: «ولكل حرف حد»؛ أي منتهى فيما أراد الله [من معناه، وقيل]^(٢): لكل حكم مقدار من الثواب والعقاب.

ومعنى قوله: «ولكل حد مطلع» لكل غامض من المعاني والأحكام مطلع يتوصل به إلى معرفته، ويوقف على المراد به.

وقيل: كل ما يستحقه من الثواب والعقاب يطلع عليه في الآخرة عند المجازاة^(٣).

وقال بعضهم: الظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحد أحكام الحلال والحرام، والمطلع الإشراف على الوعد والوعيد.

قال السيوطي^(٤): قلت: يؤيد هذا ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: إن القرآن ذو شجون^(٥)، وفنون^(٦)، وظهور، وبطون، لا تنقضي عجائبه، ولا تبلغ غايته، فمن أوغل^(٧) فيه برفق نجا، ومن أوغل فيه بعنف هوى، أخبار وأمثال، وحلال وحرام، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وظهر وبطن، فظهره التلاوة وبطنه التأويل، فجالسوا به العلماء، وجانبوا به السفهاء.

قلت^(٨): وقد سبق الكلام في معنى ظاهر القرآن وباطنه، وحدّه ومطلعه، في نوع مخصوص أول الكتاب^(٩).

(١) في (هـ) و(ح): «وبعضها»، وما أثبتته من الإتيان: ١٩٦/٤.

(٢) في (هـ) و(ح): «من معناها ودليل»، والصواب ما أثبتته كما في الإتيان: ١٩٦/٤.

(٣) في (هـ) و(ح): «عند المجازاة»، وما أثبتته من الإتيان: ١٩٦/٤.

نقل الإمام السيوطي في الإتيان: ١٩٦/٤ هذه الأقوال عن الماوردي في النكت غير أنه لم يشير إلى ذلك، وكذلك الإمام الزركشي. انظر: البرهان: ١٦٤/٢ - ١٦٩.

(٤) هذا الكلام يوهم أن ما قبله من كلام المؤلف، وهو ليس كذلك بل كله نقول عن السيوطي.

(٥) ذو شجون: شعب متماسكة. انظر: اللسان لابن منظور، مادة: (شجن): ٢٣٣/١٣.

(٦) فنون: أنواع من العلوم، وهي جمع الفن. انظر: اللسان، مادة: (فنون): ٣٢٦/١٣.

(٧) أوغل: دخل. انظر: اللسان، مادة: (وغل): ٧٣٢/١٣.

(٨) القائل: المؤلف.

(٩) انظر: النوع: ٣٦.

وقال^(١) ابن سبع^(٢) في «شفاء الصدور»: ورد عن أبي الدرداء أنه قال: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يجعل للقرآن وجوهاً.

وقال ابن مسعود: من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن^(٣). قال: وهذا الذي قاله لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر. وقد قال بعض العلماء: لكل آية ستون ألف فهم؛ فهذا [يدل]^(٤) على أن في فهم معاني القرآن [مجالاً]^(٥) رحباً وامتساعاً بالغاً، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه بالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير ليتقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط، ولا يجوز التهاون في حفظ التفسير الظاهر بل لا بد منه أولاً إذ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، ومن ادعى بلوغ فهم أسرار القرآن، ولم يُحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب^(٦). انتهى.

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله^(٧) في كتابه: «لطائف المنن»^(٨): اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني العربية ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له، ودلت عليه في عرف اللسان، وثمَّ أفهامٌ باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه.

(١) عود إلى كلام السيوطي.

(٢) هو: سليمان بن سبع أبو الربيع السبتي صاحب شفاء الصدور.

انظر: كشف الظنون: ١٠٥٠/١.

(٣) ليثور القرآن: أي لينقر عنه ويفكر في معانيه وتفسيره وقراءته، وأصل المادة:

الثوران وهو الحركة والانتشار.

انظر: النهاية لابن الأثير: ٢٢٩/١.

وفي النهاية لابن الأثير: ٢٢٩/١، بلفظ: «من أراد العلم فليثور القرآن» وفي رواية:

«أثيروا القرآن فإنه فيه علم الأولين والآخرين».

(٤) في (هـ): زيادة كلمة «ما»: «ما يدل».

(٥) في (هـ): «مجلها»، وما أثبتته من (ح) كما في الإتيان: ١٩٧/٤.

(٦) منقول عن البرهان للزركشي: ١٥٤/٢.

(٧) هو: أحمد بن محمد ابن عطاء الله الإسكندري، أحد العلماء الجامعين علوم

الدين: من التفسير، والحديث، والأصول، والتصوف. استوطن القاهرة للوعظ، ثم رحل إلى الإسكندرية، ومات بها سنة (٧٠٩هـ).

(٨) «لطائف المنن» لتاج الدين ابن عطاء الله، في مناقب شيخه أبي العباس المرسي.

وقد جاء في الحديث: «لكل آية ظهر وبطن» فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول ذو جدل ومعارضة: وهذه^(١) إحالة لكلام الله وكلام رسوله. فليس ذلك [بإحالة]^(٢)، وإنما كان يكون إحالةً لو قالوا^(٣): لا معنى للآية إلا هذا، وهم لم يقولوا ذلك؛ بل يقرؤون الظواهر على ظاهرها [مراد بها موضوعاتها]^(٤)، ويفهمون عن [الله]^(٥) ما أفهمهم^(٦).

فصل

قال العلماء يجب على المفسر [أن يتحرى في التفسير]^(٧) مطابقة المفسر، وأن يتحرز^(٨) في ذلك من نقص عما يحتاج إليه في إيضاح المعنى أو زيادة لا تليق بالغرض، ومن كون المفسر فيه من زيغ عن المعنى وعدول عن طريقه، وعليه [بمراعاة]^(٩) المعنى الحقيقي والمجازي، ومراعاة التأليف، والغرض الذي سبق له الكلام، وأن يؤاخي بين المفردات، ويجب عليه البداءة بالعلوم اللفظية، وأول ما تجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة، فيتكلم عليها من جهة اللغة، ثم التصريف، ثم الاشتقاق، ثم يتكلم عليها بحسب التركيب، فيبدأ بالإعراب، ثم ما يتعلق بالمعاني، ثم البيان، ثم البديع، ثم تبين المعنى المراد، ثم الاستنباط، ثم الإشارات.

وقال الزركشي في أوائل «البرهان»^(١٠): قد جرت عادة المفسرين أن يبدؤوا بذكر أسباب النزول^(١١)، ووقع البحث في أنه: [أيما أولى البداءة به بتقديم

(١) في الإتيان: ١٩٨/٤: «هذا».

(٢) ساقط من (هـ)، وهو في الإتيان: ١٩٨/٤.

(٣) في (هـ) و(ح): «لو قال»، وما أثبتته من الإتيان: ١٩٨/٤.

(٤) في (هـ): «مراداً موضوعاتها»، وما أثبتته من (ح) كما في الإتيان: ١٩٨/٤.

(٥) لفظ الجلالة غير موجود في (ح).

(٦) في (هـ) و(ح): «ما فهمهم»، وما أثبتته من الإتيان: ١٩٨/٤.

(٧) ساقط من (هـ)، وما أثبتته من (ح) كما في الإتيان: ١٩٨/٤.

(٨) في (هـ) و(ح): «وأن يتحد»، وما أثبتته من الإتيان: ١٩٨/٤.

(٩) ساقط من (هـ) و(ح)، وهو في الإتيان: ١٩٨/٤.

(١٠) ٣٤/١.

(١١) في الإتيان: ١٩٨/٤: «سبب النزول»، كما في البرهان: ٣٤/١.

السبب^(١) على المسبب، أو بالمناسبة لأنها المصححة لنظم الكلام، وهي سابقة على النزول. قال: والتحقيق التفصيل بين أن يكون وجه المناسبة [متوقفاً على سبب النزول، كآية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]^(٢)، فهذا ينبغي فيه تقديم ذكر السبب؛ لأنه حينئذٍ من باب تقديم الوسائل على المقاصد، وإن لم يتوقف على ذلك فالأولى تقديم وجه المناسبة^(٣)، وقال في موضع آخر^(٤): جرت عادة المفسرين ممن ذكر فضائل القرآن أن يذكرها في أول كل سورة؛ لما فيها من الترغيب والحث على حفظها إلا الزمخشري، فإنه يذكرها في آخرها.

قال مجد الأئمة عبد الرحيم بن عمر الكرمانى: سألت الزمخشري عن العلة في ذلك؟ فقال: إنها^(٥) صفات لها، والصفة تستدعي تقديم الموصوف. وكثيراً ما يقع في كتب التفسير «حكى الله كذا» وينبغي تجنبه.

قال الإمام أبو نصر القسيري في «المرشد»:

(قال معظم أئمتنا: لا يقال: «كلام الله محكي» ولا يقال: «حكى الله»^(٦)؛ لأن الحكاية الإتيان بمثل الشيء، وليس لكلامه مثل، وتساهل قوم فأطلقوا لفظ الحكاية بمعنى الإخبار، وكثيراً ما يقع في كلامهم إطلاق الزائد على بعض الحروف^(٧)، وقد مرّ في نوع الإعراب^(٨).

(١) في (هـ) و(ح): «أما أولى البداءة به ليقدم السبب»، وما أثبتته من الإتيان: ١٩٨/٤.
(٢) وسبب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ لما فتح مكة وقبض مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة، فنزل جبريل عليه السلام برد المفتاح، فدعا النبي ﷺ عثمان بن طلحة ورده إليه، وقرأ هذه الآية. انظر: تفسير ابن كثير: ٣٢٢/٢، وتفسير الشوكاني: ٤٨٠/١.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من: (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ١٩٨/٤.

(٤) البرهان: ٤٣٢/١.

(٥) في الإتيان: ١٩٩/٤: «لأنها».

(٦) في (هـ) و(ح): «قال أئمتنا: لا يقال: «كلام الله»، ولا يقال: «حكى الله كذا»، وما أثبتته من الإتيان: ١٩٩/٤.

(٧) منقول عن البرهان: ١٧٨/٢، وذكر في آخره: ك «ما» في نحو: ﴿فِيمَا رَحَمْتَنَّا مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، والكاف في نحو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ونحوه.

(٨) وانظر: الإتيان، النوع الحادي والأربعين في معرفة إعرابه: ٢٦٠/٢.

وعلى المفسر أن [يتجنب] ^(١) ادعاء التكرار ما أمكنه. قال بعضهم: مما يدفع وهم ^(٢) التكرار في عطف المترادفين نحو: ﴿لَا بُقْيَ وَلَا تَذَرُ﴾ [المدثر: ٢٨]، ﴿صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]، وأشباه ذلك. [وأن يعتقد] ^(٣) أن مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند انفراد أحدهما، فإن التركيب يحدث معنى زائداً. وإذا كانت كثرة الحروف يفيد زيادة المعنى، فكذلك زيادة الألفاظ. انتهى ^(٤).

وقال الزركشي في «البرهان» ^(٥): ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سبق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوّز.

وقال في موضع آخر: على المفسر مراعاة مجازي الاستعمالات في الألفاظ التي يظن بها الترادف، والقطع بعدم الترادف ما أمكن؛ فإن للتركيب معنى غير معنى الأفراد، ولهذا منع كثير من الأصوليين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر في التركيب، وإن اتفقوا [على] ^(٦) جوازه في الأفراد. انتهى.

وقال أبو حيان ^(٧): كثيراً ما يشحن المفسرون تفاسيرهم عند ذكر الإعراب ^(٨) بعلل النحو، ودلائل مسائل ^(٩) أصول الفقه، [ودلائل مسائل الفقه] ^(١٠)، ودلائل أصول الدين، وكل ذلك ^(١١) مقرر في تأليف ^(١٢) هذه العلوم.

-
- (١) في (هـ) و(ح): «بيحث»، وما أثبتته من الإتيان: ١٩٩/٤.
(٢) في الإتيان: ١٩٩/٤: «توهم».
(٣) في الإتيان: ١٩٩/٤: بدون الواو: «أن يعتقد».
(٤) لم أعر عليه.
(٥) ٣١٧/١.
(٦) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ٢٠٠/٤.
(٧) في مقدمة تفسيره: ٥/١.
(٨) في مقدمة تفسير أبي حيان: ٥/١: «من ذلك الإعراب».
(٩) كلمة «مسائل» ساقطة من مقدمة تفسير أبي حيان: ٥/١.
(١٠) ساقط من (هـ) و(ح) ومقدمة تفسير أبي حيان: ٥/١، وما أثبتته من الإتيان: ٢٠٠/٤.
(١١) في مقدمة تفسير أبي حيان: ٥/١: «وكل هذا».
(١٢) في (هـ) و(ح): «تواليف»، وما أثبتته من الإتيان: ٢٠٠/٤ كما في مقدمة تفسير أبي حيان: ٥/١.

وإنما يؤخذ ذلك مسلماً في علم^(١) التفسير دون استدلال عليه، وكذلك أيضاً ذكروا ما لا يصح من أسباب النزول، وأحاديث في الفضائل، وحكايات لا تناسب، وتواريخ إسرائيلية، ولا ينبغي ذكر هذا في علم التفسير^(٢).

فائدة:

قال ابن أبي حمزة: عن عليّ عليه السلام أنه قال: لو شئت أن أقر سبعين [بعيراً]^(٣) من تفسير أم القرآن لفعلت. وبيان ذلك أنه إذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يحتاج إلى تبين [معنى]^(٤) الحمد، وما يتعلق به الاسم الجليل الذي هو الله، وما يليق به من التنزيه، ثم يحتاج إلى بيان العالم وكيفيته على جميع أنواعه وأعداده وهي ألف عالم، أربعمائة في البر، وستمائة في البحر، فيحتاج إلى بيان ذلك كله.

فإذا قال: ﴿الزَّكَاةَ الرَّحِيمَ﴾ يحتاج إلى بيان الاسمين الجليلين وما يليق بهما من الجلال وما معناها، ثم يحتاج إلى [بيان جميع الأسماء والصفات]^(٥)، ثم يحتاج إلى بيان الحكمة في اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين دون غيرهما^(٦).

فإذا قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يحتاج إلى بيان ذلك اليوم وما فيه من المواطن والأهوال وكيفية مستقره.

فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يحتاج إلى بيان المعبود من جلالته، والعبادة^(٧) وكيفيتها وصفتها، وأدائها على جميع أنواعها، والعاقد في صفته،

(١) في (هـ) و(ح): «علوم التفسير»، وما أثبتته من مقدمة تفسير أبي حيان: ٥/١ كما في الإتيان: ٢٠٠/٤.

(٢) انتهى كلام أبي حيان في مقدمة تفسيره: ٥/١.

(٣) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ٢٠٠/٤.

(٤) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ٢٠٠/٤.

(٥) في (هـ) و(ح) زيادة كلمة: «ذلك» هكذا: «بيان ذلك جميع الأسماء والصفات».

(٦) ساقط من (هـ) و(ح)، وما أثبتته من الإتيان: ٢٠١/٤.

(٧) عرّف شيخ الإسلام ابن تيمية العبادة في كتابه: «العبودية»: ٣٨ فقال: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

والاستعانة^(١) وأدائها، وكيفيتها.

فإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة يحتاج إلى بيان الهداية ما هي^{(٢)؟}، والصراط المستقيم^(٣) وأضداده، وتبيين المغضوب عليهم ولا الضالين^(٤)،

(١) ومفهومها كما قال البيضاوي في تفسيره: ٣٣/١: طلب المعونة، وهي إما ضرورية وهي ما لا يتأتى الفعل دونه، كإقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها، وعند اجتماعها يوصف الرجل بالاستطاعة. وغير ضرورية وهي تحصيل ما تيسر به الفعل ويسهل كالراحة في السفر للقادر على المشي.

(٢) بين الراغب في المفردات، مادة: (هدى): ٧٨٤ الهداية وأنواعها حيث قسم هداية الله تعالى للإنسان أربعة أقسام:

الأول: هداية عم بجنسها كل مكلف، وهي ما أودعه الله فيه من عقل، وفطرة، ومعارف ضرورية.

الثاني: الهداية التي جعل للناس بدعائه إياهم على السنة الرسل. فهي بمعنى الدلالة والبيان، وهي المقصودة في مثل قوله تعالى: ﴿وَأِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

الثالث: بمعنى التوفيق الذي يختص من اهتدى. وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿... وَلَئِكَنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة.

ثم قال: وهذه الهدايات الأربع مترتبة فإن لا تحصل له الأولى لا تحصل له الثانية.

(٣) اختلف العلماء في المراد بـ ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:

١ - هو كتاب الله تعالى، قاله علي بن أبي طالب.

٢ - هو الإسلام، قاله جابر وابن عباس وغيرهما.

٣ - هو رسول الله ﷺ وما حباه أبو بكر وعمر.

٤ - هو الحق قاله مجاهد.

قلت: وهذا الاختلاف تنوع لا تضاد فلا منافاة بينها، وما أحسن ما فسره به شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: فإن ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أن يفعل العبد في كل وقت ما أمر به في ذلك الوقت من علم وعمل، ولا يفعل ما نهى عنه.

مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ٣٧/١٤.

(٤) وأكثر المفسرين على أن ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود، و﴿الضَّالِّينَ﴾ هم النصارى،

منهم الطبري: ٦١/١، وابن كثير: ٢٩/١، والقرطبي: ١٤٩/١، لكن هذا القول لا على

سبيل الحصر بل على سبيل التمثيل بأحد أفراد الجنس، وهو من باب تمثيل العام بأوضح

أفراده وأشهرها، ومعلوم أن اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضلال كما ورد بذلك

الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «فإن اليهود مغضوب عليهم، وإن النصارى ضلال» أخرجه

الترمذي وحسنه كتاب التفسير، باب تفسير الفاتحة: ٢٠٤/٥.

وصفاتهم، وما يتعلق [بهم]^(١) بهذا النوع، وتبيين المرضي عنهم^(٢)، وصفاتهم وطريقتهم، فعلى هذه الوجوه يكون ما قاله علي من هذا القبيل.

(١) ساقط من (ج).

(٢) المراد بالمرضي عنهم في قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاطحة: ٧]، هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ ﴿٦٩﴾ [النساء].



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٦	* النوع الحادي والثلاثون بعد المائة: علم من ذكر من الأنبياء ﷺ في القرآن العظيم صريحاً وبالإشارة
١٨	* النوع الثاني والثلاثون بعد المائة: علم تاريخ الأنبياء المذكورين في القرآن وبيان المتقدم منهم والمتأخر
٥٤	* النوع الثالث والثلاثون بعد المائة: علم ما وقع في القرآن العظيم من الأسماء والكنى والألقاب
٥٤	أسماء الملائكة:
٦١	أسماء الصحابة:
٦٢	أسماء المتقدمين من غير الأنبياء والرسل:
٦٤	أسماء النساء:
٦٥	أسماء الكفار:
٦٧	أسماء الجن:
٦٨	أسماء القبائل:
٦٩	أسماء الأقوام بالإضافة:
٧٠	أسماء الأصنام:
٧٤	أسماء البلاد والأمكنة:
٨٤	أسماء الأماكن الأخروية:
٩٢	أسماء الكواكب:
٩٣	فائدة في أسماء الطير:
٩٥	فصل في الكنى والألقاب في القرآن
١٠٤	* النوع الرابع والثلاثون بعد المائة: علم مبهمات القرآن
١٣٩	القسم الثاني في مبهمات الجموع الذين عرفت أسماء بعضهم:

- * النوع الخامس والثلاثون بعد المائة: علم أسماء مَنْ نزل فيهم القرآن ١٦٠
- * النوع السادس والثلاثون بعد المائة: علم قصص الأنبياء ﷺ المذكورين
- ١٦٤ في القرآن العظيم
- ١٧٢ قصة نبي الله شيت ﷺ
- ١٧٤ قصة نبي الله نوح - عليه الصلاة والسلام -
- ١٧٧ قصة نبي الله هود ﷺ
- ١٧٩ قصة نبي الله صالح - عليه الصلاة والسلام -
- ١٨١ قصة نبي الله إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -
- ١٨٦ قصة نبي الله لوط - عليه الصلاة والسلام -
- ١٩٠ قصة نبي الله إسماعيل - عليه الصلاة والسلام -
- ١٩٤ قصة نبي الله إسحاق - عليه الصلاة والسلام -
- ١٩٥ قصة نبي الله يعقوب - عليه الصلاة والسلام -
- ١٩٦ قصة نبي الله يوسف ﷺ
- ٢١٣ قصة نبي الله أيوب - عليه الصلاة والسلام -
- ٢١٥ قصة نبي الله موسى - عليه الصلاة والسلام -
- ٢٣٩ قصة الخضر ﷺ
- ٢٤٠ قصة نبي الله هارون ﷺ
- ٢٤٢ قصة نبي الله يوشع بن نون - عليه الصلاة والسلام -
- ٢٤٢ قصة نبي الله حزقيل - عليه الصلاة والسلام -
- ٢٤٤ قصة نبي الله شمويل ﷺ
- ٢٤٦ قصة نبي الله داود - عليه الصلاة والسلام -
- ٢٥١ قصة لقمان الحكيم
- ٢٥١ قصة نبي الله سليمان - عليه الصلاة والسلام -
- ٢٦١ قصة نبي الله إلياس ﷺ
- ٢٦٥ قصة نبي الله اليسع ﷺ
- ٢٦٦ قصة نبي الله ذو الكفل ﷺ
- ٢٦٧ قصة نبي الله يونس ﷺ
- ٢٦٩ قصة نبي الله عزيز - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام -

٢٧١	قصة نبي الله زكريا - عليه الصلاة والسلام -
٢٧٣	قصة نبي الله يحيى - عليه الصلاة والسلام -
٢٧٤	قصة نبي الله عيسى - عليه الصلاة والسلام - وقصة ولادة مريم <small>عليها السلام</small> به
		* النوع السابع والثلاثون بعد المائة: علم من ذكر في القرآن الكريم من
٢٨٦	الملوك والأمم غير الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -
٢٨٦	قصة شداد بن عاد
٢٨٧	قصة أهل البئر المعطلة وأهل القصر المشيد
٢٨٨	قصة أصحاب الرس
٢٨٩	قصة السبت
٢٩١	قصة بخت نصر
٢٩٢	قصة الإسكندر ذي القرنين
٢٩٨	قصة أهل سبأ
٣٠٣	قصة صياطاس
٣٠٤	قصة أهل الكهف
٣٠٨	قصة تُبّع الأخير
٣١١	قصة أصحاب الأخدود
٣١٦	قصة أصحاب الفيل
٣٢٠	* النوع الثامن والثلاثون بعد المائة: علم أمثال القرآن
٣٢٠	فصل في ذكر أمثال القرآن
٣٣٦	* النوع التاسع والثلاثون بعد المائة: علم مواضع القرآن العظيم
٣٣٩	فصل: في قصة آدم - عليه صلوات الله وسلامه -:
٣٤٦	الفصل الرابع:
٣٤٨	الفصل الخامس: في قصة ثمود:
٣٤٩	الفصل السادس: في قصة الخليل <small>عليه السلام</small> :
٣٥١	الفصل السابع: في قصة الذبيح:
٣٥٤	* النوع الأربعون بعد المائة: علم حكم القرآن
٣٦٢	* النوع الحادي والأربعون بعد المائة: علم حقائق القرآن
٣٧٥	القسم الأول - عروج روحاني

- القسم الثاني - وهو المعراج الجسماني ٣٧٧
- وأما القسم الثالث - وهو المعراج السري ٣٨٠
- * النوع الثاني والأربعون بعد المائة: علم معرفة تفسيره وتأويله وبيان شرفه
والحاجة إليه ٣٩٠
- * النوع الثالث والأربعون بعد المائة: علم معرفة شروط المفسر وآدابه ٤١٠